

سِفْرُ السَّعَادَةِ

للعالم العلامة الفقيه الفهامة الشيخ مجد الدين محمد

ابن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي

صاحب القاموس المتوفى

سنة ٨٢٦ هجرية

﴿ عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الأولى ﴾

سنة ١٣٤٦ هجرية

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومؤيدها العلامة السيد عبد الله الدمشقي

﴿ قوبلت علي نسختين مختلفتين ﴾

طبع علي نفقة جماعة من المؤمنين

﴿ حقوق الطبع محفوظة إلى ﴾

(إدارة الطباعة المنيرية بمصر بشارع الكحكيين نمرة (١))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد الحمد والثناء على حضرة ذى الكبرياء . والصلاة بلا نهاية على رئيس الانبياء . وخلاصة الاصفياء . وآله وأصحابه الاتقياء . وعلى أرواح التابعين من الصالحين الاولياء فلتعلم طائفة الاحباب والاصحاب وزمرة العقلاء من ذوى الالباب أن طريق الحق الذى هو الصراط المستقيم من أجل أن غاية ذلك هو الحق جل شأنه أشرف الطرق وأجلها وأنور السبل وأكملها وسلوكها بغير متابعة هاد ماهر وخريت باهر لا يمكن بل لا يتصور لاجرم أن من أشرف بدرك هذا المعنى علم أن اتباع سيرة رئيس الهداة وكبير من اختير من حضرة الرحمن محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والاهتداء بسنة جنابه المقدس هو سبب النجاة الابدية وموجب القرب والوصول الى الحضرة الربانية . ولا وسيلة منها أشرف ولا طريقة منها أقرب ومصداق ما قلنا قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ومفهوم السكامة الجامعة النبوية «الدين النصيحة» أجتأنى الى امثال اجابة ملتبس كبير من الذرية المقدسة النبوية ونبعة من الدرحة المكرمة المصطفوية فى اثبات أبواب ثبتت فى صحاح الاخبار المقدسة من الطريقة الانيقة المحمدية والسنة السنية النبوية فاجرينا القلم بها لتسكون دستوراً لمن أراد درك هذه السعادة فليعتمد عليها فى باب العبادات اعتماداً كلياً ولا يعبأ بخلاف زيد وعمر وفان هذه المسائل ستكتتب على وجه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسانيد صحيحة وكل متعبد أتم سلوك هذا المنهج المستقيم بطريق الاخلاص أمكن يد طلبة التعلق بطرف مقصوده وتتحقت طينته الطيبة بالاخلاق المقدسة النبوية ان شاء الله تعالى *

﴿ وهذا سفر السعادة ﴾ جعلناه محتويا علي فاتحة وخاتمة وأبواب تحتوي على فصول ونأمل أن تحيط أنوار اسراره بالكافة وتكتنف ان شاء الله تعالى *
﴿ فاتحة الكتاب في ذكر حال سيدنا رسول الله ﷺ قبل

نزول الوحي وبيان عباداته في تلك الايام ﴾

لما بلغ صلي الله عليه وآله وسلم سبع سنين وتوفي جده عبدالمطلب وافتخر عمه أبوطالب بشرف كفالاته وتربيته أمر الله تعالى شأنه إسرافيل عليه الصلاة والسلام أن يقوم بملازمته فكان قرينه دائما الى أن أم احدى عشرة سنة ثم أمر جبريل عليه الصلاة والسلام بملازمته تسعا وعشرين سنة بطريق المرافقة والمقاربة لكن لم يظهر له. وفي بعض الروايات الصحيحة أن اسرافيل ظهر له في ملازمته مراراً أو كالمه بكلمة وكامتين وقبل نزول الوحي بمدة خمس عشرة سنة كان يسمع صوتا أحيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين كان يرى نورا وكان به مسرورا ولم ير شيئا غير ذلك ولما قربت أيام الوحي أحب الخلوة والانفراد فكان يتخلى في جبل حراء وهو علي ثلاثة أميال من السكبة وبه غار صغير طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع وثلاث في بعض المواضع وفي بعضها اقل واختار محل الخلوة هناك. وللعلماء في عبادته في خلوته قولان قال بعضهم كانت عبادته بالفكر وقال بعضهم بالذكر وهذا القول هو الصحيح ولا تعريج علي الاول ولا التفات اليه لان خلوة طلاب طريق الحق على انواع *

﴿ الاول ﴾ ان تكون خلوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق لا بطريق النظر والفكر وهذا غاية مقاصد اهل الحق لان من خاطب في خلوته كونا من الاكوان او فكر فيه فليس هو في خلوة قال شخص من طلاب الطريق لبعض الاكابر اذ كرني عند ربك في خلوتك قال اذا ذكرك فاست معه في خلوة ومن ثم يعلم سرانا جليس من ذكرني وشرط هذه الخلوة ان يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه *

﴿ الثاني ﴾ ان تكون خلوتهم لصفاء الفكر لكي يصح نظرهم في طلب المعلومات وهذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل وذلك الميزان في

غاية اللطافة وهو بادني هوي يخرج عن الاستقامة وطلاب طريق الحق لا يدخلون في مثل هذه الخلوة بل تكون خلوتهم بالذكر وايس للفكر عليهم قدرة ولا سلطان ومهما وجد الفكر طريقا الى صاحب الخلوة فينبغي ان يعلم انه ليس من اهل الخلوة ويخرج من الخلوة ويعلم انه ايس من اهل العلم الصحيح الالهي اذ لو كان من اهل ذلك لحالت العناية الالهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر

﴿ الثالث ﴾ خلوة يفعالها جماعة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والاشتغال بما لا يعنى فانهم اذا رأوا الخلق اتقبضوا فلذلك اختاروا الخلوة

﴿ الرابع ﴾ خلوة لطالب زيادة لذة توجد في الخلوة وخلوة حضرة صاحب الرسالة من القسم الاول وكان بعيدا جدا من جميع المخالطات حتى من الاهل والمال وذات اليد واستغرق في بحر الاذكار القلبية وانقطع عن الاضداد بالكلية وظهر له الانس والجلوة بتذكر من لاجله الخلوة ولم يزل في ذلك الانس ومرآة الوحي تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال فظهرت تباشير صبح الوحي واشرقت وانتشرت بروق السعادة وتألقت فكان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال بلسان فصيح السلام عليك يا رسول الله فكان ينظر يمينا وشمالا ولا يرى شخصا ولا خيالا فيبينما هو في بعض الايام قائم على جبل حراء اذ ظهر له شخص فقال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الامة ثم أخرج له قطعة تمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده صلى الله عليه وآله وسلم وقال اقرأ قال والله ما أنا بقارىء ولا أرى في هذه الرسالة كتابة قال فضمني اليه وغطى حتى بلغ مني الجهد ثم أطعني وقال اقرأ فقلت لست بقارىء فغطى حتى بلغ مني الجهد فعل بي ذلك ثلاثا وهو يأمرني بالقراءة ثم قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) ثم قال انزل عن الجبل فنزلت معه الى قرار الارض فاجلسني على درنوك وعليه ثوبان اخضران ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل منها تمضمض واستنشق وغسل كل عضو ثلاثا و امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يفعل كفعله فلما تم وضوؤه اخذ جبريل كفا

من ماء فرش به وجه الرسول ثم قام وصلى ركعتين والرسول مقتد به ثم قال الصلاة هكذا ولما فرغ من الوضوء والصلاة والتعليم غاب جبريل وجاء الرسول الي مكة وقص على خديجة القصة وعلّمها الوضوء والصلاة فناسب بعد تمهيد هذه الفاتحة ان نبئدى ابواب العبادات النبوية بذكر كيفية الوضوء والصلاة ونلحق بها الصيام والادعية وغيرها من العبادات ان شاء الله الـكريم ۞

﴿ باب طهارة حضرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان في غالب الاوقات يتوضأ في كل فريضة من الصلاة وفي بعض الارقات يصلي بوضوء واحد عدة من الصلوات ومتعددا الماء الذي كان يصرفه في الوضوء دون الرطلين وكان لا يزيد على أربعة أرتال وربما توضحاً بنحو ثلاثة أرتال وكان يباليغ في الامر بتقليل الماء ويباليغ في النهي عن كثرة استعماله وقال إن للوضوء شيطانا اسمه ولهان فاحترزوا من وسوسته . ومرضى الله عليه وآله وسلم بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال لا تسرف في الماء قال سعد وهل في الماء إسراف قال نعم وإن كنت على نهر جار . وضح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه يتوضأ وغسل أعضاء الوضوء مرة مرة ولم يزد وتوضأ وغسلها مرتين مرتين وتوضأ وغسلها ثلاثا ثلاثا وتوضأ فغسل بعضها مرتين وبعضها ثلاثا وتمضمض واستنشق بغرفة وبغرفتين وبثلاث استعمال نصف العرقة في المضمضة ونصفها في الاستنشاق فعل ذلك متصلا في الصور اثلاث ولم يرد في شيء من الاحاديث الفصل . وحديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده أنه شاهد الفصل في إسناده ضعف وكان يستنشق باليميني ويستنثر باليسرى ويمسح بجميع رأسه مرة لا يكرر . وروى التكرار في حديث لكنه ضعيف وحيثما اقتصر على مسح بعض الرأس أم على العمامة ولم يترك المضمضة والاستنشاق أبدا ولم يروا أحد عنه ذلك أبدا . وكان يتوضأ مرتبا متواليا ولم يخل بالترتيب والتوالي أبدا . وكان يمسح جميع رأسه أحيانا وأحيانا يمسح على العمامة وأحيانا يمسح على الناصية والعمامة ولم يقتصر على مسح بعض الرأس أبدا . وكان يمسح الاذن ظاهرا وباطنا ولم يثبت في مسح الرقبة حديث . وحيث لم يكن في رجله

خف غسل والامسح والاحاديث الواردة في أذكار الوضوء لم يصح منها شيء .
والذي صح أنه كان يقول في أول الوضوء بسم الله وفي آخره أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من
التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك . قال أبو موسى الأشعري جئت بماء الوضوء لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فتوضأ وسمعته يقول اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في
داري وبارك لي في رزقي قال قلت يا رسول الله سمعتك تدعو بكذا وكذا
قال وهل تركت من شيء . ولم يكن يذشف أعضائه بعد الوضوء بمندبل ولا
منشفة وإن أحضروا له شيئا من ذلك أبعدوه والحديث المروى عن عائشة
رضي الله تعالى عنها كانت له نشابة ينشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ في
معناه كلاهما ضعيف . وفي حالة الوضوء لم يصب الماء عليه أحد إلا في وقت
ضرورة والحديث الوارد في تحليل اللحية قبله بعض أهل الحديث ورده
البعض . وأما تحليل الاصابع فكان يفعلها أحيانا وورد تحريك الخاتم في
حديث ضعيف *

﴿ فصل ﴾

ثبت في الاخبار الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح على
الخفين في السفر والحضر . ومدة الحضر يوم وليلة فيما أمر وثلاثة أيام ولياليها
في السفر وكان يمسح على ظاهر الخف وورد في مسح أسفله حديث ضعيف
ولم يثبت في الصحيح وكان يمسح على الجورب . وحديث الجر موق رواه
الترمذي وصححه وضعفه جماعة من الحفاظ وكان لا يقصد المسح ولا الغسل
لكن إن كان في حالة قصد الوضوء لا بسا مسح والا غسل ولم يكن يلبس
ليمسح ولا ينزع ليغسل . ولما كان للعلماء أقوال في أفضلية المسح أو الغسل بينا
ليعلم أن أحسن الاقوال هذا الذي وافق العادة النبوية *

﴿ فصل ﴾

كلما تيمم صلى الله عليه وآله وسلم ضرب ضربة بكفيه المباركتين على

الارض الطاهرة ومسح بهما وجهه وظاهر كفيه ولم يرد في الحديث الصحيح أنه ضرب ضربتين على التراب ولم يرد أنه مسح الى المرفقين وماورد من الاحاديث علي خلاف ماقلناه فجميعه ضعيف وكان يتيمم من الارض التي يقصد الصلاة عليها ولا يفرق بين التراب والرمل وغير ذلك وقال حيا أدركت رجلا من أمي الصلاة فعنده مسجده وظهره وهذا الحديث صريح في أن جنس الارض ظهور ولم نجد في حديث صحيح أنه تيمم لكل فريضة تيمما جديدا بل أمر به مطلقا وأقامه مقام الوضوء والله تعالى أعلم ٥

٥ باب في صلاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٥

كان اذا قام الى الصلاة قال الله أكبر ولم يرو عنه التكمام بلفظ النية وكان يرفع يديه مع التكبير حتي يحاذي بهما أذنيه وأحيانا يحاذي بهما كفيه ثم يضع يمينه علي يساره فوق صدره كذا في صحيح ابن خزيمة ثم يشرع في دعاء الاستفتاح وذلك مروى من عدة وجوه صحيحة (الاول) رواية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام الي الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم انك أنت الله الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب جميعا إلا أنت واهدني لاجناتك لا يهدي لاجناتك إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيدك والشرك ليس اليك أنا بك واليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك (الثاني) حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة فقلت بأبي وأمي أسكتك بين التكبير والقراءة ما تقول قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم تقني من خطاياي كما تقني الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد (الثالث) حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال سبحانك اللهم

وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (الرابع) ورد في حديث آخر أنه كان يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيراً الحمد لله كثيراً كثيراً كثيراً كثيراً وأصيلاً سبحانه الله بكرة وأصيلاً اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم ومن همزه ونفخه ونفثه • (الخامس) ورد في رواية أخرى الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشراً ثم يحمده عشراً ويهلل عشراً ويستغفر عشراً ثم يقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني عشراً ثم يقول اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشراً (السادس) ورد في رواية صحيحة أنه كان يقول بعد التكبير اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس (السابع) اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم (الثامن) من الروايات أنه كان يقول بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والبارحى والنبيون حق والساعة حق وبعد هذه الاذكار يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر بالبسملة في بعض الاوقات ويخفيها في بعض الاوقات وكان يقرأ مرتباً متلاً ويقف عند آخر كل آية ويمد آخر الكلمة ويقول آمين بعد فراغ الفاتحة يجهر بها في الصلاة الجهرية ويخفيها في السرية ويوافق في التأمين المقتدون بأسرهم وكان يراعى سكتين في الصلاة سكتة بين التكبيرة وقراءة الفاتحة وسكتة ثانية بين فراغه من الفاتحة وقراءة السورة وجاء في بعض الروايات أنه كان يسكت بين القراءة والركوع فتكون هذه سكتة ثالثة لكنها كانت في غاية اللطف والقلّة وكان يقرأ في صلاة الصبح بعد الفاتحة مطولة مقدار ستين آية أو مائة آية واحياناً يقرأ سورة ق واحياناً يقرأ سورة الروم واحياناً يخفف الى حد أنه كان يقتصر

على قراءة اذا زلزات واحيانا بالمعوذتين وكان في السفر يقرأ احيانا اذا الشمس كورت وكان يقرأ في صلاة فجر يوم الجمعة سورة الم تنزيل السجدة في الركعة الاولى وهل أتى في الركعة الثانية. وتخصيص يوم الجمعة بقراءة هاتين السورتين لانهما اشتملتا على ذكر المبدأ والمعاد ودخول الجنة وهذه المعاني تكون في يوم الجمعة لان القيامة تكون فيه فلا جرم ان يذكر الامة هذا المعنى بقراءة هاتين السورتين كما انه كان يقرأ في المحافل السكبار والمجامع المعظمة سورة ق واقربت وامثال ذلك واما صلاة الظهر فكان يطولها بحيث انه كان في بعض الاحيان بعد اقامة صلاة الظهر يسير المشى الى قباء ويرجع الى الصلاة ولم يكن ركع في الركعة الاولى وكان يقرأ احيانا في الركعة مقدار الم تنزيل السجدة وحينما سبح اسم ربك الاعلى أو والسماء ذات البروج او والليل او الانشقاق او والطارق وما أشبه ذلك * واما صلاة العصر فكانت مقدار نصف صلاة الظهر في الطول واحيانا أخف من ذلك * واما صلاة المغرب فكان يطورها احيانا بحيث انه كان يقرأ سورة الاعراف في الركعتين يقرأ في كل ركعة نصفها وحينما يقرأ الصافات وسورة حم الدخان وحينما سبح اسم ربك الاعلى وحينما التين وحينما المعوذتين وحينما المرسلات وحينما قصار المفصل وقد صحت الروايات بهذا المجموع والسنة ان لا يواظب على نمط واحد من تطويل وتقصير بل يطول حينما ويقصر حينما بحسب الحال والوقت * واما صلاة العشاء فقد عين للمآذ سورة الشمس وسبح اسم ربك الاعلى او والليل ومنعه من قراءة البقرة ونحوها وزجره وقال له ﷺ أفنان أنت يامعاذ وفي بعض الاحاديث عين له والسموات يعني إذا السماء انفطرت والانشقاق والبروج والطارق * واما صلاة الجمعة فانه كان يقرأ في الاولى سورة الجمعة وفي الثانية سورة المنافقين وحين التخفيف يقرأ سبح اسم ربك الاعلى والغاشية واما قراءة آخر سورة الجمعة في الركعة الاولى وآخر سورة المنافقين في الثانية فمخالف للسنة * واما صلاة العيد فكان يقرأ فيها سورة ق وسورة اقربت وقد يقرأ سبح اسم ربك الاعلى والغاشية وعلى هذا واظب الى آخر عمره لاجرم ان الخلفاء الراشدين ساروا على طريقه

فكان الصديق رضي الله تعالى عنه يقرأ في صلاة الصبح سورة البقرة وأمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه كان يصلي الصبح حينما بيوسف والنحل وحينما يهود وبنو إسرائيل ولو نسخت اطالة الصلاة لما فعلها الخلفاء الراشدون وفي حديث انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخف الناس صلاة في تمام والمراد من هذا الحديث ان طول صلانه بالنسبة الى صلاة غيره كان قليلا الى الغاية كعازد مثلافانه كان يقرأ في صلاة العشاء سورة البقرة والتخفيف امر نسبي وفي سنن النسائي ثابت ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات فقراءة الصافات في الصلاة من باب التخفيف الذي أمر به الصحابة ولم يعين شيئا من السور لشيء من الصلوات سوى الجمعة والعيدين قال عبدالله بن عمر ما من سورة من طوال المفصل وقصاره الا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ يقرأها في صلاة الفريضة وكان يقرأ السورة بتمامها غالبا وفي النادر كان يقرأ بعض السورة لبيان الجواز وحينما اقتصر على بعض السورة كان أولها فاما قراءة آخر السورة وأوسطها فإنه لم يرد وكان يطول الركعة الاولى على الثانية دائما وكان يطيل صلاة الصبح على ما سواها من الصلوات لان النزول الرباني في ثلث الليل الاخير باق الى انقضاء صلاة الصبح وبعضهم يقول الي طلوع الفجر وكلاهما مروي وبعض المشايخ يقول لما كان في عدد ركعات الصبح نقص كمل بالتطويل اولانها وقعت بعد الراحة بنوم الليل اولانها وقت ليس فيه اشتغال بامر المعاش والدنيا وفيه يتواطأ القلب والاسان والسمع ويسهل فيه تدبر القرآن لاجرم تعين صرف تمام العناية الى التطويل والتكميل *

﴿ فصل ﴾

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغ من القراءة سكت قليلا ثم كبر ورفع يديه وركع وثبت كفيه على ركبتيه وجافى مرفقيه عن جنبه وسوى ظهره ورأسه من غير رفع ولا تنكيس. وقال سبحانه ربي العظيم ثلاثا وفي بعض الاحيان كان يضم الى ذلك سبحانه اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وقد

يقتصر على هذا وطول ركوعه في الغالب كان قدر قول القائل سبحان ربي العظيم
 عشر مرات والسجود قريب من ذلك وأما حديث البراء في الصحيحين رقت
 الصلاة خلف رسول الله ﷺ فكان قيامه وركوعه واعتداله وسجده وجلسه
 ما بين السجدين قريبا من السواء فإنه محمول على أنه كان يطول الركوع والسجود
 حيث كان القيام طويلا ويخفف الركوع والسجود حيث كان خفيفا وهذا
 التأويل متعين لأنه كان أحيانا يقرأ سورة الاعراف فلو كان الركوع والسجود
 والجلسة مقدار ذلك لمت الصلاة في نصف الليل لكن في الصحيح أنه كان
 ركوعه وسجوده في بعض الاحيان قريبا من اقيامه كما في صلاة الحسوف والكسوف
 وفي التهجد أحيانا الا أنه كان غالب حاله الاعتدال كما بيناه وكثيرا ما قال في
 ركوعه وسجوده سبح قدوس رب الملائكة والروح . وفي بعض الاحيان
 كان يقول اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت وعليك توكلت ولك
 أسلمت خشع لك سمعي وبصري ونفسي وعصبي وعظمي وهذا كان في صلاة
 التهجد وكان إذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه وقال سمع الله لمن حمده وقد ثبت
 رفع اليدين في هذه المواضع الثلاثة وللكثرة رواه شابه المتواتر فقد صح في هذا
 الباب أربعمائة خبر وأثر ورواه العشرة للبشرة ولم يزل علي هذه الكيفية حتى رحل
 عن هذا العالم ولم يثبت شيء غيرها وكان إذا رفع رأسه من الركوع استوى
 قائما وكذا بين السجدين . وقال لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في
 الركوع والسجود . وكان في بعض الاحيان إذا رفع رأسه من الركوع قال
 ربنا ولك الحمد أو قل اللهم ربنا لك الحمد وكلاهما صحيح لكن الجمع بين اللهم
 والواو لم يثبت وكان يطول هذا الركن مقدار الركوع غالبا وأحيانا كان يقول
 سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت
 من شيء بعد أهل الثناء وأهل المجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما
 أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . وأحيانا يقول اللهم
 اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد وتقي من الذنوب والخطايا كما تقيت
 الثوب الابيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق

والمغرب. وأحياناً يقول لربي الحمد لربي الحمد يكررها مقدار الركوع وفي بعض الاحيان كان يطول الاعتدال حتى تظن الجماعة أنه نسي وكذا في السجود فقد كان يطول في بعض الاحيان حتى يظن المأموم أنه قد نسي هذا الذي ثبت من عاداته في الركوع والسجود صلى الله عليه وآله وسلم وحديث البراء ابن عازب قال كان ركوعه وسجوده بين السجدين واذ رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام والعود قريباً من السواء صريح في التسوية بين قيام القراءة وقعود التشهد في الطول وبين سائر الاركان في الطول والتقصير وليس المراد القيام بعد الركوع وتخفيف هذين الركيزين أغنى الاعتدال والجلسة بين السجدين وتفصيلهما من محدثات بني أمية ولم تكن من العادات النبوية بوجه من الوجوه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا هوى ساجداً لم يرفع يديه والذي ورد في بعض الاحاديث أنه كان يرفع يديه في كل خفض ورفع سهو والرواية الصحيحة أنه كان يكبر في كل خفض ورفع وكان يضع ركبتيه على الارض قبل يديه ثم يضع يديه ثم جبهته وأنفه على ترتيب البدن. وأما حديث أبي هريرة الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا سجد أحدكم فلا يبرك بكبيرك البعير ولا يضع يديه قبل ركبتيه وهم من بعض الروافد لان أول الحديث ينقض آخره فان البعير يضع يديه قبل ركبتيه حال البروك والذي قال ركة البعير في يديه وهم غلط وخالف قول أئمة اللغة والصواب أنه نهي عن التشبه بالحيوانات وقال لا تبركوا بروك البعير ولا تنتفتوا التفات الثعلب ولا تفرشوا افتراش السبع ولا تقعوا اقعاء الكلب ولا تنقروا نقر الغراب ولا ترفخوا أيديكم في حال السلام كما ذناب الخيل الشمس واجتنبوا جميع ذلك وجاء في رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك بروك الفحل. وفي صحيح ابن خزيمة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سجد بدأ بركبتيه وفي رواية سعد

كنا نضع اليدين قبل الركبتين فامرنا بالركبتين قبل اليدين وأكثرت العلماء على
 هذا إلا الإمام مالك والأوزاعي وطائفة من أهل الحديث ولم يسجد النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم على كور عمامته أبدا بل كان يضع جبهته على التراب
 أو على الطين والماء أو على سجادة من سعف النخل أو على جلد مدبوغ وكان
 إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض وجافى يديه عن جنبه ووضع كفيه
 حذو منكبيه وقال إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك وكان يفرج بين
 أصابعه في الركوع ويجمع بينها في السجود وكان يقول في سجوده سبحان
 ربي الأعلى ويأمر به وبعد ذلك يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم
 اغفر لي سبوح قدوس رب الملائكة والروح لا اله إلا أنت اللهم انى أعوذ
 برضائك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء
 عليك أنت كما أئنت على نفسك اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت
 سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله الخالقين
 اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله أوله وآخره علانيتي وسره اللهم اغفر لي
 خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي
 وهزلي وخفي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت
 وما أسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله إلا أنت * وفي بعض الأحيان كان
 يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني
 نورا وعن شمالي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا واجعل
 لي نورا وكان يؤكد الاجتهاد في الدعاء حالة السجود ويقول جدير دعاء الساجد
 بالاجابة والدعاء على نوعين دعاء ثناء وتمجيد ودعاء طلب وسؤال والدعاء
 الذى كان يأتي به يشملها والاستجابة أيضا على نوعين أحدهما استجابة دعاء
 الطالب ببذل مطلوبه ومسؤله وقضاء حاجته الثاني أن يقابل على دعائه بثواب
 وعلى كلا الوجهين فسر قوله سبحانه (أجيب دعوة الداع إذا دعان) والصحيح
 أنه شامل للنوعين والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يطول الركعات من صلاة الليل بخلاف ركعات النهار وربما قرأ في ركعة واحدة سورة البقرة وآل عمران والنساء أما عدد ركعات صلاة الليل فلم يزد على إحدى عشرة ركعة ومن ثم اختلف العلماء في أفضلية القيام والسجود قالت طائفة من العلماء القيام أفضل لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يطول صلاة الليل تطويلا عظيما ولو كان السجود أفضل لطوله وأيضا الذكر المشروع في القيام أفضل الا ذكر فيكون ركعة أفضل الاركان وأيضا ورد في الحديث الصحيح أفضل الصلاة طول القنوت المراد بالقنوت القيام وقالت طائفة من العلماء السجود أفضل لما ورد في الحديث الصحيح أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال في موضع آخر ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وقال ربيعة الاسلمي يارسول الله اني اعمي مرافقتك في الجنة فقل صلى الله عليه وآله وسلم أعنى على نفسك بكثرة السجود وأيضا أول سورة أنزلت من القرآن المجيد اقرأ وختمها بالسجود وأيضا في السجود دلالة على زيادة الخضوع والعبودية دون غيره من الاركان والسجود سر العبودية لان العبودية هي الخضوع والذلة وهي في السجود أزيد وأظهر وقالت طائفة من العلماء طول القيام في الليل أفضل وكثرة الركوع والسجود في النهار أفضل لاختصاص عبادات الليل بالقيام قال الله تعالى (قم الليل) وقال صلى الله عليه وآله وسلم «من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وبعض العلماء يقول بتساوي هذين الركنين في الفضل ففضيلة القيام بقراءة القرآن وفضيلة السجود بهيئة التذلل والخشوع فذكر القيام أفضل من ذكر السجود وهيئة السجود أفضل من هيئة القيام»

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغ من السجدة الاولى رفع رأسه وجلس بين السجدين مقدار سجوده ثم قال رب اغفر لي رب اغفر لي اللهم

اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني وأحيانا كان يطول هذه الجلسة حتى يظن أنه نسي ولم يكن يقوم بعد السجدة الثانية ما لم يجلس على الارض والفقهاء يسمون هذه جلسة الاستراحة وحملها بعضهم على السنة وبعضهم على الحاجة فلا تسن في حق من لم يحتاج اليها وكان اذا قام شرع في القراءة من غير توقف والسكينة التي فعلها في الركعة الاولى لم يفعلها في سائر الركعات وكان يصلي الثانية والثالثة والرابعة كالاولي إلا في أربعة أشياء السكينة ودعاء الاستفتاح وتكبيرة الاحرام وتطويل هذه الاربعة مختص بالركعة الاولى وكان اذا جلس للتشهد افترش رجله اليسرى فجلس عليها ونصب اليمنى ووضع يده على فخذه الايمن وعقد أصابعه عقد ثلاث وخمسين ورفع أصبعه المسبحة وحركها وكان يخفف التشهد الاول وبعد قيامه من التشهد كان يرفع يديه ويكبر ثم يشرع في القراءة ويقصر على الفاتحة في الثالثة والرابعة غالبا وقد يقرأ سورة مختصرة على سبيل الندرة واذا جلس للتشهد الاخير جعل رجله اليسرى تحت رجله اليمنى وقوى المقعدة على الارض وهذه الكيفية لم تكن في الجلسة الاولى أصلا وللعلماء في هذه الكيفية أقوال قال بعضهم يتورك في التشهدين وهو مذهب الامام مالك. وقال بعضهم يفترش فيها ينصب اليمنى ويقترش اليسرى ويجلس عليها وهذا مذهب الامام أبي حنيفة وبعضهم يقول يتورك في كل تشهد يسلم عقبه ويقترش فيما عداه وهذا مذهب الامام الشافعي وبعضهم يقول كل صلاة فيها تشهدان يتورك في الآخر ليفرق بين الجلوسين وهذا مذهب الامام أحمد والأئمة الاربعة رضی الله تعالى عنهم اختلفوا في هذه المسئلة على أربعة أقوال ووافق كل واحد منهم جماعة من الصحابة والتابعين وأكل سياق ورد في بيان صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث أبي حميد الساعدي في صحيح ابن حبان وصحيح مسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ويقيم كل عضو في موضعه ثم يقرأ ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركم ويضع راحتيه على ركبتيه معتدلا لا يصبوب رأسه ولا يقنع به ثم يقول

سمع الله لمن حمده ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه حتى يقر كل عظم الي موضعه ثم يهوى الى الارض ساجدا ويجافي يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثني رجله فيتعهد عليهما ويفتح أصابع رجله اذا سجد ثم يسجد ثم يكبر ويجلس على رجله اليسرى حتى يرجع كل عظم الى موضعه ثم يقوم فيصنع في الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع عند افتتاح الصلاة ثم يصلي بقية صلاته هكذا حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخرج رجله وجلس على شقه الايسر متوركا. وفي صلاة الصبح كان يقنت حيناً ويترك حيناً وبسم الله الرحمن الرحيم كان يجهر بها حيناً ويخفيها حيناً وكان يسر في الظهر والعصر وقد يرفع صوته قليلا في بعض الآيات بحيث يسمعه المؤمنون ولم يكن يلتفت في الصلاة وقال هو اختلاس يختلسه الشيطان وقال اجتنبوا الالتفات في الصلاة فانه هلاك واذا لم يجرد بدأ من الالتفات فليكن في صلاة النافلة وأما قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلحظ في الصلاة يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خاف ظهره وان كان في جامع الترمذي فهو غريب ولم يثبت. سأل شخص الامام أحمد فقال بعض أهل الحديث بروون باسناد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يلحظ في الصلاة ولا يلتفت فأنكر عليه الامام أحمد ذلك انكاراً عظيماً وتغير لونه وارتعش وقال هذا حديث ليس له إسناد لكن قد ثبت أنه كان في بعض أسفاره وقد أرسل في جهة العدو شخصاً ليطالعه باخبارهم واشتغل بالصلاة وكان يلتفت الى جهته في أثناء الصلاة وهذا علي سبيل الندرة وفي صلاة النافلة ولمهم ديني ومصالحة أهل الاسلام منوطة به وهو من باب تداخل العبادات لانه اشتغل في أثناء الصلاة بالجهاد وصلاة الخوف تشبه هذا المعنى وكان عمر رضي الله عنه يقول إني لاجهز جيشي وأنا في الصلاة وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ التحيات بعد كل ركعتين وكان يدعو في سبعة مواطن. الاول عقيب تكبيرة الاحرام كما ذكرناه: الثاني قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة وذا في الوتر. الثالث بعد الاعتدال من الركوع كان يقول سمع الله

لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء.
 بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا
 كما ينقى الثوب الابيض من الوسخ (الرابع) في حال الركوع كان يقول سبحانك
 اللهم ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي (الخامس) في السجود وفي الغالب كان يدعو
 في السجود كما بينا (السادس) بين السجدين كما قلنا (السابع) بعد التشهد قبل السلام
 أما الدعاء الذي يفعله الائمة بعد السلام فانه لم يكن من عادة النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم ولم يثبت في هذا الباب شيء من الاحاديث وهو بدعة
 مستحسنة وجميع ادعية الصلاة كانت في نفس الصلاة وبذلك أمر. وبعض ائمة
 العلم يقول الذكر والتهليل والتسبيح والتمجيد عند الفراغ من الصلاة مشروع
 بلا خلاف. ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فناسب أن
 نعقب ذلك بالدعاء وطلب الحاجات من حضرة ذى العزة *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول بعد التشهد السلام عليكم ورحمة الله
 ويلتفت على جانبه الايمن حتى يري بياض خده وكذا في الجانب الايسر
 وعلي هذا دام عمله رواه خمسة عشر صحابيا بأسانيد صحاح. وأما الذي في حديث
 عدى بن عمير كان يسلم تسليمه واحدة تلقاء وجهه فاسناده ليس بالقائم ولم
 يثبت عند أهل الحديث. وأما حديث عائشة رضی الله عنها كان يسلم تسليمه
 واحدة يرفع به صوته حتى يوقظنا هذا الحديث أيضا معلل وان لم يكن معللا
 فليس فيه صريح دلالة على المقصود لانه لم ينف السلام الثاني بل سكت عنه •

﴿ فصل ﴾

من جملة الادعية التي كان يقرؤها في الصلاة اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي
 في داري وبارك لي فيما رزقتني. ومنها أيضا اللهم اني أسألك الثبات في الامر
 والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما
 ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك لما تعلم وكثيرا ما قال في
 السجود رب أعط نفسي تقواها زكها أنت خير من زكها أنت وإيها ومولاها

وكان يقول في التشهد اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات اللهم اني أعوذ بك من المغرم والمائم وجميع الادعية التي كان يقولها في الصلاة رويت بلفظ الافراد مثل رب اغفر لي وارحمني واهدني ومثل اغسلني من خطاياي بالماء والثلاج والبرد اللهم باعد بيني وبين خطاياي وما أشبه ذلك (فان قيل) ورد في حديث صحيح لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة فان فعل فقد خانهم (فالجواب) نقول قال إمام أهل الحديث أبو بكر بن خزيمة في صحيحه هذا الحديث موضوع ومردود وقال بعض العلماء ان ثبت هذا الحديث فيكون المراد به دعاء ورد بلفظ الجمع مثل اللهم اهدنا وغير ذلك *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان السرور والانشراح ونور العين وطيب القلب الذي كان يجده في الصلاة ما كان يجده في غيرها من العبادات ولا من الاوقات . وقال صلى الله عليه وآله وسلم جعلت قرعة عيني في الصلاة . وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا بلال أرحنا بالصلاة ومع هذا لم تفته مراعاة أحوال المأمومين ولسماع بكاء الطفل كان يخفف الصلاة وأحيانا كان يتعاق به وهو في الصلاة طفل فيحمله علي عاتقه وأحيانا كان يأتي الحسين وهو في السجود فيركب علي ظهره المبارك فيطيل السجود لاجله وأحيانا كانت عائشة تأتي وهو في الصلاة وقد أغلق الباب فيخطو ليفتح الباب لها وأحيانا كان يسلم عليه وهو في الصلاة فيجيب بالاشارة باسطة يده وقد أومأ برأسه المبارك وكانت عائشة نائمة تجاه صلته فكان عند السجود يضع يده علي رجلها لتخلي مكان السجود بضم رجلها . وكان قد يصل الي آية السجدة وهو علي المنبر فيهبط الي الارض يسجد ثم يصعد . واختصم وليدتان من بني عبد المطلب فتصارعتا فلما دنتا منه أمسكهما بيده وفرق بينهما وكان يبكي في الصلاة كثيرا ويتنحج أحيانا لحاجة ويصلي منتعلا وغير منتعل وقال صلوا في نهالكم خلافا لليهود وكان يصلي في ثوب واحد حيننا وحيننا في ثوبين ويقنت في صلاة الصبح أحيانا ويترك أحيانا قال أهل الحديث

قراءة القنوت في صلاة الصبح سنة وتركه سنة ومع هذا لا ينكرون علي من يواظب على ذلك ولا يعدونه مبتدعا ولا مخالفا للسنة وكذا من ترك ذلك لا يعدونه مبتدعا ولا تاركاً للسنة بل يقولون من قنت فقد أحسن ومن ترك فقد أحسن والدلائل على الطرفين كثيرة ولما كان القصد بيان الطريقة النبوية اقتصرنا على ذلك *

﴿ فصل ﴾

﴿ في نسيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ﴾

من جملة من الحق تعالى ونعمه على الأمة المحمدية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسهو في الصلاة أحيانا لتقتدى الأمة به في التشريع وإذا كان يقول إنما أنا بشر أنسي كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال إنما أنسي أو أنسي يعني لا أسن ما شرع في حين ذلك ثبت في الصحيحين أنه كان في صلاة الظهر ولم يشرع في التشهد بل قام إلى الثالثة فسبحت الصحابة رضى الله تعالى عنهم فأشار إليهم بيده أن قوموا ولما فرغ من التشهد الثاني أتى بسجدين ثم سلم بعد ذلك فعلم من هذا أن من نسي شيئاً من الصلاة غير ركن يسجد للسهو بسجدين وإذا شرع في ركن لا يرجع إلى ما كان نسيه ونوبة أخرى في صلاة العصر أو الظهر سلم في الركعة الثانية وتسكلم ثم تذكرك فاتم وأتى بسجدين بعد السلام وكبر بينهما وسلم بعد ذلك أيضا. وفي مسند الامام أحمد أنه صلى في بعض الايام وخرج من الصلاة وبقي منها ركعة فلما خرج من المسجد خرج طلحة بن عبيد الله في عقبه وقال قد نسيت ركعة فرجع إلى المسجد وأمر بلال بالاقامة وصلى ركعة وسلم ثم رجع ونوبة أخرى صلى الظهر خمسا فقالت الصحابة أزيد في الصلاة فقال وما ذلك فقالوا صليت خمسا فسجد سجدي السهو وسلم واقتصر على ذلك ونوبة أخرى صلى العصر ثلاثا ورجع إلى البيت فتعقبه الصحابة وأعلموه فرجع إلى المسجد وصلى ركعة وسلم وسجد بعد السلام للسهو بسجدين ثم سلم واقتصر على ذلك. هذه خمسة مواضع روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم سها فيها في جميع عمره ولم يثبت غير هذا وسجد للسهو قبل السلام في بعض

المواضع وبعده في بعضها فجعلها الامام الشافعي في كل حال قبل السلام والامام أبو حنيفة جعلها بعد السلام في كل حال. وقال الامام مالك يسجد لسهواً والنقصان قبل السلام وسهواً الزيادة في الصلاة بعد السلام وان اجتمع سهوان أحدهما زائد والآخر ناقص يسجد لهما قبل السلام وقال الامام احمد يسجد قبل السلام في المحل الذي سجد فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل السلام وماعدها يسجد لسهواً بعد السلام وقال داود الظاهري لا يسجد لسهواً إلا في هذه المواطن الخمس التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو سها في غيرها لا يسجد لسهواً. ولم يعرض له صلى الله عليه وآله وسلم الشك في الصلاة ولكن قال من شك فليمن على اليقين ولا يعتبر الشك ويسجد لسهواً قبل السلام وقال الامام أبو حنيفة ان كان له ظن بني علي غالب ظنه وان لم يكن له ظن بني علي اليقين وقال الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد بن علي اليقين مطلقاً *

(فصل)

كان صلى الله عليه وآله وسلم يفتح عينه المباركة في الصلاة ولم يكن يغمضها كما يفعله بعض المتعبدين وفي حديث أنس الذي أتى به البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها كان لها ستر سترت به جانب البيت فقال بعدوا هذا الستر فان تصاريره تعارضني. وروى في حديث عائشة أنه صلى الله عليه وآله وسلم لبس ثوباً معلماً وكان ينظر الى أعلامه في الصلاة فلما فرغ قال اذهبوا بثوبي هذا لابي جهم واثنوني بالسكساء الانبجاني الذي له فان أعلام هذا شغلت خاطري في الصلاة. وحديث مشاهدة الجنة في الصلاة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم مديديه ليتناول قطعاً من فاكهتها. وحديث رد السلام باليد وحديث تعرض الشيطان وانه صلى الله عليه وآله وسلم قبضه وخنقه هذا المجموع رؤية العين وهو دليل على عدم تغميض العين في الصلاة أما إذا عرض لشخص تفرقة وشتات فلا يكره له تغميض العين بل هو الى الاستحباب أقرب والله أعلم *

• (فصل) •

كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من الصلاة قال ثلاث مرات
 استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه اللهم أنت السلام ومنك
 السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قال هذا ثم نهض راجعا إلى الحجرة
 وروى في بعض الأحاديث الصحيحة أنه كان يقول عقب الصلاة المفروضة
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
 اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد لا إله
 إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله
 ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وفي سنن أبي داود عن
 أمير المؤمنين علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سلم من
 الصلاة قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت
 أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت وفي مسند الإمام أحمد
 مروى عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول عقب
 كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أنك أنت الرب وحده لا شريك
 لك اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة اللهم ربنا ورب
 كل شيء اجعلني مخلصا لك وأهلى في كل ساعة من الدنيا والآخرة يا ذا الجلال
 والإكرام اسمع واستجب الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله نور السموات
 والأرض الله أكبر الله أكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله أكبر الله أكبر
 وقال معقبات لا ينجب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثا وثلاثين تسيبحة
 وثلاثا وثلاثين تحميدة وثلاثا وثلاثين تكبيرة وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفي رواية أخرى
 أربعاً وثلاثين تكبيرة وذلك تمام المائة وفي رواية سبحان الله خمسا وعشرين
 والحمد لله خمسا وعشرين والله أكبر خمسا وعشرين ولإله إلا الله وحده
 لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير خمسا وعشرين وفي
 رواية أخرى يسبح الله عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا وفي رواية أخرى

في صحيح مسلم يقول سبحان الله احدى عشرة مرة والحمد لله احدى عشرة
 مرة والله أكبر احدى عشرة مرة وهذا ثلاث وثلاثون قال بعض العلماء هذه
 الرواية انما هي تفسير من بعض رواة هذا الحديث عن أبي هريرة وهم كانوا
 يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين * وقال من قال في
 دبر صلاة الصبح قبل أن يتكلم لاله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
 الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات
 ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من
 كل مكروه وحرس من الشيطان ولم يذبح لذنب أن يدرکه في ذلك اليوم الا
 الشرك بالله تعالى يعني ان صدر منه ذنب يغفر له * وثبت في مسند الامام احمد
 من رواية أم سلمة رضی الله عنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم علم ابنته فاطمة
 رضی الله عنها لما جاءت تسأله الخادم أن تسبح عند النوم ثلاثا وثلاثين وتحمد
 ثلاثا وثلاثين وتمكبر ثلاثا وثلاثين وإذا صلت الصبح أن تقول لا اله الا
 الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات
 وبعد صلاة المغرب عشر مرات * وكان يقول عقب صلاة الصبح اللهم اصلح لي
 ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي واصلح
 لي آخري التي جعلت فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل
 الموت راحة لي من كل شر اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك
 من تقمك وأعوذ بك منك لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع
 ذا الجذمك الجذم * قال أبو أيوب الانصاري رضی الله عنه ما صليت خلف
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا سمعته يقول اللهم اغفر لي خطاياي
 وذنوبي كلها اللهم انعشني وأحييني وارزقني واهدني لصالح الاعمال والاخلاق
 انه لا يهدى لصالحها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت .
 وقال اذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات
 فانك ان مت من يومك كتب الله لك جوازا من النار واذا صليت المغرب
 فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك ان مت من ليلتك

كتب الله لك جوازا من النار هذا الحديث في صحيح ابن حبان وفي سنن
النسائي من رواية أبي امامة من قرأ آية الكرسي زاد الطبراني وقل هو الله
أحد في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت وهذا
الحديث رواه جماعة غير النسائي مثل الطبراني والرويانى والدارقطنى وابن
حبان وبعض الحفاظ يقول هو صحيح وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات
وطعن الحفاظ فيه من هذه الجهة واستدل بضعف محمد بن حمير راوى هذا
الحديث وقد عدله البخارى ووثقه محمك الرجال يحيى بن معين وهذان
المعدلان كافيان فى العدالة. وفي معجم الطبراني من قرأ آية الكرسي فى دبر
الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله الى الصلاة الاخرى وهذا الحديث رواه
جماعة من الصحابة من جملتهم أمير المؤمنين على وجابر بن عبد الله وعبد الله
ابن عمر وأنس بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو امامة واختلاف طرق الحديث
ومخارجه دليل على أن له أصلا صحيحا غير موضوع وروى عقبه بن عامر
قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن اقرأ بالعمودتين دبر كل
صلاة وهذا الحديث فى غاية الصحة وقال لمعاذ أوصيك بامعاذ لا تدع فى دبر
كل صلاة أن تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفى
معجم الطبراني من حديث جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ثلاث من جاء بهن مع الايمان دخل من أي ابواب الجنة شاء
وزوج من العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينه خفيا وقرأ فى دبر
كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد فقال أبو بكر أو إحداهن
يارسول الله فقال أو إحداهن وكان يقول بعد صلاة الصبح اللهم انى أصبحت
لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيد غيرى وأصبحت
مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسوئ بى صديقى
اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى
ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك
نموت اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك

لك فلك الحمد ولك الشكر اصبحنا واصبح الملك لله رب العالمين اللهم انى
اسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه واعوذ بك من
شر ما فيه وشر ما بعده اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في
بصري اللهم رحمتك ارجو فلا تسكنني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأنى
كله لا اله الا انت اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز
والسكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال
اللهم ا كمنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عن سواك يا حي يا قيوم»

﴿ فصل ﴾

﴿ في بيان السنن والرواتب التى كان يواظب عليها في كل يوم
صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

أما في الحضر فكان لا يفوته عشر ركعات ركعتان قبل فرض الصبح
وركعتان قبل فرض الظهر وركعتان بعد ذلك وركعتان بعد المغرب وركعتان
بعد العشاء ولم تفته ركعتا الظهر في وقت من الاوقات وان فاتتا قضاها بعد
صلاة العصر وكان يداوم على صلاة ركعتين بعد العصر وهذا من خصائصه
صلى الله عليه وآله وسلم ويكره في حق غيره وأحيانا كان يصلي قبل الظهر أربع
ركعات ولفظ البخارى كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة
وللعلماء في هذا تأويلان (أحدهما) أنه كان اذا صلى سنة الظهر في بيته صلاها
أربعاً واذا صلى في المسجد صلى ركعتين (والثانى) أن هذه صلاة مستقلة كان
يصليها عقب زوال الشمس ويقول هذه ساعة يفتح فيها أبواب السماء وأحب
أن يصعد لى فيها عمل صالح وكان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يصلى
بعد الزوال ثمانى ركعات ويقول انهن تعدلن مئتين من قيام الليل وقال بعض
المشايخ السر في هذا أن هذين الوقتين زمان تنزل الرحمة بعد الزوال وذلك
بعد انتصاف النهار والتنزل الالهى في الليل يكون بعد انتصافه ولما كان
هذان الوقتان محل قرب الرحمة ظهرت المناسبة . وروى في مسند الامام أحمد
وسنن النسائى والترمذى «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها

حرّمه الله على النار» وكان يفصل بين هذين الاربع بتسليمتين قال أمير المؤمنين علي «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي قبل الظهر أربع ركعات يفصل بينهما بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين» رواه أحمد والترمذي محسنا وروى أمير المؤمنين علي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي في كل يوم وليلة من السنة ست عشرة ركعة ركعتين قبل فرض الصبح وأربعاً قبل فرض الظهر وركعتين بعدها وأربعاً قبل فرض العصر وأربعاً في وقت الضحى. وهذا بعض حديث مطول. وللعلماء في إسناده مقال وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعاً صححه ابن حبان وكان الصحابة يصلون قبل المغرب ركعتين ولم يمنعهم صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب وقال في الثالثة لمن شاء كراهية أن يتخذها الناس سنة فوصلها مندوبة مستحبة لكن لا تبلغ درجة الرواتب وكان يصلي الرواتب في بيته وعلي الخصوص ركعتي المغرب فإنه لم يصلها في المسجد أبداً فذلك اختلف العلماء انه لو صلها في المسجد هل يجزئه ذلك ام لا قال بعض العلماء لا وقال الامام المروزي من صلى الركعتين بعد المغرب في المسجد يكون عاصياً وقل ابو ثور ايضاً هو عاص واسبب العصيان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اجعلوها في بيوتكم وعندا أكثر العلماء يجزئه ذلك لكن يكون تاركاً الاولى. وفي سنة المغرب سنتان (احدهما) ان لا يتسكّم بينها وبين الفريضة لما في الحديث من صلى ركعتين بعد المغرب قال مكحول يعني قبل ان يتسكّم رفعت صلواته في عليين (الثانية) ان يكون في البيت دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجد بني الاشهل وصلى المغرب فلما فرغ رأى اهل المسجد اشتغلوا بصلاة السنة فقال هذه صلاة البيوت وفي لفظ ابن ماجه اركعوا هاتين في بيوتكم وحاصله ان عادة حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصلي جميع السنن في بيته الا ان يكون لسبب وكان يقول ايها الناس صلوا في بيوتكم فان افضل صلاة

الرجل في بيته الا المكتوبة وكان يحافظ على ركعتي الفجر بحيث انه كان يواظب عليها في السفر ايضا ولم يرو عنه انه صلى في السفر شيئا من السنن الرواتب الا سنة الفجر وصلاة الوتر وللعلماء في افضلية سنة الفجر وصلاة الوتر قولان (قال) بعضهم سنة الفجر آكد (وقال) بعضهم بل الوتر. وكما ان الوتر واجب عند البعض كذا سنة الفجر تجب عند البعض. وقال بعض المشايخ سنة الفجر ابتداء العمل والوتر ختم العمل فلا جرم صرفت العناية لسانهما ولهذا السبب شرع فيها قراءة سورة الاخلاص وسورة قل يا ايها الكافرون لاشتمالهما على توحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد والقصد كما بيناه في كتاب حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الاخلاص.

﴿ فصل ﴾

عادة حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان إذا صلى سنة الفجر وضع جنبه الايمن على الارض ونام قليلا وفي جامع الترمذى اذا صلى احدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه حديث صحيح غريب قال ابن حزم هذا الاضطجاع فرض على المصلى حتى لو لم يأت به بين السنة والفرض ففرضه باطل وقد صنف بعض العلماء في نصرة هذا المذهب مجلدًا ووافق هذا القول جماعة من مشايخ الطريقة كصاحب الفتوحات وغيره. وقال بعض العلماء بكرامة ذلك وعده من البدع. واختار جمهور العلماء الطريق المستقيم المتوسط وقالوا باستحبابه. وقال الامام مالك ان فعل ذلك للاستراحة فحسن والسر في الاضطجاع على الجنب الايمن ان لا يغلبه النوم لان القلب معلق في الجانب الايسر فلو اضطجع عليه لاستقر القلب وغلبة الراحة وثقل النوم واذا اضطجع على شقه الايمن طلب القلب مستقره فقلق وابطأ النوم لذلك وان جاء النوم فلا يكون تميلا ولهذا اختار اطباء النوم على الشق الايسر طلبا لكمال الراحة واختار صاحب الشرع الشق الايمن طلبا لخفة النوم وسرعة قيام الليل. وحاصله ان النوم على الجانب الايمن ينفع القلب وعلى الجانب الايسر ينفع البدن والله اعلم.

﴿ فصل في قيام الليل ﴾

اختلف العلماء في قيام الليل هل كان فرضا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سنة ولكلهما داليل واحد وهو آية التنزيل (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) قالت طائفة هذا صريح في عدم الوجوب وقال آخرون هذا صريح في وجوب قيام الليل والتهجد كما جاء الامر به في مكان آخر وهو (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) ولم يرد صريح نسخ وأما قوله (نافلة) فهو كان المراد به التطوع لما خصص بقوله (لك) بل المراد الزيادة ومطلق الزيادة لاتدل على التطوع بل تدل على زيادة الدرجات ولهذا خص به لان قيام الليل في حق غيره مباح ومكفر للسيئات وأما في حقه فزيادة في الدرجات وتلو المراتب لانه المغفور له علي الاطلاق قال مجاهد لم يكن لغيره نوافل بل مكفرات والنوافل خاصة به صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدع عليه السلام قيام الليل في حالة من الحالات بل حافظ عليه في السفر والحضر وان فاته في حين المرض أو غلبة نوم صلى في أثناء النهار اثنتي عشرة ركة بدل ذلك ولم يزد في صلاة الليل على ثلاث عشرة ركة وربما اقتصر على إحدى عشرة ركة منها خمس ركعات بتسليمة واحدة هن آخر الصلاة وقال بعض العلماء لم يزد في الليل على إحدى عشرة ركة والرواية التي وردت بثلاث عشرة صحيحة لكن مع ركعتي الفجر وحديث عائشة بين ذلك قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ثلاث عشرة ركة بركعتي الفجر وقال الشعبي رحمه الله سألت ابن عباس وابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالليل فقالا ثلاث عشرة منها ثمان ويوتر بثلاث وركعتين بعد الفجر وجاء في الصحيحين رواية صريحة بان صلاة الليل ثلاث عشرة ركة عن ابن عباس أنه بات في بيت خالته ميمنة فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الليل فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي لفظ آخر صلى ثلاث عشرة ركة ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين. واتفق العلماء على إحدى عشرة واختلفوا في ركعتين فعند البعض هما غير ركعتي الفجر وعند

البعض هماهما واذا ضمنت هذا العدد الى عدد ركعات الفرائض والرواتب التي كان يواظب عليها أو يحافظ تجدها أربعين ركعة الفرض من ذلك سبعة عشر والرواتب عشر أو اثنا عشر وقيام الليل احدى عشرة أو اثنا عشرة أو ثلاث عشرة فصار المجموع أربعين ركعة وما زاد على هذا العدد فليسبب كصلاة الفتح وهي ثمان ركعات صلاحها يوم فتح مكة وكصلاة الضحى فانه كان يصليها إذا قدم من السفر وكتحية المسجد وكالصلاة التي كان يصليها في بيت من يقصد زيارته وما أشبه ذلك فينبغي لطالب متابته عليه السلام أن لا يدع هذه الأربعين ركعة باختياره في وقت من الاوقات وأن يواظب عليها في جميع الحالات لان المواظبة عليها سبب فتح أبواب السعادات ونيل المرادات فجدير من قرع باب أكرم الأكرمين في كل يوم أربعين مرة باصبع الطلب والأدب باتباع أشرف العجم والعرب أن يفتح له في أسرع الاوقات واقرب الحالات *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يستيقظ من النوم بعد مضي نصف الليل وحيانا قبل ذلك وحيانا عند صياح الديك وذلك يكون في الغالب بعد مضي نصف الليل وكان اذا استيقظ مسح بيده على عينيه المباركتين ثم استعمل السواك ثم توضأ وفي حالة استعمال السواك كان يقرأ آخر آل عمران (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب) الى آخر السورة ثم افتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وأمر امته بذلك فقال اذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين . وورد في كيفية قيام الليل طرق ثمانية كلها صحيحة والمتعبد مخير في المواظبة على أى هذه الأنواع شاء او اختيار نوع منها في وقت دون وقت (الاول) حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب) فقرأ هؤلاء الايات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين واطال فيها القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفتح ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ

ويقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث فاذن المؤذن فخرج الي الصلاة وهو يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقني نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني نورا هذه الرواية في صحيح مسلم وليس فيها الافتتاح بركعتين خفيفتين وأجيب عن هذا بوجهين (الاول) أنه كان في بعض الاوقات يفتتح بركعتين خفيفتين وفي بعض الاوقات بركعتين طويلتين (الثاني) ان عائشة أعرف بحال قيام الليل وقد تكون حفظت مافات عن ابن عباس (النوع الثاني) ماروت عائشة أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وبعدها يطول يصلي عشر ركعات بخمس تسليمات ويوتر بركة ثم يسلم (النوع الثالث) كان يصلي ثلاث عشرة ركة خارجا عن ركة الفجر (النوع الرابع) كان يصلي ثمان ركعات باربع تسليمات ثم يصلي بعد ذلك خمس ركعات يجلس في اخرهن ويسلم ولم يكن في اثناهن جلوس الا في الآخر (النوع الخامس) كان يصلي تسع ركعات منها ثمان متعاقبات ليس بينهما جلوس الا بعد الثامنة فانه كان يتشهد ويدعو ثم ينهض الي التاسعة من غير سلام ثم يتشهد بعدها ويسلم ثم يصلي ركعتين عقب الوتر (النوع السادس) كان يصلي ست ركعات متصلات لا يجلس بينهما الا في آخرهن ثم ينهض قبل السلام فيصلي ركة ويسلم ثم يصلي بعد ذلك ركعتين جالسا عقب الوتر (النوع السابع) كان يسلم في كل ركعتين ويصلي في آخرهن ثلاث ركعات بتسليمة واحدة. وطعن الحفاظ في هذه الرواية لما في صحيح ابن حبان باسناد صحيح «لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس أو سبع ولا تشبهوا بصلاة المغرب» وفي حديث عائشة باسناد صحيح انه كان يسلم في الركعتين الاخيرتين ثم بعد ذلك يصلي ركة وسئل الامام احمد ما تقول في الوتر قال أكثر الحديث وأقواه ركة فانا أذهب اليها ثم سئل ثانيا فقال يسلم في الركعتين وان لم يسلم رجوت أن لا يضره الا أن التسليم اثبت (النوع الثامن) روى النسائي بسنده عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني صلاة الليل وطول في الركوع مثل القيام وكان يقول سبحان ربي العظيم ثم بعد ذلك جلس وقال رب اغفر لي وكررها ولما صلى اربع ركعات

علي هذا الوجه أذن بلال للصبح ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة هذه الطرق الثمانية ثبتت في قيام الليل وكان يصلي الوتر في أول الليل وحيناً في أوسطه وحيناً في آخره وهذا في الغالب وفي بعض الليالي كان يكرر آية في صلاة الليل من أوله إلى آخره وهي (إن تعذبهم فأنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت على ثلاثة أنواع (أحدها) أنه كان يصليها قائماً وذلك في الغالب (الثاني) أنه كان يصليها جالساً وبركع جالساً أيضاً (الثالث) أنه كان يصليها جالساً ويقرأ غالب القراءة جالساً ثم يقوم فيقرأ أما بقي قائماً ثم يركع. هذه الأنواع الثلاثة صحيحة وأما الحديث الذي ورد بان هيئة جلوسه في حالة الصلاة قاعدة التربع فقد طعن الحفاظ فيه وحملوه على خطأ بعض الرواة هـ

﴿فصل﴾

ثبت بروايات صحيحة أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بين النداء والاقامة. وفي مسند الامام أحمد روى عن أم سلمة أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس. وأبو أمامة يروي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما باذا زلزلت الارض وقل يا ايها الكافرون. وروى هذا المعنى ايضاً جماعة من الصحابة غير من ذكرنا وظاهره معارض بحديث اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً. وقد اشكل على كثير من العلماء لاجرم انكره الامام مالك وقال الامام احمد لا اصليها ولا امنع احداً من صلاتها وقال جماهير العلماء صلاحها لبيان الجواز ليعلم أن بعد الوتر يجوز صلاة النوافل وان الوتر لا يقطع صلاة النوافل وعلى هذا يكون قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً مبنياً على الاستحباب. وقال بعض العلماء هذه الصلاة ملحقة بالوتر وجارية مجرى سنة الوتر لا شياً على مذهب من يقول

بوجوب الوتر وكما أن صلاة المغرب وتر النهار مشفوعة من السنة بركتين كذلك
وتر الليل ايضاً مشفوع من السنة بركتين *

﴿ فصل ﴾

لم يرد في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ القنوت في صلاة
الوتر اصلاً قال الامام احمد كل ما ثبت في القنوت فمجموعه في صلاة الصبح
ولم يثبت في الوتر اصلاً بل لم يرو لسكن جماعة من الصحابة كانوا يقرؤون القنوت
في صلاة الوتر لحديث مسند الامام احمد عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنها
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات اقولهن في قنوت الوتر
« اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتواني فيمن توليت وبارك لي
فيما اعطيت ووقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضي عليك إنه لا يذل من واليت
ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وصلي الله على النبي » قال الترمذي
هذا احسن حديث روى في باب القنوت . وثبت عن امير المؤمنين عمر وابي
ابن كعب وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا يقرؤون القنوت في صلاة الوتر ولم يرو
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعا وكل ما روى فانه مطعون ومقتري وروى
الترمذي والنسائي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في آخر وتره
« اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » وهذه العبارة يحتمل ان يكون
قالها بعد التشهد وهذا اقرب بل هو متعين لما رواه النسائي كان يقول اذا فرغ
من صلاته وتبوا مضجعه وزاد في لفظ هذه الرواية لا احصي ثناء عليك ولو
حرصت وثبت في بعض الروايات الصحيحة انه كان يقول هذا في السجود
فيحتمل ان يكون قاله في مجلسين وفي مسند الحاكم من حديث ابن عباس في
صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووتره فلما قضى صلاته سمعته يقول
« اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن
يساري نورا وفوق نورا وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعل لي يوم
لقائك نورا » وفي بعض الروايات « وفي عصبي نورا وفي لحمي نورا وفي شعري نورا
وفي بشري نورا وفي لساني نورا واجعل في نفسي نورا واعظم لي نورا واجزل لي

نورا وأعطى نورا» وكان يقرأ في صلاة الوتر في الركعة الأولى (سبح اسم ربك الأعلى) وفي الركعة الثانية (قل يا أيها الكافرون) وفي الركعة الثالثة (قل هو الله أحد) والمعوذتين ويقول عقب السلام سبحان الملك القدوس ثلاثا يرفع صوته في الثالثة ويمد الحروف ثم يقول بعد ذلك رب الملائكة والروح وكان يقرأ القرآن بالترييل ويقف في آخر كل آية البتة وان تعلقت بما بعدها أو بعض القراءة يقول الوقف علي مكان انتهاء الكلام وانفصاله أولي، وأفضل وهذا القول غير مستحسن لان متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل حال أكمل وأفضل. وللعلماء اختلاف في افضلية القراءة المرتلة مع القلة علي القراءة الكثيرة مع السرعة قال ابن عباس وابن مسعود الترييل والتدبر مع قلة القراءة أفضل. وقال أمير المؤمنين علي وجماعة من الصحابة والتابعين والامام الشافعي كثرة القراءة أفضل لان كل حرف عشر حسنة. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا أقول المحرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف» وقال بعض المتأخرين ثواب القراءة بالترييل والتدبرا أكبر وأحسن وثواب كثرة القراءة ازيد واكثر مثال ذلك شخص تصدق بجمهرة ثمينة ومثال هذا شخص تصدق بلا آتى سفار او بدرهم ودنانير كثيرة وما اشبه ذلك. وكان يسر في قراءة الليل احيانا ويجهر احيانا ويطول القيام احيانا ويخفف احيانا *

* (فصل) *

﴿ في صلاة الضحى وعادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ﴾
 قالت عائشة رضي الله عنها رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ماشاء الله. وعن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر يصلي سبعة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال «انى صليت صلاة رغبة ورهبة فسالته ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يقتل امتي بالسنين ففعل وسألته ان لا يظهر عليهم عدو أفعل وسألته ان لا يلبسهم شيئا فابي علي» صحيح رواه الحاكم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت «صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الضحى ثم قال اللهم اغفر لي وارحمي وتب علي

إليك انت التواب الرحيم حتى قالها مائة مرة وعن ام ذر قالت رأيت عائشة تصلي الضحى وتقول ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي إلا أربع ركعات . وعن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي صلاة الضحى وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى ست ركعات وعن عائشة وأم سلمة فالتنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى اثنتي عشرة ركعة . وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وان أوتر قبل أن أنام . وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبح علي كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وتجزىء من ذلك ركعتان تركهما من الضحى وفي مسند الامام احمد عن معاذ بن أنس يرفعه من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى ليقول الا خيرا غفر له خطاياہ وان كانت مثل زبد البحر . وعند الترمذى عن أبي هريرة يرفعه من حافظ على سبعة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر . وعن نعيم بن همار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ابن آدم لا تعجز لي عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره . وعند الترمذى وابن ماجه عن أنس يرفعه من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بني الله له قصر آ في الجنة من ذهب وعند مسلم عن زيد بن أرقم أنه رأى قوما يصلون الضحى في مسجد قباء فقال أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال أى يشتد حر النهار فتجد الفصال حر الرضاء . وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى ركعتين في بيت عتبان بن مالك . وعن أبي هريرة يرفعه لايحافظ على صلاة الضحى الا اواب رواه الحاكم علي شرط مسلم وعنده عن أبي هريرة يرفعه ان للجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا

كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا
 بآبكم فادخلوه برحمة الله . وعن أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم يصلى الضحى حتى تقول لا يدعها ويدعها حتى تقول لا يصلها . وعن
 ابن عمر أنه قال لا يذري ذر أوصني يا عم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم كما سألتني فقال من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن
 صلى أربعاً كتب من العابدين ومن صلى ستاً لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن
 صلى ثمانياً كتب من القانتين ومن صلى عشراً بنى الله له بيتاً في الجنة . وقال
 مجاهد صلى الله عليه وآله وسلم يوماً الضحى ركعتين ثم يوماً أربعاً ثم يوماً ستاً ثم
 يوماً ثمانياً ثم ترك . وعن أبي امامة يرفعه من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر
 الى صلاة أخرى كان له كأجر الحاج المحرم ومن مشى الى سبحة الضحى كان
 له كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين : وعن أبي
 امامة يرفعه من صلى الصبح في مسجد جماعة ثم ثبت فيه حتى يسبح فيه سبحة
 الضحى ثم يصلى الضحى كان له كأجر حاج أو معتمر تام له حجه وعمرته .
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً
 فاعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة فقال رجل يارسول الله ما رأينا بعثاً قط أسرع
 كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث فقال ألا أخبركم بأسرع كرة وأعظم غنيمة
 رجل توضع في بيته فاحسن وضوءه ثم عمد الى المسجد فصلى صلاة الغداة ثم
 أعقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة هـ مجموع هذه
 الاحاديث دليل على استحباب صلاة الضحى وفضيلتها وهذا مذهب الجمهور
 من العلماء والمشايخ وقال جمع من العلماء بكرهتها واستدلوا بالآثار التي رواه
 البخاري عن ابن عمر أنه لم يكن يصلها أبو بكر ولا عمر قلت قال النبي قال لأخاه
 وروى عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أبا بكر رأى جماعة يصلون صلاة
 الضحى فقال انكم لتصلون صلاة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم ولا عامة أصحابه . وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما سبح
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبحة الضحى وأنى لا سبحتها وان كان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدع العمل وهو يجب أن يعمل به خشية أن يعمل به فيفترض عليهم. وقال قيس بن عبيد ترددت الى ابن مسعود سنة فما رأيته صلى الضحى قط وعن مجاهد قال دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها واذا الناس يصلون في المسجد صلاة الضحى فساأناه عن صلاتهم فقال بدعة ونعمت البدعة وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنه ما بتدع المسلمون أفضل من صلاة الضحى وقالت طائفة أخرى من العلماء يستحب أن يصليها في بعض الاحيان ويتركها في بعض الاحيان واستدلوا بحديث عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي صلاة الضحى قالت ما كان يصلها الا اذا قدم من سفره وبحديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى حتى تقول لا يدعها ويدعها حتى تقول لا يصلها. وعن عكرمة قال كان ابن عباس يصلها يوما ويدعها عشرة أيام يعني صلاة الضحى. وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر انه كان لا يصل الضحى فاذا أتى مسجد قباء صلى وكان يأتيه كل سبت. وعن منصور قال كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوب به يصلون ويدعون يعني صلاة الضحى وعن سعيد بن جبير قال اني لادع صلاة الضحى وأنا أشتبهها مخافة أن أراها حتما على. وقال مسروق كنا نقرأ فنبقى بعد قيام ابن مسعود ثم نقوم فنصلي الضحى فبلغ ابن مسعود ذلك فقال لم تحمّلون عباد الله ما لم يحمّلهم الله إن كنتم لا بدفاعلين ففي بيوتكم فهذه الطائفة تعلقت بهذه الاحاديث وقالوا لا ينبغي المداراة عليها والصواب أنه يستحب الواظبة عليها فان خوفهم توهم الفريضة قد ارتفع لکن الاولي أن يصلها في البيت وقالت عائشة لو نشرلى أبواي ماتركتها واختار أكثر العلماء أربع ركعات لصحة أحاديثها وقال ابن جرير احاديث صلاة الضحى يظهر فيها اختلاف أما عند التأمل فيظهر التوافق والصحة ويرتفع التضاد ويندفع التعارض واختلاف العدد كان بحسب اختلاف الايام والاحوال فحينما كان يصلى ركعتين وحينما أربعاً وحينما ستاً وحينما ثماناً

ركعات وحينئذ عشرا وحينئذ اثنتي عشرة فالشخص مخير في أى عدد أراد
وحديث أبي ذر المتقدم يدل على هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم
من صلى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً كتب من العابدين
إلى آخر الحديث وقد تقدم •

﴿ فصل ﴾

﴿ كان من عادة حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أنه إذا تجددت نعمة أو اندفعت نقمة سجد لله تعالى شكراً ﴾

ثبت في مسند الامام أحمد عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أتاه
أمير سره خرساجداً شكر الله تبارك وتعالى. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بشر بحاجة فخر ساجداً وروى البيهقي بإسناد صحيح أنه لما ورد كتاب أمير المؤمنين
علي من اليمن يتضمن أن قبيلة همدان أسلمت خسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ساجداً من ساعته وقال السلام على همدان السلام على همدان وروى عبد الرحمن
ابن عوف «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بشر بان من صلى عليه مرة صلى الله
عليه بها عشراً وأن من سلم عليه مرة سلم الله عليه بها عشراً سجد صلى الله
عليه وآله وسلم من ساعته شكراً» وفي سنن أبي داود «أن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يرفع يديه داعياً ثم بعد ذلك سجد شكراً لله ثلاث مرات وقال
شفعت في أمي فوهبني الله ثلثها فسجدت شكراً لله ولما رفعت رأسي شفعت
ثانياً فوهبني الله ثلثاً آخر فسجدت شكراً ولما رفعت رأسي دعوت الله ثالثاً
فوهبني الثلث الباقي فسجدت شكراً» وثبت في مسند الامام أحمد «أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً ناعاشاً يعنى قصير الأرجل حقيراً نزرأ دميماً
فسجد شكراً» وكعب بن مالك لما أتاه البشير بقول توبته سجد شكراً وأبو بكر
الصديق لما سمع قتل مسيلة سجد شكراً وأمير المؤمنين علي لما رأى ذا الثدية
رئيس الخوارج بين القتلى سجد شكراً •

﴿ فصل ﴾

لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يترك سجدة القرآن بل حينما بلغ

آية سجدة كبر وسجد وقال في سجوده (سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته وربما قال اللهم احطط عني بها وزرا واكتب لي بها أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود) ولم يثبت أنه لما رفع رأسه من هذه كبر أو تشهد أو سلم وصح أنه سجد في الم تنزيل السجدة وفي ص وفي النجم وفي اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك. وقال عمرو بن العاص « أقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث سجديات في المفصل وسجدتان في الحج » وقال أبو الدرداء « سجدت مع النبي ﷺ في احد عشر موضعا ليس فيها شيء من المفصل بل في الاعراف والنحل وبنو إسرائيل ومريم والحج والفرقات والنمل والم السجدة وص وسجدة الحواميم » وصح عن ابي هريرة أنه سجد مع النبي ﷺ في اقرأ باسم ربك وفي اذا السماء انشقت ولما كان اسلام ابي هريرة متأخرا في سنة سبع من الهجرة رجحوا حديثه وقول ابن عباس لم يسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المفصل منذ تحول الى المدينة اسقطوه لضعف اسناده وابو هريرة مثبت وهو ناف »

﴿ فصل ﴾

﴿ في فضل يوم الجمعة وعبادات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه ﴾
 عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلها وكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة فكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق » وعن اوس بن ابي اوس رضي الله عنه يرفعه من افضل ايامكم يوم الجمعة « فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء » رواه الامام احمد وابن حبان والحاكم وعن ابي هريرة يرفعه « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه

ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة « وفي صحيح الحاكم (سيد الايام يوم الجمعة) وفي الموطأ خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس شققا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصاد فيها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب فقال قد علمت آية ساعة هي قلت فاخبرني بها قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قلت كيف وقد قال رسول الله ﷺ لا يصاد فيها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها قال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جاس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي . وعند الشافعي رحمه الله في المسند « أني جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمراة بيضاء فيها نكتة فقال ﷺ ما هذه فقال هي الجمعة فضلت بها وأمنك والباس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيدي فقال النبي ﷺ يا جبريل وما يوم المزيدي فقال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفصح فيه كتيب من مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على ذلك الكتيب فيقول الله عز وجل أنار بكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوا لك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيدي فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة » هذا الحديث رواه الامام الشافعي في مسنده وجمع أبو بكر بن أبي الدنيا طبرقه ورواه باسانيد متنوعة مختلفة وبالجملة فهو حديث عظيم صحيح يشتمل على فوائد وشارات وحقائق كثيرة وروى عن أبي هريرة « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن سبب تسميته بالجمعة فقال لأن فيها طبعت طينة أيبسك آدم وفيها الصعقة
والبعثة وفيها البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب
له وفي كتاب صفة الجنة تصنيف أبي بكر بن أبي الدنيا باسناد ثابت من رواية
حذيفة أن النبي ﷺ قال «أناني جبريل وفي كفه مرآة كاحسن المرابا وأضوئها
واذا في وسطها لمعة سوداء فقلت ماهذه المعة التي أرى فيها قال هذه الجمعة
قلت وما الجمعة قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله في الدنيا
وما يرحى فيه لاهله وباسمه في الآخرة (فأما) شرفه وفضله في الدنيا
فإن الله جمع فيه أمر الخلق (وأما) ما يرحى فيه لاهله فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد
مسلم أو أمة مسلمة يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه (وأما) شرفه وفضله في الآخرة
واسمه فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جرت عليهم
هذه الأيام وهذه الليالي ليس فيها ليل ولا نهار فأعلم الله عز وجل مقدار ذلك
وساعاته فإذا كان يوم الجمعة حين يخرج أهل الجمعة لي جمعتهم نادى أهل الجنة
مناد يا أهل الجنة اخرجوا إلي وادي المزيدي ووادي المزيدي لا يعلم سعته وطوله
وعرضه إلا الله فيه كشيان المسك رؤسها في السماء قال فيخرج غلمان الانبياء
بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكرامى من باقوت فاذا وضعت لهم وأخذ
القوم مجالسهم بعث الله تعالى عليهم ريحا تسمى الميثرة تنشر ذلك المسك وتدخله
من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم وتلك الرياح أعلم كيف يصنع
بذلك المسك من امرأة أحدكم لورفع إليها كل طيب على وجه الارض قال ثم يوحى
الله تبارك وتعالى إلى حملة عرشه ضعه بين أظهرهم فيكون أقل ما يسمعون منه أن
يا عبداي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني وصدقوا برسلى واتبعوا أمري سلوا
فهذا يوم المزيدي فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا فيرجع الله
إيهم أن يأهل الجنة أني لو لم ارض عنكم لم اسكنكم دارى فلو في فهذا يوم
المزيدي فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف عن تلك
الحجب ويتجلى لهم عز وجل فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضي أن لا يجرقوا
لاحترقوا لما يغشاهم من نوره ثم يقال لهم ارجعوا إلى منازلكم فيرجعون إلى

منازلهم وقد اعطى كل واحد منهم الضعف علي ما كانوا فيه فيرجعون الي
 أزواجهم وقد خفوا عليهم وخفين عليهم بما غشيتهم من نوره فاذا رجعوا تراء
 النور حتى يرجعوا الي صورهم التي كانوا عليها فنقول لهم ازواجهم لقد خرجتم
 من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك ان الله عز وجل تجلي لنا
 فنظرنا منه قال انه والله ما احاطه خلق ولكنه قدر اهرم الله عز وجل من عظمته
 وجلاله ماشاء ان يريهم قال فذلك قوله فنظرنا منه قل فهم يتقبلون في ملك
 الجنة ونعيمها في كل سبعة ايام الضعف على ما كانوا فيه قال رسول الله ﷺ فذلك
 قوله تعالي فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وفي لفظ
 «فاذا كان يوم الجمعة من ايام الاخرة هبط الرب عز وجل من عرشه الي كرسيه
 ويحف الكرسي منابر من نور فيجلس عليها النبيون وتحف المنابر بكراسي من
 ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط اهل الغرف من غرفهم فيجلسون
 على كسبان المسك لا يرون لاهل المنابر والكراسي فضلا في المجاس ثم يتبدى لهم
 ذو الجلال تبارك وتعالى فيقول سلوني فيقولون باجمعهم نسألك الرضا يارب فيشهد
 لهم على الرضا ثم يقول سلوني فيسألونه حتى تنتهي نهمة كل عبد منهم قال ثم
 يغشى عليهم بالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يرتفع الجبار
 عن كرسيه الي عرشه ويرتفع اهل الغرف الي غرفهم وهي غرفة من اواؤة بيضاء
 او ياقوتة حمراء او زمردة خضراء ليس فيها فصم ولا وصم مطردة فيها انهار
 متدلية فيها ثمارها فيها ازواجها وخدمها ومساكنها قال فاهل الجنة يتباشرون
 في الجنة بيوم الجمعة كما يتباشرون اهل الدنيا في الدنيا بالمطر *

﴿ فصل ﴾

كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم ان يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم
 ويخصه بأنواع التشريف والتكريم ويحفه بأنواع العبادات كما سنبينه فيما هوآت
 وللعلماء في يوم الجمعة ويوم عرفة قولان قال بعضهم يوم الجمعة أفضل وقال
 بعضهم يوم عرفة أفضل. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في صلاة الصبح
 من يوم الجمعة سورة السجدة وهل أني على الانسان والمراد تكبير الامة بما

اشتملتا عليه مما كان وما يكون لما فيهما من خلق آدم عليه الصلاة والسلام
 وذكرا المادو حشر الخلائق واحوالهم في الجنة والنار وليس المراد تخصيص
 هذا اليوم بالسجدة كما ظنوا وقالوا ان لم يتهيأ له قراءتهما فليقرأ بعض سورة
 تشتمل على سجدة أو ليقرأ في الاولى بعض سورة السجدة وفي الاخرى باقيا
 وانما نشأ لهم هذا من عدم اطلاعهم على سر ما قرئنا له في هذا اليوم وقراءتهما في
 صلاة الصبح من خواص الجمعة (الخاصية الثانية) انه يستحب الاكثر من الصلاة
 على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الجمعة وليلتها وفي الحديث الصحيح
 أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة (الخاصية الثالثة) صلاة الجمعة وهي
 من أعظم فروض الاسلام ومن نهان في الايمان بها ختم على قلبه وقرب بعض
 الاشخاص في يوم المزيدي بحسب تقريرهم الى الله في يوم الجمعة (الخاصية الرابعة)
 استحباب الغسل في ذلك اليوم وعند جماعة يجب ودليل وجوبه أقوى من دليل
 وجوب الوتر ومن الوضوء من مس النساء ومن القهوة ومن الرعاف ومن الحجامة
 ومن القيء ومن دليل وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد
 (الخاصية الخامسة) مس الطيب وهو في هذا اليوم أفضل منه في سائر الايام (الخاصية
 السادسة) استعمال السواك في هذا اليوم مفضل على سائر الايام (الخاصية سابعة)
 التكبير للصلاة (الخاصية الثامنة) الاشتغال بالصلاة والذكر والقراءة الى أن
 يصعد الامام الى الخطبة (الخاصية التاسعة) لانصات للخطبة وهو واجب عند أكثر
 العلماء (الخاصية العاشرة) قراءة سورة الكهف لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
 من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء
 يضيء الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين (الخاصية الحادية عشرة) عدم
 كراهية صلاة النافلة في وقت الزوال كما هي في سائر الايام مكروهة وهذا
 مذهب أكثر العلماء لما روي أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان
 يكره الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة وقال «ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة» وورد
 في الحديث الصحيح استحباب الصلاة في يوم الجمعة الى وقت الخطبة. وروى
 الشافعي باسانيد متنوعة «نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة نصف

النهار حتى تزول الشمس الا يوم الجمعة «وللعلماء في هذه المسئلة ثلاثة أقوال (أحدها) أن وقت الزوال ليس بوقت كراهة مطلقا في حال من الاحوال ولا في يوم من الايام وهذا مذهب الامام مالك (الثاني) أنه وقت كراهة في الجمعة وغيرها وهذا مذهب الامام أبي حنيفة وأحد قولي الامام احمد (الثالث) انه وقت كراهة في جميع الايام غير يوم الجمعة فانه ليس بوقت كراهة وهذا مذهب الامام الشافعي وجميع المحققين (الخاصية الثانية عشر) استحباب قراءة سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة او سورة سبح والغاشية لمواظبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك والاقتصار على بعض سورة الجمعة والمنافقين ليس بمستحب بل هو خلاف السنة وجهابذة الأئمة يداومون على ذلك (الخاصية الثالثة عشر) أيها عيد الامة يكرر في كل أسبوع. وروى ابن ماجه في مسنده عن ابي لباته يرفعه ان يوم الجمعة سيد الايام واعظمها وهو اعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال. خالق الله عز وجل آدم فيه. واهبط الله فيه آدم الى الارض. وفيه توفي آدم. وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا الا اعطاه ما لم يكن حراما. وفيه تقوم الساعة مامن ملك مقرب ولا سماء ولا ارض ولا رياح ولا جبال ولا شجر الا وهن يشققن من يوم الجمعة (الخاصية الرابعة عشر) استحباب لبس احسن ثوب تصل القدرة اليه واجوده ثبت في مسند الامام احمد «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان له ولبس من احسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد فيركع ان بداله ولم يؤذ احدا ثم انصت اذا خرج اماه حتى يصلى كانت كفارة لما بينهما» وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول علي المنبر في يوم الجمعة «ما علي أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته» (الخاصية الخامسة عشر) استحباب تجمير المسجد باحراق العود واستعمال الطيب أمر أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه بتجمير المسجد في كل جمعة (الخاصية السادسة عشر) تحريم انشاء السفر في يوم الجمعة بعد دخول الوقت على من لزمته الجمعة وهذا مذهب جماهير العلماء. وعند أبي حنيفة يجوز لكن نقل السروجي

في شرح الهداية عن أبي حنيفة كراهة ذلك وأما مذهب الشافعي فيحرم من قبل الزوال أيضا لما روى الدارقطني أن النبي ﷺ قال «من سافر من دار أقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لا يصحب في سفره» وقال حسان بن عطية إذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لا يعان على حاجة ولا يصاحب في سفره» (الخاصية السابعة عشر) هي أن من مشى إلى صلاة الجمعة كتب له بكل خطوة ثواب صيام سنة في مسند الامام أحمد ومسند عبد الرزاق «من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ودنا من الامام وأنصت كان له بكل خطوة بخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير» (الخاصية الثامنة عشر) هي أن هذا اليوم مكفر للسيئات روى سلمان أن رسول الله ﷺ قال «أندري ما يوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم قال لكني أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضى الامام الصلاة الا كان كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة» وورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة (الخاصية التاسعة عشر) هي أن جهنم تضرم في كل يوم عند منتصف النهار الا في يوم الجمعة لانه أفضل الايام والعبادات والطاعات فيه أزيد من سائر الايام والمعاصي فيه أقل وكثير من أهل الفجور المتوغلين في الآثام يجتنبون المعاصي في يوم الجمعة وليلتها بالكفاية وهذا كأنه معنى الحديث الذي يشير إلى أن جهنم لا تضرم في هذا اليوم (الخاصية العشرون) هي أن في هذا اليوم ساعة اجابة وكل عبد سأل فيها حاجة قبل وثبت في الصحيحين «ان في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله عز وجل شيئا الا أعطاه ايا» وقال بيده يقلها» وللعلماء في هذه الساعة خلاف على قواين (قال) بعضهم ليست بباقية بل ارتفعت في زمان الرسول (القول الثاني) وهو الصحيح أنها باقية وفي تعين وقتها خلاف هل هي في وقت معين من يوم الجمعة أم ليس لها وقت معين من يوم الجمعة والذين قالوا بالتعيين اختلفوا في بيانها على أحد عشر قولاً (الاول) مروى عن ابى هريرة أنها بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر إلى الغروب (الثاني) عند الزوال وذا يروى عن الحسن البصرى وأبي العالية (القول الثالث) اذا شرع

المؤذن في اذان الجمعة وذا مروى عن عائشة رضي الله عنها (القول الرابع) هي ساعة
 جلوس الامام على المنبر الى أن يفرغ من خطبته (القول الخامس) هي زمان صلاة
 الجمعة (القول السادس) هي ما بين زوال الشمس الي وقت صلاة الجمعة (القول
 السابع) هي ما بين صيرورة ظل الزوال شبر الي أن يصير ذراعاً (القول الثامن) من
 وقت العصر الي غروب الشمس (القول التاسع) آخر ساعة من النهار وذا قول أكثر
 الصحابة والتابعين (القول العاشر) من حين خروج الامام الي أن يفرغ من الصلاة
 (القول الحادي عشر) في الساعة الثالثة من يوم الجمعة وأرجح الاقوال قولان (القول
 الاول) من حين يجلس الامام على المنبر الي أن تتم الصلاة ودليل ذافي الحديث الصحيح
 هي ما بين ان يجلس الامام على المنبر الي ان تقضي الصلاة (القول الثاني) انها بعد
 العصر وذا أرجح الاقوال ودليله الحديث الصحيح ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد
 مسلم يسأل الله فيها خيراً الا اعطاه اياه وهي بعد العصر «وفي سنن ابي داود والنسائي
 من رواية جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة
 فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيئاً الا اعطاه اياه فالتسوها في آخر
 ساعة بعد العصر وفي سنن سعيد بن منصور أن جماعة من الصحابة اجتمعوا
 وبحوثوا في هذه الساعة ثم قاموا ولم يخالف منهم أحد في أنها آخر ساعة من يوم
 الجمعة . وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال قلت ورسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله ساعة في يوم الجمعة لا يوافقها
 عبد مؤمن يصلي ويسأل الله فيها شيئاً الا قضى له حاجته قال عبد الله وأشار الي
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو بعض ساعة فقالت صدقت يا رسول الله
 أو بعض ساعة قلت أية ساعة هي قال آخر ساعة من ساعات النهار قلت إنها
 ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة
 فهو في الصلاة» وفي مسند الامام احمد عن ابي هريرة قال قيل للنبي صلى الله
 عليه وآله وسلم «لاي شيء سمي يوم الجمعة قال لان فيها طبت طينة أهلك
 آدم وفيها الصعقة والبعث وفيها البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة
 من دعا الله فيها استجيب له (الخاصة الحادية والعشرون) هي أن للصدقة في

هذا اليوم مزية على الصدقة في سائر الايام (الخاصية الثانية والعشرون) . هي
 ان صلاة الجمعة مقرونة بالخطبة مشروطة بشرائط ليست اغيرها مثل اشتراط
 الاقامة والاستيطان والجهر بالقراءة وغير ذلك . (الخاصية الثالثة والعشرون)
 هي أن يوم الجمعة يوم يستحب فيه التفرغ للعبادة ومزيته على سائر الايام كميزية
 شهر رمضان على سائر الشهور وهو مخصوص بعبادات واجبة ومستحبة وكما
 ان لاهل كل ملة يوما متعينا للتفرغ للعبادات والتخلي عن الاشغال الدنيوية
 كذلك تعين يوم الجمعة لهذه الامة المعصومة وساعة الاجابة في هذا اليوم كليلة
 القدر في شهر رمضان ومن هذه الجهة قال العلماء من حصل له في يوم الجمعة
 السلامة من الاثام سلم في الاسبوع ومن سلم في شهر رمضان من الاثام سلم
 في بقية العام ومن حصل له حج بيت الله الحرام وسلم من المخالفات سلم في
 جميع العمر فيوم الجمعة ميزان الاسبوع وشهر رمضان ميزان السنة وحج بيت
 الله ميزان العمر (الخاصية الرابعة والعشرون) لما كان يوم الجمعة في الاسبوع
 كيوم العيد في السنة والعيد يشتمل على الصلاة والقربان والجمعة
 تشتمل على الصلاة جعل الحق جل شأنه التكبير الى المسجد بدل
 القربان وقائما مقامه وفي الحديث الصحيح «من راح في الساعة الاولى فكأنما
 قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة
 الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة»
 وفي هذه الساعات اختلاف حملها بعض العلماء على الساعات الفلكية وقال
 باستحباب التكبير بعد طلوع الشمس وذا مذهب الشافعي وأكثر العلماء
 وحملها البعض على الساعات العرفية وهي أجزاء لطيفة من بعد الزوال وذا
 مذهب الامام مالك وطائفة من أهل المدينة (الخاصية الخامسة والعشرون) . أنه
 يوم تجلي الحق جل شأنه على عبيده في الجنة (الخاصية السادسة والعشرون) هي أن
 الله أقسم بهذا اليوم من بين سائر الايام قال الله تعالى (وشاهد مشهود)
 قال صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود هو يوم
 عرفة والشاهد يوم الجمعة ماطلعت الشمس ولا غربت على أفضل من يوم الجمعة

فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلا استجاب له أو يستعيذه من شر الأعداء منه (الخاصية السابعة والعشرون). هي أن السموات والأرضين والجبال والبحار والخلائق كلها غير نبي آدم والشياطين يخافون من يوم الجمعة قال كعب الأحبار ألا أحدنكم عن يوم الجمعة أنه إذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والأرض والجبال والبحور والخلائق كلها إلا ابن آدم والشياطين (الخاصية الثامنة والعشرون) أنه يوم ادخره الحق سبحانه لهذه الأمة المرحومة فضلت عنه جميع الأمم قال صلى الله عليه وآله وسلم «يوم ادخره الله لنا وقال مطاعت الشمس ولا غربت علي يوم خير من يوم الجمعة هدانا الله له وأضل الناس عنه فالناس لنا فيه تبع» الحديث (الخاصية التاسعة والعشرون) هي أن هذا اليوم خيرة الله من الأيام كما اختار رمضان من الشهور وليلة القدر من الليالي ومكة من القرى قال كعب أن الله عز وجل اختار الشهر فاختر شهر رمضان واختار الأيام فاختر يوم الجمعة واختار الليالي فاختر ليلة القدر (الخاصية الثلاثون) هي أن أرواح المؤمنين في يوم الجمعة تقرب من قبورهم ويعرفون من يزورهم فيه فضل معرفة علي سائر الأيام (الخاصية الحادية والثلاثون) كراهة صوم هذا اليوم علي انفراده عند أكثر العلماء قال محمد بن عباد سألت جابرا أنه يرسول الله ﷺ عن صوم يوم الجمعة قل نعم ورب هذه البنية وفي الصحيحين قال ﷺ «لا يصوم من أحدكم يوم الجمعة الا يوم ما قبله أو يوم ما بعده» اللفظ للبخاري ولمسلم «لا تخلصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام الا أن يكون في صوم يصومه أحدكم» وعن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقالت أصمت أمس قالت لا قال تريدن أن تصومي غدا قالت لا قال فافطري» وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تصوموا يوم الجمعة وحده وقال يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده (الخاصية الثانية والثلاثون) اختصاص هذا اليوم باجتماع المؤمنين له وعظمة والتذكير

﴿ فصل ﴾

﴿ في الخطبة النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان ﷺ إذا خطب رفع صوته الى غاية تحمر فيها عيناه المباركتان وكثيرا ما كان يقول في خطبته «بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطي» وبعد ذلك يقول «أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك ديننا او ضياعا فالى وعلى» رواه مسلم وفي لفظ كانت خطبة النبي ﷺ يحمد الله ويثنى عليه بما هو اهله ثم يقول من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له وخير الحديث كتاب الله وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار : وفي بعض الاخبار كان يقول الحمد لله نحمد الله ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا وكثيرا ما كان يقرأ سورة ق علي المنبر قالت أم هشام بنت الحارث ماحفظت سورة ق الا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يخطب بها علي المنبر . وحفظ من خطبته صلى الله عليه وآله وسلم من رواية علي بن جدعان . وفيها ضعف (يا ايها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل أن تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامى هذا في شهرى هذا في عامى هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتى أو بعدى جحودا بها واستخفافا وله امام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا زكاة له ألا ولا صوم له ألا ولا وضوء له ألا ولا حج له ألا ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه ألا ولا تؤمن امرأة رجلا ألا ولا يؤمن اعرابي مهاجرا ألا ولا

يؤمن فاجر مؤمنا الا ان يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه) وكان يقصر الخطبة
 ويطول الصلاة وقال ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وكان
 يبين في الخطبة قواعد الاسلام ويعلم مهات الدين وكان إذا عرضت له حاجة
 أو سأله سائل قطع خطبته وقضى الحاجة أو اجاب السائل ثم أمها وكان إذا رأى
 في الجماعة فقير أو إذا حاجة امر بالتصدق وحرص على ذلك وكان إذا ذكر الله
 تعالى أشار بالسبابة وكان إذا اجتمعت الجماعة خرج للخطبة وحده ولم يكن بين
 يديه صاحب ولا خادم ولم يكن من عاداته لبس الطرحة ولا الطيلسان ولا الثوب
 الأسود المعتاد وكان إذا دخل المسجد سلم على الحاضرين لديه وإذا صعد
 المنبر ادار وجهه إلى الجماعة وسلم نائياً ثم قعد وإذا ذلك يشرع بلال في الاذان
 وعند فراغه يقوم فيخطب قائما من غير فاصلة بين الاذان والخطبة ولم يكن
 يأخذ السيف والحرية بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وإذا قبل اتخاذ
 المنبر وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ أنه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا على غير
 ذلك وكان يجلس بين الخطبتين لحظة وإذا فرغ من الخطبة أقام بلال الصلاة
 وكان في أثناء الخطبة يأمر الناس بالتقرب والانصات ويقول ان الرجل اذا قال
 لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان يقول من تكلم يوم الجمعة
 والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا والذي يقول أنصت ليس له جمعة
 وقال يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها ياغو فهو حظه منها ورجل حضرها
 بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات
 وسكون ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ احدا فهي له كفارة الى الجمعة التي تليها
 وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
 ذكره أبو داود وكان اذا نزع بلال من الاذان شرع عليه السلام في الخطبة ولم يقم
 أحد لصلاة السنة وبعض العلماء قالوا بسنة الجمعة بالقياس على الظهر واثبات
 السنة بالقياس غير جائز والعلماء الذين صنفوا في السنن واعتنوا بضبط سنن
 الصلاة لم يرووا في سنة الجمعة قبل الصلاة شيئا وأما بعد صلاة الجمعة فكان إذا
 رجع الى المنزل صلي أربعاً وإن صلي في المسجد صلي ركعتين وقال من كان منكم

مصليا بعد الجمعة فليصل بعدها اربعا *

﴿ فصل في صلاة العيد ﴾

كان من عادة النبي ﷺ أن يصلي صلاة العيد في المصلى وهو مكان في ظاهر المدينة وصلى العيد مرة في المسجد لسبب المطر وكان يلبس في يوم العيد أجمل ثيابه وكان له حلة فاخرة برسم العيدين والجمعة وفي بعض الأحيان كان يلبس بردا مخططا بخطوط خضر أو بخطوط حمر وكان يفطر في يوم عيد الفطر قبل الخروج الى المصلى على تمرات عددن وتر ولم يكن يأكل طعاما الا بعد المراجعة وكان يغتسل للعيد وورد في هذا الباب حديثان وكلاهما ضعيف لكن صح عن ابن عمر أنه كان يغتسل لسكل عيد وشدة مبالغته في متابعة السنة تقتضي ان الحديث في هذا الباب صحيح وكان يسير الى المصلى ماشيا وتحمل بين يديه العنزة فاذا بلغ المصلى نصبت تجاهه لان المصلى لم يكن له اذ ذاك جدار ولا محراب وكان يؤخر صلاة الفطر ويعجل صلاة الاضحى. وعبد الله بن عمر الذي كان لا يهمل متابعة السنة في دقيقة كان يسير من بيته الى المصلى بعد طلوع الشمس وكان يكبر في جميع طريق المصلي وكان النبي ﷺ اذا بلغ المصلى شرع في الصلاة من وقته بلا اذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة السنة أن لا يكون شيء من هذا وكان يكبر في الاولى سبع تكبيرات متتابعات يفصل بين كل تكبيرتين بسكته خفيفة ولم يرد بين التكبيرتين ذكر ولا تسبيح معين وكان يقرأ في الاولى سورة ق والقرآن المجيد وفي الثانية اقربت الساعة وفي بعض الاحيان كان يقتصر على سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية ولم يصح غير هذا وكان اذا رفع رأسه من السجود الى الركعة الثانية شرع في التكبير فكبر خمسا ثم شرع في القراءة وبرى في بعض الاحاديث أنه والى بين القراءتين فكبر في الاولى ثم قرأ وركع فلما قام في الثانية قرأ وجعل التكبير بعد القراءة لكن هذا الخبر غير صحيح لانه رواية محمد بن معاوية وهو مجروح باتفاق اكابر علماء الحديث. وعن عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الآخرة خمسا

قبل القراءة» قال الترمذي البخاري عن هذا الحديث فقال ليس في الباب شيء أصح من هذا وبه أقول وكان إذا فرغ من الصلاة قام وخطب قائما ولم يك ثم منبر لسكن ورد في الحديث الصحيح «فنزله نبي الله» وهذا يدل على أنه كان يخطب على تل أرفصة أو مكان عال يقوم مقام المنبر* وروى في بعض الاحاديث على راحلته* وفي الصحيحين عن جابر قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وفي لفظ تصدقوا فأكثروا من تصدق النساء بالقرط والخاتم والشيء فان كان حاجة أو يريد أن يبعث بعثا يذكره لهم والا انصرف وكان يفتتح جميع الخطب بحمد الله ولم يرد في حديث أنه كان يفتتح خطبة العيد بالتكبير* وفي سنن ابن ماجه مروى عن سعد مؤذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبي ﷺ كان يكثر التكبير بين أضعاف الخطبة وفي لفظ يكثر التكبير في خطبة العيدين وهذا لا يدل على ان الافتتاح كان بالتكبير والله اعلم* وكان يذهب الى صلاة العيد من طريق ويأتي من طريق اخرى وقالوا السر في ذلك ان يسلم على اهل الطريقين او لتشمل بركته الطريقين او ليظهر شعار الاسلام في الطريقين او ليغم اهل النفاق بمشاهدة عزة الاسلام ورفعة اعلامه او لتشهد بطاعته البقاع المختلفة والمواقع المتفرقة أو لمجموع ذلك او لاسرار اخر تقصر عنها عقول اكبر الخلق*

• (فصل) •

﴿ في عباداته ﷺ في حال الاستمعاء ﴾

ثبت في ذلك ستة أوجه (الوجه الاول) انه كان يوم الجمعة في أثناء الخطبة يستمطر ويقول اللهم (أغشنا اللهم أغشنا اللهم أغشنا اللهم استمنا اللهم استمنا اللهم استمنا) (الوجه الثاني) انه كان يعد الصحابة بالخروج في يوم معين الى المصلى ويخرج في ذلك اليوم بعد طلوع الشمس بهيئة الخاشع المتواضع مبتذلا فاذا وصل الى المصلى صعد المنبر وقرأ الخطبة والمحفوظ

منها) الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا اله الا الله يفعل ما يريد اللهم أنت الله الذي لا اله الا أنت تفعل ما تريد اللهم أنت الله لا اله الا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما نزلت لنا قوتنا وبلاغنا الى حين) ثم رفع يديه واخذ في التضرع والابتهال والدعاء وبالغ في الرفع حتى بدا بياض ابطنيه ثم استقبل القبلة واستدبر الحاضرين وقلب رداءه المبارك حتى صار طرف اليمين على الجانب الشمال وطرف الشمال على الجانب اليمين وما كان من الرداء داخلا صار خارجا وما كان خارجا صار داخلا وكان الرداء أسود اللون وأخذ في الدعاء كذلك ثم نزل وشرع في الصلاة فصلى ركعتين بغير أذان ولا اقامة جهر فيهما بالقراءة وقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية هل أتاك حديث الغاشية (الوجه الثالث) انه صعد منبر المدينة في المسجد واستسقى في غير يوم الجمعة ولم يرد في الاستسقاء صلاة بل مجرد خطبة ودعاء (الوجه الرابع) انه استسقى في مسجد المدينة قاعدا من غير قيام ولا صعود على المنبر وحفظ من دعاء ذلك اليوم اللهم (اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبعا عاجلا غير راثت نافعا غير ضار) (الوجه الخامس) انه استسقى مرة خارج المسجد النبوي بالقرب من الزوراء بمكان يعرف بأحجار الزيت هو قريب من باب من أبواب المسجد يقال له باب السلام اذا خرج شخص من باب السلام وعطف على الجانب الايمن وسار نحو رمية حجر بلغ الى المكان المعروف بأحجار الزيت (الوجه السادس) كان في بعض الغزوات قد سبق المشركون ونزلوا على الماء واستولى العطش على المسلمين فعرضوا حالهم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال المنافقون لو كان نبيا استسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ هذا الخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هكذا قالوا فلا تأسوا فاعل الله جل ثناؤه ان يسقيكم ثم رفع يديه ودعا الله فظهرت سحابة في الوقت أظلمت الدنيا ثم أمطرت الى ان اختنقت الاودية العظيمة بالسيول والمحفوظ من ذلك الدعاء في الاستسقاء هذه الكلمات (اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا نافعا غير

ضار عاجلا غير رأت) وفي كل وقت استسقى صلى الله عليه وآله وسلم اجيب وجاء المطر واستسقي مرة فقام رجل من الصحابة يعرف بابي لبابة وقال يارسول الله التمر في المربد ونخشي أن يتلف فقال صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب مرده بازاره) فامطرت فاجتمعوا الى أبي لبابة فقالوا انها لن تقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مر يدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففعل فاستهلت السماء وكانوا اذا كثر المطر وأفرط طلبوا الصحو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقول في الاستسحاء (اللهم على الآكام والجبال والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر) وكان عند ابتداء المطر يميط ثوبه عن بعض بدنه ليصديه المطر ويقول «لانه حديث عهد بربه» وكان اذا سال وادى العميق وغيره يقول « اخرجوا بنا الى هذا الذي جعله الله طهورا فتنظير منه ونحمد الله تعالى عليه» وكان اذا رأى الريح والسحاب ظهرت الكراهة في وجهه المبارك وكان يتردد فاذا جاء المطر انبسط وزالت الكراهة * وثبت أنه قال في بعض أدعيته (اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدا قدام مجللا عاما طبقا سحادا انما اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من الأواء والجهد والضعف ما لا نشكوه الا اليك اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السماء علينا مدرارا) وكان اذا دعا في الاستسقاء رفع يديه نحو السماء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث وقال صلى الله عليه وآله وسلم « تفتح ابواب السماء ويستجاب الدعاء في اربعة مواطن عند التقاء الصفوف وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة وعند رؤية السكبة »

(فصل في عبادات السفر) *

أسفار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن تخلوا

من أحد أربعة أنواع (إما) سفر الهجرة من مكة الى المدينة أو سفر عمرة أو سفر حج أو سفر جهاد وهذا كان الغالب وكان اذا عزم علي سفر ضرب القرعة بين أمهات المؤمنين فمن ظهرت قرعتها سافر بها وأما في سفر الحج فانه سافر بالمجموع وكان يسافر أول النهار ويحب أن يسافر في يوم الخميس وكان إذا جهز جيشا الى الجهاد أمرهم بالمسير في أول النهار وأمر جميع المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يجعلوا أحدهم أميراً وأنهى عن الوحدة في السفر وقال الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب ولم يرد سفراً إلا قال حين ينهض من جلوسه « اللهم اليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفني ما أهمني وما لم أهتم له اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهي للخير أينما توجهت » وكان اذا وضع رجله المباركة في الركاب قال بسم الله واذا استوى على ظهر المراكب قال (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله الحمد لله الحمد لله الله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضي اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال) واذا رجع قلن وزاد فيهن (آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون) وكان صلى الله عليه وآله وسلم هو واصحابه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا وكان ﷺ اذا أشرف على بلدة أو قرية يريد دخولها قال « اللهم رب السموات السبع وما أظلان ورب الارضين السبع وما أقلن ورب الشياطين وما أضلان ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » وفي بعض الاحيان كان يقول « اللهم اني أسألك من خير هذه القرية وخير ما جمعت فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها اللهم ارزقنا جناها وأعذنا من وبائها وحبيتنا إلى أهلها وحبب صالحى أهلها لينا » وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقصر الصلاة

الرباعية في جميع أسفاره ولم يثبت أنه أتىها في وقت من الاوقات والحديث المروى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقصر في السفر ويتم ويفطر وبصوم لم يبلغ الصحة وكان من العادة النبوية أن يقتصر في السفر على صلاة الفرض ولم يحفظ أنه في السفر صلى شيئاً من السنن لا قبل الفرض ولا بعده إلا ركعتي الفجر والوتر وكان يصلي صلاة التهجد على ظهر المركوب. وعن ابن عمر قال « كان رسول الله ﷺ يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت يومية إيماء » يعني صلاة الليل إلا الفرائض ويوتر على راحلته ونبت عن رسول الله ﷺ في حال قصر الصلاة أنه ما كان يدع صلاة الليل لكن ثبت عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلون السنة هـ كان أصحاب رسول الله ﷺ يسافرون فيتطوعون قبل المكتوبة وبعدها وأما ابن عمر فكان لا يصلي السنة ولا يترك صلاة الليل كما كانت عادة النبي ﷺ فلو صلاها أحد جازت صلاته وكانت تطوعاً مطلقاً لا راتبة وتقل عن البراء بن عازب قال سافرت مع النبي ﷺ ثمانية عشر سفراً فلم أره يترك ركعتين عند بزغ الشمس قبل الظهر قال الترمذي حديث غريب وسألت عنه محمداً يعني البخاري فلم يعرفه إلا من حديث الليث بن سعد ورأه حسناً * وكان من عاداته ﷺ إذا صلى السنة على راحلته أن يتوجه حينما توجهت وإن توجهت لغير القبلة وكان يومياً في الركوع والسجود. وثبت في سنن أحمد وسنن أبي داود أنه كان يوجه راحلته إلى القبلة حال تكبيرة الافتتاح ثم يتم إلى حيثما توجهت الراحلة. وروى الترمذي في حديث مستقيم الاسناد أنه صلى الفرض مرة على ظهر مركبه واقتدت به الصحابة ركبانا ولفظه « انتهى النبي ﷺ إلي مضيق هو وأصحابه وهو على راحلته والسماء من فوقهم والبلدة من أسفلهم فحضرت الصلاة فأمر المؤذن فأذن وأقام ثم تقدم رسول الله ﷺ على راحلته فصلى بهم يومياً فجعل السجود أخفض من الركوع » وكان من عاداته ﷺ إذا وقع الرحيل قبل الزوال أن يؤخر الظهر إلى وقت العصر فإذا نزل جمع بين الظهر والعصر وإن دخل وقت الظهر قبل الرحيل صلى الظهر ثم ركب وكذا في المغرب

والعشاء إن كان في وقت المغرب والعشاء سائراً آخر الصلاة الى وقت العشاء ليصليها معاً وفي بعض الارقات جمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر ثم ركب وكذا في المغرب والعشاء ولم يكن بعناد الجمع في السفر فيما علمت لكن إذا كان السير حثيثاً جمع وأما الجمع في حالة النزول والقرار فلم يرد ولم يعين للقصر والجمع مسافة ولم يرد في هذا الباب شيء صحيح بل رخص في مطلق السفر وكذا التيمم لم يرد فيه سفر محدود *

﴿ فصل في عادة الحضرة النبوية صلي الله عليه وآله وسلم

حال قراءة القرآن واستماعه وكال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه ﴾
 كان له عليه السلام في كل يوم وظيفة معينة يتلوها لا يتركها أبداً إلا لضرورة وكان يقرأ مرتلاً مفسراً مبيناً حرفاً حرفاً ويقف عند آخر كل آية ويتمم المد في حروف المد كالمد في الرحمن الرحيم فانه كان يتمم المد في كل وكان يقول في أول القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وفي بعض الاوقات يقول (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) وكان يحب سماع القرآن من الغير وأمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أن يقرأ عليه القرآن فلما أخذ في القراءة استمع له عليه السلام وأخذ في الخشوع والتضرع والبكاء حتى جري ماء عينيه وكان يقرأ القرآن علي كل حال قائماً وقاعداً وناهماً متوضاً وغير متوضىء ولم يكن يمنعه شيء من قراءة القرآن غير الجنابة وكان يتغنى بالقرآن في بعض الاوقات ويرجع في ذلك كما يفعله من الحفاظ من كان حسن الصوت وكذا قراءة سورة الفتح في يوم فتح مكة وكان عليه السلام يقول زينوا القرآن بالاصوات الحسنة وقال « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » قيل لراوى الحديث فان كان شخص لا يحسن ذلك قال يبذل طاقته فيما استطاع من تحسين القراءة وينبغي أن يعلم أن التطريب والتغنى علي نوعين نوع تقتضيه الطبيعة وتسمح به من غير تكلف وهو لا يحتاج الى تمرين وتعليم بل لوخلى شخص وطبعه لصدر منه ذلك التطريب والتلحين وهذا النوع جائز بالاجماع ولو أعانتها الطبيعة علي زيادة تحسين وتزيين كما قال أبو موسى الأشعري لسيده نار رسول الله

ﷺ لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تجبيرا يعني لو كنت أعلم أنك تسمع قراءتي لامت التزيين والتحسين (النوع الثاني) هو ما لا يحصل من ساحة الطبع بل يحتاج فيه الى التعليم والتدريب والتكاف كاصوات المطربين اذا عمدوا الى الايقاع بأنواع الالخان وقرؤا بأصوات وإيقاعات مخصوصة وهذا النوع مكروه عند جماعات السلف وقد منعوا من القراءة به •

﴿ فصل ﴾

﴿ في العادات النبوية في تفقد المرضى ﴾

كان ﷺ يعود كل من مرض من أصحابه وكان اذا دخل على المريض قرب منه وقعد عند رأسه وسأله عن حاله وقال كيف تجدك وكثيرا ما كان يقول ما الذي تريد وما الذي تشتهي طبيعتك فان اشتهى شيئا لم يضره أمر به له وكان يجعل يده اليمنى على المريض ويقول « اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء ولا كاشف له إلا أنت » وكان يدعو للمريض ثلاث مرات ولما عاد سعدا قال « اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا » وكان إذا دخل على مريض يعودده يقول لا بأس طهر ان شاء الله وفي بعض الاحيان يقول كغفارة وطمهور وكان اذا اشتكى الانسان الشيء منه أو كانت قرحة أو جرح وضع النبي ﷺ السبابة على الارض ثم رفعها وقال « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بأذن ربنا » وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما يعني جمع نفسه ونفخ يقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات قالت فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به فيكنت آخذ بيديه وأمسح بهما ابركتهما وفي رواية أخرى كان النبي صلي الله عليه وآله وسلم يقرأ وينفث وعائشة رضي الله عنها تأخذ بيديه وتمسح بهما بدنه كان غاية الضعف والوجع كان يمنع من تحريكهما ولم يجعل للعبادة يوما معينا بل كان يعود في جميع الاوقات من الليل والنهار وقال « عائد المريض

في خرفة الجنة» وفي رواية أخرى «لم ينزل في خرفة الجنة وما من مسلم يعود مسلماً مريضاً غدوة إلا صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسي وإن عادته عشية صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة» وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعود من رمد العين. وكان يخدمه صلى الله عليه وآله وسلم شاب من اليهود فلما مرض عادته ولما مرض عمه أبو طالب عادته مع أنه كان مشركاً وكان عرض عليهما الإسلام فلم يقبل أبو طالب وأسلم اليهودي .

﴿ فصل ﴾

﴿ في العادة النبوية في أحوال الميت وأداء حقوقه ﴾

كانت عادته ﷺ مشتتة على الاحسان العظيم الي الميت ومعاملته بامور تنفعه في القبر وفي القيامة وعلى الاحسان لا قاربه وأهل بيته وعلى تعليم الاحياء ما يؤدون به حق العبودية في معاملة الميت وأول الاحسان الي الميت أنه كان يأمر بتجهيزه نحو آخرته على أحسن الاحوال وأفضل الصفات ثم يقف صلى الله عليه وآله وسلم وجميع أصحابه صفا يستغفرون للميت ويطلبون له الرحمة من حضرة ذى العزة ثم يسبرون معه الى مدفنه ويقوم هو وأصحابه على قبره يدعون له ويسألون له التثبيت والرحمة عند أشد ما يكون محتاجا اليها ثم لا يزال يتعهد قبره ويخصه بالدعاء الذى يستوجب الروح والراحة والمغفرة والرحمة وكان يعود قبل موته ويذكره الآخرة ويأمره بالتوبة والوصية ويأمر من حضر مريضاً مشرفاً أن يلقنه الشهادة ليكون آخر كلامه كلمة التوحيد وكان يمنع من عادات أمم الضلال الذين لا يؤمنون بالبعث والنشر بحال وينهى عن لعن الحدود وشق الجيوب وحلق الرأس وأمثال ذلك ويردع عليه ردعا بليغا ويأمر بالحد والاسترجاع والرضا ولا ينهى عن جرى الدمع وحزن القلب ومع أنه كان أرضي الخلق لقضاء الحق وأشكرهم وأصبرهم. أجرى الدمع وبكى لما توفي ولده ابراهيم وعمره سنتان وقال «تدمع العين ويحزن القلب ولا تقول الا ما يرضى الرب وأنا بفراقك يا ابراهيم لحزونون» وكان من كمال عادته النبوية أن يأمر بتجهيز الميت وتطهيره وتنظيفه ودفنه بسرعة وأن يكفن في ثياب بيض وكانت الصحابة مدة إذا احتضر شخص وأشرف

على الموت دعوا حضرة الرسالة فحضر صلى الله عليه وآله وسلم هناك الى أن يتوفى ويجهزه ويصلى عليه ويشيعه الى القبر فلما رأت الصحابة ما في ذلك من المشقة اقتصروا على أن يعلموه بعد وفاة الشخص ليحضر اتمجهز والصلاة والدفن ثم رأوا أن هذا لا يخلو من مشقة فكانوا يجهزون الميت ويحملونه اليه عليه السلام ليصلى عليه حيناً بالمسجد وحيناً خارجه وكلاهما يجوز * وفي الحديث المروى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من صلى علي جنازة في المسجد فلا شيء له « غلط وصوابه مارواه الخطيب البغدادي وقال هو في الاصل فلا شيء عليه وقال بعض أئمة الحديث هذا الحديث ضعيف لانه من أفراد صالح مولى التوأمة وقد صلى على أبي بكر وعمر في المسجد بحضرة جميع المهاجرين والانصار ولم يصدر من أحد إنكار وكان يأمر أن يغسل الميت ثلاثاً أو خمساً أو أكثر على حسب ما يقتضيه رأى الغاسل وأن يجعل في الغسلة الآخرة شيئاً من الكافور وكانوا لا يغسلون الشهيد وينزعوا عنه السلاح والملبوس ويستعملون شيئاً من الطيب واذا قصر السكفن غلوا رأسه وجعلوا على رجليه شيئاً من الاب وهو كان من العادات اذا احضروا ميتاً سأل صلى الله عليه وآله وسلم هل عليه دين فان لم يكن عليه دين صلى عليه وإلا امر أصحابه فصلاوا عليه ولما كثرت الفتوحات وظهرت الغنائم صلى صلى الله عليه وآله وسلم على المديون وقضى دينه وكان إذا شرع في الصلاة قرأ الفاتحة بعد التكبير الاولى والحفوظ من الدعاء الذي كان يقرأ في الصلاة على الميت هذا (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره واهلاً خيراً من اهله وزوجاً خيراً من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار) وحيناً كان يقول (اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكراً وانثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من احييته منا فاحيه علي الاسلام والسنة ومن توفيته منا فتوفه علي الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تضلنا بعده) وفي بعض الاوقات كان يقول (اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنه القبر

وعذاب القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك انت الغفور الرحيم) وحينما كان يقول (اللهم انت ربها وانت خلقتها وانت رزقتها وانت هديتها للاسلام وانت قبضت روحها تعلم سرها وعلانيتها جنتا شفعا فاغفر لها) وكان يكبر في بعض الاحيان اربعا وفي بعضها خمسا وفي بعضها ستا والذين يمنعون من الزيادة على اربع يقولون ثبت ان آخر صلاة صلاحها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان اربعا. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الملائكة لما صلوا على آدم كبروا اربعا وقالوا هذه سنتكم يا بنى آدم وكان يخرج من الصلاة بتسليمتين وقد يقتصر على واحدة وكان يرفع يديه في كل تكبيرة وحينما فاتته صلاة الجنائز على شخص صلى على قبره فصلى مرة على قبر بعد يوم وليلة وأخرى بعد ثلاثة أيام وأخرى بعد شهر وحديث الصلاة على القبر صح من طرق ستة وكان يصلى على الطفل الميت ويقول صلوا على أطفالكم فانهم من أفراطكم وكان لا يصلى على من أهلك نفسه ولا على من كان يخون في الغنائم ويصلى على من قتل بحد شرعي ثبت أنه صلى على الجهنمية التي رجمها فقال عمر تصلي على من زنا فقال لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لكفتمهم وأى توبة أفضل من توبة من وضع نفسه في طريق الحق وكان إذا صلى على الميت سار معه الى المدفن ماشيا وقال عجولوا في الذهاب وكان لا يجلس حتى توضع الجنائز عن رقاب الرجال وقال اذا تبعتم الجنائز فلا تجلسوا حتى توضع وكان لا يصلى على كل غائب لكن صح أنه صلى على النجاشي وقد توفى بالحبشة وأمر الصحابة بذلك وقال توفى أخ لكم فصلوا عليه وصلي على معاوية الليثي صلاة الغائب. واختلف الفقهاء في هذا فقال الشافعي وأحمد الصلاة على الغائب سنة مطلقا وابو حنيفة ومالك ينعان مطلقا وبعض الحنفيين يقول ان كان قد مات في بلد لم يصل عليه صلينا وإن صلى عليه فقد سقط الفرض فلا حاجة وكانت العادة أن لا يدفن الميت وقت طلوع الشمس ولا وقت غروبها ولا وقت الاستواء وكانوا لا يرفعون القبر ولا يبنون عليه بأجر ولا نورة ولا حجر ولا ابن ولا غير ذلك وكانوا لا يجعلون على هذا القبر عمارة ولا قبّة وهذا

كله بدعة ومكروه ومخالف للطريقة النبوية . وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابن أبي طالب أن لا يدع تمثالا إلا طمسه ولا مقبرا مشرفا إلا سواه ونهى أن يتخذ على القبر مسجداً أو يشعل عليه سراج ولعن فاعل ذلك ونهى عن الصلاة عند المقابر وعن الصلاة على القبر ونهى عن اهانة القبور وعن أن تداس أوتوكأ عليها أو يجلس عليها * ومن العادات النبوية زيارة القبور والدعاء والاستغفار ومثل هذه الزيارة مستحب وقال (إذ أريت المقابر فقولوا السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية) وكان يقرأ وقت الزيارة من نوع الدعاء الذي كان يقرؤه في صلاة الميت وقد ذكرناه فيما تقدم * وكانت العادة أن يعزى أهل الميت ويأمرهم بالصبر ولم تكن العادة أن يجتمعوا للميت ويقرأ له القرآن ويختتموه عند قبره ولا في مكان آخر وعند المجموع بدعة ومكروه ولم يكن من عادة أهل الميت أن يرسلوا للناس طعاما بل كان يأمر الناس أن يرسلوا لأهل الميت طعاما لأنهم من المصيبة في شغل كاف *

﴿ فصل ﴾

كان إذا دخل وقت الصلاة في حال القتال والعدو إلى جانب القبلة تقدم صلى الله عليه وآله وسلم واصطف الأصحاب عقبه وشرعوا في الصلاة وركعوا بجملتهم ورفعوا الرؤوس من الركوع بجملتهم ثم أخذوا في السجود بعد هذا سجد معه أهل الصف الأول واستقام أهل الصف الثاني تجاه العدو حتى إذا فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الصف الأول من الركعة الأولى وقاموا إلى الركعة الثانية هناك يسجد أهل الصف الثاني ثم يقومون ويتقدمون إلى مكان أهل الصف الأول ويتأخر أهل الصف الأول إلى مكان أهل الصف الثاني سجدتا الركعة الثانية ليحصل لساكنتا الطائفتين فضيلة الصف الأول وليحصل لأهل الصف الثاني مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما حصل لأهل الصف الأول سجدتا الركعة الأولى في تساويان في الفضيلة وإذا غاية العدل فإذا جلس في التشهد يسجد أهل الصف المؤخر ثم لحقوه في التشهد وسلم المجموع بالاتفاق (وأما) إذا لم يكن العدو في جهة القبلة جعل الناس طائفتين

طائفة تجاه العدو وطائفة معه ووصلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ركعة ثم صاروا الى مكان تلك الطائفة تجاه العدو وجاءت تلك الطائفة فادر كوا الركعة الثانية مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم سلم هو وقضى كل من الطائفتين ركعة بعد سلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الاحيان كان يصلى بالطائفة الاولى ركعتين فاذا تشهد خرج المأمومون من الصلاة وتوقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد الى ان تأتي الطائفة الاخرى فيصلى بهم ركعتين ويسلموا جميعا فيكون قد صلى صلى الله عليه وآله وسلم اربع ركعتين وحينما كان يصلى بكل طائفة ركعتين مستقبلا ويسلم وحينما كان يصلى بكل طائفة ركعة والطائفة الاولى يخرجون من الصلاة بعد تمام ركعة وتأتي الطائفة الاخرى فيصلون مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ركعة ويخرجون معه من الصلاة فتكون كل طائفة قد صلت ركعة وصلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين وهذه الوجوه كلها جائزة وبعض علماء الحديث روى هذه الصلاة على خمسة عشر وجها لكن اصح الوجوه هذا الذي بيناه وبالله التوفيق هـ

﴿ فصل ﴾

كان من العادة النبوية في الزكاة مراعاة الفقراء مع مراعاة اصحاب الاموال والنظر في مصلحة الجانبين باقصى الغاية ووجب الزكاة في اصناف اربعة من المال دورانها بين الخلق اكثر واحتياج الناس اليها اوفر (الصنف الاول) الزروع والثمار (الصنف الثاني) بهيمة الانعام من الابل والبقر والغنم (الصنف الثالث) الذهب والفضة اللذان بهما قوام معاش العالم (الصنف الرابع) أموال التجارة من أي صنف كانت وأمر أن تؤدى في السنة مرة وفي الزرع والثمار يوم حصاده على الفور وذا غاية العدل وبحسب سعي الشخص في تحصيل المال وسهولته ومشقته تفاوت الواجب فيما بين صلى الله عليه وآله وسلم لاجرم اوجب الخمس في مال يحصل من غير مشقة وتمكف كما إذا وجد كنز ولم يعتبر السنة في ذلك بل حال ما يجده يجب عليه اخراج الخمس وما لا بد في تحصيله من مشقة وكلفة ما اوجب وفيه نصف ذلك كالزرع والثمار الحاصلة من ماء المطر ووجب نصف ذلك

فما يحتاج في تحصيله الى زيادة تكلف من دولاب أو بئر أو شراء ماء وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج الي عمل وتعب دائم كما تكاف مشقة الاسفار وركوب البحار والترقب والانتظار وما اشبه ذلك وايضا عين في كل نوع من المال نصابا بحسب مصلحة الحال ففي الفضة مائتا درهم وفي الذهب عشرون مثقالا وفي الغلات والثمار ثمانمائة مد شرعي وذلك وقر خمس من الابل العرب وفي الغنم اربعون وفي البقر ثلاثون وفي الابل خمس ولما لم يحتمل هذا النصاب المواساة من جنسه عين شاة في كل خمس من الابل اما اذا بلغ خمسا وعشرين احتمل ان يؤدى من جنسه لاجرم يكون مخيرا بين خمس شياه وبعير ومن علم أنه من أهل الزكاة أعطاه منها وإن طلب شخص من الزكاة شيئا ولم يعلم حاله أعطاه أما اذا علم غناه اخبره أن لاحظ فيها الغني ولا تقوى مكتسب وكانت العادة انهم إذا أخذوا الزكاة من مدينة أو قرية صرفوها على فقراء ذلك المكان فان فضل شيء أتوا به الى حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيصرفه لفقراء المدينة ولم يكن من العادة النبوية أخذ الزكاة من الخيل والرقيق والبعال والحمير والبقول والبطيخ والخيار والعسل والفواكه التي لا تدخل المسكيل ولا تصالح للدخار إلا الرطب والعنب فإنه كان يأخذ الزكاة منهما لا يفرق بين الرطب واليابس ومن أتى بركاته الى حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه وقال اللهم بارك فيه وفي ابله وكان ينهى المتصدق أن يشتري صدقته وكان يدوغ ابل الصدقة بيده المباركة وفي الغالب كان يدوغ على الاذن وربما اقترض لمصالح الاسلام واحال على مال الصدقة وفي أوقات الضرورة كان يطلب زكاة سنتين مقدمة *

﴿ فصل ﴾

﴿ في زكاة الفطر ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يرسل مناديا ينادى في الاسواق والمحلات والازقة من مكة ألا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة ذكر أو انثى حر أو عبد صغير أو كبير مدان من قمح أو سواه صاعا من طعام وثبت في سنن النسائي أنه لما أفضت نوبة الخلافة الي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

قال (اما اذا وسع الله عليكم فاولسوا اجعلوا صاعا من برو غيره) وفي لفظ أبي داود فلما قدم علي رضي الله عنه رأى رخص السعر فقال قد أوسع الله عليكم فلو جعلتموه صاعا من كل شيء ومن العادة النبوية أن تؤدى زكاة الفطر قبل صلاة العيد وكان يقول من أداها قبل صلاة الفطر فهي صدقة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه قال «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» وظاهر هذه الأحاديث أنها بعد الصلاة لا تجزى وكان يخص المساكين بهذه الصدقة ولا يقسمها على الأصناف الثمانية ولم يرد بذلك أمر نصا وبه قال بعض العلماء ويجوز الصرف للأصناف الثمانية وأما صدقة التطوع فإنه كان يحبها حبا شديدا وكان يسر بادائها أشد من سرور الفقير بأخذها وكان لا يستكثر ما يصرفه في طريق الحق بل يحسبه قليلا وما سأله أحد شيئا حاضرا إلا أجابه ولم يعده كثيرا أقل أو جل وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ولا يبالي بالعدم وإذا رأى محتاجا أثره بطعامه وشرابه وكان يتنوع في العطاء والصدقة فحينما يهب وحينما يتصدق وحينما يهدى وحينما يشتري شيئا ويدفع منه ثم يهبه لباته وحينما كان يقترض ويؤدى أكثر من المبالغ وحينما كان يشتري شيئا ويؤدى أكثر من الثمن وحينما كان يقبل الهدية وينعم بأضعافها وكان القرض يصلح أنواع الاحسان إلى الخلق مهما أمكن وكان يأمر الناس بالصدقة ويحرض عليها وكان يدعو إلى الساحة والسخاوة بحاله ومقاله بحيث أن البخيل الشحيح إذا رآه أثر فيه وتخلق بالسكرم والبذل وكل من خالطه وصاحبه لم يكذب يملك نفسه حتى يغلبه الاحسان والبذل ولهذا لم يزل منشرح القلب طيب النفس منبسطة خاطر صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ فصل ﴾

﴿ في أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي انزلت فيه سورة الم نشرح لك صدرك للامتنان بتلك النعمة ﴾
ينبغي أن يعلم أن أجل أسباب انشراح الصدر هو التوحيد وبحسب كماله

وتمامه وقوته وزيادته يزيد انشراح الصدر قال الله تعالى (افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وقال الله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) فلا جرم ان يكون التوحيد والهداية من اعظم اسباب انشراح الصدر والشرك والضلالة من اعظم اسباب ضيق الصدر والقلب ومن جملة اسباب انشراح الصدر نور يجعله الباري تعالى في قلب العبد ضياء وذلك نور الايمان فمتي ما وقع في قلب العبد دخله الفرح والسرور والانشراح وسعة القلب وظهر فيه واذا فقد ذلك النور وقع في ضيق القلب وابتلي بالشدّة والمشقة. وقال صلي الله عليه وآله وسلم « اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا وما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله» وينبغي ان يعلم ان نصيب الشخص من انشراح الصدر وسعة القلب بحسب نصيبه من كثرة النور ومن هذه الجهة للنور المحسوس ايضا من فرح الخاطر وشرح الصدر حظوا فر والظلمة المحسوسة بعكس ذلك ومن جملة اسباب ذلك ايضا العلم فان العلم يجعل كل زاوية من زوايا القلب اوسع واشرح من السماء والارض وكلما زاد علم الشخص زاد انشراح صدره وليس المراد من هذا كل علم بل العلم الموروث من الانبياء فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر اشار الى ذلك العلم واهل ذلك العلم اوسع قابلا واطيب عيشا واحسن خلقا من سائر الخلق ومن هذا العلم تتولد الانابة ومحبة الحق وللمحبة في شرح الصدر مدخل عظيم وكلما تمت المحبة وقويت زاد شرح الصدر وكل واعظم اسباب ضيق الصدر وأقوى موجباته الاعراض عن الحق وتعلق القلب بغير ذلك الجنب والغفلة عن ذكر الحق ومحبة غيره ومن أحب غير الحق عذب به وحبس معه ولم يك في العالم أسوأ حظا منه ولا أمر عيشة ولا أكثرهما لان المحبة محبتان (احدهما) سرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح ودواء الهموم وهي محبة الحق سبحانه وتعالى بكل قلب والاخرى عذاب الروح وهم النفس وحبس

القلب وضيق الصدر ومادة كل بلاء وهي محبة غير الحق وأيضا جملة أسباب شرح الصدر دوام ذكر الحق في كل حال. وأيضا الاحسان الى خلق الله مما أمكن من جار ومال وغير ذلك. وأيضا الشجاعة. وأيضا تطهير القلب من الصفات المذمومة والرسول صلي الله عليه وآله وسلم كان صاحب الكمال في مجموع هذه الخصال ومن جعل اتباعه قصده يكون أكمل الخلق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

﴿ باب صيام النبي صلي الله عليه وآله وسلم ﴾

كان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان وكان يستغرق أوقاته بالذكر والصلاة والاعتكاف والتلاوة ويخص هذا الشهر العظيم بأنواع العبادات وكان يواصل في بعض لياليه وينهى غيره عن الوصال فقالوا أتواصل وتمهانا يا رسول الله قال «لست كهيتكم اني آيت عند ربي» وفي لفظ «أظل عند ربي يطعمني ويسقيني» وللعلماء في ذال الطعام أقوال (أحدها) أنه طعام وشراب محسوس فان هذا حقيقة اللفظ وليس في الظاهر ما يوجب العدول عن الحقيقة فتعين الحمل على الحقيقة (الثاني) ان المراد غذاء روحاني يحصل من المعارف ولذة المناجاة وفيضان اللطائف الالهية الواردة على قلبه الكريم وتوابعها من نعيم الارواح ومسرة النفس والروح والقلب ونور البصر ويحصل بذلك من القوة والمسرة ما يستغني به عن الغذاء الجسماني *

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادى
إذا اشتكت من كلال السير واعدتها روح القدوم فتحميا عند ميعاد

وهذا القول الثاني هو المختار لأنه يتصور الوصال لو حمل على حقيقة الطعام والشراب بل يبطل الصيام وكان من العادة أن لا يشرع في صيام رمضان إلا بعد رؤية الهلال على التحقيق أو بشهادة الواحد العدل كما صام مرة بشهادة ابن عمر ومرة بشهادة أعرابي واكتفى بمجرد أخبارها ولم يكلفها لفظ الشهادة فان لم يروم يشهد به أتم شعبان ثلاثين يوما ثم صام وأمر الناس

أن يصوموا بشهادة شخص واحد ويفطروا بشهادة شخصين وكان يعجل
 الفطر ويواظب على السحور ويؤخره وأمر الامة بالسحور وتأخيرها وأمر أن
 يفطر الصائم بثلاث رطبات فإن لم يجد فثلاث تمرات فإن لم يجد فماء وهذا غاية
 الشفقة على الامة لان الطبيعة أو ان خلو المعدة تقبل على الطعام أتم إقبال فاذا
 كان الحلو أول واصل إلى المعدة ينتفع البدن بقبوله غاية الانتفاع على الخصوص
 القوة الباصرة فإن انتفاعها بالحلو يكون أزيد من انتفاع سائر القوي ولما كان
 التمر حلو الحجاز وطبائعهم قد نشأت عليه كان انتفاعهم به أزيد من انتفاعهم
 بغيره من أنواع الحلوات من جهة الطب (وأما) من جهة الشرع وأسرار
 ذلك فالحق جل شأنه جعل تمر المدينة ترياقا لكل السموم ودواء لكل
 الموموم ببركة سيد العالم صلوات الله عليه وسلامه ومن ثم قال « ان في
 عجوة العالية شفاء من كل داء وانها ترياق أول البكرة » وقال في موضع آخر
 « من تصبح بسبع تمرات مما بين لابتيها ان يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » وليس
 يظهر للاطباء الرسميين في هذا المقام غير التحير ودوران الرأس وسر ذلك
 يعلمه أطباء القلوب - وفي وقت الافطار كان يقول هذا الدعاء (اللهم لك صمتنا وعلي
 رزقك أفطرنا فتقبل منا انك أنت السميع العليم) وفي إسناده مقال. وثبت في
 سنن أبي داود أنه كان يقول (اللهم لك صمت وعلي رزقك أفطرت) وجاء في
 بعض الروايات أنه كان يقول (ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر) وكان
 ينهى الصائم عن الرفث وعن الجهل وقال ان قاتله أحد أو شاتم فليقل إنى
 صائم . وللعلماء في هذه المسئلة ثلاثة أقوال (قال بعضهم السنة أن يقول في جوابه
 هذا اللفظ بلسانه وذا أظهر الاقوال) (وقال بعضهم يقول بقلبه ويدكر نفسه
 أنه صائم لئلا يشتغل بالجواب) (وقال بعضهم إن كان صومه فرضا يقول بلسانه
 وان كان سنة يقول بقلبه ليكون أبعد عن الرياء . *

° (فصل) °

كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا سافر في رمضان أفطر في بعض الأحيان
 وصام في بعضها وخير الناس في الصوم والافطار وكان إذا اقترب من العدو

أمر بالافطار وان وقع مثل هذا في الحضر وكان في افطار العسكر تقوية على العدو حل الافطار هـ وكان من العادة النبوية في ليالي رمضان أنه ان احتاج إلى الغسل اغتسل في الليل وفي بعض الليالي كان يؤخر ويغتسل بعد الصبح وكان يقبل أمهات المؤمنين في أيام رمضان والحديث الذي رواه ابن ماجه سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل قبل امرأته وهما صائمان فقال «قد أفطرا» اسناده ليس بثابت ولم يبلغ درجة الصحة. ومن أكل الطعام أو شرب الماء ناسيا لم يأمره بالقضاء وكان يقول ان الله هو الذي أطعمه وسقاه وكان يعد هذا الاكل والشرب بمنزلة أكل النائم وشربه وكان يحتجم في رمضان ويستاك وكان لا يبالي في المضمضة والاستنشاق ولم يصح في النهي عن السواك والاكتحال حديث وورد في هذا الباب حديثان «اكتحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو صائم» والآخر قال في الكحل «ليتقه الصائم» وهذان الحديثان ضعيفان لا يصلحان للاحتجاج هـ

﴿ فصل في صيام النافلة ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم نافلة حتى يظنوا أنه لا يفطر ويفطر حتى يظنوا أنه لا يصوم نافلة بعدها وكان لا يدع شهرا خاليا من الصيام وما يفعله العوام من صيام الاشهر الثلاث لم يرد فيه شيء. ونهي عن صيام رجب وقال في ستة شوال «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر» وكان يصوم عاشوراء ألبتة وصيام عاشوراء ثلاث مراتب (أفضلها) وأكلها ان يصوم ثلاثة ايام العاشر ويوم قبله ويوم بعده (المرتبة الثانية) ان يصوم التاسع والعاشر (المرتبة الثالثة) ان يصوم العاشر على انفراده واما صوم التاسع على انفراده فانه لا يجزي عن السنة واما يوم عرفة فان كان في الحج افطر ليتقوى على الدعاء والاجتهاد ولان الافطار في السفر افضل وايضا فانه كان يوم الجمعة وإفراد صوم الجمعة مكروه وايضا فان يوم عرفة لاهل الموقف عيد فانهم كانوا يجتمعون فيه كما يجتمع غيرهم في مواطن الاعياد. وورد في الحديث النبوي «يوم عرفة ويوم النحر وایام منی عيدنا أهل الاسلام» وكان في بعض

الاقوات يصوم يوم السبت والاحد وغرضه مخالفة اليهود والنصارى وفي حديث ام سلمة حيث قالوا اى الايام كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكثرنا صياما قالت يوم السبت والاحد ويقول انها عيد للمشركين فانا احب ان اخالفهم ولم يكن من العادة النبوية دوام الصيام بل نهى عن صوم الدهر وقال في حق الصائم لا صام ولا افطر وكان في غالب الايام اذا دخل بيته سأل هل عندكم مايؤكل فان قالوا لا قال فاني صائم ونوى الصيام وكان في بعض الاوقات ينوى صوم التطوع ولا يتم الصيام بل يفطر وقال من نزل علي قوم فلا يصومون تطوعا إلا باذنهم لكن طعنوا في اسناد هذا الحديث وكان يكره تخصيص يوم الجمعة بصوم ويقول انه يوم عيد فلا تصوموه إلا أن يتقدمه يوم أو يعقبه يوم فلا يكره إذا . وقد بين سر هذا في باب الجمعة *

﴿ فصل ﴾

لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر والانقطاع عن الغير الى الحق والاقبال على العبادات وموجب البعد عن الخلق وواسطة لزوال التفرقة والهجوم المغيرة وهذه المقاصد في حالة الصيام أكمل وأفضل لاجرم انه صلى الله عليه وآله وسلم بين للأنام تشريع الاعتكاف في افضل ايام الصيام وهي العشر الاواخر من شهر رمضان ولم يرد انه اعتكف بغير صيام أبدا وكانت عائشة رضی الله عنها تقول لا اعتكف الا بصوم واعتكف في جميع الرمضانات في العشر الاواخر ولم يفته الا رمضان واحد قضى اعتكافه في شوال واعتكف مرة في العشر الاول ومرة في العشر الاوسط ومرة في العشر الاخير ولما علم ان ليلة القدر في ذا العشر واظب اعتكافه الى آخر الحال * وكان اذا قصد الاعتكاف صلى الصبح ودخل معتكفه وهو خيمة كانت تنصب له في المسجد ليختلئ فيها وكان لا يأتي منزله الا لقضاء الحاجة وكان في بعض الاحيان يخرج رأسه من المسجد إلى حجرة عائشة رضی الله عنها لترجل له رأسه وتغسله ومن أراد من امهات المؤمنين زيارته عليه السلام في حال الاعتكاف

جاءت اليه وحين قيامها للرجوع كان يقوم معها ويعانقها ويقبلها وهذا المجموع كان في الليل وكان لا يباشر في مدة الاعتكاف وكان اذا اراد الاعتكاف يوضع له سرير في معتكفه ويفرش له عليه وكان اذا دخل منزله لقضاء الحاجة لا يشتغل باحد وكان يمر في بعض الاحيان على المريض من اهل بيته فلا يقف عنده ولا يسأل عن حاله وكان يعتكف في كل عام عشرة أيام وفي العام الاخير اعتكف عشرين يوماً وكان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة وفي العام الاخير عرضه مرتين وبالله التوفيق *

﴿ باب ﴾

﴿ حج النبي وعمره صلى الله عليه وسلم ﴾

جاءه العلماء على انه حج بعد الهجرة حجة وتلك حجة الوداع ولا خلاف انها كانت في السنة العاشرة من الهجرة واما قبل الهجرة فثبت في جامع الترمذي انه حج حجتين ونقل صاحب المحلى انه زاد على ثلاث واربع لكن لم يحفظ العدد ولما فرض الحج في العام التاسع اشتغل بتجهيز اسباب السفر في الفور واما قوله تعالي (واتموا الحج والعمرة) فانها نزلت في العام السادس وذا لا يدل على فريضة الحج والعمرة بل هو امر باتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيه *

﴿ فصل في سياق حج الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

لما عزم صلى الله عليه وآله وسلم على الحج أعلم أصحابه بذلك فاستعدوا للسفر بأجمعهم ووصل الخبر الي القرى والضياع القريبة من المدينة فتجهز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة وفي حال المسير الي مكة تلاحق الناس من كل الاطراف حتي تجاوزوا الحصر والعد وسافر في يوم الخميس أو السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة بعد أن صلى الظهر في مسجد المدينة وكان خطب قبل ذلك وعلم الناس شرائط الحج وأركانه وآدابه وكان ذلك في يوم الجمعة وذا يؤيد ان السفر كان في يوم السبت لكن ورد في الحديث الصحيح أنه «كان يجب إنشاء السفر في يوم الخميس» وثبت في صحيح البخاري «ما كان رسول الله

ﷺ يخرج في سفر إذا خرج الا في يوم الخميس » وبعد أن صلى الظهر رَجَلَ
 رأسه ودهنه وشد إزاره وسار بين الصلاتين حتى نزل بذي الحليفة وقصر
 صلاة العصر هناك وبات بها وصلى المغرب والعشاء والصبح والظهر فم له
 بها خمس صلوات واستصحب معه أمهات المؤمنين كلهن وطاف عليهن في تلك
 الليلة واغتسل لصلاة الصبح ثم اغتسل بعد الظهر أيضا للاحرام واستعمل
 الخطمي والاشنان وقدمت اليه عائشة رضي الله عنها طيبا مراكبا من أجزاء
 طيبة الرائحة وفيه مسك فطيب منه بدنه ورأسه حتى كأن يري ويص المسك
 في مفرقه المبارك ولحيته الشريفة بعد الاحرام ثم بعد ذلك لبس رداء إجماره
 وصلى الظهر قصرا وأحرم في المسكن الذي صلى فيه ولم ينقل أنه صلى قبل
 الاحرام صلاة خاصة لاجل الاحرام غير صلاة فرض الظهر . وقبل الاحرام
 قلد البدنة بنعلين وشق سنامها من الجانب الايمن وسح الدم . واختلف في
 إجماره وكيفية تلبيته فاكثر الاحاديث الصحيحة مصرحة بأنه أحرم بالحج
 وعمرة وقال «أتاني آت من ربي عز وجل فقال صل في هذا الوادي المبارك
 وقل عمرة في حجة» والاحاديث الصريحة في هذا المعنى تزيد علي عشرين
 وأيضا وردت أحاديث كثيرة شهدت بأن إجماره كان بافراد الحج وفي
 صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أهل بالحج مفردا وثبت في الصحيحين «خرجنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانذكار الحج» وعند مسلم عن ابن عمر
 «أهلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحج مفردا» وورد في التمتع أحاديث
 صحيحة . وطريق التوفيق بين تلك الاحاديث هو أن الاحرام كان بالحج أولا
 ثم أدخل العمرة في الحج فصار قارنا وقال «دخلت العمرة في الحج إلى يوم
 القيامة» والذي قال بالتمتع مراده التمتع القوي وهو الانتفاع والالتذاذ ولا
 شك أن الانتفاع والالتذاذ حاصل في القرآن لانه يكتبني عن نسكين بنسك
 واحد ولا يحتاج إلى أفراد عمل لكل واحد من الحج والعمرة (وأما أصحابه
 رضي الله عنهم فقد كانوا على ثلاثة أقسام (قسم) أحرموا بالحج والعمرة أو بمجرد
 الحج ومعهم هدى وبقوا على إجمارهم (وقسم) نان لم يكن معهم هدى وأحرموا

بالحج فأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجعلوا الحج عمرة يعني يقبلون الاحرام بالحج إلى الاحرام بالعمرة ويتمون أفعال العمرة قبل يوم عرفة ثم يحرمون بالحج من مكة ويمضون إلى عرفة (وقسم ثالث) هم جماعة لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج فأمرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبلوا الاحرام إلى العمرة وهذا هو فسخ الحج بالعمرة *

﴿ فصل ﴾

وقع السهو لخمس من الطوائف في صفة حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الطائفة الاولى) هم القائلون بأنه حج مفردا ولم يعتمر إذ ذاك (الطائفة الثانية) هم القائلون بأنه تمتع بالعمرة ثم أحل ثم أحرم بالحج (الطائفة الثالثة) هم القائلون بأنه تمتع ولم يحل من إحرامه لأنه ساق الهدى (الطائفة الرابعة) هم القائلون بأنه كان قارنا قرانا جمع فيه بين طوافين وسعيين (الطائفة الخامسة) هم القائلون بأنه كان مفردا ثم بعد ذلك أحرم بالعمرة من التنعيم ﴿وأما﴾ إحرام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فوقه فيه سهو لخمس طوائف أيضا (الطائفة الاولى) هم القائلون بأنه لبي بعمرة مجردة واستمر على ذلك (الطائفة الثانية) هم القائلون بأنه لبي بالحج مفردا واستمر عليه (الطائفة الثالثة) هم القائلون بأنه لبي بعمرة ثم أدخل عليها الحج (الطائفة الرابعة) هم القائلون بأنه لبي بالحج مفردا ثم بعد ذلك أدخل عليه العمرة وهذا من خصائصه (الطائفة الخامسة) هم القائلون بأن إحرامه كان مطلقا ولم يعين نسكاً ثم بعد ذلك جاء الوحي بالتعيين ولما على الظهر أحرم ولبي ثم ركب ناقته ولما انبعثت ناقته لبي أيضاً ثم لما صعد على طرق البيداء لبي أيضاً وكان حينما يقول لبيك بحجة وعمرة وحينما يقول لبيك بحجة وكان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وكان يرفع صوته يسمع جميع الصحابة ويقول ارفعوا أصواتكم وكان راكباً على بعير عليه رحل وليس عليه شتد ولا محارة ولا محمل ولا هودج ولا محفة وداوم يلبى على هذه القاعدة والصحابة يزدنون ويتقصون في التلبية ولم ينكر عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجمع شعر رأسه صلى الله عليه وآله

وسلم في مدة الاحرام ولبده بالخطمي والغسل بكسر الفين المعجمة وهو عبارة
عن دواء يجتمع به الشعر ولما وصل إلى منزل الروحاء رأى حمار وحش مجروحاً
فقال دعوه فسيأتي الذي جرحه عن قريب فأتي على الفور وقال يا رسول الله
افعلوا بصيدي ما شئتم فأمر أبا بكر فقسمه على الرفاق ثم لما وصل إلى منزل
اثابة (وهو منزل بين الروية والعرج) رأى ظبياً نائماً في ظل شجرة فأمر شخصاً
أن يكون بالقرب منه لئلا يتعرض له أحد من المحرمين ولما بلغ العرج تخلف
غلام لابني بكر كان معه جمل هو زاملة الرسول وأبني بكر فانتظروه زماناً ولما
وصل لم يروا الجمل معه فقال أبو بكر أين البعير قال فقدته فقام إليه أبو بكر
وضربه على سبيل التأديب وهو يقول جهلناك علي بعير واحد فضيعته
والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتبسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع
ولم يزد علي هذا ولما بلغ الابواء جاء إليه صعب بن جثامة بحمار وحش هدية
فلم يقبله منه ولما رأى الكراهة في وجهه قال لم ترد هديتك لكننا محرمون ولما بلغ
وادي عفان قال يا أبا بكر أتعلم أي واد هذا فقال وادي عفان قال لقد مر بهذا
الوادي هود وصالح عليهما السلام على جبلين أحمرين خطامهما من ليف
وعليهما إزاران من صوف ورداءان من صوف هما عباءتان وهما يلبيان بالحج
ولما بلغ سرف حاضت عائشة فخرنت وبكت فقال لما تبكين لعلاك حضت قالت
نعم قال لآهتمين هذا شيء كتبه الله على بنات آدم وليس في حجك قص اعلمي كل
ما يعمله الحاج لكن لا تطوف بالبيت وكانت عائشة قد أحرمت بالعمرة فقط فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اغتسلي وأحرمي بالحج ففعلت ولما رأت الطاهر
طافت وسعت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أحللت من الحج والعمرة
فقلت إني لا جد في نفسي دغدغة لاني ما طفت للعمرة إلا بعد الوقوف فأمر أخاها
عبد الرحمن أن يمضي بها لتحرم من التنعيم وتأتي بعمرة. وللعلماء في هذه العمرة
أقوال (قال) بعضهم هي عمرة زيادة أمرها بالتطيب خاطر عائشة رضي الله عنها
وجبر قلبها والافطوا فهاوسعيها كاف عن حجها وعمرتها وهي كانت متمتعة وأدخلت
الحج على العمرة فصارت قارنته وذا أصح الاقوال والاحاديث لا تدل على

غيره (وقال) بعض العلماء لما حاضت أمرها برفض العمرة الأولى التي كانت أحرمت
 بها هذا قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه ه وما وصل الرسول صلى الله عليه وآله سلم
 سرف قال من لم يسق الهدى وأراد أن يجعل نسكه عمرة فليفعل ومن ساق
 الهدى فليمض على نسكه . وما وصل مكة قال علي طريق الجزم والوجوب من لم
 يسق الهدى فليجعل نسكه عمرة وليحل من إحرامه ومن ساق الهدى فليقيم
 علي إحرامه وقال لولا أني سقت الهدى لاحتلت . وما وصل إلى ذي طوى قبل
 دخوله مكة نزل ثم وبات ليلة الأحد الخامس من ذي الحجة وصلى الصبح هناك
 واغتسل ودخل مكة بعد طلوع الشمس بهنيئة من طريق الحجون . وما وصل إلى
 باب بنى شيبه وشاهد السكبة أخذ يدعو بهذا الدعاء « اللهم زد بيتك هذا تشريفا
 وتعظيما وتكريما ومهابة » وفي بعض الروايات انه لما نظر إلى السكبة رفع يديه
 وكبر وقال « اللهم أنت السلام ومنك السلام حينما ربنا بالسلام اللهم زد هذا
 البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه واعتمره تكريما وتشريفا
 وتعظيما وبرا » وما دخل المسجد قصد نحو السكبة ولم يصل تحية المسجد ولما حاذى
 الحجر الأسود استلمه ولم يرفع يديه ولم يكبر كما يفعله الجهال ثم أخذ في الطواف
 وجعل السكبة على جانبه الأيسر ولم يرد شيء من الادعية في مكان بعينه باسناد
 صحيح الا الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود فانه قال هناك (ربنا آتنا
 في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ورمل في ثلاثة أشواط
 والرمل أن يسرع في مشيته ويقارب بين خطواته كما يفعله المصارعون . وأخرج
 رداءه من تحت ابطه الأيمن وجعله على كتفه الأيسر وسار في بقية الطواف
 على هيئة وكما حاذى الحجر الأسود أشار إليه بمحجن كان في يده ثم قبل رأس
 ذلك المحجن والمحجن عصا قصيرة في رأسها اعوجاج وكان اذا حاذى الركن
 اليماني أشار إليه بالاستلام ولم يثبت انه اذ ذاك قبل يده او قبل المحجن وأما
 الحجر الأسود فانه قبله ووضع وجهه المبارك عليه وفي بعض الاحيان كان يضع
 يده عليه ثم يقلبها وكان يقول في حال الاستلام « باسم الله والله أكبر » وكما
 حاذى الحجر الأسود قال الله أكبر وكان في بعض الاحيان يضع جبهته عليه

ساجداً ثم يقبله كل هذا ثابت في الصحيح. وكان اذا فرغ من الطواف قام خلف المقام وتلا قوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) ثم صلى ركعتي الطواف والمقام اذ ذاك كان موضوعاً قريباً من الكعبة وقرأ في الركعة الاولى الفاتحة وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد ثم بعد الصلاة توجه الى الحجر الاسود وجاء فاستلمه ثم خرج من اوسط ابواب الصفا وهي خمسة ثم قصد الصعود ولما قرب منه تلا قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال «ابدأ بعباد الله به» وفي رواية للنسائي «ابدؤا» على صيغة الامر ثم صعد على الصفا قدر ما يتمكن معه من مشاهدة الكعبة ثم استقبلها وكبر الله وقال «لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده» ثم دعا وقال «اللهم انا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنباً الا غفرتة ولاهما الا فرجتة ولا كرباً الا كشفته ولا حاجة الا قضيتها» ثم هلّل ثلاثاً ثم دعا بما أحب ثم هبط وروت صفة بنت شيبه أنه كان يقول بين الصفا والمروة «رب اغفر وارحم انك انت الاعز الاكرم» وكان يسعى ماشياً يسير من الصفا الى المروة ومن المروة الى الصفا فلما اشتد الزحام ركب ناقته وتم سعيه راكباً وأما طواف القدوم فانه كان فيه ماشياً كما ذكرنا لما روي جابر أنه رمل في الاشواط الثلاثة الاولى وذا لا يتصور للراكب وأما طواف الركن فانه أتى به راكباً لعذر وكان يختم السعي بالمروة وكلما وصل اليها قرأ الاذكار والدعوات التي قرأها على الصفا ولما تم السعي قال للصحابة ألا من لم يسق الهدى فليجعلها عمرة وفرض عليهم التحلل التام من وطء وطيب ولبس مخيط ثم أقاموا على ذلك الي يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لولا اني سقت الهدى لاحلت» وأما ما ورد في بعض الروايات من أنه صلى الله عليه وآله وسلم أحل فانه لم يثبت بل هو غلط وهنا دعا فقال اللهم ارحم المحلقين ثلاث مرات والمقصرين قالها مرة وسأل سراقه بن مالك رسول الله صلى الله عليه وآله

وآله وسلم عن الفسخ والاحلال أخاص هو في هذا العام أم حكم دائم فقال
 بل حكم دائم الي الابد. وأبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير لم يحلوا من احرامهم
 لما ساقوه من الهدى وأمهات المؤمنين أحلان وكذا فاطمة رضي الله عنها فانها
 لم يكن معها هدى. وفي هذه المدة حيث أقام تصبر الصلاة بمنزله ظاهر مكة ولما
 مضت أربعة أيام الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء وتضحى النهار من يوم الخميس
 توجه بجميع الناس الي منى وأحرم اذ ذاك بالحج من كان قد أحل كل واحد من
 منزله. ولما وصل صلى الله عليه وسلم الي منى نزل وصلى الظهر والعصر وبات بمنى وكانت
 ليلة الجمعة ولما ارتفعت الشمس سار من منى علي طريق ضب الي عرفة وكان
 بعض الصحابة يكبر وبعضهم يلبي ولم ينكر صلي الله عليه وآله وسلم علي أحد
 ولما بلغ الي غمرة وهو موضع قريب من عرفات وجد قبته قد ضربت هناك فنزل
 وأقام حتى زالت الشمس ثم أمرهم بشد رحل ناقته وركبها وخطب خطبة بين
 فيها قواعد الاسلام بأسرها واقنع أساس الشرك والجاهلية بالسكية وذكر
 ما كان محرما في جميع الملل وجعل أوضاع الجاهلية بأسرها وكل ربا كان فيها
 تحت قدمه ووصى أمته بملاطفة النساء وأمرهم بالتمسك بكتاب الله وأخبرهم
 أنهم لن يضلوا ماداموا به متمسكين ثم سألهم ماذا تقولون وبماذا تشهدون
 قالوا نشهد انك بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة فرفع صلى الله عليه وسلم أصبعه
 نحو السماء وقال «اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد» ثم قال أأفليباغ الشاهد منكم
 الغائب ثم نزل وأمر بلالا بالاذان والاقامة وصلى الظهر والعصر جمعا وقصرا
 وصلى معه أهل مكة كما صلي ثم بعد ذلك ركب وسار الي عرفات ولما قرب من
 الصخرات الكبار استقبل القبلة ووقف علي راحلته وأخذ في الدعاء والتضرع
 والابتهال الي أن غربت الشمس ثم سار وقال عرفات كلها موقف لا يخلص
 مكان دون مكان وكان في حالة الدعاء قد رفع يديه نحو صدره كالسائل المسكين
 ومن جملة ما حفظ عنه من دعوات ذلك الموقف (اللهم لك الحمد كالذي تقول
 وخير مما تقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك ما آبي ولك رب
 تراني اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم

انى أعوذ بك من شر ما يجي به الريح اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني
وتعلم سرى وعلايتي ولا يخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث
المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وابتهل اليك
ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبتك
وقاضت لك عيناه وذل جسده ورغم أنفك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا
وكن بي رؤفا رحيا يا خير المسؤلين ويا خير المعطين) هذا الدعاء ثابت في معجم
الطبراني وروى الامام أحمد في مسنده ان اكثر دعاء النبي ﷺ في يوم عرفة
(لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يده الخير وهو على كل شيء
قدير) وفي سنن البيهقي ان النبي ﷺ قال أكثر دعائي ودعاء الانبياء في يوم عرفة
«لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري
ويسر لي أمري أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وقتنة القبر اللهم اني أعوذ
بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما يهب به الريح ومن شر بوائق
الدهر» ونزل من الايات في عرفات (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً) وفي ذلك اليوم سقط رجل عن راحلته بعرفات فامر
ﷺ أن يغسل بالماء والسدر وأن يدرج في ثوبي إحرامه وأن لا يطيب
ولا يغطي رأسه ولا وجهه وقال انه يبعث ملبيا لما أفاض بعد تمام الغروب كان
أسامة بن زيد رديفه وكان صلى الله عليه وآله وسلم يجذب زمام الراحلة اليه بحيث
إنه كان رأسها يحك الرجل وكان يقول أيها الناس اتئدوا مهلا مهلا ليس الخير في
السوق ولا التقوى في العجلة وكان يرجع في طريق المأزمين يقصد ما قصده في
الخروج الي مصلى العيد من طريق الرجوع من أخرى وفي أثناء ذلك ربما
أرخت زمام راحلته ليكون السير بين السريع والبطيء واذا وصل الى مكان وسيع
حركها بسرعة واذا بلغ نشزا من الارض أرخت لها لتسير الهوينا وكان يلبي
في طريقه ومال الى بعض الشعاب وتقض وضوءه ثم توضع وضوءه اخفقا فقال
أسامة الصلاة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة أمامك ثم ركب حتى

أنى المزدلفة فتوضأ وضوءاً كاملاً ثم أمر بالأذان والاقامة وصلى المغرب قبل
 أن تحل الرجال بل قبل أن تنأخ الجمال ولما حلوا رحلهم أقيمت الصلاة وصلى
 العشاء أيضاً بغير أذان ولم يصل بين هذين الفرضين صلاة أصلاً ثم بات بالمزدلفة
 إلى أن تنفس الصبح ولم يجي تلك الليلة ولم يصح شيء من الأحاديث في إحياء
 ليلة العيد ورخص لضعفاء قومه أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر ولا يرمون
 إلا بعد الطلوع وأما قول عائشة أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أرسل
 أم سلمة في ليلة النحر فرمت الجمار قبل الفجر ثم مضت فطافت طواف الركن
 ثم رجعت إلى منى ففي أسناده مقالات وأنكره الأساطين من المحدثين. وأرسل
 جمعاً من النساء فرموا الجمار في الليل خوفاً من الزحام ولأناس في هذه المسألة ثلاثة
 أقاويل يجوز عند الشافعي وأحمد رمي جمرة العقبة بعد نصف الليل لكل
 وأبو حنيفة يقول لا يجوز إلا بعد طلوع الفجر وقال جماعة لا يجوز للقادر إلا بعد
 طلوع الشمس بخلاف المعذور فإنه يجوز له ذلك. ولما طلع الفجر صلى الصبح
 لأول وقتها لا قبل الوقت كما يظنه البعض ثم ركب وجاء إلى المشعر الحرام
 وهو تل في وسط المزدلفة عليه عمارة محدثة وأما قول بعض مشايخ الحديث
 والفقهاء هو جبل صغير على يسار الحاج وهذا المقام المشهور ليس بالمشعر فهو
 منهم والصحيح أن المشعر الحرام هذا المعروف المعمور. ثم وقف صلى الله عليه
 وآله وسلم في المشعر الحرام واستقبل القبلة واشتغل بالدعاء والتضرع والابتهاج
 والتكبير والتهليل إلى قريب طلوع الشمس ثم دفع وقد أورد الفضل بن
 العباس وإسامة يمشي بين قريش وفي هذا الطريق أمر الفضل بن العباس أن
 يلقط له حصي الجمار فالتقط سبعة أخذها صلى الله عليه وآله وسلم على كفه
 المبارك وجل عنها الغبار وقال أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فأنما
 أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وفي هذه الطريق اعترضته امرأة جميلة من
 خثعم وقالت إن أبي شيخ كبير لا يمسك على البعير فأمرها بالرجوع عنه فلاحظها
 رديته الفضل بن العباس فجعل صلى الله عليه وآله وسلم يده وقاية لئلا يتلاحظها
 واعترضته أيضاً امرأة وأخبرت أن أمها في غاية العجز وأنها إن ربطت على البعير

فريماً هلسكت فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كان علي أمك دين كنت تقضيه
 عنها ثم لا تقال نعم كنت أقضيه قال فدين الله أولى بالقضاء ٥ ولما بلغ بطن محسر
 وهو واد في أول منى ساق راحلته سوقاً شديداً وأسرع الخروج منه وهكذا
 جرت العادة النبوية في جميع المواطن التي أنزل الله فيها البلاء على أعدائه وفي
 بطن محسر جرى على أصحاب الغيل ما هو في القرآن وسمى محسراً لأن الغيل حسر
 فيه عن الحركة وعجز عن السير نحو مكة وبطن محسر برزخ بين منى والمزدلفة
 وليس منهما كما أن عرنة ونمرة برزخ بين عرفة والمشعر الحرام وكذلك لم يزل
 يحرك راحلته في الطريق الوسطي إلى أن هبط في الوادي الذي تجاه جرة العقبة
 فقام والكعبة على يساره ومنى على يمينه ورمى الجمار سبعا وهو راكب واحدة
 بعد واحدة في محل الجمرات يكبر مع كل واحدة وبعد رمي الجمار قطع التلبية
 وفي ركابه أسامة بن زيد وبلال أحدهما أخذ بزمام الراحلة والآخري يظله بمظلة
 ليقية حر الشمس ثم رجع إلى منزله بالقرب من مسجد الخيف وخطب خطبة
 بليغة بلغ صوتها إلى جميع أهل الخيام في خيامهم وهذا من جملة المعجزات النبوية
 أعلم فيها بحرمة يوم النحر وفضله عند الله سبحانه وتعالى وأمرهم بتعلم مناسك
 الحج وقال لعلي لأحج بعد عامي هذا وأمر بالسمع والطاعة للأمراء الداعين
 إلى كتاب الله وأنزل الانصار والمهاجرين منازلهم وقال لا تكفروا بعدي
 يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ومن جني جنابة فعلي نفسه وقال اعبدوا ربكم
 وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وودع الناس
 وقال ليبلغ الشاهد منكم الغائب ثم سار إلى المنحر وهو موضع مشهور في وسط
 سوق منى ونحر ثلاثا وستين بدنة بيده وهن قيام معقولات وهذا عدد سني
 عمره المبارك وأمر أمير المؤمنين علياً بنحراً تمام المائة فنحروا سبعاً وثلاثين وأمره
 أن يتصدق ببجلاها ورجلها وأن لا يعطى أجره الجزار منها بل من ماله عليه السلام
 (وأما حديث أنس أنه نحر سبعا فتوهم بعضهم أنه معارض لهذا الحديث وجوابه
 أن أنسا شاهد سبعا ثم غاب وجابر شاهد تمام ثلاث وستين وقال بعضهم نحر
 سبعا بيده المباركة إلى تمام ثلاث وستين كان طرف الحربة بيد النبي صلى الله عليه

وآله وسلم وطرفها الآخر بيد علي وبعد ثلاث وستين نحر أمير المؤمنين سبعا وثلاثين على انفراده . ولما فرغ من النحر أعلم أن منى كلها منحرة وأن فجاج مكة كلها سبيل وأن المنحر والنحر لا يختص ببعض الاماكن وأمر بطلب الحلاق فحلق رأسه ولما وقف الحلاق وهو معمر بن عبد الله بن نضلة على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ الموسي بيده قال له ياعممر أمكنك رسول الله من شحمة أذنيه وفي يدك الموسي فقال معمر نعم وان ذلك لمن نعم الله على ومنه قال أجل ثم أشار الى الحلاق أن يبدأ بالجانب الايمن فلما فرغ منه قسم الشعر على من حضر في ذلك الجانب ثم أشار اليه أن يحلق الجانب الايسر فاعطى جميع ذلك لابي طلحة وكان قد أخذ نصيبا من الجانب الايمن قبل كل أحد ولما فرغ من الحلق وكان قد أصاب كل أحد شعرة أو شعرتين قلم اظفاره وقسم ذلك ايضا على الناس وحلق اكثر الصحابة وقصر اقلهم ثم بعد ذلك سار الى مكة قبل الزوال فطاف وهذا الطواف يسمى طواف الافاضة وطواف الزيارة وطواف الصدر وما ورد في بعض الاحاديث من انه صلى الله عليه وآله وسلم اخر طواف الزيارة الى الليل فشايع الحديث يقولون هو غلظ ولما فرغ من الطواف جاء الى بئر زمزم فوجدهم ينزعون الماء فقال لولا اني اخشى انكم تغلبون لنزعت معكم واعنتكم على السقاية فعرضوا عليه دلوا فتناولها منهم وشرب قائما وشربه قائما إما لبيان جواز ذلك وإما للضرورة والحاجة وقد كان نبي الله في هذا الطواف راكبا رحلته وسبب الركوب قال بعضهم كثرة الازدحام أو ليكون مشرفا على الناس ليراه الحاضرون فيتعلموا الطواف وأدابه وقال بعضهم كان في رجله المباركة عارض يؤذيه فركب ضرورة ورجع من حينه الى منى وصلى الظهر بها كذا في الصحيحين . وفي صحيح مسلم انه صلى الظهر بمكة وأكثر العلماء يرجحون انه صلى الظهر بمكة لان هذا الحديث رواه صحابيان جابر وعائشة وذلك رواه ابن عمر (الثاني) أن عائشة أخص واعلم باحواله وبعضهم يرجح حديث ابن عمر لانه متفق عليه وليس فيه اضطراب ورجال إسناده اعظم وأجل ولما رجع الى منى بات بها واقام في اليوم الثاني الى ان

زالت الشمس فسار على قدميه قبل أداء صلاة الظهر نحو الجمرة الأولى وهي
 التي تلي مسجد الخيف ورمى سبعا يكبر مع كل ولما فرغ من الرمي تقدم قليلا
 الى السهل واستقبل القبلة ودعا قدر سورة البقرة ولما فرغ من الدعاء أتى الجرة
 الوسطى ورمى كما فعل في الأولى وأخذ على الطريق اليسرى ومشى خطوات
 نحو وسط الوادي ودعا قدر مادعا في الأولى وسار نحو جرة العقبة واستقبلها
 وجعل الكعبة على يساره ومنى على يمينه ورمى ورجع من حينه ولم يشتغل بالدعاء
 ولهذا وجهان (أحدهما) أنه كان زحام عظيم ولم يتيسر الوقوف (الثاني) أن دعاء
 هذه العبادة كان قد أتى به في صلب العبادات والدعاء في صلب العبادة
 أفضل منه في غير العبادة وكذا دعاء الصلاة غالبا كان في آخر التشهد قبل
 السلام ولم يتعجل في النفر بل أقام ثلاثا وبعض الرابع السبت والاحد والاثنين
 وبعد الزوال من يوم الثلاثاء رمى وسار الى المحصب وهو موضع خارج مكة
 يقال له الابطح أيضا فنزل به حيث كان أبو رافع المقدم على أحماله قد نزل ثمة
 وضرب الخيمة بحسب الاتفاق لآعن أمر فنزل صلى الله عليه وآله وسلم
 وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء هناك ونام قليلا فلما استيقظ ركب
 وسار الى مكة وطاف للوداع ولم يرمل وفي هذه الليلة رغبت عائشة في العمرة
 فأجازها ليلا وأرسل معها عبد الرحمن إلى التنعيم وهو خارج عن الحرم
 فأحرمت وجاءت الى مكة وتممت عمرتها قبل مضي الليل ورجعت الى المحصب
 فقال صلى الله عليه وآله وسلم فرغتم فقالوا نعم فأمر بالرحيل فرحلوا بأجمعهم
 وطاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طواف الوداع ثم توجه الى المدينة .
 واختلف العلماء في التحصيب (قال) بعضهم أمر اتفاقي ولم يكن من السنن
 ولا من الآداب (وقال) بعضهم هو من سنن الحج وتمام المناسك لان النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم قال إنا نازلون غدا بنخيف بنى كنانة حيث تقاسموا
 على الكفر والمراد بنخيف بنى كنانة المحصب لان قريشا وبنى كنانة
 تعاهدوا وتحالفوا هناك على أن لا يخالطوا بنى هاشم ولا ينادوا بهم
 ولا يواصلوهم حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصص

صلى الله عليه وآله وسلم أن يظهر شعائر الاسلام حيث أظهروا شعائر الكفر والله أعلم *

* (فصل) *

(في دخول الكعبة والوقوف بالملتزم في طواف الوداع)

قال جماعة من العلماء والفقهاء لما حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الكعبة ودخول الكعبة من سنن الحج والاحاديث والآثار الدالة على أن دخول الكعبة لم يكن في هذه السنة بل في عام فتح مكة وفي الصحيحين قال ابن عمر دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة على ناقه لأسامة حتى أتاه بفناء الكعبة فدعا عثمان بن طلحة بالفتاح فجاء ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة فأجافوا عليهم الباب ملياً ثم فتحوه فبادرت الناس قال ابن عمر فوجدت بلالا على الباب فقلت أين صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بين العمودين المقدمين قال ونسيت أن أسأله كم صلى وهذا الحديث صريح في أن دخول البيت كان عام فتح مكة وقال إني دخلت البيت ووددت أني لم أكن دخلت اني أخاف أن أكون قد أتعت أمتي من بعدى . وسألت عائشة دخول البيت فقال صلى الله عليه وآله وسلم صلى في الحجر ركعتين فكأنما صليت في الكعبة (وأما) الوقوف في الملتزم ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً بين الركن والباب واضعاً صدره على جدار الكعبة باسماً ذراعيه وكفيه وهذا يحتمل أن يكون عام الفتح ويحتمل أن يكون عام الحج وكأنه كان في العامين لأن مجاهداً والامام الشافعي وجماعة من العلماء قالوا بأنه يستحب بعد طواف الوداع أن يقف بالملتزم ويدعو لأنه ما وقف به أحد ودعا إلا استجيب له . ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبح تجاه الكعبة قرأ في الصلاة سورة ق والطور ثم توجه الى المدينة ولما وصل إلى منزل الروحاء ليلة الجمعة رأى جمعا فسلم عليهم وسألهم عن شأنهم فقالوا نحن مسلمون فمن أنت قال أنا رسول الله فجاءت امرأة وقدمت طفلاً

وقالت أیصح حج هذا الطفل قال نعم وتثابین أيضا ولما بلغ الى ذی الخليفة نزل بها وبات فلما أصبح سار ولما شاهد المدينة « کبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شریک له له الملك وله الحمد وهو على کل شیء قدير آیون تائبون عابدون ساجدون لرَبنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده» ثم دخل المدينة .

﴿ فصل ﴾

اعلم أن الذبائح التي تحصل بها القرية ثلاثة أنواع (أحدها) الهدى (الثاني) الاضحية (الثالث) العقيقة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرسل للهدى الغنم والابل وكان يهدي عن أمهات المؤمنين البقر ولما حج ساق الهدى معه ولما اعتمر أيضا ساق معه الهدى وكان اذا قام في بعض الاعوام أرسل الهدى مع من يذهب الى مكة ولم يكن في حالة ارسال الهدى يحرم عليه شيء . وكان من عاداته اذا أهدي غنما أن يقلدها واذا أهدي ابلا قلدها وأشعرها وقد تقدم بيان ذلك وكان إذا أرسل الهدى على يد أحد أمره اذا أشرف شيء على الهلاك أن يذبحه ويصبنغ نعله بدمه ويضرب به صفحته ولا يأكل منه هو ولا من في تلك الصحبة وان حضر أجنب قسم المذبوح بينهم وكان يهدي البدنة والبقرة عن سبعة وكان يبيع ركوب الهدى وقت الحاجة ما لم يجد غيره وينحر الابل قائمة معقولة اليسار ويقول عند النحر « بسم الله والله أكبر» وكان اذا ذبح الغنم جعل قدمه المباركة على صفحتها وأباح لامته أن يأكلوا من هديهم ويتزودوا وكان يقسم الهدى حينما وحينما يقول من له حاجة فليقطع لنفسه واستدل بعضهم بهذا على جواز الانتهاب في النحر وما ساق من الهدى في العمرة نحره عند المروة اليه وما ساق في الحج نحره في منى ولم ينحر أبدا إلا بعد صلاة العيد ولم ينحر قبل يوم العيد أبدا وهذه الامور مرتبة هكذا في يوم العيد رمى جرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف .

﴿ فصل ﴾

(في قربان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

لم يترك الاضحية قط . ضحي بكبشين من الضأن ذبحهما بعد صلاة العيد
وقال من ذبح قبل صلاة العيد فليعد فانها ليست بقربة وانما هي شاة لحم
حصلها لاهله وقال يجزي من الضأن ما كان لسنة ومن غيره ما كان لسنتين
فصاعدا ومجموع يوم العيد وثلاثة أيام التشريق أيام ذبح * ومن السنة النبوية
أن من قصد الاضحية في يوم العيد أن لا يأخذ من شعره اذا هل هلال ذى
الحجة ولا من ظفره وأن يكون كالبحر وأن يختار لاضحيته السمين السالم من
العيوب لا العوراء ولا العمياء ولا معضوبة الاذن ولا مقطوعتا * وكان من
العادة النبوية أن يذبح الضحايا في المصلى قال جابر حضرت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لما فرغ من الصلاة خطب ولما فرغ من الخطبة ونزل عن
المنبر جاؤا بكبش فذبحه صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال « بسم الله والله أكبر
هذا عنى وعن لم يضح من أمى » وثبت في سنن أبي داود أنه ضحي بكبشين
أقرنين أملحين موجوءين فلما وجهها قال « وجهت وجهى للذى فطر السموات
والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم منك ولك
عن محمد وأمه بسم الله والله أكبر ثم ذبح » وأمر الناس بالاحسان في الذبح وقال « إن
الله تعالى كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فاحسنوا القتل واذا ذبحتم
فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » ومن الاحسان أن
لا يذبح بحضور البعض وأن لا يشرع فى السليخ الا بعد كمال الموت .

﴿ فصل فى السنة النبوية فى العقبة ﴾

العقبة اسم أول شعر نبت على رأس الطفل لانه يعق اللحم والجلد أى يشقهما
ويخرج وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يكره هذا الاسم سنل عن العقبة
قال لا أحب العقوق فقالوا نجعل نسكاعن الولد فقال من أحب أن يؤدى نسكا
عن الولد فمن الغلام شاتين وعن الجارية شاة وورد فى الحديث الصحيح « ان

الغلام رهينة بعقبة تذب عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمي «قال الامام احمد
معني الحديث ان الولد محبوب عن ان يشفع لوالديه ما لم يؤدوا عنه العميقة» وقال
بعضهم هو ممنوع ومحبوس عن الخيرات وازيادات ما لم يؤدوا عنه العميقة
ووقع في بعض الروايات بدل ويسمي ويدي وقال قتادة تفسيره ان الشاة اذا
ذبحت أخذ قليل من صوفها وجعل في الدم السائل من المذبح ثم وضع على رأس
الطفل ليسيل من الدم على رأسه مثل الخيط ثم يغسل ويحلق رأسه (والصواب) أن
هذا تحريف من بعض الرواة لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عتق عن الحسن
والحسين بشاتين ولم يفعل ذلك وهذا الفعل بعوائد الجاهلية أشبه والله أعلم
وصح انه صلى الله عليه وآله وسلم عتق عن الحسن بشاة وعن الحسين بشاة وامر
فاطمة بحلق رأسه وان تصدق بوزن شعره فضة ولما وزن كان قدر درهم ولكن
حديث عن الغلام شاتان أقوى وأصح لانه يرويه جماعة من أكابر الصحابة
وأياها الفعل يدل على الجواز والقول أقوى من الفعل وآتم لان الفعل يحتمل
الاختصاص وأياها الفعل يدل على الجواز والقول على الاستحباب وأياها قصة
ذبح العميقة عن الحسن والحسين متقدمة على حديث أم ذر لانها عام أحدو العام
الذي بعده وحديث أم ذر عام الحديبية وأياها الحق جل شأنه فضل الذكر على
الانثى في الميراث وفي جميع الامور وذا يقتضي الفرق في هذا الباب أيضا وفي
حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذبح العميقة عن نفسه بعد
النبوة ولكن في اسناده ضعف . وقال أبو رافع رأيت النبي صلى الله عليه وآله
وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة * وأما تسمية المولود
فالسنة أن يكون في اليوم السابع وأما الختان فابن عباس رضي الله عنهما يقول
كانت الصحابة يختنون أولادهم بعد البلوغ * وقال مكحول حين ابراهيم صلى الله
عليه وآله وسلم ابنه اسحاق عليه السلام في اليوم السابع واسماعيل عليه السلام
في السنة الثالثة عشر فبقيت السنة في ولد اسماعيل أن يختنوا في الثالثة عشر *
وكان من العادة النبوية أن يسمي الولد باسم حسن وقال ان أحب أسماء لكم
الى الله عبدالله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهام وأفبحها حرب ومرة وقال

ان أخرج اسم عند الله رجل تسمي ملك الاملاك وقال لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلاح فانك تقول اتم هو فلا يكون فيقول لا انما هن أربع فلا تزیدن على وكان اذا سمع اسما مستكرها غيره باسم حسن . غير اسم عاصية وقال انما أنت جميلة وبرة سماها جويرة وقال لشخص ما اسمك فقال اصرم فقال بل أنت زرعة وقال آخر حزن قال أنت سهل وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وبنو الرتبة بنو رشدة وشعب الضلال سماه شعب الهدى وغير أسماء كثيرة غير ما ذكرنا و امر الامة بتحسين الاسماء وفي هذا تنبيه على أن الافعال ينبغي أن تكون مناسبة للاسماء لان الاسماء قوالب الافعال ودالة عليها لاجرم اقتضت الحكمة الربانية أن يكون بينهما ارتباط وتناسب وأن لا يكون احدهما اجنبيا من الآخر بحيث أن لا يكون بينهما تعلق بوجه من الوجوه لان الحكمة تأبى ذلك والواقع المشاهد غير ذلك وتأثير الاسماء في المسميات والمسميات في الاسماء ظاهر وبائن والى هذا المعنى أشار القائل

وقل إن أبصرت عينك ذالقب * الا ومعناه ان فكرت في لقبه

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ تعبير الرؤيا من معاني الاسماء كما فعل مرة في منام رآه قال رأيت في منامى كأنى في دار عقبة بن رافع وأتينا برطب بن طاب فاوت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة لنا في الآخرة وان ديننا قد طاب يعني أن الذى اختاره الله لهم قد أرطب وطاب. ومرة اخرى أشار أن تحلب شاة فقام شخص ليحلبها قال ما اسمك قال مرة قال اقعده فقام آخر فقال ما اسمك قال حرب قال اقعده فقام آخر فقال ما اسمك قال اعيش قال احلب وكذا الطرق والمنازل المكروهة الاسماء كان يتجنب عبورها والنزول بها لسبب ارتباط بين الاسماء ومسمياتها وكان اياس بن معاوية اذا رأى شخصا قال ينبغي أن يكون اسمه كذاوقلما يخطئ. في ذلك * ولما كانت الانبياء صلوات الله عليهم اشرف الخلق وأكلمهم وأخلاقهم واعمالهم اشرف الاخلاق والاعمال واسماؤهم اشرف الاسماء فلهذا الوجه امر صلى الله عليه وآله بالتسمى باسمائهم وفي سنن النسائي «تسموا باسماء الانبياء» وأما الكنية ففيها نوعا كرام وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه

وآله وسلم صهيبا ابا يحيى وامير المؤمنين عليا ابا تراب مع كنيته الاولى ابو
 الحسن وكانت احب كناه اليه وكفى صنوانس الطفل ابا عمير. ولم يثبت في المنع
 عن التكني شي. الاحديث «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي» وللعلماء في هذه
 المسألة اقوال (بعضهم) يقول لا يجوز ان يتكني احد بابي القاسم مطلقا سواء كان
 اسمه محمدا او غير محمد وهذا القول منقول عن الشافعي (القول الثاني) انه لا يجوز
 الجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته كما ورد في حديث الترمذى «من تسمى باسمي فلا يتكن
 بكنيتي ومن تكني بكنيتي فلا يتسم باسمي» وهذا الحديث مقيد ومفسر
 لذلك الحديث (القول الثالث) ان الجمع بين الاسم والكنية جائز وهذا مذهب
 مالك واستدل له بحديث امير المؤمنين علي حيث قال «يارسول الله ان ولد لي
 من بعدك ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم قال علي وكانت رخصة
 لي» صححه الترمذى وحديث عائشة قالت «جاءت امرأة الي النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم فقالت يارسول الله اني قد ولدت غلاما فسميته محمدا وكنيته ابا
 القاسم فذكر لي انك تكره ذلك فقال ما الذي احل اسمي وحرمت كنيتي او
 ما الذي حرم كنيتي واحل اسمي» وهذه الطائفة تقول احاديث المنع منسوخة
 بهذين الحديثين (القول الرابع) ان التكني بابي القاسم كان ممنوعا في حياة رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم واما بعد وفاته فجائز لان سبب المنع ان شخصا
 بالقبيل نادى شخصا قال يا ابا القاسم فالتفت رسول الله عليه السلام فقال المنادى
 يارسول الله انادى غيرك فقال «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي» فيكون
 مخصوصا بزمانه عليه السلام وحديث علي يشير الى هذا المعنى «وقال بعض العلماء ممن
 لا يبرج على قوله ثبت النهي عن التكني بكنية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فلا يجوز التكني بكنيته وكذا التسمي باسمه فلا ينبغى أن يجوز له والصواب من
 هذه المقالات ان التسمي باسمه جائز بل مستحب لقوله «تسموا باسمي» والتكني
 بكنيته ممنوع والمنع كان في حياته أقوى وأشد والجمع بين اسمه وكنيته ممنوع
 والجواب عن حديث عائشة رضي الله عنها انه غريب فلا يعارض الصحيح وفي
 حديث علي نظر ومع ذلك ثبت انه قال رخصة لي وذادلالة بقاء المنع والله تعالى اعلم *

﴿ فصل ﴾

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يسمى العنب كرما لان الكرم قلب المؤمن وفي هذا النهي وجهان (أحدهما) أن النهي عن تخصيص العنب بهذا الاسم والحال أن قلب المؤمن أولي بذلك فلا يكون ذلك منعا عن تسمية العنب بالكرم بل يكون نهيا عن تخصيص العنب بهذا الاسم (الوجه الثاني) المنع عن تسمية العنب كرما لان تسمية الشجرة التي هي أصل أم الخبائث بالكرم والخير يؤدي الى مدح المحرمات وتبجيل النفوس الى ذلك والله أعلم * ومنع صلى الله عليه وآله وسلم أن تسمى العشاء العتمة وقال لا تغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم ألا وانها العشاء وأنهم يسمونها العتمة وورد في حديث آخر « لو يعلمون مافي العتمة والصبح لا توهمها ولو حبوا » قال بعضهم المنع منسوخ بالجواز (وقال) بعضهم الجواز منسوخ بالمنع والصواب أنه ليس بين الحديثين تعارض بل لم ينفى أن يطلق اسم العتمة بالسكينة بل نهى أن يهجر اسم العشاء ويكتفى بالعتمة حتى لو سماها بالعشاء تارة وبالعتمة تارة جاز والله أعلم *

﴿ باب ﴾

﴿ أذكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه يعني في جميع أوقاته وكان لا يعوقه شيء عن ذكر الحق سبحانه لان جميع كلامه كان في ذكر الله والامر والنهي والتشريع للامة وكله ذكر وبيان الاسماء والصفات وأحكام الله تعالى والوعد والوعيد وكل هذا ذكر والثناء والدعاء والتمجيد والتحميد والتسبيح والسؤال والترهيب والترغيب بالسكينة ذكر الحق سبحانه وحال سكوته أيضا كان قلبه وضميره في الذكر فتكون أنفاسه مشتملة على الذكر وحالة قيامه وقعوده ورقوده وذهابه وإيابه وجميع حالاته لا ينفك فيها عن ذكر الله * وكان اذا استيقظ من منامه قال « الحمد لله الذي أحيانا بعدما ماتنا واليه النشور » وروت عائشة رضي الله عنها أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا ذهب من الليل «كبر عشرا وحمد عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا واستغفر الله عشرا أو هال عشرا ثم قال اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتح الصلاة» وعنها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استيقظ قال «لا إله الا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبى وأسألك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إزهديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب» وهذان الخبران ثبتان فى سنن أبي داود وروى البخارى فى صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له فان توطأ وصلى قبلت صلاته» وقال ابن عباس بت ليلة فى بيت خاتى ميمونة «فرايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما استيقظ من النوم نظر الى السماء وقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب) الى آخر السورة ثم قال اللهم انت نور السموات والارض ومن فىهن فلك الحمد انت قيوم السموات والارض ومن فىهن فلك الحمد انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقائوك حق والجنة حق والنار حق والنبىون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاجت فاعف لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت انت إلهى لا إله الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله» * وروت عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم «كان اذا استيقظ من نومه قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم» وكان فى بعض الاحيان يفتح الصلاة بهذا الدعاء * وكان اذا فرغ من صلاة الوتر قال «سبحان الملك القدوس

سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس» وكان في الثالثة يرفع صوته وكان إذا أراد الخروج من بيته يقول «بسم الله توكلت على الله اللهم انى أعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أجهل أو يجهل على» وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال يعنى إذا خرج من بيته «باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان» وقال ابن عباس لما بت في بيت خالي ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من حجرته يريد صلاة الصبح في المسجد يقول «اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن أمامي نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني نورا» قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما من عبد خرج من بيته يريد الصلاة فقال اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج بطرأ ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت الا قبض الله له سبعين ألف ملك يسألون له الرحمة وأقبل الله بوجهه الكريم عليه حتى يفرغ من صلاته» وفى سنن ابى داود «من قل عند دخول المسجد أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ووساطته القديم من الشيطان الرجيم» الا قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وآله وليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم انى أسألك من فضلك» وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المسجد قال (اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك) وكان إذا صلى الصبح جلس فى مصلاه الى طلوع الشمس ثم صلى ركعتين» وورد فى فضل ذلك أحاديث كثيرة تزيد على عشرة وقال هذا عمل يعدل حجة وعمره نامة نامة تاممة وكان يقول عند الصباح اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ولا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير

ما في هذا اليوم وخير ما بعدوا عوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده وأعوذ بك من
 الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر • وكان يقول عند
 المساء «أمسينا وأمسى الملك لله» الي آخره • وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول
 الله علمني كلمات أقولها في الصباح والمساء قال قل • اللهم فاطر السموات والارض عالم
 الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي
 ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوء أو أجره الي مسلم • قل هذا عند
 الصباح والمساء ووقت النوم وقال مامن عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل
 ليلة «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع
 العليم ثلاث مرات لم يضره شيء» وقال من قال حين يسمي وإذا أصبح «رضيت
 بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلي الله عليه وآله وسلم نبياً كان حماً على الله أن يرضيه»
 وقال من قال حين يصبح أو يسمي «اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حمة عرشك
 وملائكتك وجميع خلقك بانك أنت الله لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك
 وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعة من النار ومن قالها مرتين أعتق الله
 نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعاً
 أعتقه الله من النار» وقال من قال حين يصبح «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد
 من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه
 ومن قال ذلك حين يسمي فقد أدى شكر ليلته» ولم يكن عليه السلام يدع هؤلاء الكلمات
 حين يسمي وحين يصبح «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم اني
 أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن
 روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن
 فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين
 اللهم اني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك
 من شر ما فيه وشر ما بعده» وكان اذا صار المساء يقول امسينا وأمسى الملك لله
 الي آخره • وقال لبعض بنائه قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده
 لا قوة الا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم أن الله علي كل شيء قدير

وان الله قد احاط بكل شيء علما فانهم من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي
ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح وقال لبعض الصحابة الا اعلمك كلمات
ان قلتين ابدل الله همك فرجا وادى دينك قال بلي يا رسول الله قال قل اذا
اصبحت واذا امسيت اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز
والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال
قال الراوى ففعلت فابدل الله تعالى همى وغمى فرجا وقضى دينى وقال من قال
عند الصباح والمساء اللهم انى اصبحت منك فى نعمة وعافية وسترفاتم على نعمتك
وعافيتك وسترك كفاه الله هموم الدنيا والآخرة وجاء شخص الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله انى تصيبنى آفات كثيرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم قل
عند كل صباح بسم الله على نفسى واهلى فانك لا تصاب وقال لغاطمة رضى الله
عنها ما الذى يمنعك ان تسمعى ما أوصيك به تقولين اذا أصبحت وإذا امسيت
ياحي ياقيوم بك أستغيث فاصلى شانى كله ولا تسكنى الى نفسى طرفة عين
وقال من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسي حسبى الله لا اله الا هو عليه
توكلت وهرب العرش العظيم سبعا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال فى أول النهار « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت
وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا
بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء
علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها
ان ربي على صراط مستقيم لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها فى أول الليل
لم تصبه مصيبة حتى يصبح وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيد الاستغفار « اللهم
أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت
أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وابوء بذنبي فاغفر لى فإنه
لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها فى اول النهار موقنا بها فمات من يومه قبل
أن يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان
يصبح فهو من اهل الجنة وقال ومن قال حين يصبح وحين يمسي « سبحان الله

وبمحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال
 اوزاد عليه « وقال من قال « اذا اصبح لاله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
 الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل رقبة من ولد اسماعيل عليه السلام وكتب
 له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان في حرز
 من الشيطان حتى يمسي وان قالها اذا أمسى كان مثل ذلك حتى يصبح ومن
 قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت
 عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد
 بافضل مما جاء به الا رجل عمل اكثر منه « وثبت في مسند الامام احمد « ان النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم علم زيد بن ثابت هذا الدعاء وامره بالمواظبة على ذلك
 كل صباح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير كله في يديك ومنك واليك
 اللهم ما قلت من قول او حلفت من حلف او نذرت من نذر فمشيئتك بين يدي
 ذلك كله ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بك انك على كل
 شيء قدير اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من
 لعنت أنت واي في الدنيا والاخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين اللهم فاطر
 السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني على عهدك في
 هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً باني أشهد أن لا اله الا انت وحدك
 لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وانت على كل شيء قدير واشهد ان محمداً
 عبدك ورسولك واشهد ان وعدك حق ولقاءك حق والساعة حق آية لا ريب
 فيها وانك تبعث من في القبور وانك ان تسكنني الي نفسي تكلمني الى ضعف
 وعورة وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها انه لا يغفر الذنوب
 الا انت وتب على انك انت التواب الرحيم « وكان يقول عند الصباح « اللهم اني
 اصبحت لا استطيع دفع ما كره ولا املك نفع ما ارجو اصبح الامر بيد غيري
 واصبحت مرتهننا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسؤ
 بي صديقي ولا تجعل مصيبي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا مبالغ علي
 ولا تسلط علي من لا يحمني اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت

واليك المصير اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والارض رب كل شيء
 ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه
 سبحان الله وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
 اعلم ان الله علي كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما فسبحان الله
 حين مسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
 يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك
 تخرجون اللهم اني اسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك العفو والعافية
 في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتى وآمن روعاتى اللهم احفظنى من بين
 يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي
 اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وحملة عرشك وجميع
 خلقك أنت الله لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك
 الشكر أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين « وكان يقول « اللهم رحمتك أرجو
 فلا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت اللهم اني أعوذ
 بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء وأعوذ بك من
 علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وأعوذ
 بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك وفجأة تقمّتك ومن جميع سخطك
 اللهم اني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم اللهم لك أسلمت وبك آمنت
 وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت
 وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله الا أنت
 اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصرى وشر لساني وشر قلبي وشر
 عيني اللهم اني أعوذ بك من التردى ومن الفرق والحرق والهدم وأعوذ بك من
 أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا
 وأعوذ بك من أن أموت لديغا أعوذ بكلمات الله التامات من شر غيبه وعقابه
 وشر عباده ومن هزات الشياطين وأن يحضرون اللهم الهمني رشدي وأعذني
 من شر نفسي أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه وبكلمات الله

التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما
 لم أعلم من شر ما خلق وذراً وبرا اللهم اغفر لي جدى وهزلي وخطئى وعمدى
 وكل ذلك عندي اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى وأصلح لي دنياي
 التي فيها معاشي وأصلح لي آخري التي فيها معادى واجعل الحياة زيادة لي في كل
 خير واجعل الموت راحة لي من كل شر اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف
 والغنى رب اغني ولا تن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي
 واهدني ويسر لي الهدى وانصرني علي من بغي علي رب اجعلني لك شاكراً لك
 ذاكراً لك رهيباً لك مطواعاً لك مخبئاً اليك أو اهانياً رب تقبل توبتي وأجب
 دعوتي واغسل حوبتي وثبت حجتي وسدد لسانى وايد قلبي واسلل سخيمة
 صدري اللهم مارزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم ما زويت عني
 مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا
 وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا
 مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا
 واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
 ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا اللهم بعلمك
 الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني اذا علمت الوفاة
 خيراً لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب
 وأسألك القصد في الفقر والغنا وأسألك نعيماً لا ينفد وقرّة عين لا تنقطع وأسألك
 الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك
 والشوق الي لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان
 واجعلنا هداة مهدين اللهم اجعلني أعظم شكرك واكثر ذكرك واتبع نصحك
 واحفظ وصيتك اللهم اني أسألك الصحة والعفة والامانة وحسن الخلق والرضا
 باقتدر اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني
 من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور اللهم اجعل سريري خيراً
 من علانيتي واجعل علانيتي صالحة اللهم اني أسألك من صالح ما تؤتي الناس

من الاهداء والمال والولد غير الضال والمضل اللهم اهدني وسددني اللهم رب
 السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى
 ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته
 اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت
 الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين
 واغننا من الفقر يا رحمن الرحمن اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر
 السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
 يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذك انت تهدي من تشاء الي صراط
 مستقيم * ومهما ممكن ينبغي ان يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيفيات
 الصلاة المنقولة عن حضرته صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة ذكرناها في كتاب
 الصلاة والبشر (احدها) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
 وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
 ابراهيم انك حميد مجيد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (الكيفية الثانية) اللهم
 صل على محمد وعلى أهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم صل علينا
 معهم اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
 اللهم بارك علينا معهم صلوات الله وصلوات المؤمنين على محمد النبي الامي السلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته * وجميع ما عدا من الكيفيات ثمان وأربعون المروي
 منها عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست وثلاثون والباقي من الصحابة
 والتابعين والعلما خلافاً في أيها أفضل قال الشيخ محيي الدين النواوي في كتاب
 الاذكار أفضلها أن يقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى
 آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على
 محمد النبي الامي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى
 آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد لانها جامعة للعبارات التي وردت
 في الاحاديث الصحاح (وقال) الامام ابراهيم المروزي أفضلها اللهم صل على محمد
 وعلى آل محمد كما ذكره اذا كرون وكلاما سها عنه الغافلون *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا لبس ثوبا جديدا قرأ هذا الدعاء « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » وقال من لبس ثوبا جديدا فقال « الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة » غفر له ما تقدم من ذنبه وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه سمعت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول « من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأنجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذي اخلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله وفى سبيل الله حيا وميتا » وكان من عادته صلى الله عليه وآله وسلم انه اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ورأى صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ثوبا فقال أجديد هذا أم غسيل فقال بل غسيل فقال لبس جديدا أو عش حميدا ومت شهيدا •

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا رجع الى بيته قال « الحمد لله الذى كفاني وآواني والحمد لله الذى أطعمنى وسقانى والحمد لله الذى من على أسألك أن تجبرني من النار » وقال « اذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم انى أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهل بيته » وقال أنس بن مالك قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يا بنى اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا فى سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرد به ما نال من أجر أو غنيمة ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرد به ما نال من أجر أو غنيمة ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله سبحانه وتعالى • وكان عليه السلام يقول اذا دخل الرجل بيته وذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخل فلم يذكر الله تعالى

عند دخوله قال الشيطان أدر كنتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال
أدر كنتم المبيت والعشاء *

﴿فصل﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند دخول الخلاء اللهم إني أعوذ
بك من الخبث والخبائث ويأمر بقوله وفي حديث آخر لا ينبغي أن يعجز
أحدكم إذا أراد دخول الخلاء أن يقول (اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس
الخبث الخبث الشيطان الرجيم) ومر رجل به صلى الله عليه وآله وسلم وهو
يبول فسلم عليه فلم يرد عليه وقال إن الله يبغض العبد لذا يعنى الكلام في
الخلاء وحالة البول وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تستقبلوا القبلة
ولا تستدبروها ببول ولا بغائط. وروى هذا الحديث جماعة من الصحابة وأما
حديث الرخصة الذي رواه الامام أحمد في مسنده عن عائشة أنها قالت ذكر
عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان جماعة كرهوا استقبال القبلة حالة
البول فقال منكرًا لذلك أو قد فعلوا فليجعلوا القبلة تجاه ادبارهم فالبخاري امام
أهل الحديث يطعن فيه ولم يثبتته احد من الأئمة الكبار وكلام احمد لا يقتضي
إثباته وتحسينه وايضا هو منقطع ومرسل وبعض رواه ضعيف وكان اذا خرج
من الخلاء قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني واما ذكر الوضوء
فقد ذكرناها في اول الكتاب *

* (فصل في أذكار الاذان) *

شرع لنا صلى الله عليه وآله وسلم خمسة اشياء. (احدها) ان السامع يقول
مثل ما يقول المؤذن الا في لفظ حي على الصلاة حي على الفلاح فانه يبديل ذلك
بلا حول ولا قوة الا بالله والحديث الذي ورد في الجمع بين الحوقلة والخيعلة
لم يصح وكذا ما ورد في الاقتصار على الخيعلة (الثاني) ان يقول رضيت بالله
ربا وبلاسلام دينا وبمحمد رسولا وهذا القول يوجب المغفرة (الثالث) ان يصلي
على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد اجابة المؤذن (الرابع) ان يدعو بهذا
الدعاء (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة

وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. (الخامس) إن يدعو لنفسه بما فيه صلاح آخرته ودنياه وفي بعض الروايات في مسند الامام أحمد « من قال بعد أذان المؤذن اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عنى رضا لا تسخط بعده ثم دعا استجيب له » وقالت ام سلمة « علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اقول وقت أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك فاغفر لي » وقال أبو أمامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمع الأذان قال « اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى توفى عليها وأحسني عليها واجعلني من صالح أهلها عماليوم القيامة » وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة قالوا فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة »

﴿ فصل ﴾

في عشر ذى الحجة كان صلى الله عليه وآله وسلم يكثّر الدعاء فيه ويأمر بالتهليل والتكبير والتحميد وجاء في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد وهذا الحديث وإن لم يبلغ إسناده درجة الصحة لكن عمل أهل الإسلام عليه ونقل عن الامام الشافعي أنه لو زاد علي هذا فقال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر يكون حسناً »

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام وربك الله وفي بعض الأحيان كان يقول الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام

والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله» وفي سنن أبي داود أن قتادة بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك آمنت بالذي خلقك آمنت بالذي آذيت بشهر كذا وآذيت بشهر كذا وفي أسناده ضعيف *

﴿ فصل ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أكل طعاما سمي الله وكان يأمر بذلك وقال «إذا أكل احدكم فليذكر الله تعالى فان نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره» وعند المحققين من أهل الحديث أن التسمية في أول الطعام واجبة لان أحاديث الامر صحيحة سالمة من المعارضة (أما إن كان في جماعة فهل تجزى تسمية أحدهم أم لا) قال جماعة من العلماء تجزى وحديث حذيفة لا يوافق قولهم لانه قال «حضرنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ يدها ثم جاء أعرابي فأخذ يده وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه جاء بهذه الجارية فأخذت يدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت يده والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديها ثم ذكر اسم الله وأكل» وثبت في سنن الترمذي من حديث عائشة أنها قالت أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الطعام مع ستة من الصحابة فدخل أعرابي بقتة وأكل الطعام في لقمتين فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو أن هذا الأعرابي قال بسم الله استكفناكم هذا الطعام» ومحقق أن النبي ﷺ كان قد سمي الله وكذلك أصحابه فلو أن تسمية الواحد تكفي عن الباقي لما احتجج إلى تسمية الأعرابي» وورد في حديث ضعيف «من نسي أن يسمي علي طعامه فليقرأ قل هو الله أحد إذا فرغ» وكان إذا فرغ من الطعام يقول «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا» وأحياناً كان يقول «الحمد لله الذي كفانا وآانا» وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من أكل أو شرب فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه

من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه» وأحيانا كان يقول «اللهم أطعمت وسقيت وأغيت وأفيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت» وكان يقول في بعض الاحيان «الحمد لله الذي من علينا وهدانا والذي أشبعنا وآوانا وكل الاحسان آتانا» وثبت في حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه وإذا أكل لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا شرب الماء شربه على ثلاثة أنفاس يقول في أول كل نفس بسم الله وفي آخره الحمد لله ونهى أن يتنفس في الاناء *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان إذا دخل البيت يقول هل عندكم طعام فان أحضروا شيئا وكان موافقا لمزاجه أكل وإلا ترك وما عاب طعاما قط إن اشتهى أكل وإلا تركه وكان يمدح الطعام في بعض الاحيان كقوله نعم الادم الخل وغير ذلك وإن لم يحضروا شيئا ينوى الصيام ويقول انى اليوم صائم وكان يتكلم على الطعام ويكرر عرض الطعام على الضيفان كما هو عادة الكرام كما ورد في حديث ابى هريرة وقصة شرب اللبن وقوله صلى الله عليه واله وسلم اشرب فشرب فقال اشرب فشرب فقال اشرب فشرب ولم ينزل يكرر حتى قال لا والذي بعثك بالحق نبيا لا أجد له مسلكا وكان ﷺ إذا أكل طعام قوم دعا لهم فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم وفي بعض الاحيان كان يقول (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة) وصنع أبو الهيثم بن التيهان طعاما فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فلما فرغوا قال أنيبوا أخاكم قلوبا رسول الله وما إنا بآبائه قال إن الرجل إذا دخل بيته واكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له فذلك إنا بآبائه . وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا اكلتم طعاما فاذبيوه بذكر الله عز وجل والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو به قلوبكم * وأخذ صلى الله عليه وآله وسلم بيد مجذوم فوضعا معه في القصة فقال كل باسم الله ثقة بالله وتوكل على الله * وثبت انه قال « فر من المجذوم

كما تفر من الاسد» والتطبيق بينهما ظاهره وكان يأمر بالآكل باليمين وينهى عن
الآكل بالشمال لان الشيطان ياكل ويشرب بشماله وشكوا اليه فقالوا انا نأكل
ولا نشبع قال فلعلكم تفرقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا
اسم الله عليه يبارك لكم فيه *

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلام والآداب النبوية في هذا الباب ﴾

ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال «افضل الاسلام وخيره اطعام الطعام
وأن تقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف» وفي الصحيح ايضا «لما خلق الله آدم
قال له اذهب فسلم علي اولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحوونك فانها
تحيتك وزينتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة
الله» وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دائما يأمر بافشاء السلام ويقول أولا
أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم تحاببوا وقال لا تدخلوا
الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحاببوا» وفي صحيح البخارى قال «عمار ثلاث
من جمعهن فقد جمع الايمان الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق
من الاقتار» وهذا الكلام يتضمن جميع اصول الخيرات وفروعها لان الانصاف
يوجب أداء حقوق الخالق والمخلوق على الوجه الاكمل وبذل السلام لجميع الناس
يتضمن أن لا ينكر أحد على أحد وانفاق المال عن قلة وفقر يقتضى كمال الوثوق
بالله وأنت اذا جمعتهما علمت أنها جامعة فروع الايمان وأصوله * وكان صلى الله عليه وسلم يمر
على الصبيان فيسلم عليهم وأيضا كان يسلم على العجائز والمساكين وكان يقول «يسلم
الكبير على الصغير والمزار على القاعد والراكب على المشى والقابل على الكثير
فان تساوا في هذه الصفات فالبادى أفضل وقال اقرب الخلق الى الله واولاهم
به الذى يبدأ بالسلام» وكان من العادة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل سلم واذا رجع سلم
وقال اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا
قام فليسلم فليست الأولي باحق من الآخرة وقال في موطن آخر « اذا لقي
احدكم صاحبه فليسلم عليه فان حال بينهما شجرة او جدار ثم لقيه فليسلم عليه

ايضا» وكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا دخل المسجد ابتدا بتحية المسجد فصلى ركعتين ثم سلم علي الحاضرين لان حق الله تعالى في مثل هذه الصورة مقدم على حق العباد وكان اذا جاء الى البيت لبيل سلم سلاما يسمعه المستيقظون ولا ينتبه منه الزاقدون وقال السلام قبل الكلام ولا تدعوا أحدا الى طعام حتي يسلم* وأئن كان في اسناد هذا الحديث ضعف فعلم اهل الاسلام عليه* وفي حديث آخر «السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال فلا تجيبوه» وفي بعض الروايات انه كان لا يأذن بالدخول لمن لم يسلم وقال لانا ذنوبنا لم يبدأ بالسلام وقال كعدة ابن الحنبل ارسلني صفوان بن امية الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهدية ابن وجداية وضغائيس فوجت عليهم قبل السلام والاستئذان فقال ارجع ثم قل السلام عليكم وادخله* وكان اذا أتى باب قوم لا يقوم تجاه الباب بل يتيمان او يتياسر فيقول السلام عليكم ويبدأ من لقيه بالسلام وكان يتحمل السلام الى غيره ويبلغه كما تحمل سلام الله سبحانه وتعالى الى خديجة حيث قال له جبريل عليه السلام أنها خديجة قد جاءتك بطعام فقل لها الرب يسلم عليك ويشارك بيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصبه وقال مرة اخرى لعائشة هذا جبريل حاضر يبلغك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته* وجاء رجل الي النبي ﷺ فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال ﷺ عشر. ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال ثلاثون. وفي بعض الروايات جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فرد وقال اربعون هكذا تكون الفضائل وفي اسناده ضعف* وكان صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ من لقيه بالسلام وان بدأه أحد رد عليه مثل ذلك أو أفضل على الفور من غير تأخير الا ان يمنع من ذلك عذر كالصلاة أو قضاء الحاجة وكان يجيب السلام بحيث يسمع المسلم ولا يكتبني بالائمان والاشارة الا ان يكون في الصلاة فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أنه كان اذا سلم عليه أحد وهو في الصلاة أشار اليه باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض الاحديث مجهول

وهو من أشار في صلاته إشارة تفهم عنه فليعد صلاته. وهذا الحديث لا يصح للمعارضة وكان يتبدىء السلام بقوله السلام عليكم ورحمة الله وكان يكره في الابتداء أن يقال عليكم السلام قال أبو جزي الجهمي أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقلت عليك السلام يا رسول الله فقال لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى يعني أن عادة الشعراء وغيرهم أن يحيوا الموتى بهذه الصيغة فينبغي أن يتحرز من أن يخاطب بها الأحياء * وكان يقول في جواب السلام وعليك السلام بالواو. وقال بعض الفقهاء لو اجاب أحد بغير واو لا يكون محبباً ولا يسقط الفرض عنه لأنه مخالف للسنة وعند أكثر العلماء يسقط واستدلوا بنص التنزيل (قلوا سلاماً قال سلام) ونهي ﷺ أن يتبدأ بالسلام على أهل الكتاب روى أبو هريرة لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى اضيقه وللهما في هذه المسألة قولان (الجاهلير) يمنعون من ابتدائهم بالسلام (وبعضهم) يجوز وفي وجوب رد السلام عليهم قولان (الجمهور) على وجوبه (وبعضهم) يقول لا يجب كما لا يجب رد سلام أهل البدعة. وثبت في الصحيح أنه ﷺ مر على اخلاط من الناس منهم المسلمون والمشركون وعبدة الاوثان فسلم عليهم (وأما) الحديث الذي في سنن أبي داود «يجزى عن الجماعة إذ امروا أن يسلم احدهم ويجزى عن العجوس أن يرد احدهم» فأحدره وانه سعيد الخزاعي وقد ضعفه جماعة وكان من عاداته ﷺ إذا بلغه شخص سلام غيره أن يرد على المبلغ والمبلغ عنه كما ثبت في السنن أن رجلاً قال إن أبي يقرئك السلام فقال في جوابه عليك وعلى ابيك السلام وكان من عاداته صلى الله عليه وآله وسلم انه اذا ظهر من شخص منكر عظيم ان يعرض عنه وان يحرمه السلام ورد السلام ولما كان السلام الذي هو اعظم شعار أهل الاسلام في هذه البلاد الهندية مهجوراً إلى الغاية وقام مقامه الانحناء والانشاء اللذان هما شعارا أهل البدع صار التلغظ بالسلام عند أكثرهم يعد من سوء الأدب وعدم التمييز فلزم ذمة أرباب الولاية وحكام منصب الرياسة لزوماً وكذا أن يسعوا في إفشائه إلى النهاية وأن يبذلوا الجهد إلى اقصى الغاية وان يتلطفوا في إحياء هذه الشعيرة

العظيمة من شعائر الدين وإن يعدوا ذلك من اعظم القرب واشرف الوسائل
عند رب العالمين •

﴿ فصل في الاستئذان ﴾

ثبت في الصحيح أن السلام كان قبل الاستئذان فعلا وتعلما استأذن شخص
علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بيت فقال أألج فقال ﷺ لخادمه أخرج
إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أدخل فسمعه الرجل فقال
السلام عليكم أدخل فأذن له النبي ﷺ فدخل وقال ﷺ إذا استأذن أحدكم
ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع وكان ﷺ يقول لو أن شخصا نظرفي بيت قوم جاز
لهم قلع عينه ولادية ولا قصاص. وكان يكره للمستأذن إذا سئل من أنت يقول
أنا بل يذكر اسمه أو كنيته أو لقبه • وفي حديث أبي هريرة المروى في سنن
أبي داود ورسول الرجل إلى الرجل أذنه. وفي لفظ إذا دعى أحدكم إلى طعام
ثم جاء مع الرسول فإن ذلك له أذن وكما أراد صلى الله عليه وآله
وسلم الاعتزال في محل خلوة عين شخصا للجلوس على الباب وأمر أن لا يدع
أحدًا يدخل إلا بأذن •

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا عطس وضع يده المبسركة أو ثوبه على
فيه وخفض صوته وقال «التشاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان وقال
إن الله يحب العطاس ويكره التشاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على
كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله فإن التشاؤب إنما هو من الشيطان فإذا تشاءب
أحدكم فليرد ما استطاع فإن أحدكم إذا تشاءب ضحك منه الشيطان» وفي صحيح
البخاري أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل
له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح
بالكم» وعطس رجلان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشمت أحدهما
ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشتمه عطس فلان فشتمته وعطست فلم تشمتني
فقال هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله» وفي صحيح مسلم قال «إذا عطس أحدكم فحمد

الله فشمته وان لم يحمد الله فلا تسمته» وقال «حق المسلم على المسلم ست اذا
لقيته فلم عليه واذا دعاك فأجبه واذا استنصحت فانصح له واذا عطس فحمد
الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه» وفي سنن أبي داود «اذا عطس
أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله ويقول
هو يهديكم الله ويصلح بالكم» وظاهر الاحاديث يدل على أن التسميت فرض
على كل من سمع حمد العاطس وان تسميت الواحد لا يجزى عن الباقيين وهذا
قول جماعة من أكابر العلماء وهو الظاهر وهذا الشعر مهجور في بلاد الهند
الى الغاية والنهاية ولا يأتي بها الا خواص من الصلحاء ومن قصد متابعة السنة
النبوية وأما عامة الخلق فانهم لا يعرفون هذا المعروف ولا يعلمونه ونسال الله
السلامة وفي سنن أبي داود عطس رجل من القوم عند رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعليك وعلي أمك ثم قال اذا عطس أحدكم فليحمد الله وليقل له من عنده يرحمك
الله وليرد يعنى عليهم يغفر الله لنا ولكم (وقوله) في الجواب عليك وعلي أمك
اشارتان (أحدهما) ان سلامك في هذا المحل لغير موقع كالمسلم علي أمك (الثانية)
تذكيره بأن هذا من أدب الاميين ومن أدب اناس حرمو اترية الرجال ونشؤا
في حجر الامهات وتشريع الحمد في وقت العطاس لان العطسة نعمة وحصول
منفعة اذ بها تخرج البخارات المحتقة من الدماغ وبقاؤها يورث أمراضا وأوجاعا
وعطس شخص عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له يرحمك الله ثم
عطس أخرى ثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر
شمت أخاك ثلاثا فما زاد فهو زكام. وفي لفظ. اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه
فان زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا تسميت بعد ثلاث فاذا لم يحمد العاطس
ينبغي للحاضرين أن يحمداوا تذكيرا له. وقال بعض العلماء يحمداوا تعزير الاله لانه
لو كان سنة كان النبي صلى الله عليه وآله أولى بفعلها *

﴿ فصل في أذكار السفر ﴾

قال صلى الله عليه وآله اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل

اللهم انى استخبرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امرى فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امرى فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمى حاجته. ولما كانت عادة اهل الجاهلية اذا قصدوا سفراً أو أمراً ان يستقسموا بالازلام وان يزجروا بالطير والعيافة والغال والتطير وامثال هذه الامور التي هي شعار اهل الشرك والكفر عوض صاحب الشرع عن ذلك بالتوحيد والافتقار والعبودية والتوكل وسؤال الرشد والفلاح من الواهب المطلق الذى ازمة الخيرات في يد قدرته. وفي مسند الامام احمد من رواية سعد بن ابي وقاص «سعادة ابن ادم في استخارة الحق والرضا بقضائه وشقاوة ابن ادم في ترك الاستخارة وعدم الرضا بقضائه. وفي حديث انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعزم على سفر قط الا قال عند ارادة القيام «اللهم بك انتشرت واليك وجهت وبك اعتصمت وعليك توكلت اللهم أنت تقني وأنت رجائي اللهم اكفني ما أهمنى ومالا أهمم وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهني للخير أينما توجهت» والذي قاله بعض المحققين من المشايخ الكبار وكتبه يستحب للشخص ان يجعل في كل يوم وقتاً معيناً يصلى فيه صلاة الاستخارة ويقول (اللهم انى استخبرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أنحرك في حقي وفي حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى في حقي وفي حق أهلى وولدى وما ملكت يميني من ساعتى هذه الى مثلها من الغد خير لي في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان جميع ما أنحرك فيه في حقي وفي حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى في حقي وفي حق أهلى وولدى وما ملكت يدي من ساعتى هذه الى مثلها من الغد شر لي في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عني واصرفني عنه

واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به) والاستخارة على هذه الكيفية ولو لم
توجد في الاحاديث لكن العمل بها موافق لحديث الاستخارة ومناسب
لاتباع السنة

﴿ فصل ﴾

كان عليه السلام اذا استوى على الراحلة قال «الله أكبر الله أكبر الله أكبر
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون اللهم
انى اسالك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا
سفرنا هذا وأطوعنا بعده اللهم انت صاحب السفر والخليفة في الاهل اللهم
اصحبنا في سفرنا واخلفنا في اهلنا» واذا رجع من السفر قال «آيون تائبون ان
شاء الله عابدون ولربنا حامدون» ولفظ الدعاء في مسند الامام احمد «اللهم انت
الصاحب في السفر والخليفة في الاهل» اللهم انى اعوذ بك من الضنة في السفر
والكآبة في المنقلب اللهم اقبض لنا الارض وهون علينا السفر» واذا أراد
الرجوع قال «آيون تائبون عابدون لربنا حامدون واذا دخل البلد قال توبتوبا
لربنا أو بالايغادر علينا حوبا) ولفظ الدعاء في صحيح مسلم «اللهم أنت الصاحب في
السفر والخليفة في الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في اهلنا اللهم انى أعوذ
بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم
ومن سوء المنظر في المال والاهل» وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وآله وسلم
وضع رجليه في الركاب وقال «بسم الله فلما استوى على الظهر قال الحمد لله الحمد لله
الحمد لله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحان الله سبحان الله سبحان الله لا اله
الا أنت سبحانك انى ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت» وكان
صلى الله عليه وآله وسلم اذا ودع مسافرا قال «استودع الله دينك وأمانتك
وخواتيم عملك» وقال رجل من الصحابة يارسول الله انى أريد سفر أفزودني فقال
زودك الله التقوى قال زودنى قال وغفر لك ذنبك قال زودنى قال ويسر لك
الخير حيثما كنت» وقال رجل يارسول الله انى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك
بتقوى الله والتكبير على كل شرف فلما ولي الرجل قال اللهم ازوله الارض

وهون عليه السفر) وكان عليه السلام إذا علا شرفاً في سفر كبر وإذا هبط سبح وفي بعض الأحيان كان يقول على الشرف اللهم لك الشرف علي كل شرف ولك الحمد على كل حال * ونهى عن السفر منفرداً وعن استصحاب الكلاب والجرس وقال «من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» وكان إذا سافر فاقبل الليل في بعض الأحيان يقول «يا أرض ربني وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خاق فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ومن شر والد وما ولده وقال إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حقيها وقال حظها من الأرض وإذا سافرتم في السنة فاسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل * وكان إذا دنا من العمران وأشرف على قرية أو مدينة قال «اللهم رب السموات السبع وما أظلان ورب الأرضين السبع وما أقلن ورب الشياطين وما أضلان ورب الرياح وما ذرين أنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر ما فيها» وكان في سفره إذا تنفس الصباح يقول (سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا فاقبل علينا إن شاء الله من النار) يقولها ثلاثاً بصوت رفيع ونهى أن يسافر بالقرآن إلى دار الحرب وبلاد الكفر ونهى النساء عن مطلق السفر ولو يريد الأبدى رحم محرم وإذا قضت حاجتها فلتسرع الأوبة إلى أهلها وكان إذا علا شرفاً قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيرون تائبون عابدون ربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده * ومنع بالقول والفعل أن يطرق الغائب أهله ليلاً وكان يدخل بكرة أو وقت العصر وكان إذا رجع من السفر خرجوا الملاقاة معهم الأولاد والأطفال وكان يركبهم وراءه أو أمامه. أركب عبد الله بن جعفر أمامه ثم جاؤا بالحسن ابن علي فاردفه ودخل المدينة علي هذه الحالة وكان يعتنق القادمين في بعض الأحيان وإن كان من أهله قبل وجهه وفي بعض الأحيان يقبل جبهته قالت

عائشة لما قدم جعفر وأصحابه تلقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل ما بين
عينيه واعتنقه • وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدموا من
السفر تعاقبوا. وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى
ركعتين قبل دخول بيته •

• (فصل) •

كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الصحابة خطبة الحاجة (الحمد لله نستعينه
ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله
كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم
أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) قال شعبة
قلت لراوى الحديث هذه خطبة نكاح أم غير نكاح فقال هذه خطبة كل الحاجات •
وقال صلى الله عليه وآله وسلم «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليأخذ
بناصيتها قائلا بسم الله ثم يدعو ويقول اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت
عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه» وكان إذا رأى الانسان تزوج
قال «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير» وقال «لو أن أحدكم إذا أتني
أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فغضينا بينهما
ولد لم يضره شيطان أبدا» وقال «من رأى مبتلي فقال الحمد لله الذي عافاني
ما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء» وقال ما أنعم
الله علي عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله فيرى آفة
دون الموت . وقال إذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا يأتي
بالحسنات ولا يدفع السيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بك او يقول اللهم لا طير
الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا رب غيرك ولا حول ولا قوة الا بك فلا يصل

اليه ضرر وإن رأى في منامه ما يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات اذا استيقظ - والنفث فوق النفخ ودون البزق - فهو بينهما ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر مارأى ولا يحدث به فانها لن تضره وان ابتلى بوسوسة الشيطان فليدفع ذلك بالتعوذ وان غلبه الغضب فليتعوذ واذا رأى ما يسره يقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وان رأى ما يكرهه يقول الحمد لله على كل حال وان تقرب الي حضرته صلى الله عليه وآله وسلم أحد بما يسره من خدمة أو أمر محبوب دعا له بالخير كما أن ابن عباس هياً ماء لوضوئه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم فقها في الدين وعلمه التأويل ودعا لابي قتادة ليلة لازم خدمة ركابه الشريف وكان يجعل نفسه دعامة له صلى الله عليه وسلم عند ما يغلبه النعاس فقال حفظك الله بما حفظت به نبيه . وقال من صنع اليه معروف فقال لغاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشناء . واستدان من عبد الله بن ابي ربيعة فلما وقاه دينه قال بارك الله لك في أهلك ومالك وقال « اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأته ملكا واذا سمعتم نهيق الجمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأته شيطانا واذا رأيتهم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه . وينبغي أن لا يجلس مجلسا الا ويذكر اسم الله فيه . وكان اذا أراد القيام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك فسمعه بعض الصحابة فقال يارسول الله سمعت كلاما لم أكن أسمعه قبل قال هو كفارة لما وقع في المجلس » وشكا خالد بن الوليد الارق فقال له صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أخذت مضجعتك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم أجمعين أن يفرط علي أحد منهم أو أن يبغى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله الا أنت » وشكا شخص الفزع في النوم فقال صلى الله عليه وآله وسلم قل « أعوذ بكلمات التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » ونهى أن يقال ماشاء الله وشاء فلان . ومرة قال شخص ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وآله وسلم « كنف الله وكنفكم

واعتمادنا على الله وعليكم هذه الالفاظ وأمثالها منهي عنها يشم منها رائحة الشرك
ومن المنهيات التي منع منها صلي الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الديك ولا تسبوا
الريح ولا يسب بعضكم بعضا أيها المسلمون دعوا طريق الجاهلية كالنخوة
ودعوة القبائل ولا يتناجى اثنان دون ثالث ولا تباشر المرأة المرأة فتصفها
لزوجها كأنه ينظر اليها لا تقل اللهم اغفر لي ان شئت لا تكثروا الحلف لا تحلفوا
بغير الله . لا تقولوا بوجه الله قسما . لا تسموا المدينة يثرب . لا يستل الرجل فيم
ضرب امرأته الا عن ضرورة . ونهي عن تسمية القوس الذي يظهر في السماء
قوس قزح *

﴿ فصل في الفاظ ليس في كراهتها خلاف ﴾

ملك الملوك قاضي القضاة سيد الناس سيد الكل عبيد عابدى عمر السلطان
يكون طويلا أيامكم طويلة عش الف سنة دائمة ولا ينبغي أن يقول في المسائل
الاجتهادية أحل الله كذا أو حرم كذا بل يقول ذلك فيما ورد النص بتحريمه أو تحليله
ولا يقال في أدلة القرآن والحديث الظواهر اللفظية وكذا لا يقال فيها مجازات
لان هذه الفاظ تزيل الحرمة من قلوب الجاهلة لاسيما عند قوم يسمعون شبهة الفلاسفة
والمسكلمين بل البراهين العقلية والحجج القواطع نعوذ بالله من الخذلان *

﴿ باب في عموم أحواله عليه السلام ومعاشه وهو مشتمل على فصول ﴾

﴿ فصل في طعامه صلي الله عليه وآله وسلم ﴾

كان من كريم عاداته اذا حضر طعام لا يردده ولا يتكلف في طلب مفقود
ومني حضر طعام صالح من طيبات الاطعمة لا بد وان يتناول منه وماعاب طعاما
قط ان اشتهاه أكله والاتركه وكان يكثر أكل الحلوى والعسل ويحب ذلك
وكان يشرب في كل يوم قدحا من ماء وعسل يتجرعه ويصبر حتى تغلب عليه شهوة
الطعام ثم يأكل قليلا من خبز الشعير بالماء او بادام ويكتفي بذلك . وثبت في
الصحيح انه أكل لحم الابل ولحم الغنم ولحم الدجاج ولحم الحباري ولحم
الارنب ولحم السمك ولحم العنبر الجرى والرطب والتمر وشرب الحليب
الحض وممزوجا وأكل الخبز بالتمر والخبز بالحل والخبز بالشحم المسلى ونقيع التمر

والرطب بالخيار وكبد الغنم مشويا واللحم التقديدو الدباء مطبوخة والجبن والتريد
والخبز بالزيت والتمر بالزبد والرطب بالبطيخ . ثبت انه عليه السلام تناول هذه الاشياء
كلها . وفي الجملة مهاضر من الطيبات لم يردده وان لم يجد شيئا صبر حتى انه شد
الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وكان يمر عليه الهلalan والثلاثة لا يوقد
في بيته نارا . واذا حضر الطعام وضعوه على السفرة وبسطوها على الارض ولم يأكل
على خوان مرتفع وكان يأكل بثلاثة اصابع واذا فرغ لعق اصابعه وكان لا يأكل
متكئا والاتكاء على ثلاثة انواع (احدها) أن يضع جنبه على الارض (الثاني)
ان يقعد مر بعا (الثالث) ان يعتمد باحدى يديه على الارض ويأكل بالآخرى
وكاها مذمومة وكان اذا فرغ من الطعام قال « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » وفي بعض الاحيان يقول « الحمد لله
الذي اطعم من الطعام وسقي من الشراب وكسا من العرى وهدى من الضلالة وبصر
من العمى وفضل على كثير من خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين » وفي بعض الاحيان
يقول « الحمد لله الذي اطعم وسقي وسوغه » ولم يكن من العادة أن يغسل الايدي بعد
الطعام دائما وكان يشرب الماء قاعدا في الغالب وكان يمنع من يشرب قائما ويزجره
وشرب قائما مرة قل بعضهم إنما شرب قائما لبيان الجواز وقال بعضهم بل العذر
لاجرم قال أكثر العلماء لا ينبغي ان يشرب قائما إذا منع عذر من القعود جاز
الشرب قائما وكان إذا شرب الماء دفع الباقي لمن هو عن يمينه وإن كان الذي عن
يساره اسن وادري *

﴿ فصل في لباسه صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان غالب لباسه القطن وكذا اصحابه الاخيار . وفي بعض الاحيان كان
يلبس الصوف والسكتان او مهاضر وتيسر اكتفى به جبة كان اوقبا او
قميصا وكان يلبس السراويل والرداء والخفين والنعلين يلبس كل ذلك وكان
يجعل للعمامة عذبة في بعض الاحيان ويرخيها بين كتفيه وقد يلبسها بغير عذبة
وكان يتحنك في بعض الاحيان وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا ورداء
ثم يقول اللهم أنت كسوتني أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره

وشر ما صنع له واذا لبس ثوبا ابتداً بالجانب الايمن في اليمين ونحوه وكان في بعض الاحيان يلبس ثوبا من شعر قالت عائشة خرج من البيت ولبس ثوبا من الشعر الاسود. وقال قتادة سألت أنسا عن أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الحبرة - والحبرة برد يماني - وكان في بعض الاحيان يلبس ثوبا من كتان مصر قالت عائشة صنعت له ثوبا من صوف قلبسه وعرق فيه فشم رائحة الصوف فالقاه عنه في الحال لانه كان يكره الرائحة السكرية الى الغاية ويحب الريح الطيبة. قال ابن عباس رأيت رسول الله في أحسن حلة . وقال أبو رمثة رأيت النبي ﷺ يخطب وقد لبس بردا اخضر والبرد الاخضر هو برد فيه خطوط خضر لانه اخضر خالص ووسادته من أديم حشوها ليفوا كثير الناس قد صاروا فتيين (فتنة) اختاروا البعد عن الملابس الجميلة واقتصر على المرقعات والمحقرات (وفتنة) اختاروا أخر الملابس واشرف الثياب ولبسوا الناعم المزين ذا الشهرة وهاتان الغنتان مخالفتان لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه قال من لبس ثوب شهرة لبس يوم القيامة ثوب مذلة هـ

﴿ فصل ﴾

النبي ﷺ لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيه في أكثر الاحوال وجاء في بعض الاحاديث انه ﷺ قال رأيت رب العزة في النوم فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى فقلت لا ادري قال فوضع يده بين كتفي فعملت ما بين السماء والارض فلما أصبح صلى الله عليه وآله وسلم جعل العذبة بين كتفيه وكان كم قميصه لا يجاوز رصغه وكان أحب الثياب اليه القميص ولبس حلة حمراء والحلة عبارة عن ثوبين والمراد بالاحمر هنا ما فيه خطوط حمر لانه احمر خالص لان الاحمر الخالص منهي عنه لبس عبدالله بن عمرو بن العاص ثوبا احمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا قال فعرفت ما كرهه فانطلقت فاحرقته فلما جئت في اليوم الثاني قال لي ما فعلت بثوبك قلت احرقته قال هلاك كسوته بعض اهلك فانه لا بأس به للنساء وفي الصحيح قال عبدالله بن عمرو رأى رسول الله ﷺ على ثوبين

معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها وفي الجملة ينبغي الاحتراز من لبس الثياب الحمر الخالصة وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والغرو المعلم على اطرافه بالندس والتعلم والتاسومة كل هذا لبسه ولبس الخاتم والروايات مختلفة ففي بعضها انه لبسه في اليد اليمنى وفي بعضها في اليد اليسرى وكان نقشه على هذه الهيئة



وقال لا ينقش احد على نقش خاتمي هذا ولبس الدرع من الزرد والحدود والجوشن وضاعف بين درعين في بعض الاحيان وكان له جبة خسر وانية

مفرجة عليها سحف من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانه كان يلبسه حال الحر كما في اليوم الذي امر فيه بالهجرة فانه جاء في نصف الليل الى بيت ابي بكر وهو مطيلس واما حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيرا فحمله بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر وكان يلبس جبة ضيقة الكمين وكان يلبس الازار والرداء في بعض الاحيان طول الرداء ستة اذرع وعرضه ثلاثة اذرع وشبر وطول الازار اربعة اذرع وشبر وعرضه ذراعان وشبر والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

(في العادة النبوية في معايشة أزواجه الطاهرات ومباشرتهم)

قال صلى الله عليه وآله وسلم « حجب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » وبعض المصنفين يزيد لفظ ثلاث وذلك غلط وحيث لم يستقم أولوه بتأويلات كهاسهوفان الصلاة ليست من أمور الدنيا وأحب الاشياء اليه من أمور الدنيا النساء والطيب وفي كثير من الليالي كان يطوف على جميع نسائه التسع وأكرمه الله تعالى بقوة ثلاثين رجلا من الاقوياء لاجرم أبيض له ماشاء من النساء وكان يسوي يمينهن في المبيت والاولاء والنفقة وجميع الامور (وأما في) المحبة فقال اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلهني فيما تملك ولا أملك يعني في المحبة والمجامة وفي وجوب رعاية المساواة بينهن عليه قولان (أحدهما) وجوب القسم (الثاني) أنه كان يجوز له أن يعاشرهن بغير قسم وذامن

خصائصه. وطاق بعضهن وراجع وآلى مؤقتا بشهر ولكن مآظهور بعض الفقهاء قال ظاهر أيضا وهو غلط واضح وسهوا فاضح وسيرته معهن أحسن السير وقد قال «خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى» وكان يسوق بنات الانصار الى عائشة ليلاعبوها وإذا التمت أمر ليس فيه محذور وافق وتابع وشربت من كوز فأخذته صلى الله عليه وآله وسلم ووضع شفته موضع شفقتها ثم شرب ورفعت عظامها فنهشت مما عليه من اللحم فأخذته صلى الله عليه وآله وسلم من يدها وأكل من موضع فيها وكان يتكلم عليها ويقرأ القرآن وكان يجعل رأسه فى حضنها ويتلو وان كانت حائضا وفى حالة الحيض كان يأمرها بشد الازار ثم يعانقها فوقه ويلصق سائر بشرته بها وكان يقبلها فى أيام الصيام ومن كمال لطفه وغاية مكارم أخلاقه مع أهل بيته أنه كان يمكنها من اللعب باللعب كما هى عادة البنات واتكأت على كتفه لتنظر إلى الحبشة ورقصهم وفى السفر سابقها مرتين راجلا سبقته عائشة فى المرة الاولى وفى المرة الثانية كانت عائشة قد بدنت فسبقها صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا بذالك وخرجا مرة من الحجرة معا وتدافعا عند محل الباب حتى خرجا وكان إذا عزم على سفر أقرع بينهن فمن وقعت قرعتها ذهب بها ولم يقض المقيمت عند العود وربما لاعب إحداهن ووضع يده عليها بحضور الجميع وكان يطوف على الحجرات كلها فى كل يوم بعد العصر يتفقد أحوال أهلها فاذا جن الليل بات فى حجرة صاحبة النوبة وقسم بين ثمانية من نسائه لان سودة رضى الله عنها وهبت نوبتها لعائشة فكانت لعائشة ليلتان والآخرى ليلية ليلية والذى وقع فى صحيح مسلم عن عطاء أنه قال الزوجة التى لم يتسم لها هى صفية غلط صريح من عطاء وسبب هذا الوهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجد على صفية فى بعض الايام فاضطربت صفية وقالت لعائشة إن استطعت أن ترضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عني وهبتك نوتي فقالت عائشة بلى ثم جاءت وقعدت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى يوم نوبة صفية فقال أبعدى فان اليوم ليس نوبتك قالت عائشة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وحكت له فرضى صلى الله عليه وآله وسلم

عن صفية ه وهذه الحالة إنما كانت في يوم واحد ونوبة واحدة لا غير فلذا وهم بعض الرواة وحديث كان يقسم لثمان صحيح هو وكان من العادة النبوية أنه إذا واقع في أول الليل اغتسل ثم نام في بعض الاحيان وفي بعضها كان يتوضأ وينام ثم يغتسل في آخر الليل والحديث المروى عن عائشة أنها قالت ربما نام ولايمس ماء غلط من بعض الرواة وربما طاف على جميعهن واغتسل في الاخر غسلًا واحدًا وربما اغتسل عقيب كل واقعة وكان إذا قدم من السفر لا يدخل البيت ليلاً *

﴿ فصل ﴾

(في نوم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسام ويقظته)
 كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينام في بعض الاحيان على الفراش وحينما علي النطع وحينما على الحصير وحينما على الارض مجردا وفراشه من أديم حشوه ليف عوض القطن وكان له مسح من شعر ينام عليه في الليل وكانوا يثنون له عند النوم فجعلوه في بعض الليالي أربع طاقات فنهاهم وقال اجعلوه مثنيا كما كنتم تفعلون أولا فانه منعي البارحة من صلاتي وفي الجملة كان ينام على الفراش أيضا ويلتحف وقال ان جبريل لم يأتي قط في لحاف امرأة سوى لحاف عائشة وكانت وسادته من أديم حشوها ليف *

﴿ فصل في الركوب ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان يركب الفرس وفي بعضها يركب البغل والحمار وكان قد يركب الفرس عربانا بغير سرج وقد يسوق وفي الغالب كان يركب منفردا وفي بعض الاحيان كان يردف على البعير أحدا وربما أركب شخصا آخر بين يديه فيصيروا ثلاثة على بعير وربما أركب بعض أمهات المؤمنين وغالب ما كيه صلى الله عليه وآله وسلم الفرس والبعير وأما البغل فانه كان قليلا في بر العرب أهدي له صلى الله عليه وآله وسلم بغلة من الاسكندرية وكان يركبها فقال بعض الصحابة نحن أيضا نقفز الحبير على الخيل لتنتج البغال فقال إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون ه

﴿ فصل ﴾

كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قطع من الغنم وكان لا يجب أن يزيد على مائة فان زاد شيء ذبح بدله وكان له جوار وغلمان وكان العتقاء من تلك الجملة ينيفون على الأرقاء وأكثر مواليه وعتقائه الغلمان لا الأما، وقال «أيما امرئ اعتق امرأ مسلما كان فسكا كمن النار يجزي كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فسكا كمن النار يجزي كل عضوين منها عضوا منه» وهذا حديث صحيح ودليل على أن عتق الغلام أفضل من عتق الامة وان عتق الغلام يعدل عتق أمتين *

﴿ فصل ﴾

باع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشترى لكن بعد نزول الوحي كان الشراء غالبا والبيع قليلا وأما بعد الهجرة فلم يحفظ البيع الا في ثلاث صور والشراء كثير واجر صلى الله عليه وآله وسلم واستاجر والاستئجار اغلب وحفظ انه قبل النبوة اجر نفسه لرعي الغنم وأجر نفسه لخديجة ايضا ليتجر لها وفي صحيح مسلم انه اجر نفسه من خديجة مرتين وفي سفرين كل سفره يحمل وشارك صلى الله عليه وآله وسلم ووكل وتوكل وكان التوكيل أكثر وأهدى له صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الهدية وعوض عنها ووهب له صلى الله عليه وآله وسلم وقبل الهبة . وحصل الامة بن الأكوخ في بعض الغزوات جارية حسنا فقال له صلى الله عليه وآله وسلم هبها لي فاخذها وفادى بها جماعة من الأسرى بمكة وخلصهم من الأسر واقترض صلى الله عليه وآله وسلم برهن وبغير رهن واستعار واشترى بنقد ونسيئة وضمن عن الله عز وجل ضمانا خاصا كما قال من ضمن لي ما بين لحية وما بين رجليه ضمنمت له الجنة ومثل هذا الضمان في السنة كثير وضمن ضمانا عاما عن مات وعليه دين ولم يترك وفاء دينه وكان صلى الله عليه وآله وسلم يشفع ويشفع اليه وشفع لمغيث عند امرأته بريرة فلم تقبل الشفاعة ولم يغضب عليها ولم يعاتبها وكان يكثر القسم بالله والثابت من ذلك يزيد على ثمانين موضعا وأمر الله تعالى نبيه بالقسم في

ثلاثة مواضع (الاول) قال الله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل أي وربى إنه لحق) (الثانى) قال الله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل لى وربى لتأتينكم) (الثالث) قال الله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل لى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) وكان فى بعض الاحيان يستثنى فى يمينه وقد يكفر عنها فى بعض الاحيان وقال إني والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فارى غيرها خيراً منها الا كفرت عن يميني وأتيت الذى هو خير وكان صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً ويورى ولا يقول فى توريته الا حقاً كما انه كان اذا عزم على قصد جهة سأل عن جهة أخرى ومياها ومراعيها ومنازلها وأمثال هذه التورية كان يفعلها فى الفزوات والجهاد كثيراً وكان صلى الله عليه وآله وسلم يستشير ويشير ويهود المرضى ويحضر الجنائز ويحبب الدعوة ويمضي مع الارامل والمساكين والضعفاء لقضاء حوائجهم فيقتضيهما وكان يسمع الشعر من الشعراء ويعطيهم الخاق لان جميع ما قالوه وما يقولونه الى يوم القيامة قطرة من بحر فعاوؤه لهم على قول حق (وأما مدح غيره فانه فى الغالب زور وهتان وكذب صراح لاجرم قال أحثوا فى وجوه المداحين التراب *

﴿ فصل ﴾

سابق صلى الله عليه وآله وسلم على قدميه وصارع وخصف نعله بيده الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم ورقع ثوبه ودلو بيته وحلب الشاة بيده ونقى ثوبه من الهوام وكان يخدم أهل بيته بنفسه صلى الله عليه وآله وسلم وفى عمارة المسجد كان يعين العمال ويحمل اللبن وربما جاع حتى شد الحجر على بطنه وأضاف وأضيف واحتجم على رأسه وعلى ظهر قدميه وفى الاخذعين والكاهل والاختدان عبارة عن عرقين فى جانبي العنق والكاهل عبارة عن مقدم الظهر يعنى بين الكتفين وتداوى عليه السلام وعند الضرورة أشار الى السكى وامر به لكن لم يكتبو وكان يرقى المرضى ولم يسترق لنفسه عليه السلام وامر المرضى بالحمية

والمعالجة واما استعمال الادوية المر كبة المذكورة في القراباذين والمعاجين والمر كبات
وامثالها فلم تكن من عادته بل كان يتداوى بالمفردات وربما اضاف شيئا
لدفع سورة ذلك الدواء في النادر وهذا كمال الحكمة وغاية معرفة الاطباء. روى
أبو خزامة عن أبيه قال قلت يا رسول الله ارأيت رقي نسترقها ودواء نتداوى
به وتقاة نقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله ومنع من
التخمة وكثرة الاكل وقال ماملاً ابن ادم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن
ادم لقيات يتمن صلبه فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثالث لنفسه *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وسلم يعالج الامراض بثلاثة أنواع (أحدها) بالادوية الطبيعية (الثاني)
بالادوية الالهية (الثالث) بادوية مر كبة من هذين القسمين (اما) علاج الحمى يقال
الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وجاء ايضا اذا حم أحدكم فليرش عليه الماء البارد
ثلاث ليال من السحر. وفي موضع آخر في مسند الامام أحمد كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل وثبت
في الترمذي اذا أصابت أحدكم الحمى فانما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالماء
البارد ويستقبل نهرا جاريا فليستقبل جرية الماء بعد طلوع الفجر وقبل طلوع
الشمس وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك وينغمس فيه ثلاث
غمسات ثلاثة أيام فان برأ والا فخمسا وان لم يبرأ في خمس فاسبغ فانها لا تنكاد
تجاوز السبع باذن الله اتفق أهل الحديث ان هذا خطاب خاص لاهل الحجاز
كخطاب لانستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا ولما كان
أكثر الحميات العارضة لهم من نوع حمي يوم الناشئة من شدة حرارة الشمس
أمر صلى الله عليه وسلم أن تعالج بالماء البارد شرابا واغتسالا *

﴿ فصل ﴾

استطلاق البطن حيث كان من كثرة المادة عوايج بتقوية الاطلاق كما في
الصحيحين أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان اخي يشتكى

بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قدسقيته فلم يغن عنه شيئا وفي لفظ فلم يزد الا استطلاقا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول اسقه عسلا فقال له في الثالثة أو الرابعة صدق الله وكذب بطن أخيك. وفي صحيح مسلم ان اخي عرب بطنه اى فسد هضمه واعتلت معدته وفي تكرار الامر بشرب العسل نكتة لطيفة من حيث ان الدواء ينبغي ان يكون له مقدار وكمية بحسب حال المرض حتى لو قصر عن ذلك لايزيل المرض بالسكينة وان زاد عن ذلك اسقط القوى وزاد المرض ولما لم يعط في كل نوبة ما يقاوم المرض لاجرم كان الاطلاق يزداد وكان صلى الله عليه وآله وسلم يامر باعادة شرب العسل وحيث وصل الى حده قال صلى الله عليه واله وسلم «صدق الله وكذب بطن أخيك» وكذب البطن عبارة عن كثرة للمادة الفاسدة (واعلم) ان الطب النبوي لانسبة له من طب الاطباء لان الطب النبوي متيقن النجاح قطعاً لانه صادر عن الوحي الالهي ومشكاة النبوة وكال عقل وأما طب الغير غالباً فانه مأخوذ من الحدس والظن والتجربة وهذا مثار الخطر ومن لا ينتفع بالطب النبوي فينبغي أن يعلم يقينا أنه من نقص ايمانه ومن تلقاه باقبال والصدق وحسن الاعتقاد انتفع به ألبتة كما ان القرآن الكريم شفاء لما في الصدور والقلوب ومن لم يتلقه بالقبول والاخلاص زاد مرضه ووباله *

﴿ فصل في علاج الطاعون والوباء ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول «الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» وثبت في حديث آخر «الطاعون شهادة لسكل مسلم» وجاء في حديث آخر «الطاعون وخز الجن» وجاء في رواية أخرى «الطاعون دعوة نبي» وفي هذا الحديث الذي نهى فيه عن دخول بلد فيها وباء وعن الخروج منها إشارة الى الاحتراز والاجتناب من الوباء لان في الدخول الى محل الوباء تعرضا للبلاء والقاء للنفس في المهلكة وذا مخالف للشريعة ومناف للعقل وقد ثبت في الحديث «ان من القرء التلف» والقرء مدانة

المرض ومقاربة الوباء ففي هذا المحل أمر بالحذر والحمية ونهي عن التعرض
 لاسباب التلف واما النهي عن الخروج من محل دخله الوباء فيظهر فيه معنيان
 (حمل) النفس على التوكل والاعتماد على الخالق والصبر على القضاء والرضاه (والمعنى
 الثاني) هو ما يقوله الاطباء من انه يجب على كل من أراد الاحتراز من الوباء
 تقليل الغذاء واخراج الفضلات من الرطوبات من البدن والميل الى التدبير
 اللطيف والاجتناب من الرياضة والحمام لئلا تنبعث الفضلات الرديئة الكامنة
 في قعر البدن ويجب عليه اختيار السكون والراحة والطمأنينة ليسلم من هيجان
 الاخلاق ولاشك ان الخروج من ارض الوباء والسفر الى ارض اخرى انما
 يتيسر بحركة شديدة وضرر ذلك ظاهر *

﴿فصل في الاستسقاء﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في علاجه بشرب ألبان الابل وأبوالها. ورد المدينة
 رهط من قبيلة عكل فلم يوافقهم ماء المدينة وهو أؤها فاستسقوا فجاءوا الى الرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا انا استوخنا المدينة فعظمت بطوننا وارتمشت
 أعضاؤنا فقل لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من ابوالها وألبانها ففعلوا
 فلما سحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم
 وسمل أعينهم وألقاهم في الشمس حتى ماتوا. والمحتمقون من الاطباء مطبقون
 علي أن ابن اللقاح وبول الجمال من الادوية المعبرة في هذا المرض والله أعلم *

﴿فصل﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في علاج الجراحات برماد من حصير محروق
 لما جرح وجهه المبارك في يوم أحد كانت فاطمة رضى الله عنها تغسل وأمير
 المؤمنين علي رضى الله عنه يصب الماء عليها وحيث لم ينقطع أخذت فاطمة قطعة
 من حصير فحرقتها حتى صارت رمادا ووضعت ذلك الرماد على الجراحة
 فانقطع الدم من ساعته وكانت الحصير من البردى وفي تلك البلاد غالب
 حصير من البردى ولرماده قوة تامة في قبض الدم *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم
أو شربة عسل أو كية بنار وأنا أنهي أمي عن السكى قال العلماء هذا الحديث
إشارة إلى معالجة جميع الامراض المادية لان المرض امدومى او صفراوى او
بلغمى أو سوداوى فان كان دمويا فعلاجه باخراج الدم وإن كان الاقسام الثلاثة
فعلاجها الاسهال نبه بالعسل على ذلك وبالجمجم على القصد والحجامة ونبه بالسكى
على حالة يعجز فيها الطبيب ويعيا وآخر الدواء السكى ولما حججه صلى الله عليه
وآله وسلم أبوطيبة أمر له بصاعين وقال لسادته خففوا عنه شيئا من خراجه
ف فعلوا وكان يقول «خير ما تداوون به الحجامة» وقال «ما مررت ليلة اسرى بي بملا
من الملائكة إلا قالوا يا محمد مرأمتك بالحجامة» والسبب أن الحجامة تخرج الدم
من نواحي الجلد والاطباء بأسرهم قائلون بان الحجامة فى البلاد الحارة أفضل
من القصد لان دمهم رقيق ناضج منبسط على سطح البدن وإنما يخرج بالحجامة
لأبالقصد والقصد ينفع أعماق البدن وفى الصحيحين «كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يحتجم ثلاثا واحدة على كاهله واثنين على الاخدعين» وفى
الصحيح أنه احتجم وهو محرم فى رأسه لصداع كان به وفى سنن ابن ماجه
أن جبريل جاءه وأمره بالحجامة فى الاخدعين والسكاهل. وفى سنن أبى داود
«أنه صلى الله عليه وآله وسلم احتجم فى ورکه من وثى كان به» والوثى دكة فى
البدن من سقطه أو ضربة لاتصل الخلع والكسر ۵

﴿ فصل ﴾

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحب السكى ومع هذا كان يأمر به
عند الضرورة وأرسل مرة طبيبا إلى أبى بن كعب فرآه وكواه ولمس جرح
سعد بن معاذ فى أ كحله أمر أن يكوى فورم فكوى ثانيا وأمر أسعد بن زارة
فكوى من داء الشوكة والشوكة - حمرة شديدة تستولى على الوجه والجبهة - وكوى
جابر على الاكحل . مجموع هذه الاحاديث صحيح وقد بينا قبل أنه نهي
الامة عن السكى والجواب عنه أن الاحاديث على أربعة أنواع بعضها دال على الفعل

وبعضها دال على عدم المحبة وبعضها دال على الثناء والمدح على تاركه وبعضها مشتمل على النهي عنه (أما) الفعل فيدل على الجواز (وأما) عدم المحبة فلا يدل على المنع (وأما) الثناء والمدح على الترك فدل على الأفضلية والأولوية وأما النهي عنه فإنه محمول على أنه لن يفعله مختاراً أو يفعله من خوف حدوث مرض فلا يكون بين الأحاديث تعارض *

﴿ فصل في علاج عرق النساء ﴾

وهو ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «دواء عرق النساء ألية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزأ» ولما كان هذا المرض يحدث من مادة غليظة لزجة أو من ييس مزاج احتياج إلى انضاج وتلين وهما في الألية بالخاصية فامر صلى الله عليه وآله وسلم أن يعالج بها وإنما خص الشاة بالأعرابية لأنها أصغر وألطف وخاصية مراعي الشيخ والقيصوم والنباتات اللطيفة فيها موجودة *

﴿ فصل ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في معالجة بيس المزاج بالتلين واختار للتلين السنن المسكي «سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء بنت عميس بم كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قال إستمشين بالسنن وقال لو كان شيء يشفي من الموت كان السنن» (الشبرم) نبت معروف في الحجاز يستعمل من قشور عروق جذوره (قوله) صلى الله عليه وآله وسلم حار جار أول الأولي حاء مهملة والثانية جيم وهذا من باب الاتباع يقال في المبالغة وقال «عليكم بالسنن والسنوات فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام» وفي تفسير السنوات ثمانية أقوال (الأول) العسل (الثاني) رب عكة السمن يخرج مخلوطاً بالسمن (الثالث) حبة تشبه الكون وليست به (الرابع) كرون كرمان (الخامس) الرزبانج (السادس) الشبث (السابع) التمر (الثامن) عسل يكون في أسفل ظروف السمن وهذا المعنى أقرب لأن السنن المدقوق المخلوط بعسل مخلوط بسمن أقوى للاسهال وأصاح وجاء في حديث آخر «خير ما تداويتم به السعوط والدود

والحجامة والمشاء» السعوط (يقال لدواء يقطر في الدماغ من طريق الانف) والدود
يقال لدواء يصب في الخلق من أحد جانبي الغنم والمشاء داؤه مسهل *

(فصل في الحكمة وغلبة القمل)

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في علاج ذلك بلبس ثياب الحرير قال أنس
ابن مالك «إن عبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام كانا في مشقة عظيمة
من حكة البدن فرخص لهم في لبس قميص الحرير» وجاء في بعض الروايات
«أنهم في بعض الغزوات شكوا إلى حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كثرة القمل فرخص لهم في لبس قميص الحرير» ويتعلق بهذا الحديث
أمران. فقهي. وطبي (أما) الفقهي فخرمة لبس الحرير على ذكور الامة إلا الحاجة
أو رجحان مصلحة (وأما) الامر الطبي فالتداوى بلبس الحرير من الامراض
اليابسة السوداء لان الحرير من الادوية الحيوانية ومن خواصه تقوية القلب
والتفريغ ودفع غلبة السوداء والمرض يظهر منها وهو حار رطب ومعتدل في قول
بعض وايس فيه شيء من اللين ولا من الخشونة أصلا لاجرم انه ينفع من الحكمة
والجرب وامثالهما وبسبب ملاسته لا يثبت القمل عليه *

(فصل في ذات الجنب)

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في علاج ذلك باستعمال القسط البحري
في جامع الترمذي عن زيد بن أرقم ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال «تداوا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت» وفي حديث آخر
«القسط البحري هو العود الهندي» وذات الجنب على نوعين حقيقي وغير حقيقي
فالحقيقي ورم يظهر في غشاء بين الاضلاع وغير الحقيقي يظهر في الجنب
الابسر من احتمان ربيع غليظ وهذا الدواء لهذا النوع لان القسط الهندي
اذا سحق سحقا جيدا وخلط بالزيت وطلب به ذلك المكان او لعق منه بالاصبع
حلل تلك المادة وقوى اعضاء الباطن وفتح السدد (وأما النوع) الحقيقي فان كان
من مادة بلغمية فهذا الدواء علاجه خصوصا حالة انحطاط المرض. ولما اشتد به
مرضه وكان عنده نساؤه والعباس وام الفضل بنت الحارث واسماء بنت

عميس فتشاوروا في لده فلدوه وهو مغمور فلما افاق قال «من فعل بي هذا هذا من عمل نساء جنن من هنا و اشار بيده الي ارض الحبشة يشير الى ام سلمة واسماء قالوا يارسول الله حسبنا ان يكون بك ذات الجنب قال فبم لددموني قالوا بالعود الهندي وشيء من ورس وقطرات من زيت قال ما كان الله ليقتدني بذلك الداء ثم قال عزمت عليكم لا يبقى في هذا البيت أحد الا لد الاعمى العباس فانه لم يشهدكم » والله اعلم *

(فصل)

وإذا حدث برأسه صلى الله عليه وآله وسلم صداع وضع عليه الحناء ويقول هذا ينفع الصداع. وفي سنن ابن ماجه «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أصابه صداع غلف رأسه بالحناء ويقول إنه نافع باذن الله من الصداع» والمراد به نوع من الصداع وهو ما لم يكن ماديا بل كان ملتبها بحرارة الشمس. والحناء لهذا النوع نافع سيما إذا دق و لت بالخل وضمده بالجبهة وثبت في سنن أبي داود «أن رسول الله ﷺ ماشكا اليه أحد وجعا في رأسه الا قال له اختضب بالحناء» وفي الترمذى عن أم نافع قالت لا تصيب النبي ﷺ قرحة ولا شوكة الا وضع عليه الحناء. *

﴿ فصل ﴾

كان النبي ﷺ يقول «لا تسكروا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله تعالى يطعمهم ويسقيهم» عن عقبه بن عامر الجهني رضى الله عنه يرفعه وحكمته ظاهرة لان طبيعة المريض مشغولة بانضاج المادة واخراجها واذا أكره المريض على الطعام والشراب تعجز الطبيعة عن فعلها وتشتغل بهضم الطعام والشراب ولا تنضج المادة أصلا بل يبقى شيء غير نضج ويشتم المرض ولا ينبغي أن يعان على قوة المرض الا أجزاء لطيفة من الاشربة والاغذية يحصل بها القوة للمريض ولا تشتغل الطبيعة بانضاجها كالاشربة اللطيفة وأمر ارق الفرار بيج وانعاش القوة الفريرية بشم العطر واستماع الاخبار المفرحة *

﴿ فصل ﴾

يظهر في حلق بعض الاطفال علة من ثوران الدم يقال لها العذرة أمر
 ﷺ في علاجها بالقسط الهندي وبعض الدايات تعصر لها الصغير باهامها
 فتخرج الدم فنهى ﷺ عن ذلك وقال «خير ما تداوونتم به الحجابة والقسط البحري»
 وقال «لا تعذبوا صبيانكم بالغمز في العذرة» وفي مسند الامام أحمد «دخل رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة وعندها صبي تسيل منخراه دما فقال
 ما هذا فقوا به العذرة أو وجع في رأسه فقال ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما
 امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فلنأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم
 تسعطه إياه فامرت عائشة فصنع ذلك بالصبي فبرئ» ولما كانت تلك العلة
 دما غلب عليه الباغم كان العلاج بالقسط موافقا لان القسط مجفف ومقول العضو
 والتسعيط الذي أمر به صلى الله عليه وآله وسلم هو أن يصب الدواء في الدماغ
 حالة الاستلقاء وإذا وصل الي الدماغ تخرج العلة بالعطاس ومدح صلى الله عليه
 وآله وسلم التداوي بالسعوط واستعط هو صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ فصل ﴾

من اشتكى وجع القلب يقال له مفؤد لان الوجع اصاب فؤاده وأمر صلى
 الله عليه وآله وسلم في دوائه بتمر المدينة ثبت في سنن أبي داود عن سعد قال
 «مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذني فوضع يده بين
 يدي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي إنك رجل مفؤد فأث الحارث
 ابن كلدة من تقيف فانه رجل يتطبب ثم قال فليأخذ يعني صاحب هذه العلة
 سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليدلك بهن» وفي التمر خاصية
 عجيبه لهذا المرض وفي تخصيص السبع سر علم بالوحى «وقال من تصبح كل
 يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» وقاله ان في عجوة
 العالية شفاء وانما ترياق أول البكرة، وينبغي ان يعلم أن شرط انتفاع المريض
 بالدواء أن يعتقد نفعه أو تقبل طبيعته عليه فيستعين بذلك علي دفع العلة كما أن
 جمعا من الاكابر عالجوا بالحبة السوداء في جميع الامراض وبعضهم استعمل

العسل في جميع الامراض ويبركة حسن الاعتقاد دفعت تلك الامراض *

﴿ فصل ﴾

أمر صلي الله عليه وآله وسلم المريض بالحمية ومنع من الغذاء المخالف والاصل في الحمية نص التنزيل (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) أمر المريض بالاحتماء عن استعمال الماء البارد وروت أم المنذر الانصارية فقالت «دخل علي رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ومعه علي وعلي ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم يأكل منها وقام علي يأكل منها فطلق النبي صلي الله عليه وآله وسلم يقول انك ناقه انك ناقه حتي كف قالت وصنعت شعيراً وسلقاً فجئت به فقال النبي صلي الله عليه وآله وسلم لعلي من هذا أصب فانه انفع لك ويروي من هذا فأصب فانه أوفق لك» وعن صهيب قال قدمت على النبي صلي الله عليه وآله وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن فمسك فآخذت تمرأ فأكلت فقال أنا كل تمر أو بك رمد فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الاخري فتبسم رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم وقال ان الله اذا أحب عبده حماه الدنيا كما يحبني أحدكم مريضه عن الطعام والشراب (وأما) الأحاديث المشهورة الجارية على السنة العوام من المفتريات فمنها الحمية رأس كل دواء . المعدة بيت كل داء عودواكل جسد ما اعتاده وصح أنها من كلام الحارث بن كلدة وجاء في حديث اخر «إن المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم *

﴿ فصل ﴾

أمر صلي الله عليه وآله وسلم في دواء وجع العين بالسكون والراحة ومنع أمير المؤمنين علياً من أكل الرطب في حال الرمد وكان لا يقرب من بها رمد من أمهات المؤمنين الي أن يحصل لها الشفاء *

﴿ فصل ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في دواء الخدر الكلي بالماء البارد اتفق أن جماعة ساروا في

طريق فوصلوا الي شجرة لم يعلموا ماهي فاكلوا منها فخذروا في مواضعهم وبطل
حسبهم فقال عليه السلام بردوا الماء في الشنان وصبوا عليهم فيما بين الاذنين يعنى
أذان الفجر والاقامة وهذا من أفضل المعالجات *

﴿ فصل في اصلاح الطعام والشراب الذى سقط فيه الذباب ﴾

روى أبوهريرة «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فأمقلوه فان في أحد جناحيه
داء وفي الآخر شفاء» وفي رواية أبى سعيد الخدرى فانه يقدم السقم ويؤخر
الشفاء وفي هذين الحديثين أمر ان فقهي وطبي (أما) الفقهى فهو أن الذباب
اذا وقع في ماء أو مائع فمات لا ينجس وذا قول جمهور العلماء (وأما) الأمر
الطبي فهو دفع ضرر الاشياء باضدادها لان الذباب اذا وقع في طعام أو شراب
قصد دفع ضرر ذلك بسلاحه المسموم فقدمه لاجرم أمر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم أن يتقابل السمىة بالترىاقية ليدفع ضرره *

﴿ فصل ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في علاج البثرات بالذريرة والبثرات جراحات صغار
تظهر بسبب خلط على ظاهر البدن والذريرة دواء يؤتى به من الهند يخرج من
قصب الذريرة عن بعض أزواج النبي عليه السلام قالت «دخل على النبي عليه السلام وقد
خرج في أصبعى بثيرة فقال هل عندك ذريرة قالت نعم قال ضعها وقولى اللهم
مصغر الكبير ومكبر الصغير صغرماني» وإذا كان باحد ورم أمر النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ببطه * عن على رضي الله عنه قال «دخلت مع رسول الله عليه السلام
على رجل يعود بظهره ورم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه
مدة بطوا عنه قال على فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وآله وسلم
شاهد» وفي مرة أخرى أمر صلى الله عليه وآله وسلم ببط شخص كان قد ورم فقالوا
يا رسول الله هل ينفع الطب فقال «الذى أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء» *

﴿ فصل ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يعالج المريض في بعض الاحيان بالكلمات
المطيبة لانفس الدافعة للحزن والغم * روى أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه «اذا

دخلتم علي المريض فنفسوا له في أجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه» وأمر صلى الله عليه وآله وسلم في معالجة الحزن والغم بالتلبينة وهي طعام رقيق يصنع من دقيق شعير غير منخول بشرط أن يطبخ طبخا تاما ليكون في القوام والرقه كالحليب ولذا قالوا التلبينة وله حكم ماء الشعير الذي عليه اعتماد الاطباء في أكثر المعالجات «عن عائشة رضی الله عنها أنها كانت إذا مات الميت من أهلها واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن الى أهلن أمرت بيرمة تلبينة فطبخت وصنعت ثريدا ثم صببت التلبينة عليه ثم قالت كلوا منها فاني سمعت رسول الله عليه وآله وسلم يقول التلبينة حجة لفرؤاد المريض وتذهب بعض الحزن» وجاء في حديث آخر «عليكم بالبغيض النافع التلبين» وثبت في حديث عن عائشة أنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قيل له إن فلانا وجع لا يطعم الطعام قال عليكم بالتلبينة فاحسوه اياها وكان يقول والذي نفسي بيده انها تغسل بطن أحدكم كما تغسل احدا كن وجهها من الوسخ» *

﴿فصل في علاج السم﴾

جاءت امرأة يهودية الي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر بشاة مصلية فتناول منها فنظقت الشاة فقالت الذي معناه لا تزدد علي هذا فاني مسمومة فطلب صلى الله عليه وآله وسلم المرأة وقال لم فعلت هذا فقالت ان كنت نبيا لا يضرك فاحتجم صلى الله عليه وآله وسلم بين السكتين في ثلاثة مواضع وأمر من أكل معه بذلك وعاش بعدها ثلاث سنين وكان يقول في كل سنة مازلت أجد ألم لكمة خيبر وقال عام وفاته مازلت أجد من الاكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر حتى كان هذا أو ان انقطاع الابهر مني فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا *

﴿فصل في علاج السحر﴾

لما سحره اليهود ووصل المرض الي الذات المقدسة النبوية أمر صلى الله عليه وآله وسلم بالحجامة علي قمة رأسه المبارك ومن لاحظ له من الدين والايمان يستنكر كل هذا العلاج ولو نقل عن كبار الاطباء كجالينوس وأرسطاطاليس

لم ينكره ولما وصلت مادة السحر الى رأسه المبارك كان يخيل اليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله وهذا تصرف من الاحرف في الطبيعة واختلطت المادة الدموية بتلك المادة فغلبتا على بطن الدماغ فخرج عن طبيعته الاصلية لان السحر مركب من تأثيرات الارواح الخبيثة وانفعال قوى الطبيعة واستعمال الحجامة في محل تضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن جملة العلاجات التي هي عظمة النفع في السحر الادوية الربانية من الآيات والدعوات المبطللة لذلك وكل ما كان أقوى بطل به السحر عاجلا لاجرم لما نزلت المعوذتان بطل السحر بالكلية *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان يعالج البدن بالقيء عن أبي الدرداء «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام فتوضأ فلقيت ثوبان فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صبيت له وضوءه» والقيء أحد الاستفراغات الخمس التي هي أصل أنواع الاستفراغات وهي الاسهال والقيء واخراج الدم وخروج الابخرة والعرق وقد وردت السنة بالخمس كما ذكرناه *

﴿ فصل ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يضمن من يعالج بغير معرفة عن عمرو ابن العاص يرفعه «من تطيب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن» ولاخلاف بين العلماء أن من طبب بغير علم فاهلك المريض لزمه الضمان وان حضر طبيبان في حضرته عليه السلام أشار الى أحدهما. روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم «أن رجلا في زمن رسول الله عليه السلام جرح فاحتقن الدم وان الرجل دعا رجلين من بني أمار فنظر اليه فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما أيكما أطب فقلنا افي الطب خير يا رسول الله فقال الذي أنزل الداء انزل الدواء *

﴿ فصل ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم باجتناّب معاشرة أرباب الامراض المعدية كما في حديث أبي هريرة مرفوعا «فر من المجذوم كما تفر من الاسد» وصح في حديث

جابر « انه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فقال له انا بايعناك فارجع » وفي حديث ابن عباس مرفوعا « لاتديموا النظر الى المجذومين » وجاء في حديث آخر « كالم مجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين » والجذام مرض خبيث يظهر من انتشار السوداء في جميع البدن فيفسد مزاج الاعضاء ويغير شكلها وهياتها. وجاء في حديث آخر انه صلى الله عليه وآله وسلم « أكل مع مجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه » والجواب عن حديث « لاعدوى ولا طيرة » قالوا انما أمر بالاحتراز منهم لئلا يصل هذا المرض الي أحد والعياذ بالله فيتصور له بهذا أن العدوى حق وقال بعضهم في الجواب الامر باجتنب المجذوم على سبيل الاستحباب والاختيار والارشاد ومؤاكلة المجذوم لبيان جواز الفعل والاعلام بانه غير حرام . وقال بعضهم في الجواب ان الخطاب فيه غير كلي لكل مؤمن وانما خاطب كل مؤمن بما يليق ويتسع له حاله فمن كان ايمانه وتوكله في نهاية القوة فلا يتضرر بمخالطتهم لان قوة ايمانه تدفع قوة العدوى وأما الضعفاء فأمرهم بالاحتياط والاحتراز وهو صلى الله عليه وآله وسلم باشر الصورتين ليقتدى به فيأخذ القوي بطريق التوكل والضعيف بطريق التحفظ .

﴿ فصل ﴾

منع صلى الله عليه وآله وسلم عن التداوى بالمحرمات . روى أبو الدرداء « ان الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداؤوا ولا تداؤوا بالمحرم » وروى ابن مسعود ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم . وسأل طارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عمل الخمر فنهاه فقال انما أصنعه للدواء فقال « انه ليس بدواء ولكنه داء » وفي لفظ آخر في سنن أبي داود والترمذي عن طارق « قلت يا رسول الله ان بارضنا أعنا بانعصرها ونشرب منها قال لا فرأجته فقلت انا نستشفى بها للمريض قال ان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » وفي سنن النسائي مروى « أت طبيبيا ذكر أن الضفدع تنفع في هذا الدواء فنهى صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الضفدع » وثبت في حديث آخر « من تداوى بالخمر فلا شفاء الله » .

﴿ فصل ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم في علاج القمل بخلق الرأس لتنفث المسام
وتتصاعد الابخرة وتضعف المادة التي يتولد منها القمل *

﴿ فصل ﴾

﴿ في المعالجة بالادوية الروحانية الربانية والادوية المركبة منها ومن الطبيعية ﴾
كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول « العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوا » ورخص في رقية العين والحمة والنملة. روى مالك
« أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فتأمل في حسن بدنه وقال والله
مارأيت مثل هذا ولا جلد مخدرة فلبط سهل لحينه وبلغ خبره رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فغضب على عامر فدعا عامرا فتغاضب عليه وقال علام يقتل
أحدكم أخاه الا بركت اغتسل له فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وربكته
وأطراف رجليه ودأخلة ازاره في قدح ثم صب عليه فراح مع الناس ليس به بأس »
قوله الا بركت يعنى لم لا قلت بارك الله فيه وكيفية الغسل بينها الزهرى فقال
يؤمر العائن أن يدخل يده في قدح ماء ويخرج منه كفايته مضمض به ثم يصبه في
القدح ويغسل وجهه في القدح ثم يدخل يده اليسرى في القدح ويغترف ماء
يصبه على ركبته اليسرى ثم يغسل ازاره وفي داخل ازاره قولان (أحدهما) مراده
الفرج (الثاني) مراده طرف الازار داخل الذي يلي البدن من الجانب الايمن
ولا يضع القدح على الارض ثم يصب ذلك الماء على العيون من خلف رأسه « ورأى
صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة جارية في وجهها سعفة فقال استرقوا
لها فان بها النظرة » وفي سنن أبي داود عن سهل بن حنيف « مررت علي ماء
فاغتسلت منه فاخذتني الحمى فبلغ الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم فقال مروا ابا ثابت يتعوذ قال فقالت ياسيدي والرقى صالحة فقلت لارقية
الا في نفس أوحمة أولدعة » والنفس العين والحمة كل ذى سم وأكثر الرقى
النبوية الثابتة في الحديث الصحيح منها « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق
وأعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسماء الله الحسني

ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء
 ومن شر ما يخرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها
 ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير
 يا رحمن» ومن جملتها «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر
 عباده ومن هزات الشياطين وان يحضرون» ومن تلك الجملة «اللهم اني أعوذ
 بوجهك الكريم وبكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت
 تكشف المأثم والمغرم اللهم انه لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك»
 ومن تلك الجملة أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلمات
 الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم
 أعلم من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر كل ذي شر لأطيق شره ومن شر كل
 ذي شر رب أنت آخذ بناصيته ان ربي على صراط مستقيم» ومن تلك الجملة
 «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء
 الله كان ومن لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله أعلم ان الله على كل شيء
 قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً اللهم اني أعوذ
 بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها
 ان ربي على صراط مستقيم» ومن تلك الجملة «تحصنت بالذي لا اله الا هو الهى
 واله كل شيء واعتصمت بربي ورب كل شيء وتوكلت على الهى الذي لا يموت
 واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة الا بالله حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الرب
 من العباد حسبي الخالق من المخلوق حسبي الرازق من المرزوق حسبي الذى
 هو حسبي حسبي الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه حسبي
 الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى حسبي الله لا اله الا هو عليه
 توكلت وهو رب العرش العظيم» ومن جرب هذه الدعوات علم عظيم قدرها
 بالاجابات ومن تلك الجملة رقية جبريل الثابتة فى صحيح مسلم التي رقي بها
 سيدنا رسول الله عليها من الله أفضل الصلاة والسلام (بسم الله أرقيك من كل
 شيء يؤذيك من كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك) ومن جملة

الكلمات التي تدفع شر النظر (قول ما شاء الله لا قوة الا بالله) وان قال العائن اللهم بارك عليه دفع شر نظره وجماعة من السلف أجازوا أن يكتب آيات من القرآن ويشربها المعيون قال مجاهد لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض وروى أن امرأة أصابها الخاض مدة فامر ابن عباس بكتابة آيتين من القرآن فكتبتا وغسلتا وشربت المرأة الماء . ومن رقي العين ماروى عن أبي عبد الله الباجي أنه قال كنت . في بعض الاسفار على جمل جيد وكان في القافلة شخص معروف انه اذا نظر الى شيء واستحسنه تلف فليل لابي عبد الله ذلك فقال ليس له قدرة على جملي فبلغ كلامه الى العائن فارتعب ابا عبد الله عند المنزل ثم جاء فنظر الى البعير فاضطرب وسقط كما تسقط النخلة اذا اقتلعت من جذرها فلما جاء ابو عبد الله اخبر بذلك فقال سيروا بي اليه فلما رآه قال (بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حير) فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها .

﴿ فصل ﴾

عالج صلى الله عليه وآله وسلم جميع الامراض والآلام بهذا الدعاء وهو الذي قال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدر اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ باذن الله » وثبت في صحيح مسلم « أن جبريل جاء الي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو وجع وقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن كل نفس وعين بسم الله أرقيك والله يشفيك » والذي رويناه لارقية الا في عين أو حمة المراد أنه لارقية أولى وأنفع منها في ذلك واكبر الرقي فاتحة الكتاب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خير الدواء القرآن وهي مشتملة على معانيه

وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال « انطلق نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فأبوا ان يضيفوهم فلدغ سييد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء فلم ينفعه فقال بعضهم لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم بعض شيء فأتوهم فقالوا يأبها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء فلم ينفعه فهل عند أحدكم من شيء فقال بعضهم اى والله إني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فانا انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتغل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأما نشط من عقال قال فانطلق يمشى وما به فلتة فافوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه» هذا لفظ البخارى وقال بعضهم اقسوا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه واله وسلم فنذكر الذى كان فيه فننظر الذى يامرنا به فقدموا على النبي صلى الله عليه واله وسلم فذكروا له فقال وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقسوا واضربوا لي معكم سهما (وأما في لدغ العقرب ففي مسند أبي بكر بن ابي شيبة مروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلي فلدغته عقرب في اصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة قال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم طلب ظرف ماء وملح ووضع أصبعه في الماء والملح وقرأ سورة الاخلاص والعوذتين ولم يزل يكرهن حتى زال الالم» وفي سنن ابي داود عن الشفاء بنت عبد الله أنها قالت « دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا عند حفصة فقال الاتعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة والنملة جراح تظهر على الجنب تؤلم الماشد بدأ يحس المريض منها حركة النملة وكانت الشفاء بنت عبد الله دائما بمكة ترقى هذا المرض فلما هاجرت أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت يا رسول الله كنت في الجاهلية ارقى من النملة واريد أن اعرض ذلك عليك ثم قال بسم الله صلت حتى يعوذ من افواها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس يقرأ هذا الدعاء على خشبة ثم تحك على حجر بخل حاذق ويطل به الجراح * وأما في سائر الجراحات والقروح فقد

روت عائشة «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتكى الانسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابة بالأرض ثم رفعها ثم قال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بأذن ربنا» وهذا علاج سهل هين نافع مركب من طبيعي وإلهي لأن التراب بارد يابس مجفف لطوبات القروح والجراحات خصوصاً في البلاد الحارة لاسيما تراب المدينة. وجاء شخص فقال يارسول الله «في بدني ألم عظيم منذ أسلمت فقال صلى الله عليه وآله وسلم ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» وأما في ألم المصائب ودفعها فقال صلى الله عليه وآله وسلم «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها الا أجره الله في مصيبيته واخلف له خيراً منها»

﴿فصل في علاج الكرب والغم والهم﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول «لا إله الا الله العظيم الحليم لا إله الا الله رب العرش العظيم لا إله الا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم» وفي جامع الترمذي كان إذا حزبه أمر قال «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» وكان إذا أهمله الأمر رفع رأسه الى السماء فقال سبحان الله العظيم وإذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم وقال دعوات الكرب «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفه عين واصلح لي شأني كله لا إله الا أنت» وقالت أسماء بنت عميس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا «أعلمك كلمات تقولين عند الكرب الله ربي لا أشرك به شيئاً سبع مرات» وقال «ما أصاب عبداً ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمى الا أذهب الله همه وحزنه وأبدل مسكانه فرحاً» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «دعوة ذي النون

اذ دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم قط في شيء الا استجاب له» ودخله «رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد ذات يوم فاذا هو برجل من الانصار يقال له أبو أمامة فقال له يا أبا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة قال هموم لزمته وديون يارسول الله قال أفلا أعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله همك وقضى عنك دينك فقلت بلى يارسول الله قال قل اذا أصبحت واذا أمسيت اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت فأذهب الله همى وغمى وقضى عنى دينى» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» وفى مسند أحمد «كان اذا حزبه أمر لجا إلى الصلاة» وكان يقول «اجتهدوا فى الجهاد فانه باب من أبواب الجنة وهو يدفع الكرب والهم والغم» وقال «من كثرت همومه وغموه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها كثر من كنوز الجنة» وفى صحيح ابن حبان قال شخص فى دعائه «اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا إله الا أنت الخنان المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى» وفى علاج الخوف والارق أمر أن يقال «اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين السبع وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جار من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على منهم أحدا وان يبغي عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك» وأمر فى علاج الحريق بالتكبير.

﴿ فصل فى العادة النبوية فى الطعام والشراب ﴾

كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول «لا آكل متكئا انما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد» ونهى أن يأكل الانسان مستلقيا على وجهه وكان يأكل بثلاثة أصابع ولم يأكل بواحدة أبدا ولم يجمع بين سمك ولبن ولا بين اللبن وشى من الحوامض ولا بين غذاءين حارين ولا بين دواءين لزجين ولا بين

قابضين ولايين مسهلين ولايين غليظين ولايين مختلفين كقباض ومسهل أو سريع الهضم وبطيئه ولايين المشوى والمطبوخ ولايين القديد والرطب ولايين الحليب والبيض ولايين اللحم والحليب وكان لا يأكل الطعام في حال شدة حرارته حتى يبرد ولا يأكل طعاما باثنا ولا ما فيه عفونة من الاطعمة كالسكبخ والمخللات والملوحات ولم يثبت أنه تناول منها شيئا وكان يدفع ضرر بعض الاغذية باضدادها كالتمر بالسمن والرطب بالقتاء وكان ينقع التمر ويشرب ماءه لهضم الطعام وأمر أن يؤكل ما تيسر من الطعام قبل النوم ولو كفا من تمر ونهي عن النوم عقيب الاكل وأما شرب العسل فإنه كان يمزجه بماء بارد في غاية البرودة ولما كان العسل أفضل الاشربة باجماع أهل العلم لانه نتيجة الوحي الالهي كان يحبه أكثر من جميع الحلالات ولما دخل صلى الله عليه وآله وسلم بستان ابن التيهان قال هل عندكم ماء بات في شنة والاء كرعنا والمراد بالسكبخ هنا الاعتراف باليدن اذ يكون الشرب باليد متعذرا في تلك الحالة فأدت الضرورة الى السكبخ وكان صلى الله عليه وآله وسلم يشرب قاعدا وينهى أن يشرب أحد قائما وكان يقول من نسي فشرب قائما فليتيقأ اسكن ثبت في الصحيح أنه شرب قائما كما ذكرناه في الحج قال بعضهم هو ناسخ للنهي وقال بعضهم هذا مبني على أن النهي لم يكن للتحريم وإنما كان للارشاد وقال بعضهم ليس فيه تعارض لانه إنما شرب قائما للضرورة. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتنفس في الاء ثلثا «ويقول أنه أروى وأمر أو أبرأ» وقال «غطوا الاء وأركوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها واء لا يمر باناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه واء الا وقع فيه من ذلك الداء» ونهي عن الشرب من ثلثة القدح يعني من المسكان المكسور وكان يشرب الحليب المحض وقد يمزجه بالماء ويقول ليس شيء يجزى عن الطعام والشراب غير اللبن وكان ينقع التمر في الماء ليلة وليلتين وثلاث ليال ثم يشربه وما بقي مما مضى عليه ثلاث ليال يسقيه بعض الغلمان أو يأمر باراقته *

﴿ فصل ﴾

لم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم ولا لأصحابه التفات الى المسكن والمنزل لانهم يعلمون انهم على ظهر سفر لاجرم انهم اکتفوا بقدر الحاجة مما يدفع الحر والبرد ويمنع ولوج الدواب والبهائم ويحصل به ستر من عيون بني آدم وأما الزخرفة والتعلية والوسعة فلم تكن أصلاً

﴿ فصل ﴾

وأما تدبير النوم واليقظة فكان على أعدل الوجوه كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام أول الليل ويقوم أول النصف الثاني فيتسوك ويتوضأ ويتهدج على الوجه الذي بيناه لاجرم أن البدن والأعضاء أخذت من النوم والراحة والرياضة بأنهم حظ وأوفر أجر وأكمل عبادة وكان لا يزيد في النوم على القدر المحتاج اليه ولا يمنع النفس من قدر الحاجة وكان اذا قصد النوم اضطجع على الشق الايمن ولا يزال مشتغلاً بالذکر حتى يغلبه النوم . وكان لا ينام على الفرش المحشية حشواً عالياً ولا يبيت على الارض المجردة وفي بعض الاحيان كان يضع رأسه على الوسادة وقد يتوسد ساعده المبارك صلى الله عليه وآله وسلم *

﴿ فصل ﴾

أمر في حفظ الصحة باستعمال الطيب وكثيراً ما كان يستعمله وكان له ظرف خاص بالعطير والطيب منه يستعمل الطيب وما رد طيباً قط وقال من عرض عليه شيء من الرياحين فلا يردده لانه طيب ولا مؤنة فيه يعني من جهة المنه ولا من جهة الثقل والحمل . وفي مسند البزار انه صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أنفسكم وساحانكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون أكباءهم في دورهم » الاكباء - الارواث والزبالة وثبت انه قال ان الله حقا على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام وان كان له طيب أن يمس منه

﴿ فصل في حفظ صحة العين ﴾

أمر صلى الله عليه وآله وسلم بالمدامة علي الا كتحال وقت النوم وثبت في مسند أبي داود «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم» والمروح ما طيب ريحه بالمسك وورد في سنن ابن ماجه «خير أكلكم الأمد يجلو البصر وينبت الشعر» وجاء في رواية أخرى «عليكم بالأمد فإنه منبته للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر» وكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكحلة خاصة وكان اذا اكتحل اكتحل في العين اليمنى ثلاثا وفي العين اليسرى اثنتين يجعل أولا في العين اليمنى ميلين ثم في اليسرى ميلين ثم يجعل ميلا ثالثا في العين اليمنى وقال «من اكتحل فليوتر» وفي الايتار قولان (أحدهما) أن يجعل في كل عين ثلاثة ليكون الوتر في كل عين (الثاني) أن يجعل في العين اليمنى ثلاثة وفي اليسرى اثنتين يبدأ باليمنى ويختم بها كما تقدم تفضيلا لليمنى علي اليسرى *

﴿ فصل في القرض والسلف ﴾

كان من العادة النبوية أنه يفنى أحسن مما أخذ وأرجح وأن يدعو له ويقول بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والاداء واقترض مرة من أنصاري مقدار أربعين صاعا من قوت فاحتاج للانصاري فجاء وطالب فقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يحضرنا شيء. فاراد الانصاري أن يفظ في الكلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم احفظ لسانك ولا تقل الا خيرا فاني خير من اقترض ثم بعد ذلك أعطاه أربعين صاعا من القوت وأدى اليه أربعين صاعا قرضا فصارت الجملة ثمانين صاعا. وجاء في بعض الايام غريم فتقاضاه أشد تقاض فاراد عمر بن الخطاب أن يؤذيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم «مه يا عمر كنت أحوج الي أن تأمرني بالوفاء وكان أحوج الي أن تأمره بالصبر» وفي مرة أخرى جاء يهودى يتقاضاه دينه فقال له صلى الله عليه وآله وسلم «لم يحل اجل دينك فاصبر الي ان يحل فقال له اليهودى انتم يا بني عبد المطلب صنعتكم الكذب في العدة فجاشت الصحابة وارادوا إهلا كه فسكنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم الي الحلم فقال اليهودى قد شاهدت فيك

جميع علامات النبوة ولم يبق الا واحدة وهي اني كلما زدت على النبي جهلا زاد حلما وعفوا فاردت ان اختبر ذلك وقد علمته ودخل في دين الاسلام من حينه رضى الله عنه *

﴿ فصل في صفة مشيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان اذا مشى كأنما ينحط من صبيب يخطو تكفوفا يعني كأنما يقلع نفسه من الارض قلعا وهذا مشى الشجعان واصحاب الهمم العالية ومن قلبه حتى واعدل ما يكون من المشي لان الماشي اما تماوت يابس كالخشبة او طائش منزعج قلق مضطرب وهذان النوعان في غاية القبح والذم ودليل على خفة الدماغ وقلة العقل او على الخمول وموت القلب واما بأنم حركة واقل سرعة وهذا النوع يسمى مشي الهون (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) قال المفسرون يعنى سكينته ووقارا من غير كبر ولا تماوت وهذا النوع من المشي كان له صلى الله عليه وآله وسلم ومع هذا كان يرى كأنه ينحط من صبيب وكانت الارض تطوى له وانواع المشي عشرة هذه الثلاثة (الرابع) السعي (والخامس) الرمل (السادس) النسلان وهو عدو وخفيف (السابع) الخوزلى وهو مسير فيه تمايل (الثامن) القهقرى (التاسع) الجزى وهو وثوب في المسير (العاشر) التبخر وهو مشى المتكبرين وافضل هذه الجملة واكملها الهون الذى هو مشيه صلى الله عليه وآله وسلم. وكان اذا سار مع اصحابه قدمهم امامه ومشى خلفهم وقال دعوا ظهري للملائكة. وكان يمشى منتعلا وفي بعض الاحيان يمشى حافيا واصاب اصبع رجله المباركة حجر في بعض غزواته فسال دمه فقال *

هل انت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ماتت

وكان في السفر يعصب جميع اصحابه. ويقوى الضعفاء ويدعو لهم ويحمل المنقطعين ويرد فمهم في بعض الاحيان خلفه صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾

﴿ في كلام النبي وسكوته وضحكه وبكائه صلى الله عليه وسلم ﴾

اما كلامه فكله فصل بين لوشاء احدان بعد كلامه فعل ولم يكن يسرده سردا

لا يمكن أن يحفظ ولا يقطعه قطعا يظهر انفصاله كما قالت عائشة رضي الله عنها
« ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان
يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه » وكان في بعض الاحيان يعيد
الكلمة ثلاث مرات ليتمكن السامع من حفظها وغالب أحواله السكوت
والسكون لا يتكلم الا عن ضرورة واذا تكلم تكلم بجميعه وأشداقه بلا
غمغة ولا همهمة . أكثر نطقه بجوامع الكلم ولم يكن يحرك لسانه بما لا يعنيه
وكان اذا كره أمرا ظهر أثر ذلك على وجهه المبارك وما نطق بفحش أبدا
وكان لا يضحك كثير أجل ضحكه التبسم وغايته أن تبدو نواجذه وكان
لا يضحك لسك ما يضحك منه . وأما بكأؤه فمعتدل نظير ضحكه ودموعه
جارية يسمع من صدره أزيز . وبكأؤه إمامية أو لشفقة على الأمة أو من خوف
الخالق تعالي وكان يبكي في بعض الاحيان عند سماع القرآن وذلك بكاء اشتياق
ومحبة وإجلال وفي بعض الاحيان كان يبكي في صلاة التهجد ومرة يبكي في
الصلاة وقال رب ألم تعدني أنك لا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن
نستغفرك . والعلماء يقولون البكاء على عشرة أنواع بكاء فرح . وبكاء جزع .
وبكاء رحمة ورقة . وبكاء خوف وخشية . وبكاء محبة . وبكاء غم ومصيبة . وبكاء
ضعف ووحشة . وبكاء نفاق ومداهنة . وبكاء كذب وعارية . بكاء النائحة
وبكاء مؤالفة وموافقة كما اذا رأى جماعة يبكون ولم يعلم سبب بكائهم
فيبكي موافقة لهم .

﴿ فصل في الفطرة وتوابعها ﴾

للعلماء أقوال في ختانه عليه السلام (أحدها) أنه ولد محتونا مسرورا (الثاني)
أن الملائكة خنته في اليوم الذي شق فيه صدره المبارك ومليء علما وحكمة وذلك
خلف خيمة حليلة رضى الله عنها وكان ختانه في ذلك اليوم (الثالث) أن جده
عبد المطلب خنته في اليوم السابع وسماه وأضاف . وكان صلى الله عليه وآله وسلم
يحب التيامن في كل شيء حتى تنعله وترجله وأخذته وعطائه وأكله وشربه
ووضوئه واليد اليسرى لازالة الأذى والقذى والاستنجاء والاستبراء وما أشبه

ذلك وكان يحلق جميع رأسه ولم يبرو أنه حلق في غير حج أو عمرة وكان يحب التسوك وورد في فضله أربعون حديثا وكان يتسوك مغطرا وصالئا وعقيب النوم ووقت الوضوء ووقت الصلاة وعند دخول البيت وكان سواكه عود الارك . وكان يحب الطيب ويستعمله كثيرا . وجاء في بعض الروايات « أنه ﷺ استعمل النورة » وكان أولا يرسل جميع شعره خلف قفاه ثم يفرقه فجعل على كل جانب فرقة ولم يدخل الحمام أبدا والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله المشهورة بحمام النبي لعلمها بنيت في موضع اغتسل فيه مرة والله اعلم . ولم يصيغ شعره أبدا ولكن كان يستعمل الطيب كثيرا فظن بعضهم أنه خضب وكان يدهن شعر رأسه ولحيته كثيرا وكان يسرح رأسه حيننا حيننا يباشر ذلك بنفسه وقد يأمر عائشة فتسرحه وكانت جمته الى شحمتي أذنيه فاذا طالت جعلها أربع غدائر قالت أم هانئ « قدم علينا رسول الله ﷺ مكة مقدمة وله أربع غدائر » وكان لا يرد الطيب ويمنع من رده وقال أطيب الطيب المسك وكان يحب زهر الحناء *

﴿ فصل ﴾

كان ﷺ يقص شاربه ويقول « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » وقال « خالفوا المجوس جزوا الشوارب وارخوا اللحى » وفي الصحيحين « خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب » وفي صحيح مسلم عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقت لقص الشارب وتقليم الاظفار أن لا يدع ذلك أربعين يوما » وفي قص الشارب للعلماء أقوال قال الامام مالك يكتب في ذلك أن يظهر طرف الشفة ولا يزيد على ذلك لثلا يصير مثلة وحلق الشارب بدعة يعزرفاعله قال الطحاوي ولا نص للامام الشافعي لكن رأيت أصحابه مثل المزني والريبع يحفون وهذا دليل على أنهم أخذوه عنه وأما الامام أبو حنيفة وزفر وأبو يوسف ومحمد فذهبهم الاحفاء والاحفاء الأخذ من الاصل وقد ثبت في الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ من شاربه علي سواكه وهذا لا يتصور مع الاحفاء والحديث المتفق عليه « عشرة من الفطرة قص الشارب » الى آخره صريح في القص والقص مع الاحفاء غير متصور . قال الطحاوي لما كان استحب القص مجمعا عليه كان الحلق

أفضل قياسا على الرأس وفي هذا القياس نظر لان في احفاه الشارب قبحا
ظاهرا ونوع مثله •

﴿ فصل في الجهاد وآدابه ﴾

الجهاد ذروة سنام الاسلام ومقام أهله في الدنيا والعقبى أعلى المنازل
لاجرم كان حظ الجناب النبوى من ذلك أوفر الحظوظ وعادته في سلوك
طرقه أكمل العادات وأجلها وأوقاته وساعاته موقوفة على الجهاد باللسان
وبالجنان وبالذعوة والبيان وبالسيف والسنان (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم) وقال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهادا كبيرا) وقالت
العلماء مراتب الجهاد اربع مراتب جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار،
وجهاد المنافقين (أما جهاد النفس فعلى أربع مراتب (احداهن) الجهاد في تعليم
دين الحق (الثانية) الجهاد في العمل بذلك العلم (الثالثة) الجهاد في الدعوة لذلك
العلم وتعليم آدابه (الرابعة) الجهاد على الصبر واحتمال مشقات الدعوة وأذى
الخلق ومن استعمل هذه المراتب الاربعة دعى في ملكوت السموات عظيما (وأما)
جهاد الشيطان فعلى مرتبتين (الاولى) الجهاد على دفع ما يليقه من الشبهات والشكوك
(الثانية) الجهاد على دفع ما يليقه من الارادات والشهوات، وسلاح الاول اليقين
وسلاح الثاني نوع صبر (وأما جهاد الكفار والمنافقين فعلى أربع مراتب
القلب واللسان والمال والنفس (وأما جهاد ارباب الظلم والمنكر والبدع فعلى
ثلاث مراتب (الاولى) باليد وان عجز باللسان وان عجز فبالقلب هذه مراتب
الجهاد وهى ثلاثة عشر، من لاحظ له منها فهو منافق من مات ولم يحدث نفسه
بالغزو مات على شعبة من النفاق وأكل الخلق في مجموع هذه المراتب هو سيدنا
رسول الله ﷺ لانه من أول يوم البعث الى يوم الوفاة لم يزل في الجهاد يدعو
الجن والانس والعرب والعجم والصغير والكبير والعبد والحرو والأنثى والذكر
الى الحق ويريهم الطريق المستقيم ويمنعهم من الكفر والضلال ﷺ ولما
أطلق لسانه بسب الاصنام قامت كفار قريش بعداوتهم ولما بلغوا من أذيتهم
الغاية ومن معاداته النهاية أمر بالهجرة فهاجر جماعة الى أرض الحبشة عثمان بن

ابن عفان ورقية ابنت رسول الله ﷺ وعشرة غيرهم ثم أسلم حمزة وفشا الاسلام
وتزايد فاضطرب الكفار لذلك اضطرابا شديدا ثم تعاقدوا على أن لا يناكحوا
بني عبد المطلب وبني عبد مناف ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يكلموهم حتى
يسلموا اليهم النبي ﷺ وكتبوا بهذه الجملة كتابا علقوه في سقف الكعبة فشلت
يد الكتاب وأكلت الصحيفة الارضة الاموضع اسم الله ورسوله هذا
وبنو المطالب محصورون في الشعب مدة ثلاث سنين حتى أخبر جبريل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فآخبر أبا طالب بذلك وهو أخبر كفار قريش وقال
لهم انظروا فان كذب أسلمناه لكم وان صدق فارجعوا عن هذا الحال فقالوا
قد أنصفت ولما أنزلوا الصحيفة ورأوها ازدادوا كفرا وطغيانا ثم بعد ستة أشهر
توفي أبو طالب وبعد ثلاثة أيام توفيت خديجة وتضاعفت أذية الكفار فخرج
صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى الطائف فلم يجد من الطائف مساعدة ولا
موافقة فرجع ولما وصل في رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا إسلامهم عليه
ولما رجع الى مكة عرج به فآخبر كفار قريش بما شاهد في تلك الليلة من رؤية
الانبياء وفرض الصلاة فلما سمعوا هذا ازدادوا في تكذيبهم وزادوا في ايذائهم
وكان المعراج مرة واحدة بيده في اليقظة وبعضهم يقول مرتان وبعضهم يقول ثلاث
مرات وبعضهم يقول أربع مرات وبعد الاسراء بسنة وشهر أمر بالهجرة فاستصحب
أبا بكر بامر البارئ تعالى وسافر ولما وصل المدينة فرح الانصار بقدمه وقدموا
محبة علي الآباء والابناء فقامت العرب لعداوتهم وشنوا عليهم الغارة من كل جانب
فنزلت آية القتال وحصل الاذن فيه بعد حرمة ثم افترض الاحاديث الثابتة في فضل
الجهاد تزيد على أربع مائة وكان يبايع الصحابة علي أن لا يفرؤا يوم الزحف وفي بعض
الاحيان كان يبايع علي الموت وكان يشاور أصحابه في أمر الجهاد قال ابو هريرة ما رأيت
احدا كثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يسير في
عقب العسكر ويحمل من اعبائه ويرفق في سيره أم الرقيق ويرسل الجواسيس
الى الاعداء ويقدم الطلائع والمقدمات بين يديه وييث الخيل حول العسكر وكان
اذا قابل العدو استقام ودعا الله وسأله النصر واشتغل بذكر الله هو واصحابه

ثم اخذ في ترتيب العسكر بنفسه صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعين المقاتل المبارز
وفي حضرته تقع المبارزة بأمره وكان يلبس لامة الحرب وربما ظاهر بين درعين
وكان في عسكره الرايات والاعلام وكان اذا ظهر على قوم اقام بساحتهم
ثلاثة أيام ثم رجع . وكان اذا اراد الغارة على قوم انتظر فان سمع فيهم اذا نالم يغر
عليهم . وكان في بعض الاحيان يأتي العدو بيانا وقد يشن الغارة بالنهار
ويحب السفر يوم الخميس وكان اذا نزل العسكر في منزل جمع بينهم حتي لو ان
احدا غطاهم بثوب لعمهم جميعهم وكان يعي الصفوف بنفسه وفي وقت القتال
كان يعين الشجعان بيده ويقول يا فلان تقدم يا فلان تأخر وفي بعض الاحيان
عند لقاء العدو قرأ هذا الدعاء « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم
الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر اللهم انزل نصرك اللهم انت عضدي وانت نصيري وبك
اقتل » وكان اذا التحم الحرب وحمي الوطيس وقصده العدو قال بأعلي صوته
« انا النبي لا كذب انا ابن عبدالمطلب » وكان الشجعان من اصحابه اذا اشتد بهم
الامر اتقوا به وكان اقربهم الى العدو وكان يعين لاصحابه شعارا يعرف به
بعضهم بعضا كان شعارهم مرة امت امت ومرة يا منصور يا منصور وحينما
حم لا ينصرون وكان في بعض الاحيان يلبس الدرع ويجعل الخوذة على رأسه
ويتخذ حمائل السيف ويحمل الرمح ويعتصد القوس وربما رفع الدرقة وكان
يحب التبختر في حال الحرب ويسوي المنجنيق على الاعداء كما فعل في الطائف
ونهي عن قتل النساء والاطفال وامر المقاتلة ان ينظروا فمن ثبت قتلوه ومن لم
يثبت استحيوه واسروه وكان اذا ارسل طائفة للغزو أمرهم بتقوى الله فقال
« سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمشلوا ولا تغدروا ولا
تقتلوا وليدأ » ونهي عن حمل القرآن الي دار الحرب . وكان اذا بعث سرية أمر
أميرها أن يدعو الى الاسلام والهجرة أو الاسلام فقط بغير هجرة ويكون حكمهم
حكم اعراب المسلمين لانصيب لهم في مال الفء ويسئلوا الجزية وان امتنعوا
من جميع ذلك استعان بالله وقتلهم . وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا ظفر

يقوم امر أن ينادي بجمع الغنائم كلها ثم ابتداء بالسلب فاعطي كل قاتل سلب
 مقتوله يعني ثيابه وما عليه ثم يخرج خمس الباقي ويصرفه في مصالح الاسلام
 كما عينها الله تعالى وما بقي منه أعطي منه النساء والصبيان والارقاء ثم قسم الباقي
 بين العسكر للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم هذا هو الصحيح والانفال من
 صلب الغنيمة على ما يرى فيه من المصلحة وقال بعضهم كانت الانفال من جملة
 الخمس وبعضهم يقول من خمس الخمس وذا أضعف الاقوال وفي بعض الغزوات أعطى
 سلمة بن الاكوع خمسة سهام لانه في تلك الغزوة وافقه توفيق عظيم وظهر من
 اقدامه امور عجيبة وكان يسوى بين الضعيف والقوى في القسمة وكان اذا قصد
 ديار العدو في بعض الاحيان يرسل سرية فان ظفروا بغنيمة أخرج منها الخمس
 وأخرج الربع من الباقي وخص به السرية وقسم الباقي بينهم وبين العسكر
 بالسوية ومع هذا كان يكره النفل ويقول ينبغي للاقوياء ان يردوه على الضعفاء
 وكان له صلى الله عليه وآله وسلم من الغنيمة سهم خاص يقال له الصفي ان أراد
 عبدا أو أمة أو فرسا أو ما أحب اخذه قبل الخمس وصفيه ام المؤمنين وذوالفقار
 من تلك الجملة وان غاب أحد عن المعركة لمصلحة المسلمين دفع له سهما كما فعل
 مع عثمان في يوم بدر حيث كان مشغولا بتمرير ابنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 فقال عليه السلام ان عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب له بسهمه
 واجره وسهم ذوى القربى كان يقسمه بين بنى هاشم وبنى المطلب ولا يعطي
 لآخواتهم من بنى عبد شمس وبنى نوفل شيئا وقال انما بنو هاشم وبنو المطلب
 شيء واحد وما وجدوا في المغازي من طعام مثل العسل والعنب والجوز وغير
 ذلك اكلوه . اخذ عبد الله بن مغفل جراب شحم وقال لا اعطى احد امته شيئا
 فأقره علي ذلك وكان يشدد في أمر الغلول والخيانة تشديدا عظيما ويقول هو
 نار وعار وشنار على أهله الي يوم القيامة وغل شخص فأمر باحراق ما اختانه
 وكذلك فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهذا من باب التعزيز بالمال
 والله أعلم .

﴿ خاتمة الكتاب ﴾

في الاشارة الى أبواب روى فيها أحاديث وليس منها شيء صحيح ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث وان كانت هذه الحروف في غاية الاختصار لسكنها تشتمل على علوم تدخل في حدالا كثار ينبغي أن يعلم أن باب الايمان وما هو مشهور كالايان قول وعمل ويزيد وينقص والايان لا يزيد ولا ينقص لم يثبت عن حضرة الرسالة في هذا المعنى شيء وهو من أقوال الصحابة والتابعين. وباب المرجئة والاشعرية لم يصح فيه حديث. وباب كلام الله قديم غير مخلوق وفي هذا المعنى وردت أحاديث بالفاظ مختلفة ولم يصح عن حضرة الرسالة فيها شيء وكل ما قيل فهو من كلام الصحابة والتابعين. وباب خلق الملائكة والحديث المنسوب الى أبي هريرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يأمر الله جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شيء ولم يثبت في هذا المعنى حديث. وباب العلم وفضيلة التسمية بمحمد واحمد والمنع من ذلك لم يصح فيه شيء. وباب العقل وفضله لم يصح فيه حديث نبوي. وباب عمر الخضر والياس وطول ذلك وبقائهما لم يصح فيه حديث. وباب العلم وحديث طلب العلم فريضة وكل ما في هذا المعنى ليس فيه حديث صحيح. وباب من سئل عن علم وكنمه لم يصح فيه حديث. باب فضائل القرآن من قرأ سورة كذا فله كذا من أول القرآن الى آخره سورة سورة وفضيلة قراءة كل سورة وروا ذلك وأسندوه الى ابى بن كعب ومجموع ذلك مقترى وموضوع باجماع أهل الحديث والذي صح من باب فضائل القرآن أنه قال له ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين. وحديث البقرة وآل عمران غمامتان وحديث آية الكرسي والذي قاله لابي أندرى أى آية من كتاب الله أعظم. وحديث يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم البقرة وآل عمران. وحديث من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في كل ليلة كفتاه. وحديث لقد صدقتك وانه

لكذب في فضل آية الكرسي . وحديث قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .
وحديث فضل المعوذتين أنزل على آيات لم ينزل مثلهن قط . وحديث الكهف من
قرأ منها عشر آيات عصم من الدجال . وباب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله
عنه أشهر المشهورات من الموضوعات ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبي بكر
خاصة . وحديث ما صب الله في صدري شيئا الا وصبه في صدري أبي بكر . وحديث
كان عليه السلام اذا اشتاق الى الجنة قبل شيبه أبي بكر وحديث أنا وأبو بكر . كفرسي
رهان . وحديث ان الله لما اختار الارواح اختار روح أبي بكر وأمثال هذا
من المغتربات المعلوم بطلانها ببديهة العقل . وباب فضائل على رضي الله عنه ومنقول
فيه أحاديث لاتعد ومن أفضحها الاحاديث المجموعة في الكتاب المسمي
بالوصايا النبوية أول كل حديث منها يا علي والثابت من تلك الجملة حديث واحد « يا علي
أنت مني بمنزلة هارون من موسى » . وباب فضل معاوية ليس فيه حديث صحيح .
وباب فضائل أبي حنيفة والشافعي وذمهم ليس فيه شيء صحيح وكل ما ذكر من ذلك
فهو موضوع ومغترى . وباب فضائل البيت المقدس والصخرة وعسقلان وقزوين
والاندلس ودمشق ليس فيه حديث صحيح غير لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد .
وحديث سئل عن أول بيت وضع في الارض فقال المسجد الحرام قيل ثم ماذا قال
ثم المسجد الاقصى . وحديث ان الصلاة فيه تعدل خمسين صلاة . وباب اذا باغ الماء
قتلين لم يحمل خبثا قال جماعة لم يصح فيه حديث وجماعة قائلون بصحته وقد أورده
أكبر أهل الحديث في مصنفاتهم . وباب استعمال الماء المشمس لم يصح فيه حديث .
وباب تشييف الاعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث . وباب تحليل اللحية
ومسح الاذنين والرقبة لم يصح فيه حديث . وباب الوضوء من نبيذ التمر لم يصح فيه
حديث . وباب أمر من غسل ميتا بالاغتسال لم يصح فيه حديث . وباب النهي عن
دخول الحمام لم يصح فيه شيء . وباب بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة لم يصح فيه
حديث . وباب الجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم لم يصح فيه حديث .
وباب الامام ضامن والمؤذن مؤتمن المروى باسانيد عديدة لم يصح فيه شيء .
وباب لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد لم يصح فيه شيء . وباب جواز الصلاة

خلف كل بر وفاجر لم يصح فيه شيء . وباب إثم الاتمام وإثم الصيام في السفر لم
 يصح فيه حديث . وباب لاصلاة لمن عليه صلاة لم يصح فيه شيء . وباب القنوت
 في الفجر والوتر لم يصح فيه حديث بل قد ثبت عن بعض الصحابة فعل القنوت
 وباب النهي عن الصلاة على الجنائز في المسجد لم يصح فيه حديث . وباب
 رفع اليدين في تكبيرات صلاة الجنائز لم يصح فيه شيء . وباب الصلاة لا يقطعها
 شيء لم يثبت فيه شيء . وباب صلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان وصلاة
 نصف رجب وصلاة الايمان وصلاة ليلة المعراج وصلاة ليلة القدر وصلاة كل ليلة من
 رجب وشعبان ورمضان هذه الابواب لم يصح فيها شيء أصلا . وباب صلاة
 التسبيح لم يصح فيه حديث . وباب زكاة الحلي لم يثبت فيه شيء . وباب زكاة العسل
 مع كثرة ما روي فيه لم يثبت فيه شيء . وباب زكاة الخضراوات لم يثبت فيه شيء
 وباب الوال اطلبوا من الرحماء ومن حسان الوجوه وكل ما في هذا المعنى مجموع
 باطل . وباب فضل المعروف والتحذير من التبرم بمجوانج الخلق لم يثبت فيه شيء . وباب
 فضائل عاشوراء ورد استحباب صيامه وسائر الاحاديث في فضله وفضل الصلاة فيه
 والانفاق والحضاب والادهان والا كتحال وطبخ الحبوب وغير ذلك مجموع
 موضوع ومقتري قال أئمة الحديث الا كتحال فيه بدعة ابتدعتها قتلة الحسين . وباب
 صيام رجب وفضله لم يثبت فيه شيء ، بل قد ورد كراهة ذلك وباب الحجامة تفطر
 الصائم لم يصح فيه شيء . وباب حجوا قبل أن لا تحجوا وحديث من أمكنه الحج
 ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا لم يثبت فيه شيء . وباب
 كل قرص جر منفعة فهو ربا لم يثبت فيه شيء . وباب لانكاح الإبولي
 وشاهدي عدل لم يصح فيه شيء . وباب الأمر بأنخاذ السراري لم يثبت فيه شيء .
 وباب مدح العزوبة لم يثبت فيه شيء . وباب حسن الخط والتحريض على تعلمه
 لم يثبت فيه شيء . وباب النهي عن قطع الصدر لم يثبت فيه شيء . وباب فضل
 العدس والباقلان والخبث والجوز والبادنجان والرمان والزبيب لم يصح فيه شيء
 وإنما وضع الزنادقة في هذه الابواب احاديث وأدخلوها في كتب المحدثين
 شيئا للإسلام خذلهم الله تعالى . وباب فضل اللحم وإن أفضل طعام الدنيا

والآخرة اللحم لم يثبت فيه شيء . وباب النهي عن قطع اللحم بالسكين لم يثبت فيه شيء . وباب فضل الهربسة لم يثبت فيه شيء . والعجز المشهور في ذلك مجموع أحاديثه مقترى . وباب النهي عن أكل الطين لم يثبت فيه شيء . وباب الاكل في السوق لم يثبت فيه شيء . وباب فضائل البطيخ لم يثبت فيه شيء . وأحاديث كتاب الطبيخ مجموعها باطل وموضوع والثابت من تلك الجملة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأكل البطيخ » وباب فضائل النرجس والمرزنجوش والبنفسج البان لم يثبت فيه حديث . وحديث من شم الورد وحديث خلق الورد من عرقى وأمثال هذه كلها موضوعة باطلة . وباب فضائل الديك الابيض لم يثبت فيه شيء . والحديث المسلسل المشهور فيه الديك الابيض صديق باطل وموضوع . وباب فضائل الحناء ليس فيه شيء صحيح . وباب النهي عن ننف الشيب لم يثبت فيه شيء . وباب التخمم بخاتم من عقيق والتخمم في اليمين لم يثبت فيه شيء . وباب النهي عن عرض الزوايا على النسوان لم يصح فيه شيء . وباب تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفارسي مثل العنب دودو وباسليمان شكم درد لم يصح فيه شيء . ولم يثبت . وباب كراهة الكلام بالفارسي لم يثبت فيه شيء . وحديث كلمة فارسية ممن يحسن العربية لمن يحسنها خطيئة خطأ . وباب ولد الزنا والمشهور من ذلك ولد الزنا لا يدخل الجنة لم يثبت بل هو باطل . وباب ليس لفاسق غيبة وما في معناه لم يثبت فيه شيء . وباب النهي عن سب البراغيث لم يثبت فيه شيء . وباب ذم السماع لم يرد فيه حديث صحيح : وباب اللعب بالشطرنج ليس فيه حديث صحيح وباب لا تقتل المرأة اذا ارتدت ما صح فيه حديث بل صح خلاف ذلك « من بدل دينه فاقلوه » . وباب اذا وجد القتل بين قريتين ضمنن أقربهما ما ثبت فيه شيء . وباب من أهديت له هدية وعنده جماعة فهم شركاء ما ثبت فيه شيء . وباب ذم السكسب وفتنة المال ما ثبت فيه شيء . وباب ترك الاكل والشرب من المباحات ما صح فيه شيء . وباب الحجامة واختيارها في بعض الايام وكرهاتها في بعضها ما ثبت فيه شيء . والثابت في هذا الباب أنه أمر بالحجامة مر أممك

بالحجامة وحديث الصحيحين « إن كان في شيء شفاء ففي شرطة حجامة أو في
 شربة عسل أو لدعة بنار ». وباب الاحتكار فيه أحاديث كثيرة منقولة ولم
 يصح فيه شيء سوى حديث مسلم « من احتكر فهو خاطيء » وبعضهم يقول
 هو منسوخ وبعضهم يحمله على أنه إن أضر بأهل ذلك المقام وإلا لا . وباب
 مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ما صح فيه حديث . وباب موت العجأة ما صح فيه
 شيء . وحديث أنها راحة المؤمن وأخذة أسف للكافر ما ثبت فيه شيء . وباب
 الملاحم والفتن والمروى في ذلك من أن أمير المؤمنين عليا قال للزبير في يوم
 الجمل أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سقيفة بني فلان
 يقول ليقاتلنك وأنت ظالم له لم يثبت ولم يصححه أهل الحديث . وباب ظهور
 آيات القيامة في الشهور المعينة ومن المروى فيه يكون في رمضان هدة وفي شوال
 همهمة إلى غير ذلك ما ثبت فيه شيء ومجموعه باطل . وباب الاجماع حجة لم
 يصح فيه حديث . وباب القياس حجة لم يثبت فيه شيء . وباب ذم المولودين
 بعد المائة لم يثبت فيه شيء . وباب وصف ما يقع بعد مائة وثلاثين سنة وبعد
 مائتي سنة وبعد ثلاثمائة سنة ومدة أو تلك القوم ومدح الانفراد والتجرد في
 ذلك الوقت مجموع باطل ومفتري . وحديث الغرباء ثلاثة قرآن في جوف ظالم
 ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح بين قوم سوء باطل . وباب ظهور الآيات
 بعد المسائتين لم يثبت فيه شيء . وباب مذمة الاولاد في آخر الزمان وقول لان
 يزني أحدكم بجزركم وكب خبير له من أن يزني بولد وحديث يكون المطر قيظا والولد غيظا لم
 يثبت من هذه الاحاديث شيء . وباب تحريم القرآن بالالحان والتغني لم يثبت فيه شيء
 بل ورد خلاف ذلك في الصحيح وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل
 مكة يوم الفتح وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع فيها قال الراوي والرجيع آ آ آ
 وباب تخليل النبيذ لم يصح فيه حديث . وباب اذا سمعتم عن حديثنا فاعرضوه
 على كتاب الله فان وافقه فاقبلوه وإلا فردوه لم يثبت فيه شيء وهذا الحديث من
 أوضاع المرزوعات بل صح خلافه « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » وجاء في
 حديث آخر صحيح « لافين أحدكم متكئا على مسكئه يصل إليه عن حديث

فيقول لا نجد هذا الحكم في القرآن إلا وإني أوتيت القرآن ومثله معه» وباب
 انتفاع أهل العراق بالعلم والمشى الى طلب العلم حافيا والتماق في طلب العلم وعموبة
 المعلم الجائر على الصبيان والدعاء بالفقر على المعلمين لم يصح فيه شيء . وباب
 الحاكمة وذمهم ومدحهم لم يثبت فيه شيء . وباب إنشاد الشعر بعد العشاء
 وحفظ العرض باعطاء الشعراء وذم التعبد بغير فقه ومذمة العلماء الذين يمشون
 إلى السلاطين ومسامحة العلماء وزيارة الملائكة قبور العلماء لم يثبت فيه شيء .
 وباب اقتراق الامة الي اثنتين وسبعين فرقة لم يثبت فيه شيء . والله أعلم
 بالصواب *

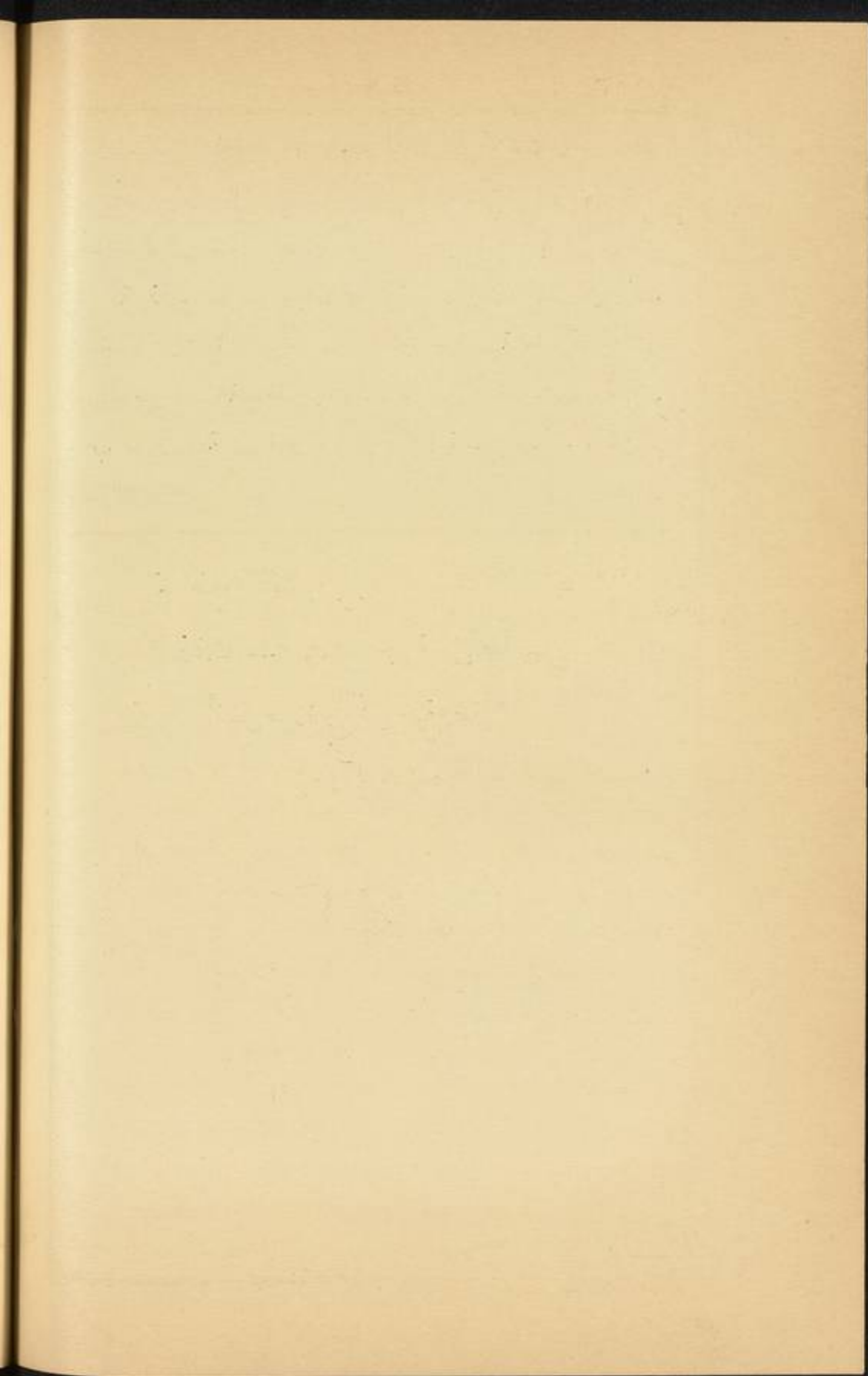
تم طبع الكتاب بعون الله الملك الوهاب

وذلك سنة ١٣٤٦ هجرية على صاحبها

أفضل صلاة وأكمل تحية وصلى الله

عليه وآله وسلم *





﴿ ترجمة المؤلف نقلناها برمتها من تاج العروس ﴾

هو الامام الشهير أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن ابراهيم ابن عمر بن أبي بكر بن محمود بن ادريس بن فضل الله بن الشيخ أبي اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف قاضي الفضاة مجد الدين الصديقي الفيروزابادي الشيرازي اللغوي . قال الحافظ ابن حجر وكان يرفع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكن مرفوعاً فيما قاله * ولد بكازرين سنة ٧٢٩ ونشأ بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع وكان سريع الحفظ بحيث إنه كان يقول لا أنام حتى أحفظ مائتي سطر وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان سنين وأخذ عن والده وعن القوام عبد الله بن محمود وغيرهما من علماء شيراز وانتقل إلى العراق فدخل واسط وبعاد وأخذ عن قاضيها ومدرس النظامية بها الشرف عبد الله بن بكتاش وجال في البلاد الشرقية والشامية ودخل بلاد الروم والهند ودخل مصر وأخذ عن علماءها ولقى الجماء الفقير من أعيان الفضلاء وأخذ عنهم شيئاً كثيراً بيده في فهرسته . وبرع في الفنون العلمية ولا سيما اللغة فقد برز فيها وفاق الاقران وجمع النظائر واطلع على النوادر وجود الخط وتوسع في الحديث والتفسير وخدمه السلطان أبو يزيد ابن السلطان مراد العثماني وقرأ عليه وأكسبه مالا عريضاً وجاهاً عظيماً ثم دخل زيد في رمضان سنة ٧٩٦ فتلقيه الملك الاشرف اسماعيل وبالغ في إكرامه وصرف له ألف دينار وأمر صاحب عدن أن يجهزه بألف دينار أخرى وتولى قضاء اليمن كله وقرأ عليه السلطان فن دنونه واستمر بزيد عشرين سنة وقدم مكة مراراً وجاور بها وأقام بالمدينة المنورة وبالطائف وعمل بها ما تم حسنة وما دخل بلدة إلا أكرمه أهلها ومتوليها وبالغ في تعظيمه مثل شاه منصور بن شاه شجاع في تبريز والاشرف صاحب مصر وأبي يزيد صاحب الروم وابن ادريس في بغداد وتيمور لنك وغيرهم وقد كان يتمور مع عتوه يبالغ في تعظيمه وأعطاه عند اجتماعه به مائة ألف درهم . هكذا نقله شيخنا . والذي رأيته في معجم الشيخ ابن حجر المسكي أنه أعطاه خمسة آلاف دينار ورام مرة التوجه إلى مكة من اليمن فكتب إلى السلطان يستأذنه ويرغبه في الاذنه بكتاب من فصوله : وكان من عادة الخلفاء سلفاً وخلفاً أنهم كانوا يرددون البريد بقصد تبليغ سلامهم إلى حضرة سيد المرسلين فاجعلني جعلني الله فداك

ذلك البريد فاني لأشتهي شيئاً سواه ولا أريد . فكتب اليه . السلطان ان
هذا شيء لا ينطق به لسانى ولا يجري به قلبي فبالله عليك الاموهبت لنا
هذا العمر والله يا محمد الدين يمينا بارة انى أرى فراق الدنيا ونعيمها ولا
فراقك أنت العجيب وأهله . وكان السلطان الاشرف قد تزوج ابنته وكانت رائعة
فى الجمال فقال بذلك منه زيادة البر والرفعة بحيث إنه صنف له كتاباً وأهداه
له على أطباق فلاءها له دراهم وكان واسع الرواية سمع من محمد بن يوسف
الزرندى المدنى صحيح البخارى ومن ابن الخباز وابن القيم وابن الجموى
وأحمد بن عبدالرحمن المرادوى وأحمد بن مظفر النابلسى والتقى السبكي وولده
التاج ويحيى بن على الحداد وغيرهم بدمشق وفى القدس من العلائى والبيانى
وابن القلانسي وغضنفر وابن نباتة والفارقى والعز ابن جماعة وبكر بن خليل
المالكي والصفي الخراوى وابن جهيل وغيرهم وله التصانيف الكثرية النافعة
الفائنة منها الكتاب المسمى بالقاموس المحيط وبصائر ذرى التمييز فى لطائف
كتاب الله العزيز فى مجلدين وتنوير المقباس فى تفسير ابن عباس فى أربع
مجلدات وتيسير فائحة الاهاب فى تفسير فائحة الكتاب فى مجلد كبير والدر
النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم وحاصل كورة الخلاص فى فضائل
سورة الاخلاص . وشرح قطبة الخشاف فى شرح خطبة الكشاف .
وشوارق الاسرار العلية فى شرح مشارق الانوار النبوية فى أربع مجلدات
ومنج البارى لسيل الفيح الجارى فى شرح صحيح البخارى كمل منه ربع
العبادات فى عشرين مجلداً والاسعاد بالاصعاد إلى درجة الاجتهاد فى ثلاث
مجلدات . وعدة الحكماء فى شرح عمدة الاحكام فى مجلدين وافتراض السهاد
فى افتراض الجهاد فى مجلدة والنفحة العنبرية فى مولد خير البرية والصلاة
والبشر فى الصلاة على خير البشر . والوصل والمنى فى فضل منى والمغانم المطابة
فى معالم طابة . وتهيبج الغرام إلى البلد الحرام . وروضة الناظر فى درجة الشيخ
عبد القادر . والمرقاة الوفية فى طبقات الحنفية . والمرقاة الارفعية فى طبقات
الشافعية والبلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة ونزهة الاذهان فى تاريخ أصبهان
وتعيين العرفات للعين على عين عرفات ومنية السؤل فى دعوات الرسول
ومقصود ذوى الالباب فى علم الاعراب والمتفق وضما المختلف صنفاً . والدر
الغالى فى الاحاديث العوالى والتجار يبح فى فوائد متملنة بأحاديث المصائب .
وتحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين تتبع فيه أوهاج المجمل فى نحو ألف

موضع . والروض المسلوف فيما له اسمان إلى الالوف وتحفة القهاغيل فيمن
تسمى من الملائكة اسماعيل . وأسماء السراح في أسماء النكاح . والجليس الانيس
في أسماء الخندريس وانواء الغيث في أسماء الليث وترقيق الاسل في تصفيق
العسل . وزاد المعاد في وزن بانس سعاد وشرحه في مجلدين والتحف والظرائف
في النكت الشرائف وأحسن اللطائف في محاسن الطائف . والفضل الوفي في
العدل الاشرافي وشارة الحجون إلى زيارة الحجون عمله في ليلة واحدة على ما قيل .
ونقي الدرّة من الخزرة في فضل السلامة على الخبز وهما قر يتان بالطائف
وتسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الاصول في أربع
مجلدات صنّفه للناصر ولد الاشراف . وأسماء العادة في أسماء العادة واللامع المعلم
العجاب الجامع بين المحكم والعياب كمل منه خمس مجلدات . وكتابتنا هذا
سفر السعادة وغير ذلك من مطول ومختصر * وتوفي رحمه الله ممتعاً بجواسه
قاصياً بزبيد وقد ناهز التسعين في ليلة الثلاثاء الموفية عشرين من شوال سنة
سبع أو ست عشرة وثمانمائة * وفي ذيل ابن فهد وله بضع وثمانون سنة
ودفن بتربة القطب الشيخ اسماعيل الجبرتي وهو آخر من مات من الرؤساء
الذين اتردد كل واحد منهم بفن فاق فيه الاقران على رأس القرن الثامن
منهم السراج البلقيني في فقه الشافعي وابن عرفة في فقه مالك والمجد اللغوي
في أسرار اللغة ونوادرها : والذي في معجم ابن حجر المسكي بعد البلقيني الزين
العراقي في الحديث وابن الملقن في كثرة التصانيف والفناري في الاطلاع على
العلوم العقلية * ترجمه الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر واقتنى أثره تلميذه الحافظ
السخاوي في الضوء اللامع والسيوطي في البغية وابن قاضي شعبة في
الطبقات والصفدي في تاريخه والمقرئ في ازهار الرياض * ومن مفاخره
ما قاله السيوطي في البغية أنه سئل بالروم عن قول سيدنا على كرم الله وجهه
لسكاتبه (الصقر وانفق بالجبوب وخذ المزبر بشنارك واجعل حندورتيك
إلي قيهلي حتى لا أنبغ نبغة إلا وقد وعيتها في حماطة جليجلانك) ما معناه
فقال (الزرق عضرتيك بالصلة وخذ المسطر بأباخسك واجعل حمتيك إلى
اغباني حتى لا أنبس نبسة إلا وقد وعيتها في لمظة رباطك) فعجب الحاضر ون
من سرعة الجواب * ومنها في ازهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقرئ
ونقله عنه شيخ مشايخنا سيدى أحمد زروق بن محمد بن قاسم البوني التميمي
الحسنى في كراسة اجازة له مانصه ومن أغرب ما منح الله به المجد صاحب

القاموس أنه قرأ بدمشق بين باب النصر والفرج تجاه نعل النبي ﷺ على ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهبل صحيح مسلم في ثلاثة أيام وصرح بذلك في ثلاثة أبيات

قرأت بحمد الله جامع مسلم * بجوف دمشق الشام جوفا لاسلام
 على ناصر الدين الامام ابن جهبل * بحضرة حفاظ مشاهير أعلام
 وتم بتوفيق الاله وفضله * قراءة ضبط في ثلاثة أيام
 قلت) وفي ذيل ابن فهد على ذيل الشريف أبي المحاسن في بيان طبقات
 الحفاظ ما نصه وقرأ الحافظ أبو الفضل العراقي صحيح مسلم على محمد بن
 اسماعيل الخباز بدمشق في ستة مجالس متوالية قرأ في آخر مجلس منها
 أكثر من ثلث الكتاب وذلك بحضور الحافظ زين الدين بن رجب وهو
 يعارض بنسخته وقرأت في تاريخ الذهبي في ترجمة اسماعيل بن أحمد
 الحيري النيسابوري الضرير ما نصه وقد سمع عليه الخطيب البغدادي بمكة
 صحيح البخاري سمعه من الكشميهني في ثلاثة مجالس قال وهذا شيء
 لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه اه



(فهرست كتاب سفر السعادة للعلامة اللغوي
مجد الدين صاحب القاموس)

صفحة	صفحة
٣	فاتحة الكتاب في ذكر حال حضرته <small>صلوات الله وعليته</small> قبل نزول الوحي وبيان عباداته في تلك الايام
٥	باب طهارة حضرة الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم
٦	فصل ثبت في الاخبار الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح على الخفين الخ
٦	فصل كلما تيمم صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الخ
٧	باب في صلاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
١٠	فصل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من القراءة الخ
١٢	فصل كان النبي <small>صلوات الله وعليته</small> إذا هوى الخ
١٤	« كان <small>صلوات الله وعليته</small> يطول الركعات من صلاة الليل الخ
١٤	فصل كان <small>صلوات الله وعليته</small> إذا فرغ من السجدة الاولى رفع رأسه الخ
١٧	فصل كان <small>صلوات الله وعليته</small> يقول بعد التشهد السلام عليكم الخ
١٧	فصل من جملة الادعية التي كان يقرؤها في الصلاة اللهم اغفر لي ذني الخ
١٨	فصل اعلم أن السرور
١٩	والانشراح وقرة العين وطيب القلب الذي كان يجده في الصلاة الخ فصل في نسيان الرسول <small>صلوات الله وعليته</small> في الصلاة الخ
٢٠	فصل كان رسول الله <small>صلوات الله وعليته</small> يفتح عينه المباركة في الصلاة الخ
٢١	فصل كان <small>صلوات الله وعليته</small> إذا فرغ من الصلاة قال ثلاث مرات استغفر الله الخ
٢٤	فصل في بيان السنن الرواتب من الصلوات التي كان يواظب عليها الخ
٢٦	فصل عادة حضرة سيد نار رسول الله <small>صلوات الله وعليته</small> أنه كان إذا صلى الخ
٢٧	فصل في قيام الليل
٢٨	فصل كان <small>صلوات الله وعليته</small> يستيقظ من النوم الخ
٣٠	فصل ثبت بروايات صحيحة أنه <small>صلوات الله وعليته</small> كان يصلي بعد الوتر الخ
٣١	فصل لم يرد في الصحيح أنه <small>صلوات الله وعليته</small> قرأ القنوت الخ
٣٢	فصل في صلاة الضحي وعادة الرسول في ذلك
٣٦	فصل كان من عادة رسول الله <small>صلوات الله وعليته</small> أنه إذا تجددت نعمة أو

صفحة	صفحة
اندفعت نعمة سجد لله تعالى شكراً	ان الصلاة في حال القتال تقدم عليه
٣٦ فصل لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يترك سجدة القرآن الخ	السلام واصطف الاصحاب عتمه الخ
٣٧ فصل في فضل يوم الجمعة وعبادات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه	٦١ فصل كان من العادة النبوية في الزكاة مراعاة الفقراء الخ
٤٠ فصل كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم أن يعظم يوم الجمعة الخ	٦٢ فصل في زكاة الفطر وهدى الرسول فيها
٤١ خواص يوم الجمعة ذكر منها اثنتين وثلاثين خاصية مفصلة	٦٣ فصل في أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أنزلت فيه سورة ألم نشرح
٤٧ فصل في الخطبة النبوية في يوم الجمعة	٦٥ (باب صيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم)
٤٩ فصل في صلاة العيد وبيان هدى الرسول فيها	٦٦ فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سافر في رمضان أفطر في بعض الاحيان الخ
٥٠ فصل في عباداته صلى الله عليه وآله وسلم في حال الاستسقاء وبيان الادعية الواردة فيه	٦٧ فصل في صيام النافلة
٥٢ فصل في عبادات السفر من دعاء وقصر صلاة	٦٨ « لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر الخ
٥٥ فصل في عادة الحضرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم حال قراءة القرآن واستماعه وكال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه	٦٩ (باب حجج النبي وعمره صلى الله عليه وآله وسلم)
٥٦ فصل في العبادات النبوية في تفقد المرضى	٦٩ فصل في سياق حج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
٥٧ فصل في العادة النبوية في أحوال الميت وأداء حقوقه الخ	٧١ فصل وقع السهو لخمس من الطوائف في صفة حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٦٠ فصل كان إذا دخل وقت	٨١ فصل في دخول الكعبة والوقوف بالملتمزم في طواف الوداع
	٨٢ فصل اعلم أن الذبائح التي تحصل بها القربة ثلاثة أنواع وتفصيل ذلك

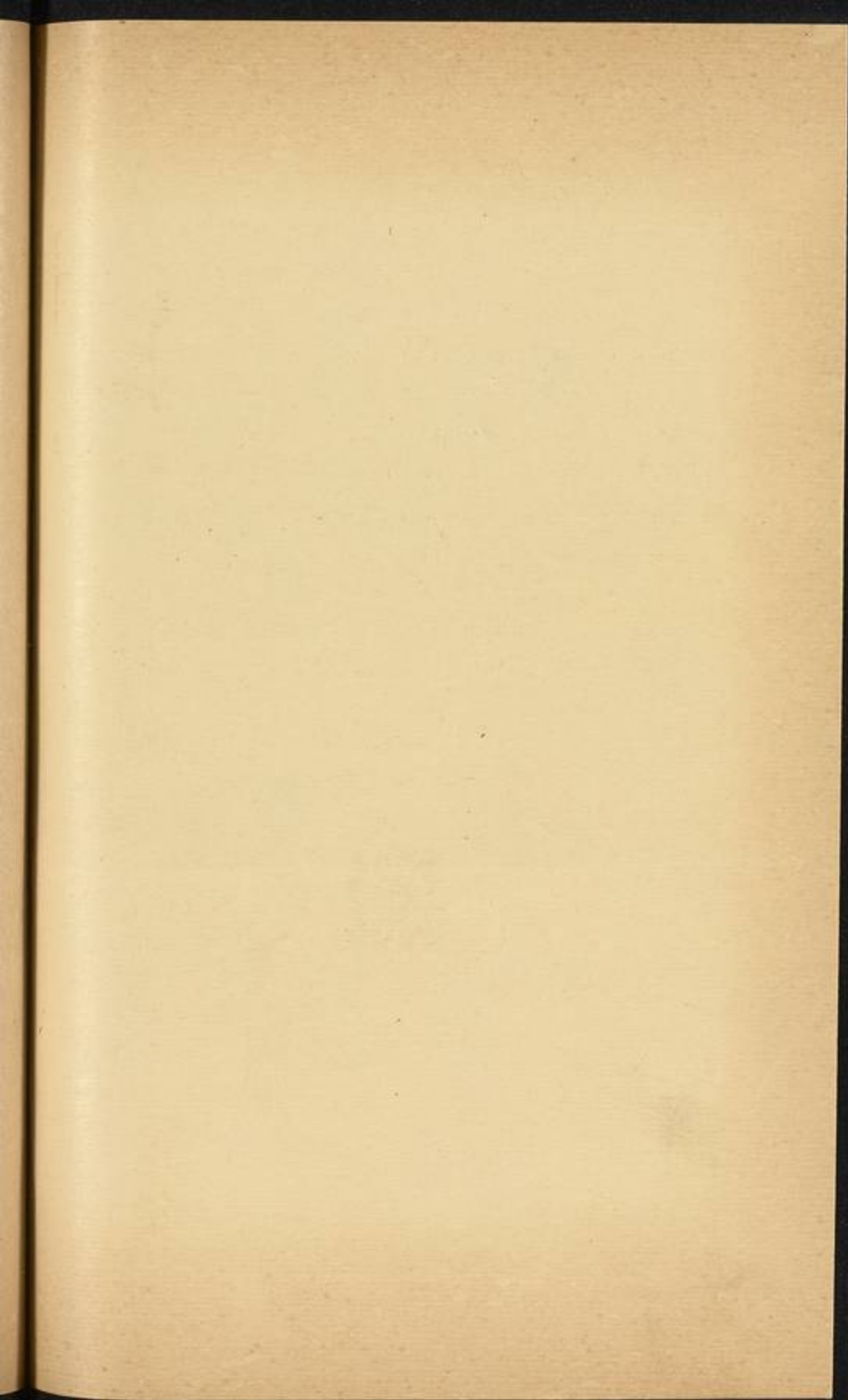
صفحة	صفحة
٨٣	فصل في قربان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفته
٨٣	فصل في السنة النبوية في العقيقة
٨٧	فصل ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يسمى العنب كرم أو بيان ذلك
٨٧	(باب أذكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم)
٩٦	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا لبس ثوبا جديدا قرأ هذا الدعاء اللهم الخ
٩٦	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا رجع إلى بيته قال الحمد لله الذي كفاني الخ
٩٧	فصل فيما كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول له عند دخول الخلاء اللهم إني أعوذ الخ
٩٧	فصل في أذكار الأذان
٩٨	فصل في عشر ذي الحجة
٩٨	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى الهلال قال اللهم أهله الخ
٩٩	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أكل طعاما سمى الله الخ
١٠٠	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأحيان إذا دخل البيت يقول هل عندكم طعام الخ
١٠١	فصل في السلام والآداب النبوية في هذا الباب
١٠٤	فصل في الاستئذان
١٠٤	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا عطس وضع يده المباركة الخ
١٠٥	فصل في أذكار السفر
١٠٧	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا استوى على الرحلة قال الله أكبر الخ
١٠٩	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الصحابة خطبة الحاجة الحمد لله الخ
١١١	فصل في الفاظ ليس في كراحتها خلاف
١١١	(باب في عموم أحواله صلى الله عليه وآله وسلم ومعايشه وهو مشتمل على فصول)
١١١	فصل في طعامه صلى الله عليه وآله وسلم وعادته الكريمة
١١٢	فصل في لباسه صلى الله عليه وآله وسلم
١١٣	فصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس السر اويل الخ
١١٤	فصل في العادة النبوية في معاشرتة أزواجه الطاهرات ومباشرتهن
١١٦	فصل في نوم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقظته
١١٦	فصل في الركوب
١١٧	فصل كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قطع من الغنم الخ
١١٧	فصل باع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشترى
١١٨	فصل سابق صلى الله عليه وآله وسلم على قدميه الخ
١١٩	فصل كان صلى الله عليه وآله وسلم يعالج الامراض بأنواع الخ
١١٩	فصل في علاج استطلاق

صفحة	صفحة
المرضى بالجذبة الخ	البطن الخ
١٢٧ فصل أمر صلى الله عليه وسلم	١٢٠ فصل في علاج الطاعون والوباء
في دواء وجع العين بالسكون الخ	١٢١ فصل في علاج الاستسقاء
١٢٧ فصل أمر صلى الله عليه وسلم	١٢١ فصل أمر رسول الله صلى الله
في دواء الخدر السكلى بالماء	عليه وسلم في علاج الجراحات
البارد الخ	برماد من حصير محروق الخ
١٢٨ فصل في اصلاح الطعام	١٢٢ فصل كان صلى الله عليه وسلم
والشراب الذى سقط فيه	يقول الشفاء في ثلاثة الخ
الذباب وهو مبحث نفيس	١٢٢ فصل كان صلى الله عليه وسلم
١٢٨ فصل أمر صلى الله عليه وآله وسلم	لا يحب السكى ومع هذا كان
في علاج البثرات بالذريرة	يأمر به الخ
١٢٨ فصل أمر صلى الله عليه وآله وسلم	١٢٣ فصل في علاج عرق النساء
أن يعالج المريض في بعض	١٢٣ فصل في معالجة يبس المزاج
الاحيان بالسكيات المطيبات	بالتليين واختيار السنن المكي الخ
للفس الخ	١٢٤ فصل في الحكمة وغلبة القمل
١٢٩ فصل في علاج السم	١٢٤ فصل في علاج ذات الجنب
١٢٩ فصل في علاج السحر	١٢٥ فصل وإذا حدث برأسه صلى
١٣٠ فصل في العلاج بالقيء	الله عليه وسلم صداع وضع
١٣٠ فصل في تضمين من يعالج	عليه الحناء ويقول هذا ينفع
بغير معرفة	١٢٥ فصل كان النبي صلى الله عليه
١٣٠ فصل أمر صلى الله عليه وسلم	وسلم يقول لا تكرر هو امراضكم
باجتناب معاشرة أرباب	على الطعام والشراب الخ
الامراض المعدية	١٢٦ فصل في علاج العذرة التي
١٣١ فصل منع صلى الله عليه وسلم	تظهر في حلق الاطفال بالقسط
من التداوي بالمحرمت	الهندي
١٣٢ فصل في علاج القمل بحلق	١٢٦ فصل من اشتكى وجع القلب
الرأس	يقال له مفؤد الخ
١٣٢ فصل في المعالجة بالادوية	١٢٧ فصل أمر صلى الله عليه وسلم

صفحة	صفحة
١٣٩	الروحانية الربانية الخ
١٤٠	فصل عاليج صلى الله عليه وسلم
١٤١	جميع الامراض بهذا الدعاء الخ
	فصل في علاج الكرب والنم
١٤١	والهم بادعية مأثورة
	فصل في السعادة النبوية في
	الطعام والشراب
١٤٢	فصل في الفطرة وتوابعها
١٤٣	فصل لم يكن له صلى الله عليه وسلم
	وسلم ولا لاصحابه النفات إلى
	المسكن الخ
١٤٤	فصل في الجهاد وآدابه
١٤٨	فصل وأما تدبير النوم واليقظة
	فكان على اعدل الوجوه
	فصل أمر في حفظ الصحة
	باستعمال الطيب
	فصل في حفظ صحة العيون
	فصل في القرض والسلف
	فصل في صفة مشيه صلى الله عليه وسلم
	فصل في كلام النبي وسكوته
	وضحكك وبكائه الخ
	فصل في الفطرة وتوابعها
	فصل كان صلى الله عليه وسلم
	يقص شاربه الخ
	فصل في الجهاد وآدابه
	خاتمة الكتاب في الاشارة
	إلى أبواب روي فيها أحاديث
	وليس منها شيء صحيح

تمت





الاسلام

﴿والرد علي منتقديه﴾

من آثار حكيم الاسلام الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا
بعض مقالات حماة الاسلام في العصر الاخير

التزام

« محمود توفيق الكتبي بالازهر »

سنة ١٣٤٣ هجرية

مطبعة توفيق الكتبي بالازهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مؤيد الاسلام ومعلمي كلمته . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
أفضل مبعوثيه ورسول رحمة . وآله وصحبه وسلم ﴿ وبعد ﴾ فقد وصل الى
مجموعة في الاسلام والرد على منتقديه جمعت من آثار الاستاذ مفتي الديار
المصرية سابقا الشيخ محمد عبده ومن مقالات حماة الاسلام في العصر الاخير
قام بطبها غير واحد فقال دون اكمالها وفات الاستاذ عليه الرحمة والرضوان
أو أمر آخر وكنا نعلم الاستاذ ومكانة مقامه في الذب عن الاسلام والرد على
منتقديه فأحييت أن لا ينوت المجتمع الاسلامي ذلك الأثر الجميل فكلفت
صديقي الفاضل السيد محمد بدر الدين النعماني أن يصل مقطوع ذلك المجموع
بمقدمة توضح مضمونه . وتفصح عن مكنونه . فاحسن بذلك جزاء الله
خير الجزاء ونظرت الى آخر المطبوع فوجدته أدرج فيه خطبة للورد
كورزون حاكم الهند في مدرسة عليكرة الاسلامية المدرجة في عدد ٣٣٥٩
من جريدة المؤيد فاكلتها نقلا عنها وبذلك ختمت المجموعة لكلا أشوب كلام
الاستاذ بغيره وعنوانه باسم ﴿ الاسلام والرد على منتقديه ﴾ ليطابق معناه
ومن الله استمد التوفيق : -
تحريرا في ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٧

كاتبه

محمد امين الخانجي

مقدمة

ان التعاليم الاسلامية التي جاء بها النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم
لنشرها بين الناس من عرب و فرس و روم و قبط و هند و غير ذلك من الامم
التي كانت تشغل وجه المسكونة حين بعثته و حمل الناس على الاخذ باحسنها
والارشادات الحسنة التي بعث لتطهير الانفس من رعوناتها بواسطتها لم تكن
بالتعاليم التي تقبل النقض ولا الارشادات التي يتوجه اليها الطعن

ان تعاليم الدين الاسلامي الخفيف مبنية على اساس من الحكمة متين
لا يزعه شيء ولا يؤثر عليه مؤثر و مباديه عقلية بحجة لم يدخلها شيء من
أوهام النفس ولا من خرافات الاعتقادات ولا فاسدات العادات ولم تبني
على الف قوم مخصوصين من استحسان شيء واستقباح آخر وانما بنيت على
صرايح العقول التي تثبت في كل زمان و تصلح لكل قوم

من ذلك كانت الدعوة اليه عامة لا تختص بعربي دون عجمي ولا بخصري
دون بدوي لموافقة مباديه لكل الامم على شكل واحد ونسبة واحدة :
وهذه الميزة لم تكن لدين من الاديان السماوية ولا لشريعة من الشرائع
الوضعية فلقد يري الناظر الي الاديان السالفة ان تعاليمها لاتليق الا بقوم
بأعيانهم ويستحيل تكليف غيرهم بها من سائر الاقوام لعدم امتزاجها بطباعهم
وارتباطها بنفوسهم ولذلك كانت الدعوة اليها خاصة وكانت أبدا معرضة للتغير
والتبديل على حسب ما يعرض من حاجات الامم ويطرأ من الانقلابات السكونية
وكذلك الشرائع الوضعية التي يظن واضموها أنهم أشرفوا على طبائع

الامة واخلاقها وعوائدها من كتب ووضعوا لها قانونا يصلح لحالتها ويستقيم عليه أمرها لا يلبثون اذا أخذوا في التطويق أن يجدوا تباينا عظيما واختلافا كبيرا فيعمدوا الى التغيير والتبديل والنقض والابرار طلبا لغاية لا يمكن ادراكها،

قسم الدين الاسلامي الحنيف تعاليمه أقساما (١) الاقرار بالصانع واحد والاعتراف بالمعاد (٢) الافعال البشرية المتعلقة بالأموال الآخروية (٣) الافعال البشرية المتعلقة بانتظام الامور المدنية وصلاح حالة المعاش هذه هي الاقسام ونحت كل قسم أقسام كثيرة ليس هذا موضع ذكرها

فاما الاقرار بالصانع والاعتراف بالمعاد فلم يكونا في دين من الاديان بالشكل الذي كانا عليه في الدين الاسلامي الحنيف وضوحا وجلاء وان اتفق مع سائر الاديان السماوية في أصل المعنى ولذلك لم يقع في التوحيد شيء من الشوائب التي وقعت في الاديان الآخري من الحلول والاتحاد والتجسيم والتشبيه والتعطيل وغير ذلك مما يخل بمقام الألوهية وان سمعت بشيء من هذه الآراء في المقالات المنسوبة الى أهل الاسلام فان ذلك مما أدخله الزنادقة الملحدون أعداء الدين الذين قصدوا النكابة بالدين والايقاع به وتبرسوا بالدين من أن تنالهم يد عقاب وليس ذلك من تعاليم الاسلام ولا في تعاليمه الواضحة ما يقع في مثل هذه الشبه والارتباكات

وكذلك الاعتقاد بالمعاد لم يدخله شيء من الإههام والخرافات التي جاءت في الاديان الآخري وانما جاء الاسلام بالمعاد مقتصر افيه على ما لا بد منه لصلاح النشأة الاولى وعلى ما هو ضروري بعد التسليم بالصانع القديم والاعتراف بالتسكين: أثبت ذلك اجمالا وترك التفصيل لقيام الكفاية به

وحصول الزجر عنده

جاءت العقيدة الاسلامية في ذلك واضحة يذنه ظاهرة يشترك في معرفتها عامتهم وخاصتهم بل مجاوروهم ومخالطوهم من أهل الاديان الاخرى ولم يخلص أهل الاديان من ارتباكات وتليسات يقع فيها الخاصة فضلا عن العامة لان التعاليم التي انتهت اليهم لم تكن من الجلاء والوضوح بحيث تبدو للناظر لاول وهلة أو بعد قليل تأمل بل كانت في غاية الغموض وانخفاء أما الافعال البشرية المتعلقة بالنشأة الآخرة كالصلاة والصيام والحج وأشباهاها من التكليف الشرعية ففيها من المحاسن ما لا يطبق القلم احصاءه وأهم ذلك أن لا يرفع الانسان كلتا رجليه عن عتبة الالهية وينسي سعادته الحقيقية فيعيش ذنبا ضاريا بودي نفسه وبأبناء جنسه

على ان أهل العلم اليوم حتى غير المسلمين يذكرون هذه التكليف الشرعية البحتة التي لا يدرك العقل لها فائدة بعد أن يعلم ان البارئ لا يناله خير منها من الفوائد والمرافق الدنيوية ما لو كان السبب الوحيد في التكليف بها والغرض المقصود منها لقامت به الكفاية وصح به التكليف وبقدر كثرة التكليف للأئمة لافطر تهذب النفوس وترتاض ويشتد ميلها الي الخير وينتزع منها الفضلات الرديئة ويقرب النوع البشري من السعادة الدنيوية المطلوبة له

فأما ما يتعلق بانتظام الامور المدنية وصلاح حالة المعاش فالدين الاسلامي في ذلك البحر الذي لا يدرك غوره والغاية التي ليس بمدى أمل لآمل ولا زيادة لمستزيد

خدم الاسلام البشر خدمة لم يخنمه بها دين من الاديان السالفة الا

اهتدت لمثلها عقول أهل القوانين والمعنيين لترتيب نظمات البشر وتنسيق
أمور المعاش وتحسين حالة المجتمع البشرى

أمر بالاحسان في معاملة الخارجين عنه وهم أول من تسبق النفس الي
الوهم بأن اساءة معاملتهم ربما كانت من القربات الدينية فقال ﴿ولا تجادلوا
أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن﴾ وأمر بأن يسوى بين المسلم وغيره في
الحقوق والمعاملات الدنيوية التي لا مساس لها بالدين وبين ذلك في مواضع
كثيرة من الكتاب والسنة حتى تطمئن نفوس غير المسلمين لاحكام الاسلام
ولا يجحدوا فيها ثقلا على نفوسهم ولينالوا من المرافق الحيوية التي خلقها الله
مشتركة في خلقه بقدر حظهم منها وأمر بتركهم وما يدينون ولم يجبرهم
على الدخول فيه لتكون محاسنة وتعاليمه الواضحة داعية اليه وتقاديا مما وقع
لاهل الاديان الاخرى من اشهار السيف على النفس لتعترف أو تنكر
والوجدان لا يتسلط عليه حكم حاكم مهبطا كان جبارا قوى السلطان

ولم يكن الجهاد المفروض في صدر الاسلام لا كراه النفوس على الاعتراف
به بقوة السيف وانما كان الغرض الذب عنه وفتح الطريق أمام القائمين
بنشره وتبليغه ليتسنى لهم ايصال تعاليمه الي آذان العالم الذين كانوا ينتظرون
ظهوره منهم

أمر بالاحسان في معاملة الجار والزوجة والصاحب والوالدين والابناء
وكل قريب وبعيد ممن يدين به ومن لا يدين وحث على ذلك بابلغ العبارات
وأقربها الي الافهام وتوعد على الخروج عن هذه الجادة بالعقبات الاخروية
وسن لذلك من العقوبات الدنيوية مالا بد منه لسعادة البشر

وكانت أحكامه وتعاليمه في كل ذلك وسطا بين جانبي الافراط والتفريط

فامر الانسان بالصفح عن أساء اليه وأمره بمقابله بمثل ما وقع منه اذا كان المتعدى ممن لا ينفعه الصفح ولا يزره الاغضاء عنه لثلا تستطيع أيدى أهل العبث والفساد علي أهل التقوى والصلاح وأوجب طاعة أولي الامر وحتم الخروج عابهم اذا اشتطوا على الرعية وحكموا أهواءهم واغراضهم وجعل لكل حسن حدا اذا تجاوزه صار الى القبح ولكل شيء غاية يفسد بتجاوزها وجعل لكل شيء طرفين ووسطا وأمر باتباع الوسط وترك الاطراف لاذ لا تخلو عن افراط أو تفريط وأشار الى ذلك كله وحث عليه بقوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ أي وسطا في الاعتقاد والاعمال لاني النبي والظهور .

هذه أمهات التعاليم الاسلامية وهي حقيقة الدين الاسلامي الحنيف وهي النور الذي سطع على العالم وهو يتخبط في ظلمات الجهل فاشرقت له أرجاؤه وهي دين الفطرة التي لا تقبل الفطرة غيره ولا تعدل عنه اذا خلت عما يكدرها من العقائد وهي هي السعادة الحقيقية في المبدأ والمعاد ليس أخذ هذه التعاليم اللطيفة من القرآن المجيد بالامر المشكل ولا فهمها بالمقدة المشكلة وانما يمكن أخذ هذه المجموعة التوحيدية الدينية الاخلاقية العمرانية من الكتاب المقدس في سويحات قليلة بأدنى تأمل والتفات يندش القارئ اذا قرأ ما تقدم وقارن بينه وبين ما يجده الآن من أهل الاسلام وما يراه منسوبا الى الدين مما يختلف كثيرا عن التعاليم الاسلامية التي سبق شرحها ولم يكن يعلم حقيقة الديانة الاسلاميه وكنه تعاليمها الحقة وهو استدراك حسن يجب الاعتناء به ولا يجمل بنا اهماله وعنه نشأ سوء ظن استحکم للمشرفين علي الاديان من غير المسلمين بل فشى هذا الظن

السيء بين أهل الإسلام ممن لم ينظروا في كتب أصول الديانة الإسلامية ولا سمعوا من أحد وإنما أخذوها من مجموعة أعمال المنتمين إلى الإسلام والمتدينين به وإن كانوا في الحقيقة غرباء عنه .

انتشر الطعن في الدين الإسلامي في العصور المتأخرة وكثر الزارون عليه ممن ينتمى إليه ومن لا ينتمى وليس ذلك عن تعصب لدين آخر أو مروق منه ولا عن حقد على أهله ومن تمسك به وإنما ذلك في الأغلب للغلط في الفهم وظنهم أن الدين هو ما عليه المتمدون إليه والمنتسبون له والدين شيء وأعمال أهله شيء آخر ليس في حسن أحدهما دلالة على حسن الآخر ولا في قبحه دلالة على قبحه

الدين الإسلامي على مثل ما سمعت وأحسن إلا أنه لم يكن دين من الأديان بما منى به الدين الإسلامي الخفيف من الأعداء اللدء الذين يعملون دائبين لتشويه وجه محاسنه وتغيير الطباع عنه

ظهر الدين الإسلامي في الجزيرة العربية فداس الوثنية بأقدامه ثم انتهي إلى اليهودية فاخنى عليها ولم يدع لها في جزيرة العرب أثرا بعد منعة لهم قوية وشوكة لا تحطم ثم زحف بجيوشه إلى مصر والشام والعراق والاندلس وغيرها من الممالك الشاسمة المتناحية الأطراف ففرض فيها صروح النصرانية والمجوسية ورفع صروح التوحيد وشيد قواعد الإسلام

كان هذا كله في نحو نصف قرن فلو أنه سيل جارف انحط من حادر لم يبلغ هذا المدى في هذه المدة القصيرة على أن فتوحاته اللطيفة كانت فتوحات شفقة وحنان لا يشوبها شيء من جبروت الاستعمارات التي نشاهدها اليوم من الأمم المتعدنة

لم يرق هذا في أعين تلك الأمم التي زاحمها الإسلام وأخذ مكانها ولم تر
في نفسها قدرة على صدياره الجارف ورأت في سهولة تعاليمه وموافقته لطباع
البشر ما يدعو الناس لترك ما هم عليه من الديانات والتمسك به فلم ترق مقابلته
خيلا من الكيد له ونصب الحبال في طريقه.

دخل جماعة لا يستهان بهم في الدين الإسلامي لارغبة فيه بل كيداله
وحقدا عليه ففرقوا بين أهليه وأوقعوا بينهم العصبية وقطعوا بينهم حبال الاخوة
حتى كان من الحوادث الفظيمة في صدر الإسلام مالولاه لم الدين وجه
المسكونة وذهب كل شيء سواه

ثم قام آخرون فادخلوا في الدين من العقائد الفاسدة والاهواء الباطلة
ماتأباه سماحة الدين الإسلامي ووضعوا لذلك الاحاديث الباطلة على لسان
رسول الله صلي الله عليه وسلم والدين لم يدون بعد ولا جمع شتاته وانما هو
في صدور الرجال ممن لقي صاحب الشريعة أولقي من لقاء فاختلفت العقيدة
وتشعب المسالك على الناس واستحكمت العصبية بينهم فقاتل بعضهم بعضا
كل يرى أن ذلك جهاد الاعلاء كلمة الحق والدين

كان هذا في العصرين الاول والثاني للإسلام ثم كان من الفتن باستحكام
ذلك الفراغ الخبيث وتفرع غصونه ما كاد يقضى على الإسلام والمسلمين
لولا بقية فيهم بذلت أموالها وارواحها في حفظ كيانه من الدور

ظهر الإسلام بعد تلك الفتن الجارفة والخطوب الجائحة كانه هلال
يلوح من وراء غيوم سوداء متقطعة أمامه تلك الصروح الهائلة خامدة هامة
كانها بعض تلك المباني التي مضى عليها ألوف الاعوام وأعجب شيء يشاهد
في هذه السلسلة التاريخية أن تكون نيران هذه الفتن اسرع الى مؤججها

منها الى المقصودين بها

أخذ الاسلام شكلا غير شكله الاول فسارت الحكومات الاسلامية في خطتها سير رأى وهوى تاركه وراءها القوانين التي دونتها الشريعة الاسلامية على ما فيها من بساطة واعتدال وهجرت العلوم الاقتصادية لتسلط الحكم وعمم وقوفهم في امتحان الامة والتطاول على حقوقها عند حدواضعت مبادي تلك العلوم بعد أن قربت ثمرتها من أيدي متعاطيها واقتصر في العلوم على العلوم الشرعية وعلي ما يظن ان له بها مساسا وارتباطا

جاء هذا الدور من ادوار العلم والناس بعيد وعهد باصول الدين والسليقة العربية وهي اكبر معين علي فهم معاني القرآن والسنة بلا مشقة ولا عناء فاسدة والاقوال في كل فن من فنون العلوم متضاربة متناقضة والتمييز بين غثها ونعيمها مشكل فلم تسم همتهم الى الرجوع الي سنة الاسلاف وطريقة صاحب الامر والاهتداء بهديهم حصرا لدائرة الاختلاف في أضيق الدوائر وتقليل الاشكال علي الناس قدر الامكان وانما أرجعوا الي ما وقع اليهم من مقالات من سبقهم فأخذوها واشبهوا بها وعكفوا علي تعلمها وتعليمها بلا نظر في دليلها ولا نظر في وجوه استنباطها بل بمجرد حسن الظن بقائلها ووربما كانت المقالة فاسدة وكانت غير مزعومة علي قائلها مفتراة عليه أوربما كانت له مقالة ثانية رجع عن مقالته الاولى اليها

ومن ذلك الوقت أخذ المسلمون في الجمود من جهة والاستكانة والرضوخ من جهة أخرى وأخذت هذه المبادئ تتأصل في طبائعهم حتى صارت احدى الغرائز فصارت طاعة المتسلط فريضة مما كان أثرها سيئا علي الدين والدنيا وتقلص ظل السنن والشعائر الدينية وحلت محلها البدع والمنكرات وأصبح

انكار هذه البدع والحط منها ازراء على الدين وانتقاص للشريعة يوجبان
شدة العقاب

جردت الكتب المؤلفة في الدين من أصول لدين وسنته ومحاسنه وآدابه
وقوانينه الاخروية والاجتماعية وحشيت من الخرافات والاكاذيب
والاحاديث الموضوعة المفترات على صاحب الشريعة وقصر حملة العلم نظرهم
عليها كأنها أم الدين بل شدد في أمرها قوم منهم فقالوا انها الدين وان خالفت
أصول الدين كتابا وسنة بلا بحث فيها ولا ترو في شأنها

نشأ عن هذه الاعراض التي ذكرناها وبيننا كيفية تسلطها أمراض قتالة
(١) احتجاب نور الشريعة عن أنظار العالم الاسلامي وراء ستر تقليد من لاعلاقة
له بالدين (٢) شيوع البدع والاحداث ونزولها أمهات منزلة المسائل الدينية
(٣) استكانة النفوس لهذه البدع والركوع أمامها من العلماء جهلا ومن العامة
تقليدا لهم (٤) قعود أهل الايمان والنظر الصحيح عن بياض حقيقة الدين
خوفا من علماء السوء أن يثيروا العامة عليهم كما اتفق ذلك لكثير ممن
تهدمنا من أهل العلم الصحيح ومن رأينا في عصرنا : ولقد رأينا رجلا أنكر
بدعة ربما كانت مكفرة فافتي نحو ثلاثمائة رجل ممن ينتمون الى العلم لاترني بري
أهله بكفره ومروقه من الدين فالحقه لذلك ما فيه كفاية الردع أقوى وجل
مجرد لخدمة الدين والجهاد في اعلاء كلمته والذب عنه (٥) وقوع المسلمين في
الحيرة اذا توجه عليهم اعتراض في أمر وقامت عليهم حجة في قبحه ظنا
منهم ما هم عليه هو الدين ولوعدهوا ما هو الدين لا يقنوا أن الاعتراض متوجه
عليهم لا على الدين وحاشا للدين الحنيف السهل أن يتوجه عليه اعتراض
هذه الامراض التي لحقت جسم الدين الاسلامي الحنيف كافية لان

فقدته حياته ولو ان أصول الدين محفوظة من التغيير والتبديل لم تصل اليها يدعات لم يصل اليها شي من حقائق الدين ولا يندثر كما اندثر غيره من الاديان التي نالت أيدي المتلاعبين بها أصولها

أخذت الحكومات الاسلامية من أعوام قليلة شكلا غير شكلها الاول انتقل اليها من بلاد الفرنجة باجورتهم لنا ومخالطتهم ايانا في ديارنا فباحث التفكير وأعطت حرية القول فانطلقت الالسنه التي كان يعقلها الظلم لاجلهم وظهر من كان يستره الخوف لالخمول فتخلص من ظل البدع وظهر من شعائر الدين في محور ربع قرن ما يبشر بحسن المآل اذا استمرت الحال على مثل ما نشهد اليوم

الا ان محاربة البدع والاحداث وعلاج هذه الادواء الفتاكة يجب أن تكون من جهة النابتة الجديدة والناشئة الحديثة لا من جهة الشيوخ علماء أو عامة فان هذا الصنف من الناس قد استحكمت فيهم الامراض فليس الي شفائهم من سبيل

أن الخاصة يمنعهم من الرجوع الي الحق أنيتهم واستكبارهم أن يكونوا تبعاً لغيرهم ممن يظلمهم واياهم عصر واحد وخوفهم علي مرا كزهم في قلوب الامامة ان يعلموا انهم نشؤوا على غير هدى دينهم وهكذا شان رؤساء الديانات وزعماء المشركين في مخالفتهم النبي صلى الله عليه وسلم والعامه يمنعهم من الرجوع جزمهم بان الحق من مقلديهم وان ما يقوله غيره بدعة محدثة وقد قيل لعمر بن العاص ما أخرجك عن الدخول في الاسلام مع تقدمك في العقل قال جاءت النبوة والزعامه بيد غيرنا ونحن أتباع تنتهي حيث ينتهون فلما ماتوا وأفضي الامر الينا نظرنا فاذا ما يدعو اليه حق فاتبعناه فاما النابتة الحديثة

«مبج»

فلم تعرف قلوبهم هذه المفاسد ولا وضعوا زمام أمرهم في يد أحديهم
حيث شاء فهم أحرار فهو لاء اذا ظهر لهم الحق لم يلبثوا أن يطيروا اليه
ان الدين ليبلغ بالتسلط علي صاحبه ما لا يبلغه متسلط آخرهما كان
السلطان وفي هذا المعنى جاء الحديث — ان الله ليزع بالقرآن ما لا يزع
بالسلطان والدين الاسلامي كافل بالسعادتين الدنيوية والاخروية علي وجه
لا يتطرق اليه خلل أو نقصان فالذي يريد أن يخدم الامة الاسلامية في مبدئها
أو معادها خدمة حسنة موصلة الي السعادة الحقيقية فاقرب الطرق أن يزيل
الستار عن محاسن الديانة فاذا خالطها يبشاشتها القلوب وحلت الحقائق محل
الخرافات وقامت المحاسن مقام المساوي سار المسلمون في طريق السعادة فلم
يلبثوا أن يحلوا روعها وفي هذا أكبر خدمة لنوع البشر وسعادته
ولذلك ترى ان نشر المقالات في بيان محاسن الاسلام ومعاربة
البدع والاحداث ودفع ما يتوجه عليه من الانتقادات والاعتراضات وتقرير
حقائقه من أحسن ما يخدم به علماء الاسلام الديانة الاسلامية لرفع منارها
بين سائر الديانات

انما الواجب في ذلك ان يكون القائمون باعباء هذه المهمة والناهضون
بهذه الوظيفة من خاصة الخاصة ممن وقفوا تمام الوقوف على أصول الدين
وعرفوا سنة صاحب الشريعة وسنن أصحابه من بعده وأسرار التشريع لئلا
يخرجوا بالناس من حفرة الي ما هو شر منها وأنكى : واقل مافي ذلك أن
لا يتكلم أحد باستحسان شيء واستنكاره في نظر الشرع الا بعد التثبت عنه
واجادة التأمل فيه ليكون على بينة من أمره

الله الله في طالب الظهور من جهة الدين أو طلب الدين من قبله فانما ضاع

الدين في طلب الظهور منه أو جملة وسيلة للدنيا فان الدين لله وللبر
كافة فلا ينبغي أن يتقدم لخدمته الا من كان بري في خلوص نيته وصفاء سريرته
وحسن طويته ونجوده عن الاميال والاهواء والاعراض ما يمكنه أن يقدم
خدمة ترضي جناب الحق جل جلاله وترضي البشر كافة والله الهادي الى
سواء السبيل هو حسبنا ونعم الوكيل

محمد بدر الدين النمساوي

rachad.

فهرست

صحيفة

- ١٠٠ المقالة الأولى للمسيو جابر ايل هانوتو (بعنوان) قد أصبحنا اليوم اذاه الاسلام
والمسألة الإسلامية
- ١٠٩ المقالة الثانية له (فانتحتها) المسائل السياسية في كل دين هي التي ترتبط بالقدر
والمغفرة والحساب
- ٢٠ المقالة الأولى من رد الاستاذ الشيخ محمد عبده عليه
- ٢٧ المقالة الثانية للاستاذ في الرد عليه في مسائل القدر والتوحيد
- ٣٣ المقالة الثالثة للاستاذ (وفانتحتها) اليوم آتى على آخر القول لكسر شره هانوتو
في توثبه على الاسلام
- ٤٤ حديث لسعادة صاحب حريرة الاحرام مع هانوتو عن كتاباته التي يقصدها
عن الشريطين عامة والمسلمين بوجه خاص
- ٥٢ وصل للحديث المذكور وتمتمه
- ٥٧ الرسالة الثالثة لصاحب الاحرام في استدراك ما فاتته نشره من حديثه مع هانوتو
- ٦٢ رد على هذا الحديث الاخر نشره المؤيد في عدد ٣١٣٠
- ٦٧ وصل لهذا الرد (بعنوان) شأن المسلمين اليوم والرد على هانوتو من ادعائه ظهور
دعوة فيهم الى توحيد كلمة المسلمين
- ٨١ نشرة تالفة (بعنوان) سوء ظن المسلمين بسياسة أوربا كلها
- ٨٨ دين الاسلام والامور التي تتم بها سعادة الامم — للسيد جمال الدين الافغاني
- ٩٧ الدين الاسلامي أو الاسلام من قلم الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله
- ١١٦ انتشار الاسلام بسرعة لم يمهدها نظير في التاريخ من قبله ايضا
- ١٢٦ ايراد سهل الايراد للاستاذ رحمه الله
- ١٢٩ الجواب عليه « » « »
- ١٣١ نظرة على الاسلام والمسلمين من كتاب المدينة والاسلام لحضرة محمد بك

فريد وجددي

- ١٤٩ مؤتمر التربية الاسلامي في كلكتا لسعادة صاحب المؤيد
 ١٥٥ الكلام على الوقف والتربية الدينية العصرية
 ١٦٠ الكلام على الوقف ونتائجه
 ١٦٥ الكلام على تربية البنين والبنات تنمة خطبة الفاضي أمير على
 ١٧٠ الكلام على مؤتمر التربية الاسلامي في رامبور لسعادة صاحب المؤيد
 ١٨٨ الكلام على خطبة النواب المعظم مهدي علي خان محسن الملك بهادر
 ١٨٨ مؤتمر التربية الاسلامي في مدارس وخطبة الرئيس
 ٢٠٦ الكلام على خطبة حضرة العالم الفاضل خوجه غلام الصقلي
 ٢١٤ الكلام على خطبة اللورد امبثل حاكم ولاية مدارس في شؤون مؤتمر التربية
 الاسلامي
 ٢١٧ الكلام على جمعية الآداب الاسلامية في مدارس لصاحب المؤيد
 ٢٢٢ الكلام على جمعية حماية الاسلام في لاهور
 ٢٢٥ الكلام على جمعية مستشار العلماء في لاهور (بعنوان) انما يعمل المسلمون في
 الهند للمسلمين في العالم كله
 ٢٢٨ الكلام على جمعية مفيد أهل الاسلام في مدارس
 ٢٢٩ الكلام على جمعية ندره العلماء في لاهور
 ٢٣٤ الكلام على خطبة اللورد كورزون حاكم الهند في مدرسة علي كدة الاسلامية

﴿ تم الفهرست ﴾

المقالة الاولى

لجناب المسيو جابريل هانوتو

قد أصبحنا اليوم ازاء الاسلام والمسألة الاسلامية .

اخترق المسلمون ابناء آسيا شمال القارة الافريقية بسرعة لا تجاري حاملين في حقائبهم بعض بقايا تمدن البيزنطيين (يونان الشرق) ثم تراموا بها على أوروبا ولكنهم وجدوا في نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع اصلها الي آسيا بل أقرب في الوصلة الي المدينه البيزنطية مما حملوه معهم ألا وهي المدينه الآرية المسيحية ولذلك اضطروا الي الوقوف عند الحد الذي اليه وصلوا واكرهوا علي الرجوع الي افريقية حيث ثبت فيها اقدامهم احقاباً متعاقبة . ولكن كان لا يزال الهلال ينتهي طرفاه من جهة بمدينه (القسطنطينية) ومن اخرى ببلدة (فاس) في الغرب الاقصى معانقا بذلك الغرب كله

في تلك البقعة الافريقية التي اصبحت مقر ملك الاسلام جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته . جاء القديس (لويس) الذي ينتمي الي (اسبانيا) بوالدته ليضرم نيران القتال في مصر وتونس وتلاه (لويس الرابع عشر) في تهديده

بالولايات الافريقية الاسلامية وعاود هذا الخاطر . (نايليون الاول) فلم يوفق الي تحقيقه الفرنسيون الا في القرن التاسع عشر حيث أخذوا على دولة الاسلام التي كانت لا تثنى عن متابعة الفارت ضد القارة الاوروبية فاصبحت الجزائر في أيديهم منذ ٧٠ عاما وكذلك القطر التونسي منذ ٢٠ عاما .

قد وصلت طلائع قوانا الآن الي أصقاع من الصحراء تنتهي اليها كشيائها الرملية فمظم اندهاش الباقين من خصوصنا ويزيد ذهولهم لانهم بعد اندفاعهم شيئا فشيئا في الفيافي وبطن الخبوت وظنهم انهم صاروا في امنع موئل شعروا بانفسهم وقد حلق عليهم الاوربيون من جميع الجهات وكانت القبائل الي الوردة اليهم من السنغال أخبرتهم بان الاوربيين امتلكوها وتقدموا منها الي باقل وباما كوسيجو سيكورو وتوغلوا في جهات أخرى حتى وصلوا الي اليجر وبحيرة شادوان مدينة تمبكتو المقدسة قد سقطت في أيديهم منذ أعوام . وأكد لهم هذه الاخبار أيضا رسالهم الذين يخترقون افريقية الوسطى وبجوبون نواحيها بما ذكره لهم من أن جهات صانغا وتجاوندره قد وطئتها أقدام الحاملين للعالم المثلث الالوان الذين يصعدون الانهار لتنظيم البلاد وترقية شؤونها وأن وابوراتهم (في الاصل بابور على التحريف الشائع عند الامم الشرقية من تسمية البواخر النهريه أو البحرية بالبابورات بدلا عن البواخر) تشق عباب نهري الكونغو والشاري وتمكس على سططهما صورة الدخان الاسود المسترسل خلفهما . عندئذ كان يطرق الآذان صوت اليائسين وقد جلسوا

أمام دورهم واضعين رؤسهم بين أفضاذهم لكثرة الغم والكدر وهم يدعون
الى الله ويكررون قولهم عن فرنسا يشبهونها بسرادق كبير اذا حاول
الانسان خلعها فلا يزال له السمو عليه ويختمون كلامهم بقولهم وقد كان هذا
قدر مقدورا .

اذن فقد صارت فرنسا بكل مكان في صلة مع الاسلام بل صارت
في صدر الاسلام وكبده حيث فتحت أراضيها وأخضعت لسطونها شعوبه
وقامت تجاهه مقام رؤسائه الاولين . وهي تدير اليوم شؤونه ونجبي ضرائبه
وتحشد شبانه لخدمة الجنديّة وتتخذ منهم عساكر الذبون عنها في موافق
الطعان ومواطن القتال . تلك المماكة الفسيحة الارحاء التي أنشأتها في
باطن القارة الافريقية وهي الوارثة لما أبقته الدول السالفة والامم البائدة من
قرطاجيين ورومانيين وعرب من أثار المدينة التي كانت القارة الافريقية منبتا
لثمارها اليانعة .

ان شعبا جمهورى المباديء يبلغ عدد نفوسه أربعين مليوناً لا مرشد
له الا نفسه . لاعائلات ملوكية فيها تنازع الحكم ، ولا رؤساء يتناولون
الرئاسة بطريق الوراثة هو الذي تقلد زمام ادارة شعب آخر لا يلبث أن
ينمو حتى يساويه في العدد وهو ذلك الشعب المنتشر في الارحاء الفسيحة
والاصقاع المجهولة والمتبع لتقاليد وعادات غير التي فنولها ونحترمها
وهو الشعب الاسلامى السامي الاصل الذى يحمل اليه الشعب الآرى
المسيحي الجمهورى الآن ملح وروح المدينة . نعم ان ظروف وشروط
هذه المعضلة نادرة ، ولكن ليس على الشعب الغالب أن يحاول جهده

لمعرفتها والاطلاع عليها .

ليس الاسلام فينا فقط بل هو خارج عنا أيضا قريب منا في مراكش تلك البلاد الخفية الاسرار التي يشبه وجودها اخضر مقدر الابد في الغموض والاشتباه . قريب منا في طرابلس الغرب التي تم بها المواصلات الاخيرة بين مركز الاسلام في البحر الابيض المتوسط وبين الطوائف الاسلامية بباطن القارة الافريقية . قريب منا في مصر حيث تصادمت الدولة البريطانية مصادمتها اياها في الاقطار الهندية . وهو موجود وشائع في آسيا حيث لا يزال قائما في بيت المقدس وناشرا اعلامه على مهد الانسانية وبحسب انصاره واشياعه في قارات الارض القديمة بالملايين . وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيه انتشارا هائلا حتى ذهب البعض الى القول بان العشرين مليوننا مسلما الموجودين في الصين لا يلبثون ان يصيروا مائة مليون فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (لسا كياموني) . وليس هذا بالامر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتثرا في الافاق . فهو الدين الوحيد الذي امكن اعتناق الناس له زمرا وافواجا . وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففي البقاع الافريقية تري المرابطين وقد افرغوا على ابدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية اجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان امثالهم في القارة الاسيوية ينشرون بين الشعوب انصيف الالوان قواعد الدين الاسلامي . ثم هو أي — هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الازكان في اورنا

عينها أغنى في الاستانة العلية حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال
جزئومه من هذا الركن المنيع الذي يحكم منه على البحار الشرقية ويفصل
الدول الغربية عن بعضها شطرين .

في باحات قصر يلدز ترى العلماء والدرأويش وقد تذرروا بثياب
الضوف وتمموا بالمائهم الكبيرة جالسين على الارائك بجانب سفراء
الدول . هم هناك يمثلون في الخاطر أشخاص ألف ليلة وليلة لا يتحركون
من مقاعدهم . ينسبون بكلمات تطابق تحريك أيديهم حبات السبح
منتظرين مجيء دورهم في المقابلات لعرض طلب او توجيه لوم . وكل
لمسلمين من مقيم في (الاستانة) أو في «مراكش» في ارجاء آسيأ أو اصقاع
غريقية من بدو كانوا او حضر واقفين في اماكنهم أو سارين مع القوافل
يركعون مع الراكعين اذا ازفت الصلاة يتوضأون أو يقيمون بالتراب
مولين وجوههم جميعا شطر الكعبة وسواء منهم الذين يلبسون الثياب
الواسعة أو يتزبون بالسترة الاسلامولية والذين يلبسون الطربوش أو
المائم علي رؤوسهم والذين يضمون السيف واليطقان في نطاقهم أو يلقون
العلوم في مدرسة برلين الجامعة أو يدرسون علوم السياسة في باريس فانهم
ييمون وجوههم شطر مكان واحد هي الارض المقدسة ، هي الارض
التي تكتنفها الصحراء ، هي الارض التي عاش فيها محمد ، هي الارض التي
تضمن جسمه المبارك في قبر لا يجسر أحد للوصول اليه الامغطي الوجه
حيا وهيبه ، هي الارض التي جاء منها الآباء ويعود اليها الابناء بحركة
مستمرة هي الحج الابدي الى بيت الله الحرام . وجميع المسلمين عن

بكرة أبيهم يرنون بطرفهم الي هذا المكان المقدس ويمدون اليه اعناقهم
ولا يجدون لذة في الحياة الا بأمل العودة اليه . ومن مات منهم ولم يكن
أدي فريضة الحج فقدمت على اسف وحسرة .

وخلاصة القول ان جميع المسلمين على سطح المعمورة نجمة رابطة
واحدة بها يدرون أعمالهم ويوجهون أفكارهم الي الجهة التي ينتفونها
وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذي تتصل به اشياء تتحرك بحركته
وتسكن بسكونه . بل هي القطب الذي تنتهي اليه قوة المغناطيسية . ومتى
اقتربوا من الكعبة ، من البيت الحرام ، من بئر زمزم الذي ينبع منه
الماء المقدس . من الحجر الاسود المحاط باطار من فضة ، من الركن الذي
يقولون عنه انه سره العالم وحققوا بانفسهم امنیتهم العزيزة التي استعنتهم
على مبارحة بلادهم في أقصى مدى من العالم للفوز بجوار الخالق في بيته
الحرام اشتعلت جذوة الحمية الدينية في أفئدتهم فتهافتوا على أداء الصلاة
صفوفاً وتقدمهم الامام مستفتحاً العبادة بقوله « بسم الله » فيعم السكون
والسكوت وينشران اجنعتهما على عشرات الأتوف من المصلين في تلك
الصفوف ويملاً الخشوع قلوبهم ثم يقولون بصوت واحد « الله أكبر »
ثم تمنو جباههم بعد ذلك قائلين « الله أكبر » بصوت خاشع يمثل معنى
العبادة .

ولا نظوا ان هذا الاسلام الخارجي الذي نجمة جامعة فكر واحد
غريب عن اسلامنا ولا علاقة له به . لانه وان كانت البلاد التي تحكمها
شعوب مسيحية ليست في الحقيقة « بدار اسلام » وانما هي « دار حرب »

فاتها لا تزال عزيزة وموقرة في قلب كل مسلم صحيح الايمان . والغضب لا يزال يحوم حول قلوبهم كما تحوم الاسد حول قفص حبست فيه صفارها وربما كانت قضبان هذا القفص ليست متقاربة ولا بدرجة من المتانة تمنعها عن الدخول اليهم من بينها .

تري في قرانا وبلدانا درويشا فقيرا صاحب اللون متدثرا بأرديته البيضاء الملمة بخطوط سوداء يلهج لسانه بذكر الله والصلاة علي نبيه لا يلوبه عن ذلك شيء . هذا الدرويش الذي ينتقل من خيمة الى خيمة ومن قرية الى قرية راويا حوادث الاقطاب والاولياء من مشايخ الاسلام انما يبذر في القلوب حيثما حل واينما توجه بذور الحق والضعيفة علينا . ان العالم الاسلامي منقسم الى طوائف وطرائق لاعداد لها ينخرط في سلكها الالوف من رعايانا المسلمين ولسكن ليس لها في الغالب مراكز ولا زوايا بالاراضي الداخلة في دائرة نفوذنا . وغاية الامر ان العاملين في هذه الطوائف والمذاهب الكثيرة يخترقون بلا انقطاع ولا توازن مستعمراتنا الافريقية فيستقبلهم اهلوها بالترحاب ويمسنون وفادتهم ويسكرمون مشواهم حتى ان الفقير منهم لا يري في اكرامه له اقل من ان ينحر له شاة هذا عدا ما يجمعه له من صدقات ذوي البر والاحسان او من المرتبات المالية السنوية التي يبلغ ما يدفعه أهالي الجزائر وخدم منها ثمانية ملايين من الفرنكات كل عام : وهذا مما يستوجب العجب والدهشة لان مقدار ما يجنيه من الضرائب كل سنة من أهالي الجزائر لا يتجاوز ضعف هذا المبلغ .

ومن بين تلك الطرائق والطوائف ما يخلد أعضاؤه الى السكون
 وربما كانت علاقتهم مع رجال حكومتنا في الجزائر وتونس على أحسن
 مايرام . وما ذلك الا لان الرابطة التي تربطهم ببعضهم قد اعترها الوهن ،
 لان الفوضى التي أصابت الاسلام لافريقي قد أخذت نصيبها منهم .
 وليكن توجد طوائف غيرها بلغت شدة العصبية منها مبلغا عظيما لانها
 مؤسسة من مبدأ كنفاح غير المؤمنين وعلى كراهة المدنية الحاضرة . فقد
 أسس الشيخ السنوسي في جهة ليست بعيدة من الاصقاع التي تلي أملاكنا
 في الجزائر مذهبا خطيرا له أشياع وأنصار ومقر هذا الشيخ بلدة جنجوب
 الواقعة على مسيرة يومين من الواحة التي كان قائما بها هيكل البرجيس
 آمون وقد هاجروا ولادته الى (كوفرة) ومن مذهبهم التشديد في رعاية
 القواعد الدينية . ولقد لبثوا زمنا مديدا لا يرتبطون بعلاقة مامع الدولة العلية
 أخيرا بسبب ما بينهما من العلاقات وبين الدول المسيحية ، ولكن يظهر ان
 أخلاقهم الشديدة قد تلطفت فتقربوا من الدولة العلية . غير ان هذا لم يمنعهم
 من طرح حبائل الدسائس التي أوقفت رجال بمشائنا عن كل عمل مفيد
 لصالحها في أفريقية الجنوبية . ولم يكن الامر قاصرا على وسط القارة
 الافريقية فانه توجد بالاستانة نفسها والشام وبلاد العرب ومراكش
 عصاة خفية ومؤامرة سرية تحيط بنا أطرافها وتضغط علينا من قرب
 ويخشى انها تقترس بنا اذا أغمضنا الطرف .

كنا نرى من زمن حديث رعايانا الوطنيين في الجزائر ينصاعون
 لاوامر سرية تناقلوها بالافواه وكانت تقضى عليهم بتأليف الزمر

والافواج منهم لمهاجرة أوطانهم والذهاب الى آسيا الصغرى حيث يجدون
الامن المرجو

يؤخذ مما تقدم ان جرائم الخطر لا تزال موجودة في ثنيات الفتوح
وطى أفكار المقهورين الذين أتمبتهم النكبات التي حاقت بهم ولا يمكن لم تشبط
همهم . نعم ليس لمقاومتهم رؤساء يديرون هذه المقاومة ، ولكن زابطة
الاخاء الجامعة لافراد العالم الاسلامى بأسره كافلة بالرئاسة . ففي مسألة
علائقنا مع الاسلام نجد المسئلة الاسلامية والمسئلة الدينية والمسائل الداخلية
والخارجية شديدة الاتصال والارتباط ببعضها . وهذا مما يجعل حلها صعباً
ومتعذراً كما سنبينه :

المقالة الثانية

المسائل الاساسية في كل دين هي التي ترتبط بالقدره والمفخرة
والحساب . وهي كلمات ثلاث مصبوغة بصبغة دينية تلقى في النفس الاعتقاد
بوعورة المسلك في تفهما مع انها من الامور التي ينبغي الوقوف عليها
والعلم بها مهما صعب منالها وتعذر مرامها . ان الدين هو الوسيلة التي تمهد
للانسان طريق الوصول الى الحضرة الالهية . أو هو بعبارة أخرى الواسطة
في وقوف الخلق بين يدي الخالق . اذا تكرر ذلك فهل الخالق بقدرته

المطلقة يودع في نفس المخلوق استعدادا للعمل بمقتضى ارادته السرمدية بحيث لا يجهد عما تأمره به هذه الارادة؟ أو هل للانسان متي تم خلقه ارادة خاصة يعمل بحسبها واختيار مستقل لا يستمد من اختيار اسمي منه؟ وهل للانسان الذي خلقه الله وسواه ارادة مطلقة من نفسه وتصرف مطلق في ذاته؟ أم ترجع جميع أعماله من خير وشر الى القدرة الربانية القابضة على زمام السكون والمسببة لوجوده فيه؟

في دائرة هذا البحث تنحصر الخلافات الدينية والفلسفية التي لم يوفق دين من الاديان ولا مذهب فلسفي الي حسمها بكيفية يقتنع بها الادراك ويرضاها العقل مع أن البحث فيها لاصابة هذا الغرض السامي لم يكن بالامر الحديث اذ طالما بحث فيها فلاسفة الاقدمين فلم يجدوا لها حلا وكان حظهم منها كحظ فلاسفة وعلماء المتأخرين.

وغاية ما عرف منذ الاعصر السالفة الي الآن انه وجد مذهبان تشاطرا فيما بينهما العقائد البشرية من تلك الوجهة المهمة . فالاول منهما يقول بتناهي الربوبية في العظمة والعلو وجعل الانسان في حضيض الضعف ودرك الوهن ويذهب الثاني الى رفع مرتبة الانسان وتحويله حق القرني من الذات الالهية بما فطر عليه من ايمان وارانة وبما أتاه من أعمال طيبات وحسنات .

والنتيجة الطبيعية للاعتقاد بمذهب الفريق الاول هي تمرير الانسان على اغفال شؤون نفسه وبث القنوط في فؤاده وتبسيط همته وايهان عزيمته بينما تسوقه نتيجة الاعتقاد بمذهب الفريق الثاني الى ميدان الجلال والعمل

وتلقي به في غمرات التنافس الحيوى . ومن الامثال على الفريقين البوذية
الذين يدينون بدين يقضى عليهم بالتجرد اذ من قواعده أن الانسان
والسكون يفنيان في الذات الالهية ، وقدماء اليونان الذين يدينون بدين من
قواعده تشبيه الاله بالانسان في أوصافه المادية يقضى عليهم هذا الدين
بالعمل والحياة لاعتمادهم بأن الانسان أو «البطل» يمكنه أن يصير في عداد
الآلهة بحسناته وخيراته .

وقد ظهرت على اطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضاء
ديانتان احدهما ربانية والثانية بشرية تمثلان ذينك المذهبين المتناقضين
وانما بتلطيف في التناقض . أما الاولي فهي الديانة المسيحية الوارثة بلا
واسطة لآثار الآريين والمقطوعة الصلات بالمرّة مع مذهب السامية وان
كانت مشتقة منه وغصناً من دوحته . ومن خصائص هذه الديانة ترقية
شأن الانسان بتقريبه من الحضرة الالهية في حين ان الديانة الثانية وهي
الاسلام المشوبة بتأثير مذهب السامية تحط بالانسان الى أسفل الدرك
وترفع الاله عنه في علاء لانهاية له .

هذان الميلان المختلفان يظهران ظهورا واضحا في الاعتقاد الاساسى
لكلتي الديانتين وهو أصل الالهية . أما المسيحي فيذهب في هذا الاصل
الى الثالوث أى أن الاله الأب أوجد الاله الابن واتصل الاثنان بصلته هي
روح القدس . وعليه فيكون يسوع المسيح الها وبشرا - هذا الثالوث السرى
المشتقة اصوله من ضرورة وجوداله بشرى يحو ذنب الجنس البشرى
ويقديه من الخطيئة التي اقترفها برفضه المسلم الذى يعتقد بوحدانية الرب

ويتمسك بهذا الاعتقاد تمسكا شديدا حيث يقول «لا إله الا الله» :
غير أن ادراك المسيحيين من هذا القبيل هو أخف وأحلي وأجلب
لثقله اذ هو يحملهم على اتيان الاعمال التي تقر بهم من الله حيث الوسائط
بينهم وبين ذاته العلية موصولة ، في حين ان المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن
يهوى في القضاء بحسب ناموس لا يتحول ولا يتبدل ولا حيلة فيه سوى
متابعة الصلوات والدعوات والاستغاثة بالله الاحد الذي هو مستودع الآمال :
ولفظه الاسلام انما تعني «الاستسلام المطلق لارادة الله» .

نرى الديانتين او بمباراة أخرى المدينتين المسيحية والاسلامية احدهما
بازاء الاخرى وتتصل الاثنتان ببعضهما من حيث المنشأ العام لهما اذ هما
مشتقتان من الاصول اليونانية والسامية ومنهما استمدتا جانبا من العقائد
والمذاهب والآداب . فهما اذا متداختان في بعضهما من وجوه عدة ولكن
مسافة الخلف بينهما شاسعة في الحقيقة من حيث البعث في القدرة الآلهية
والحرية البشرية .

وقد كانت هذه المناقضات وتلك الاشباه نقطة تفرع الطريقين المختلفين
للذين اتبعناهما فيما يربطنا من العلائق بالاسلام والمسلمين . قصر فريق
مناجئته وحكمه على ماشاهده من المناقضات والتخلافات بين الدينين
المسيحي والاسلامي فرأى في الاسلام العدو الالذ والخم الاشد . قال
المسيو كيمون في كتابه «باتولوجيا الاسلام» ان الديانة المحمدية جذام فشا
بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكا ذريعا ، بل هي مرض سريع وشلل عام
وجنون ذهولي يبعث الانسان على الحمول والسكسل ولا يوقظه منهما الا

ليسفك الدماء ويدمن على معاقره الخمر ويجمع في القبائح . وما قبر محمد في مكة الا عمود كهربائي يذبح الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الايمان بمظاهر الهستيريا « الصرع » العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة الله الى مالا نهاية والتمود على عادات تنقلب الي طباع أصلية ككراهة لحم الخنزير والنبيد والموسيقى والجنون الروحاني والليمانيا والماليخوليا وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات النخ

أمثال هذا الكاتب يتقدمون ان المسلمين وحوش ضارية وحيوانات مة مرساة « كالفهد والضبع كما يقول المسيو كيمون » واد الواجب ابادته فمهم « كما يقول أيضا » والحكم على الباقيين بالاشغال الشاقة وتدمير الكمية ووضع ضرب محمد في متحف اللوفر « وهذا أيضا قوله » وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشري أليس كذلك ؟ ولكن قد برح عن خاطر الكاتب انه يوجد نحو ١٣٠ مليون مسلمة وان من الجائز ان يهب هؤلاء « المجانين » للدفاع عن أنفسهم والذود عن بيضة دينهم وينهب غير أصحاب هذا الرأي الى ان الاسلام دين ومدنية

يتصلان مع ديننا ومدنيتنا بمروة الاخاء والتصاحب . وتطرف البعض منهم فاعتبر الاسلام أرقى مبدأ وأسمى كعبا من الدين المسيحي . قال المسيو لوازون « القس ياسنت سابقا » مترفا ومقرا بان الاسلام هو الدين المسيحي محسنا ومحورا ونصح للفرنسيين الذين يتلمسون دينهم المفقود ان يستعينوا بالاسلام للعشور على ضالتهم المنشودة . ويذهب قوم غير الذين سبقت الاشارة اليهم الى وجوب احترام الاسلام وتبجيله مستنديين في ذلك

على مادونه أحد مؤرخي الكنيسة الذي صار فيما بعد كردينا لا حيث قال:
 ان الاسلام قنطرة للامم الافريقية ينتقلون بواسطتها من ضفة الوثنية الى ضفة
 المسيحية فليس الواجب والحالة هذه قاصرا على معاملة الاسلام بالتساهل
 والتسامح بل لابد من رعايته وتعضيده بان نسمي في توسيع نطاقه وترتيب
 الارزاق على المساجد والمدارس وجعله رائد المدينة فرانسا وآلة تستعين به
 على فتوح البلاد.

هدان هما الرأبان السائدان بما بينهما من درجات الاعتدال والتلطف
 والمسالمة . ولكنهما وان افرقا متصلان ببعضهما وموجودان في حيز واحد
 وقد لوحظ كثيرا ان كل فرد من أفراد موظفينا أو وكلائنا أو أبنائنا
 المستعمرين قد تبحر بين المبدأين وسلك الخطة التي رسمها لنفسه تجاه
 المسلمين طبقا لامياله نحو قطب من القطبين المتناقضين للذين يوجد بأحدهم
 المتطرفون وبالأخر المتعصبون ولا وسط بينهما .

وتلك الاميسال المتعاكسة التي برزت من مكان الاعتقاد الى مجالى
 الفعل والنفیذ هي التي أحدثت التناقض في أعمالنا الاجتماعية والسياسية
 والادارية وأدت الى الشكوك والريب ونقض ما تقرر وتقرير ما نقض
 الي غير ذلك مما جرت عليه حكومتنا ولا سيما في البلاد الافريقية من
 عدم السير على وتيرة واحدة . هذا الخلل ينمو شيئا فشيئا ويتضاعف خطره
 كل يوم اذا فكر الانسان في انه لا يصيب بسوئه بلاد اجزائر مع سكانها
 الوطنيين الذين يبلغ عددهم الاربعة والخمسة ملايين فقط بل يسرى على
 نصف قارة بأ كملها عديدة السكان وستزداد ويتضاعف عددها بامتداد

رواق الامان على الاهالي وابطال التجارة في الرقيق

فالمسئلة اذا خطيرة جدا ولا بد من الاعتماد على أمر واحد في حلها
اذ لا يكفي للوصول الى هذا الحل تنميق عبارات وتسطير كلمات : ولذلك
خيرت ان أعرضها على محك الرأي العام ميينا احكم الوسائل واكثرها
انطباقا على العقل والصواب للوصول الى نتيجة فعلية وموردا شيئا واحدا
هو من ألزم الاشياء لموضوع تلك المسئلة واشدها ارتباطا به .

قد سبق لي وقما تم تشكيل مملكتنا الافريقية تشكيلا تاما ان
سألت ولازلت أكرر هذا السؤال من الحكومة أن تبحث بمخا عليا في
علاقتنا مع الاسلام والمسلمين بمعرفة اناس خبيرين وعلماء عارفين لينجلي
هذا البحث عن الخطة التي يتحتم على العموم اتباعها من حاكم منا
ومحكرم .

ان الراغب في الاستعمار من ابناء بلادنا يصل الى الجزائر أو تونس
أو السنغال فيجد نفسه في اتصال مع العربي أو بعبارة اعم مع المسلم اذ
منه يشتري الارض التي يريد استنباتها ومنه يطلب اليد العاملة ومعه
يدبر شؤونه المعيشية . فبالرغم من هذا الاتصال وعن هذا الجوار والتلاصق
تراهما يجملان بهما وتفرج مسافة هذا الجهل وتكون عواقبه اكثر خطرا
اذا كانت العلاقة بين الاهالي وبين الموظف أو الحاكم أو القاضي أو الضابط
أو غيرهم ممن هو منوط بالفصل في خصوصياتهم والقيام على شؤونهم وتنفيذ
قوانيننا بينهم . وما أسوأ مغبة ذلك الجهل اذا كانت العلاقة بينهم وزارة
مستعمراتنا أو رجال حكومتنا المركزية التي يديرها أحد عشر وزيرا ربما

لا يوجد من بينهم سوى واحد أو اثنين أمعنا النظر في خريطة الانحاء
 الواسعة والاصقاع القصية التي عهد بهم أمر ادارتها وتنظيمها .
 مع أن الواجب متى رضينا باحتمال هذه المسئولية على عواهننا ولننا
 هذه السلطة ان نطيل البحث ونعمن النظر في طرق استخدام هذه السلطة
 وان نسأل الخبيرين والعارفين ونستفيد ممن شاهدوا واختبروا ونستمد من
 معلوماتهم مانستعين به على تحرير متن سياسي وجيز يتضمن أصول ومبادئ
 علاقاتنا مع العالم الاسلامي .

ان فريقا كبيرا من العلماء النظريين والعملين من موظفين وضباط
 واسانذة ومهندسين ومزارعين ومستعمرين قد كانوا ولا يزالون في اتصال
 بالمسلم وجمالوا أحوال معيشة وطرق أعماله موضوع بحثهم ودراستهم . ولكن
 المسلمين انفسهم قد يذبوننا بما نجمله من يقين اخبارهم . فهم اذا سئلوا أجابوا
 واذا أجابوا أفاضوا وقد كثرت الابحاث في كل موضوع حتى في الموضوعات
 الصريحة الواضحة ولم يفكر أحد في الامر الذي نحن بصدده وهو من اكثرها
 غموضا والتباسا . فلماذا لانستعين بالوسيلة التي نفيض علنا أنوار الحقيقة
 ونطرح من هذه الانوار شعاعا على من يريدون اتباع الصراط المستقيم
 حتي اذا ماتم التحقيق والبحث حررنا بما ينبعث عنهما من الحقائق رسالة
 تذاع على الالسنه وتداولها أيدي الموظفين والمستعمرين وتنتشر بين الطلاب
 في المدارس فتتمحى بها آثار الاضاليل والترهات الكثيرة وتزول العقبات
 القائمة ونقال الاقدام من العثرات وتكون تلك الرسالة بمثابة قانون ثابت
 لفرنسا الاستعمارية يجرى على نهجها العموم فيعم نفعه ونجتي ثماره وربما

كان سببا في ان نعيش مدة نصف جيل على أساس اختبار الفرنسيين المستعمرين الذين انتشروا في عرض البلاد وطولها لارابطة بينهم ولاصلة تواصلون الصباح بالمساء في الندمة والحسرة من عواقب هفوة هفوها أو زلة سقطوا فيها وكانت كلمة واحدة كافية لاقالتهم من عنبرهم واصلاح هفوتهم ولست اظن أن أحدا يرتاب في نتائج ذلك التحقيق . وإنما قبل ختام هذا الفصل أورد بعض اعتبارات اخلاصا ضرورية للوصول الى الغاية المقصودة من أقوم طرقها : أثرت سابقا الى الصلة الاكيدة بين السياسة والدين في العالم الاسلامي . والمسلمون في الاحوال الراهنة شاعروا شعورا قويا بايمانهم العام غير أن ادراكهم بهم من حيث الجامعة السياسية وما كان يسميه القدماء بالرابطة المدنية أو الوطنية اذ ينحصر الوطن عندهم في الاسلام . وهم يقولون ان السلطة مستعدة من الالهية فلا يجوز ان يتولاها الا من كان من عقيدتهم ولم تدخل في رؤوسهم حتى الآن فكرة سوى هذه التي تمكنت من أفئدتهم وأخذت في قلوبهم أم من مأخذ فكان ذلك سببا في حدوث سوء التفاهم بين الحاكمين والمحكومين في البلاد الاسلامية الخاضعة لحكومات مسيحية .

على انه بالرغم عن ذلك قد حصل انقلاب عظيم في بلد من هذه البلاد فصارت فيه السلطة الدينية عن السلطة السياسية بدون جلبة ولا ضوضاء . نريد بهذا البلد القطر التونسي الذي وضعت عليه الحماية التي مؤداها احترام النظام السابق تلى الفتح بصيانة القوانين والعادات من المساس والمحافظة على مركز الباي . وقد بالغنا في ذلك بحيث تمكننا بواسطة

ملا دخلناه من التمديدات الطفيفة شيئا فشيئا واجرى بناء من المراتبة على الامور الادارية والسياسية من التداخل في شؤون البلاد والقبض على أزمته بدون شعور من أهلها .

تم هذا الانقلاب بسرعة ولين فلم يتألم منه الاهلون ولم تتخذه له حساساتهم اذ لبست المساجد مغلقة في أوجه المسيحيين والاملاك الموقوفة محبوسة على السبل التي خصصت لها وتركت أزمة الاحكام بأيدي القواد والقضاة ولم يغير شي من القوانين الاهلية الارضى وتصديق من الاهالى وربما كان يطالب منهم . وقام باعمال هذا التغيير والتبديل وهذا النسخ والتعديل عدد قليل من الموظفين اكثرهم من التونسيين . وجملة القول ان انقلابا عظيما حصل بدون أن يجر وراءه ألما أو توجعا أو شكوى بحيث وطدت الآن دعائم السطة المدنية من غير أن يلحق بالدين مساس وتشربت الافكار الاوربية بين السكان بدون أن يتألم منها الايمان الحمدي واقترنت السلطة الفرنسية بالسلطة الوطنية اقترانا لم تنسه سعادة كدر .

اذا يوجد الآن بلد من بلاد الاسلام قد ارتخى بل انفصم الحبل بينه وبين البلاد الاسلامية الاخرى الشديدة الاتصال ببعضها . اذا توجد ارض تغفلت شيئا فشيئا من مسكة ومن الماضي الاسوي . ارض نشأت فيها نشأة جديدة انبثت في قضائها وادارتها وعاداتها وأخلاقها . ارض يصح أن تتخذ مثالا يقاس عليه وانموذجا يذسىج على منواله . ألا وهي البلاد التونسية

كانت هذه البلاد ميدان التنافس والجلاد اذ حكمت فيها قرطاجنة

ورومية وبيزنطية والعرب وسان لويس وشار لكان فاصبحت الآن مهبط
 المسالمة ومعهد التصالح والوثام . ففيها العياضتان بل المدينتان متلاصقتان بل
 متداختان حتى تأكدت نقط التشابه بينهما وانحسرت فرجة الخلاف
 وارتفعت الاحقاد من الصدور رغبة من الفريقين في التمتع بمزايا الاراضي
 الخصبة والسما الصافية الاديم التي ينزل منها على القلوب برد وسلام
 ياطفانها . ولعل الاطلاع العديدة الشاهدة على ماتعاقب في الاقطار
 التونسية من المدينيات القديمة لم تندثر تماما ولم ينمح اثرها كي تهزل لاستقبالنا
 وتوصل ببعضها ما نقطع من حلقات سلسلة الدهر الماضي والزمن القابر .
 ان مسجد القيروان الجامع شيدت عقوده على الاعمدة القديمة ،
 وبنيت كنيسة الكردينال (لافيحري) الكاتدرائية تجاه اكمة (بيرسا) التي
 عبدت فيها (تانيت) .

وخلاصة القول ان مزيجا من التاريخ يركب في هذه الارض تحت
 رعاية فرنسا وانسانيتها . ومن المحتمل أن تنبث تلك الآثار من قبور
 الماضي فتعيش في خلال الجبل الذي نظرق الآن أبوابه للرتوع في واسع
 رحابه . جابريل هانوتو

المقالة الاولى

« من رد الامام »

قال حفظه الله مخاطبا حضرة الاستاذ الفاضل صاحب جريدة المؤيد الفراء
قرأت الساعة مقال مسيو هانوتو المترجم في جريدتكم نقلا عن جريدة
(الجورنال) الباريسية تكميما لبحثه السابق .

بحثه السابق وشيء من تمته انما هو دافق من غيرته على شؤون
دولته يريد أن يدعو قومه الى التبصر في وضع قاعدة لمعاملة المسلمين
الذين يدخلون تحت ولايتهم أو يجاورونهم في ممالكهم . وذلك لا يتم على
مذهبه الا بالبحث في طبيعة الامر الذي صار به المسلمون غير مسيحيين
وبه يفضل المسلمون سلطة اسلامية على سلطة فرنساوية . فان أمكن
تلقيح ما عليه المسلمون بالولاء لفرنساوي وسهل الجمع بين ما وقر في
نفوسهم وبين الخضوع الاعمى لسلطان فرنسا وطاب الجوار في قلوب
الملة الاسلامية لعقيدة الاسلام والطاعة لسكل امر يصدر من آخر
فرنساوي في طبقته — صح للدولة فرنساوية أن تمن على المسلمين بالبقاء

في الارض والاوجب عليها أن تحمل عليهم فتبيدهم من البسيطة أو تجلبهم
الي قارة أخرى .

ولهذا جره البحث الى النظر في أصول دين المسلمين والمضاهاة بينه
وبين الدين المسيحي بل بينه وبين أديان كثيرة أشار اليها في كلامه ، ثم الحكم
في تفضيل أحد الدينين على الآخر بآثار كل منهما في أنفس معتقديه .

أما غايته في البحث وتناوله بيده محضه يحرك به نيران المداوة في
قلوب الفرنسيين لتثير عزائمهم الي حرب المسلمين وليكون مسيو هانوتو
الامة الفرنسية مثل ذلك الراهب الذي أثار تلك الحروب المعروفة .
فذلك أمر نكل فائدته اليه والي علمه بمكان دولته من القوة ومنزلة تمدنه
من المرحمة والانسانية ونستأقت اليه ذكاء بعض شباننا من المسلمين الذين
يعرفون اللغة الفرنسية ويتجملون بأداب الامة الفرنسية ويطربون اذا
ذكرت المدينة الفرنسية .

ولم يتعرض مسيو هانوتو الي الطعن في أصل من أصول الدين
ما حركت قلبه لذكر اسمه وكان حظي من النظر في مقاله هو المظه والاعتبار
حظ الناظر في أحوال الامم وأعمال رجالها . حظ المؤرخ الذي يقرأ اليهم
ويفهم ليعلم ويحكم ولا يهجم أخطأ القائل أو أصاب .

أما ما جاء به من التحكك بأصول الدين فهو الذي أغرزه بما
أكتب اليوم .

يرى الناظر في كلام مسيو هانوتو لاول وهله انه مقلد في التاريخ كما
هو مقلد في المقائد وأنه جمع خليطاً من الصور وحشرها الي ذهنه ثم هو

سلط عليه قلبه ينثرها كما يشاء القدر ليدهش بها من لا يعرف الاسلام من
الفرس او بين وهو جمهورهم .
أكثر من ذكر التمدن الآري والتمدن السامي والتفريق بينهما وأن
أحدهما قهر الاخر وان التمدن الآري هو الذي ظفر بقرنه التمدن السامي
وما يشبه ذلك .

ان مهد التمدن الآري ومنبت غراسه (الهند) لا يزال الى اليوم على
الوثنية التي يجربها مسيو هانوتو في أغلب أبحاثه . ولكن أهلهم الذين قضوا
على الآخذين بعقائدهم أن ينقسموا الى أقسام لا يمكن الخلط بينها بل يدوم
تباينها مادامت الارض أرضا . ومن طبقاتهم من قضى عليهم ديننا بالانحطاط
في العقل والخلق والصناعة ولا يباح له أن يرتقي الى طبقة ما فووقه الى اقتضاء
العالم وهو الجمهور الاغلب منهم . وفيهم من حكم عليه بالنجاسة حتى لا يباح
لاهل طبقة أخرى أن تمسه والاعتقاد بفناء العالم وأنه لا يليق بالإنسان أن
يتم بشؤون العيش فيه هو مبنى عقائدهم .

فهل جاء هذا الآخذين بدين البراهمة من التمدن السامي وهو لم
يعرفهم الا في آخر الزمان ، ولم يخالط الا قلوب القليل منهم كما لا يخفى
على من له العام بجغرافية البلاد الهندية ؟

ثم هل يظن مسيو هانوتو ان التمدن الذي وصل اليه الاوروبيون
جاء الى أوروبا مع المهاجرين الاولين الذين رحلوا من البلاد الشرقية الآرية
الى الاقطار الغربية ؟

ألم يخطر بباله تلك العظام التي انتفخ بها بطن التاريخ وما كانت عليه

اوريا من الآرية الحمجية وان العلم والمدينة لم ينهها من معيها وانما جاها
بمخالطة الامم السامية كما يعلمه المطبع على تاريخ اليونان الاقدمين وهم
اساتذة الاوربيين الآخرين كما يزعم مسيوها نو .

ما هذا التمدن الآري الذي كانت عليه اوريا عند ما انتقص
اطرافها المسلمون ؟

هل كانت تلك المدينة هي التسافك في الدماء واشهار الحرب بين
الدين والعلم وبين عبادة الله والاعتراف بالعقل ؟ نعم هذا هو الذي كان
معروفاً عند الغربيين وقت ما ظهر الاسلام .

ماذا حمل الاسلام الى اوريا وما هي المدينة التي زحف عليهم بها
فردوها ؟ زحف عليهم بما استفاد من صنائع الفرس وسكان آسيا من
الآريين . زحف عليهم بعلوم اهل فارس والمصريين والرومانيين
واليونانيين . نظف جميع ذلك ونقاه من الادران والاوزاخ التي تراكت عليه
بأيدي الرؤساء في الامم الغربية لذلك التاريخ وذهب به أباج ناصماً بهر به
اعين أولئك الغافلين المتسكمين الذين كانوا في ظلمات الجهالة لا يدرون
ان يذهبون .

اني اكيل مسيوها نوتوا اجمالاً باجمال والتفصيل لا يجمله قومه وكثير
من منصفهم لم يستطع الاعتراف به .

ان اول شرارة الهبت نفوس الغربيين فطارت بهالي المدينة الحاضرة
كانت من تلك الشعلة الموقدة التي كان يسطع ضوءها من بلاد الاندلس
على ماجاورها وعمل رجال الدين المسيحي على اطفائها مدة قرون فما استطاعوا

الى ذلك سبيلا . واليوم يرعى اهل اوريا مانبت في ارضهم بعد ماسقيت
بدماء اسلافهم المسفوكة بأيدي اهل دينهم في سبيل مطاردة العلم والحرية
وطوالع المدينة الحاضرة .

بحار القارىء لكلام مسيو هانوتو في معنى المدينة السامية التي جاء
بها الاسلام وتصادم بها مع المدينة الآرية .

ولعل عنايته بالالفاظ التاريخية مع قصوره عن النفوذ الى حقائق ما
أودعته هو الذى قصر به النجاح في اعماله في السياسة الخارجية بين أمة
مثل الامة الفرنسية التي تنقاد بذكاها الى الاذكياء . والعارف بطباع
الامم لا يسر عليه ان يقودها الي ما يضمن لها الفوز على جيرانها . وإنما
الصر كل العسر أن يوجد فيها ذلك العارف اليوم .

ان الناظر في التاريخ تحمر عيناه من مناظر الدماء المتجسدة على جليد
الازمان . ذلك مما سفكه اهل ذلك الدين المتحد بالمدينة الآرية ليقاوموا
دعاة تلك المدينة ويخمدوا نارها .

ان صح الحكم على الاديان بما يشاهد في احوال اهلها وقت الحكم
جار لنا أن نحكم بأن لاعلاقة بين الدين المسيحي والمدينة الحاضرة . فان
الانجيل بين ايدينا نقرأه وتفهمه ولا يغيب عنا شيء من دقائق معناه .
يأمر الانجيل اهله بالانسلاخ عن الدنيا والزهادة فيها ويوجب عليهم اذا
سلبهم السالب قيصا ان يمطوه الرداء ايضا ، واذا ضربهم الضارب على
خدم الامن ان يديروا له خدعم الايسر ، وأن يفنوا بكليتهم في الاب .
ويقص عليهم ان دخول الجمل في سم الخياط ايسر من دخول النفي

ملكوت السموات وماشابه ذلك من الوصايا الملكوتية التي تليق برسول
الهي رباني يدعو الناس الى الانقطاع من هذا العالم الفاني ليليقوا بالانتظام
في أهل ذلك العالم الباقي .

هل خطر ببال مسيو هانوتو أن يجعل مائدة ومالقيصر لقيصر كما
أوصى الانجيل وهل رأي مثالا لذلك في المدينة الآرية التي ناخت مع
الدين المسيحي .

العيان يدلنا على أن شيئا من ذلك لم يكن . فان هذه المدينة انما هي
مدينة الملك والسلطان . مدينة الذهب والفضة . مدينة الفخفخة والبهرج
مدينة الختل والقناق . وحاكمها الاعلى هو الجنيه عند قوم واليرا عند قوم
آخريين ، ولا دخل للانجيل في شيء من ذلك .

أوصى المسيح بأن يترك مالقيصر لقيصر حتى لا يشغب المسيحيون
على ملوكهم من غيرهم فانقلب الحال بهم وأصبحوا لا يحتملون أن يروا
لهم رعايا من غير دينهم فضلا عن ملوك .

نعم يوجد قوم الآن يقيمون أوامر الانجيل وهم جماعة من الامريكان
تركوا بلادهم وخرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا الي القدس الشريف
ينتظرون نزول المسيح ليستقبلوه لاول هبوطه على المنارة المشهورة
وليكونوا أول من يقبل قدميه ويديه . وهم من طهارة القلب وسلامة
النفس ونزاهتها عن الطمع بحيث انقطعوا عن كل عمل سوى النظر في
الكتب المقدسة : فان كانت هذه هي المدينة الآرية التي صارعها الدين
الاسلامي فأنا أول من يسلم لحججه ويقتنع بأدلة

من الساميين الفينيقيون وهم أسانذة القوم في الصناعة والتجارة بل والقراءة والكتابة. ومنهم الآراميون وقد كانت لهم مدينة لا تنكر أيام الرومانيين وما كان الغريون لينكروا فضلهم في ذلك. ومبادئ الصناعة والعمل عند جميع الافوام المرتقية في سلم الانسانية واحدة وانما يختلف قوم عن قوم بما تحده في نفوسهم في ضرورات المعيشة وما تجلبه عليهم عاصفات الحوادث وما تطبعه فيهم طبائع الاقاليم. ولا زالت الامم يأخذ بعضها عن بعض في المدنية لافرق عندهم بين آري وسامي متى مست الحاجة الى تناول عمل أو مادة أو ضرب من ضرب العرفان لدفع ضرورة من ضرورة الحياة أو استكمال شأن من شؤونها.

وقد أخذ الغرب الآري عن الشرق السامي أكثر مما يأخذه الآن الشرق المضحل عن الغرب المستقل. فلم يبق من معنى للمدينة يريد حاضرة الكاتب الا الدين وقد ظهر في كلامه أن الدين السامي يراد منه التوحيد والدين الآري يعني به ما يقابله.

واني اقرر لهذا الوزير الشهير - حقيقة بديهية يعرفها صبيان المكاتب وهي ان دين التوحيد ليس دينا ساميا بل هو دين عبراني فقط عرف به ابراهيم عليه السلام وبنوه ومنهم عيسى من جهة أمه وأصحابه وأنصاره الاولون. أما بقية الساميين من عرب وفينيقيين وآراميين وغيرهم من الامم المذكورة في الكتاب المقدس وهو يعرفها فقد كانوا وثنيين مشبهين ولم يخالفوا في ذلك بنى عمهم أو أعداءهم الآريين. وقد خاض الكاتب في تفضيل التشبيه والتجسيم على التوحيد وذكر لذلك عللا وأسبابا أدته اليها

سعة اطلاعه في الفلسفة وأحوال الاجتماع الانساني وسنأتني على الكلام فيها وهي المقصد من مقالنا غدا انشاء الله تعالى .

وقبل القاء القلم أذكر الذين يتفانون في اجلال مثل هذا الوزير كما يتفاني المسلم في الله على رأيه انى ان صغرت شأن هانوتو في معارفه التاريخية فذلك لانه صغير فيها حقيقة وكثير من قومه يعرف ذلك منه لانه لا أمير في العلم الا العلم والسلام .

المقالة الثانية

تحرش مسيو هانوتو بمسئلتين من أمهات مسائل الدين . القدر . والتوحيد او التنزيه . وبعد أن خلط في بيان وجه الاشكال في المسئلة الاولى واختلاف الناس فيها قديما وأنهم انقسموا الي فريقين قائل بأن العبد مسير بقدرة الله لا عمل لارادته في فعله وذاهب الى ان خالقه وهبته اختيارا يتصرف به فله ما كسب وعليه ما اكتسب . قال ان الرأى الاول يحط الانسان الي حضيض الضعف والثاني يرفعه الى ذروة القوة . ثم وصل الاول بمذهب البوذيين القائلين بفناء الموجودات في الوجود الازلي . والثاني بمذاهب اليونانيين التسدماء الذين يدينون بتشبيه الاله بالانسان في أوصافه المادية . وان الاول قعد بأهله والثاني ارتفع بمعتقديه

الى مراتب السمكيات الانسانية . وهو خلط وجبظ لم يسهل لها مثل
 ثم أنصب على الديانتين المسيحية والاسلامية وقال انها تمثلان ذينك
 المنهجين أى مذهبي الناس فى القدر وان الاولي ربانية وورثت ماترك
 الآربون والثانية بشرية أخذت ماترك الساميون . وان الاولى ترقى
 بالانسان الى المقام الالهى والاخرى تنزل به الى أسفل درك حيوانى .
 ويظهر ميل كل من الديانتين ظهورا يدينا فى الاصل الذى بنى عليه كل منهما
 فاصل الاولى هو ايجاد الاله الاب للاله الابن حتى كان الها بشرا واتصال
 الالهين بروح القدس . وأصل الثانية تنزيه الاله عن البشرية وتقديسه
 الى حد تنقطع فيه النسبة بينه وبين الانسان . ثم رجع بعد هذا الى الخلط
 بين الدينين ووردهما الى أصول واحدة وعقد التشابه بينهما الى آخر ما أطال
 به على غير جدوى

هل عهد بين الكتاب وأهل النظر تشويش فى الفكر وخلل فى
 المقال يشبه ما جاء به هذا الكاتب ؟ ادع الحكم ذلك لمن له أدنى الماس
 بمذاهب الامم وآرائهم .

لم يختص الكلام فى القدر بملء من الملل مشبهين أو منزهين . ولا
 دخل للتشبيه والتنزيه فى شىء من ذلك . بل كان منشأ الكلام فى ذلك
 الاعتقاد باحاطة علم الله بكل شىء وشمول قدرته لكل ممكن .

وقد عظم الخلاف فى المسئلة بين المسيحيين أنفسهم وهم مشبهة فى
 رأى مسيو هانوتو وبدأ النزاع بينهم قبل الاسلام واستمر الى هذه الايام
 ولعل هانوتو اطلع على مذهب التوميين — أتباع القديس توما — أو

الدومينيكان وهم جبرية واشياع (لوايولا) وهم قدرية اختيارية . ولكل من المذهبين شيمة بين اهل المسئلة المسيحية . وليس هذا بمذهب سامي كما يزعم بل لم تنبت اصوله ولم تتشعب فروعه الا بين الآريين ثم انتقلت عدواه الى غيرهم .

هل سمعت يهودى استأقني على فناءه وترك العمل اتكالا على القدر؟ هل سمعت بأحد من الفينيقيين — وقد وصلوا بزوارقهم ذات الابدان الى جزائر بريطانيا — انه كان ينام ويتلذذ بالاحلام اعتماداً على ما يسوقه اليه الغيب؟ لكن سمعنا بذلك في الاديرة وبين الرهبان وعرفنا اخبار ذلك الجيش العرمرم من المتكدين الذين كانوا يمشون عالة على الناس حتى ضجت منهم اورباني زمن من الازمان وطلبت الخلاص منهم بالصارم البتار .

وقد اشتهر مذهب أهل البخت والاتفاق بين اليونانيين ولم يخف امره على صغار المتعلمين لمبادئ الفلسفة . ذلك المذهب الذي يتدثون كتب الفلاسفة باطلاله وهو مذهب القائلين ان الاشياء توجد بالاتفاق أو بالصدفة ولا يحتاج الممكن في وجوده الى سبب . اليس هذا ادخل في باب الجبرية من اسناد كل امر الى خالق الكون؟ وهل يرتفع هذا المذهب بمعتقده الآري الى منازل الرفعة ومكانات الشرف؟

جاء القرآن الشريف — وهو الكتاب المنزل بالاسلام — يعيب على اهل الجبر رأيهم وينكر عليهم قولهم « لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم . » الخ الآية واثبت

الكسب والاختيار في نحو اربع وستين آية . وما جاء به مما يتوهم الناظر فيه ما يخالف ذلك فانما جاء في تقرير السنن الالهية العامة المعروفة بنواميس الكون كما في آية « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » الخ ونحوها .

والعاقل يرى الفرق الجلي بين مسألة اختيار العبد في افعاله وبين اثر القدرة الالهية في اخلاق الادمم أو في تفريز الفرائز مثلاً . فاختيار العبد في افعاله مما يقربه الوجدان ولا ينكره الا من جهل نفسه . لكن ما عليه الادمم من الاختلاف في الطبائع والفرائز والسجايا ليس لاحد من خلق الله فيه اختيار بل خلقه كخلق السموات والارض وما بينهما .

وجاء النبي صلى الله عليه وسلم في عمله وقوله بما يؤيد ذلك فكان العامل الذي لا يسكل والدائب الذي لا يمل والساھر الذي لا ينام والجاد الذي لم يبلغ شأوه احد من الانام . هل نقول عنه انه اتكأ يوماً على وسادته واكتفى بالتسليم للقدر في اتمام دعوته قائلاً الذي كفل لي النصر يكفيني التعب وضمانه الله لاعلاء كلمة دينه تفيني عن النصب ؟ كلا بل لم تكن تزيده الوعود الصادقة الانشطا ولا تجمد العصمة الالهية من نفسه الاحزماً واحتياطاً .

جاء اصحابه على اثره وتبعهم من جاء بعدهم من السلف الاولين وكانوا اكمل الناس ايماناً باحاطة علم الله وشمول قدرته واعرف الناس بقدر ما آتاهم الله من قوتي العقل والاختيار . وكانوا اسوة في السمي ومثلاً في الدأب والكسب حتى كان من آثارهم في نشر الاسلام ما يتألم منه اليوم

هانوتو وامثاله

هذه هي العقيدة السامية أو الدعوة المحمدية أو المدنية الإسلامية ارتقت بأربابها وهم من أهل البسداوة في قاصية من الارض . لم يتلذظوا بشيء من نعيم الحضر ولم يتذوقوا طعم العلم والصنعة حتى بلغت بهم ما بلغت واستوت بهم على عروش العزة والسلطان ثم بلغوا بها من رقة الوجدان وصفاء العقل مبلغا مكنهم من التلطف بالامم حتى وقفوا على ما كان خفيا لديها وكشفوا ما كان مستورا عندها واستخرجوا من كنوز معارفها ما ظهر فضله على الاوربيين بعد عدة قرون من البهثة النبوية

ولكن واسفاه ، تآت رؤوس بين المسلمين كأنها رؤس الشياطين واحتملت غشاء من قمش الآرين وقذفت به في الارض الطاهرة فتدنس به اديمها وانتشر قدره وعظم ضرره

جاء الموالى من عجم الفرس والرومان ولبسوا لباس الاسلام وحملوا اليه ما كان عندهم من شقاق ونفاق وحدثوا في الدين بدعة الجسدل في العقائد وخالفوا الله ورسوله في النهى عن الخوض في القدر وخذعوا المسلمين ببهرج القول وزور الكلام حتى كان ما كان من تفرقهم شيما والله يقول لنبيه « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »

وجديين المسلمين طائفة تعرف بالجيرية ولكنها كانت ضعيفة ضئيلة يقذفها الحق ويطردها العقل وينبذها الدين حتى انقرضت بعد ظهورها بقليل ولم تبق يدنهم بقاء التوميين بين النصارى . وغلب على المسلمين

مذهب التوسط بين الجبر والاختيار وهو مذهب الجدد والعمل وصدق الايمان
واخذه عن المسلمين في اخريات الايام أهل النظر من النصرانية مثل «بوسويه»
ومن مال ميله وتبعهم الجمهور الاعظم منهم .

ولكن لا انكر ان الزمان تجهم للمسلمين كما كان قد تنكر لغيرهم وابتلاهم
بمن فسد من المتصوفة من عدة قرون فبشوا فيهم اوها ما لانسبة بينها وبين
أصول دينهم فلصقت باذهانهم لاعلى انها عقائد ولكنها وسواس قد تملك الجاهل
وتربك العاقل اذا لم يغلبها بعوامل الدين الصحيح فنشأ الكسل بين المسلمين
بنفسو الجيل بأصول دينهم وعاون على ذلك ميل الاعلياء منهم الى توريطهم فيما
هم فيه كما هو شأنهم في كل أمة .

وهذا الضرب من المتصوفة أيضا من حسنات الآريين فانه جاءنا من
الفرس والهنود بما بقي فيهم من عقائدهم الاولى :

مأضل هانوتو وأمثاله من قصار النظر الاوائلك الدراويش الخبيثاء
اوالبه الذين يفتشون أطراف الجزائر وتونس ولا يخلو منهم اليوم قطر من
أقطار الاسلام ممن اتخذ دينه متجرا يكسب به الحطام وجعل من ذكر الله آلة
لسلب الاموال من الطعام .

امالو رجع المسلمون الى الحقيقة من دينهم لا ذوا فرضهم واستنبتوا
ارضهم واستغزروا من الثروة واعدوا لفرنسا ما استطاعوا من قوة واعتمدوا
في نجاح أعمالهم على معونه القدر وافتنوا في صولتهم علما ان ليس من
الموت مفر ، ثم صال صائلهم على مسكان العزة منها ونال ما ينال القوي من
الضعيف والعزيز من الدليل : ولانقلاب جنونهم لدي هانوتو عقلا

وتحول هذيانهم حكمة وعلما

هداما يتعاق برأيه الضئيل في مسألة القدر عند المسلمين .اما
التنزيه والتشبيه فانا نوفيه حقه في تمة لهذا المقال ونشفق على القارى واليوم .
من الاملال ، والاسلام

المقالة الثالثة

اليوم اتى على آخر القول لكسر شرة هانوتو في توبه على الاسلام
وما نفي بالكلام فيه اليوم هو التوحيد والتنزيه وخصمه التشبيه
والتجسيد (الاعتقاد بتجسد الالهية) ونبدأ بالكلام في الثانى ونحتم
بالحديث عن الاول .

ان كان مسيو هانوتو قرأ شيئا في أحوال الامم ونشأة العقائد وعقله
يعلم ان الوثنية وتوهم السلطان الالهى ظاهرا في بعض الموجودات المادية
كانت صقيدة الواقفين على أبواب الانسانية لم يدخلوها ولم يتوسطوا
منازلها . وكانت ولا تزال دليلا على انحطاط عقول أهلها مع تفاوت في
درجات ذلك الانحطاط . تبدأ من وثنى أفريقيا وتنتهي الي بوذي الصين
وبرهمن الهند .

كلما ارتقى الانسان في العلم ولطف وجدانه بالفهم وتفد عقله بالاسرار

الكون تمزقت دون روحه حجب المادة وانجلي له الوجود الاعلى على تفاوت كذلك في درجات الظهور والانجلاء حتى ينتهي الى الاعتقاد بوجود واحد واجب يستحيل عليه أن يلبس لباس المادة على النحو الذي يظنه مسيو هانوتو وأمثاله لان ما لاحد له محال ان تحيط. وجوده الحدود.

وقد كان هذا شأن اليونانيين الذين يفتخر هانوتو بمدنيتهم. نشأوا وثنيين ولا زالت الوثنية ترق وتندق وترث بارتقائهم في العلوم. وبحث فلاسفتهم في طبائع الكائنات حتى انتهوا وهم في ذرى مدنيتهم الى التوحيد وتنزيهه واجب الوجود عن مخالطة المادة.

وقف فيثاغورس على عتبة التقديس وجاء بعده سقراط وأفلاطون وارسطوا مجاهدين في كشف الغمة عن عيون شعوبهم باذنين الوسع في محو مانعشى نفوسهم من ظلمات الوثنية الاولى. ومن قرأ أجورية أفلاطون التي نقلت الى العربية أيام المأمون تحت اسم المدينة الفاضلة علم كيف كان يقارع افلاطون ما بقى من آثار الوثنية من الآراء السخيفة والعبادات الرديئة التي كانت تحول بين الامة اليونانية وما يتبني لها من الفضائل التي كان يطمع الفيلسوف أن تكون عليها.

وبعد أن أوصلهم العلم الي التوحيد يرتد بهم التنزيه الي الجهل بل بقيت شمس مدنيتهم تشرق في العالم قرونا متعددة وكانت أشد صفاء وأبهر سطوعا.

كذلك قدماء المصريين لم يقف بهم العلم دون التوحيد غير أن رؤساء دينهم لم ينشروا تلك العقيدة بين عامتهم واستبقوا صور العبادات

الاولى والبسوا التنزيه نوب التشبيه استثناءً منهم بشرف العقيدة على
من دونهم .

فتري ضعف العقل وقلة العلم ونقص الادراك تقف بصاحبها عند
الوسائل وقوة . العقل وتعود البصيرة وسعة العلم تصعد باهلها الى مشهد
الوجود الاعلى وتشرق بهم من هناك على العالم بأسره فيرونه عظيماً وحقيقياً
سواء في النسبة الى تلك القدرة الشاملة والعظمة الغالبة . الفاضل والمنفصل
والفروع والاصول وما ظهر للابصار وما تقذت اليه العقول كل ذلك
يستمد وجوده من مشرق الوجود على مراتب قدرتها الحكمة وتمت
بها النعمة .

فأى مقام اعلى من مقام صاحب هذه العقيدة حيث قال شاهد اعلى
الكون بجملة ما فصل منه في فهمه وما اجمل في كليات علمه ، يحكم عليه بانه
مربوب لرب واحد ورب العالمين ، وأن لا سلطان لشيء من هذا جميعه
على نفسه لافي الابدان ولا في الامداد . بل هو وحده يمكنه بما سن له الشرع
الالهى ان يصل بنفسه الى تلك الحضرة وأن يستمد منها المعونة في كل شؤنه .
ينقسم اهل التشبيه الى قسمين : احدهما من يعتقد الاولوية في بعض
الموجودات المشهودة ويقف عندما يعتقد منها ، والاخر يعتقد بان باريء
الكون يظهر في بعضها .

أما الاولون فهم الذين ضعف الادراك فيهم عن الاخطاة بمقتضى
الاكوان فاذا ظهرت عليهم آثار قوة من القوي أو سلطة حيوان من

الحيوانات ظنوه المنفرد بالقدره عليهم وانهم اليه يرجعون في جميع امورهم .
فهؤلاء يسلطون على انفسهم ماشاؤا وشاء لهم الجهل من جماد وحيوان وانسان
ولا يزالون حيارى في شؤون حياتهم حيرتهم بين معبوداتهم . ثم هم يقبسون
معبوداتهم بانفسهم لانها ليست بابعد منهم في النوع أو الجنس ويقدمون
لهارغائب وشهوات تفوق رغائبهم وشهواتهم : يسارعون في ارضائها بما يعين لهم
وكما شرعه لهم اهو اؤهم :

ومن ذلك كانت ترتكب القبائح في هياكل الآلهة وتنتهك حرمت
الفضائل في محاربيها وتقدم الذبائح الانسانية بين يدي التماثيل بالحجربة :
وأى درك ينحط اليه الانسان انزل من هذا وأمر ذلك معوف في التاريخ
ولا تزال مشاهدته الي اليوم معروفة :

اما الآخرون فهم ارقي درجه من اولئك في الادراك . ولكن ماذا
اصابهم ويهيبهم من ذلك الاعتقاد ؟ كانوا اذا فاقهم انسان في عقل أو شجاعه
أو صدر منه مالا يالفون من الاعمال أو ظهر بما لا يعرفون من الاحوال ظنوه
مظهر الوجود الالهى فدانوا لسلطانه واستكانوا لقهره واخذوا انفسهم
بالخضوع لارادته فسلبهم كل ما كانوا يملكون من عقل و ارادة وعزم وحق
عليهم الصغار ماداموا على تلك العقيدة .

وقد سهل هذا الوهم على كثير من اهل الدهاء ان ينزلوا من الناس
منازل الآلهة طمعا في استعبادهم . وكم قاست الامم من الرزايا التي جلبتها
عليهم هذه العقائد الضالة :

ويقرب من هؤلاء قسم ثالث ليس بخير من القسمين الآخريين

وهم المعتقدون بالوسائط. ما قدروا الله حق قدره فقاوه على الكبراء
وأهل السمو منهم فظنوا انه في ملكوته كملك في جبروته يصطفي لنفسه
مديرين من خلقه ويستصنع عمالا للتصرف في شؤون عباده فاذا امتاز
أحدهم بما يفتقدونه زلّقي الي الله أو صدر منه ما يظنونه دليلا على أنه
من المقربين اليه رفعوه الى تلك المنزلة منزلة الاصطفاء للتصرف في
الكون فاتخذوه شفيعا لديه يلجأون اليه في مهمات أعمالهم ويستمدون منه
المعونة بما له من الدالة على ربه: واذا سئلوا عما يفعلون وما به يدينون قالوا
« ما نعبد الا ليقربونا الى الله زلّقي »

ما ذأصاب هؤلاء من شر ما اعتقدوا؟ استعبدوا للسادن والكاهن
والزعماء ووارثيهم واستسلموا لهم في جميع شؤونهم فكانت علومهم من
أوهامهم وأفهامهم واقفة عند خيالاتهم ينكرون الاوليات من المعلومات
اذا توهموا أنها تخالف تلك الموهومات التي تلقوها عن زعمائهم ثم كانوا
يتركون وسائل العملي اتكالا على ما يستمدونه منهم ولا يزال التاريخ
يشهد على ما قاسته الانسانية من بلايا هذه العقائد والعيان يؤيده في كثير
من الامم في الشرق والغرب الي اليوم

هذه مفاسد الوثنية وما جاورها لا ينكرها مطلع على مبادئ
العلوم الصحيحة — بل يعرفها كثيرون من المامة الذين لم ينشأوا في
جوها الفاسد

أما زعم هانوتو ان وثنية اليونانيين كانت تراقي بالافراد في سلم
الفضائل طمعا في نيل مرتبة الالهوية فهو زعم لم يقل به من المسيحيين

سواه فيما أعلم . ولم يقل أحد من اليونانيين أنفسهم أنهم كانوا يسمون في كسب الفضائل من طريق التوصل الى مقام الاثوية ولا ان الالهية البشرية تركت فيهم أثرا صالحا ، بل لم تورثهم الا تلك الرذائل التي قام سقراط وأفلاطون لمحاربتها . أما السمي الى الفضائل فكان للتقرب لاربها كما هو معلوم .

أما حكمه على المسيحية بانها من ناحية الديانة اليونانية فذلك ادع الكلام فيه الى المسيحيين أنفسهم ولكني أقول ان المسيحية بذلت وسعها في بداية أمرها لتطهير الارض من الوثنية التي كان الناس عليها في عهدا وجاهدت من تلوث من عقائدها من اليهود والرومانيين واثبت رجالها بين الوثنيين يدعونهم الى الاله الواحد وكان التنزيه قوام دعوتهم كما يعلمه المدقق في فهم كلامهم ولم تظهر آثار التشبيه فيها الا بعد قرون من نشأتها وتاريخ الامبراطور قسطنطين معروف عند أهل العلم وغيرهم لاجابة الى تفصيل ما كان منه .

ثم لما امتد الغلو في التشبيه ظهرت المظالم وعظمت المغارم واختفى العلم وحسب العقل وتهدمت أركان النظام واستشرى الفساد في الامم النصرانية حتى ظهر الاصلاح وقضى على ماسبقه واستقامت أوروبا في طريقها المعروفة اليوم وقد أشرنا الى شيء من أسباب ذلك

لم نسمع أن أحدا من المسيحيين يعبد الله لينال رتبة المسيح فيكون الها بشرا كما يؤخذ من عبارته . ولم نر أثرا لاحدهم يدل على انه عقل عقيدة التثليث على هذا النحو الذي ذكره ولكنهم لم يصرحوا بانها عقيدة

لا مجال للعقل فيها فلا مكنة له في اذ يحتذيا . وقد قامت طوائف منهم في
ازمان مختلفة اصرح بازفرقا بين مالا يصل اليه العقل وما يناقض حكم العقل
وذهبت الى ان المسيح لم يكن الانبيا مختارا بعثه الله لخلاص البشر من سلطان
الشیطان وحملوا الابن على المصطفى (المختار) والاب على الرب الرحيم . واعرف
بعض طوائف البروتستانت اليوم وان كانت قليلة العدد يذهب الى تأويل
الكلمة بالعلم وروح القدس بالحياة وقد لاقيت بعضهم في بعض اسفارى واكد
لى ان لهم شيعة تدب بذلك

وهل كانت المسيحية في سالف الازمان تجاهد من حولها من الوثنيين
لتخرجهم من وثنية الى وثنية ؟ نعوذ بالله من هذا الخبط الصادر من محب
غير عالم .

انى ارفع أديبا من ان اطعن في عقائد المسيحيين في جريدة وقد امرت
ان اجادل بالنى هي أحسن . ولكنى ارجع الى الكلام في الآثار التي عنى هانوتو
بأخذها دليلا .

جاء الاسلام يدعوا العالم باسمه الى التوحيد وصرح بان دين التنزيه
هو دين الله من لدن آدم ونوح و ابراهيم الى موسى . ثم هو دين الانبياء بعد
موسى ودين خاتم رسل اسرائيل عيسى عليه السلام . ولم ينكر ان في اليهود
وفي المسيحيين خصوصا اهل تنزيه وذكرا ان منهم من مال الى التشبيه ودعاه
الى الرجعة الى اصل دينه حتى يقوم بالعبادة لله وحده ويعتق من سلطة
الرؤساء والزعماء الذين اغتصبوا عقله وملكوا هواه وهمه

هبت الوثنية واليهودية والنصرانية لمناواة الاسلام وكانت اكثر عدداً
واوفر عدداً وأعظم قوة وأشد بأساً فلم يكن الا قليل من الزمن ثم ظهر
الحق ونفذ شعاعه الى القلوب فدخل الناس فيه افواجا من كل ملة من هذه
الملل فاعتقت الهمم وافتكت العزائم من أسرها وأخذ كل يطلب من الكمال
ما يمد له استعداد الممنوح له من واجب الوجود وأخذ المعتقدون بالتوحيد
وللتنزيه يشرفون من شرفات الايمان على اسرار الوجود ومزقوا تلك
الحجب والاهام واتصلوا بمنابع العلم من الفكر والنظر والدين . ولم يكذب
اهل الملة يستريحون من الشنب الذي هبت ريحه بينهم حتى سطعت انوار
العلم فيهم ولم يبق باب من ابوابه الا دخلوه ولا مرتقي من مراقبه الاعلوه
ولم يبق متروك من مخلفات اليونان والفرس والرومان الا استخرجوه من
زوايا النسيان وجلوا صدأه وبرزوه للانظار

هذا اثر الاسلام وهو دين التنزيه ولم يكذب ينتهي القرن الثاني من
ظهوره حتى جال المسلمون في علوم السموات والارض وصححوا الاغاليط
وتقعدوا القواعد وحرروا الاصول . وفي مفتح القرن الثالث أقاموا المراصد
ومسحوا الارض وأتوا في ذلك بما هو معهود لاهل العلم في ديارنا وديار
مسيوا هانوتو .

انى اکتني فيما يقابل هذا بقول جماعة من اهل النظر في الامم الغربية
اليوم : « أقامت النصرانية في الارض ستة عشر قرناً ولم تات بفلك
واحد وأخذ المسلمون يبحثون في هذه العلوم بعد وفاة نبيهم ببضع سنين

ومع هذا لا يمد ذلك طعنا في أصول الديانة المسيحية وانما هو طعن في تصرف القائمين عليها والمحرفين لها عما جاءت له :

يظن هانوتو ان الاسلام قطع الصلة بين العبد وربّه ، ولكنه وهم في ذلك فان الاسلام أفضى بالعبد الى ربه وجعل له الحق أن يقوم بين يديه وحده بلا واسطة تبينه رضاه ، قضي الاسلام بان لا يكون للكون الا قاهر واحد يدين له بالعبودية كل مخلوق وحظر على الناس مقامين لا يمكن الرقي اليهما : مقام الالهية التي تترد بها ومقام النبوة التي اختص بمنحها من شاء ثم أغلق بابها . وما عدا ذلك من مراتب الكمال فهي بين يدي الانسان وينالها باستعداده لا يحول دونها حجاب الاماكان من تقصيره في عمله أو قصوره في نظره

اذا اعتقدت بقصور فضل الله عنك ووقت تفسك حيث وضعتها ولن تستطيع الى التقدم سبيلا . هكذا يرفع الاسلام الصحيح نفس صاحبه وهذا هو معنى الاسلام والاستسلام الذي اخطا في فهمه مسيو هانوتو فهل بقي الانسان مع هذا المعنى من الاسلام في درك من الحيوانية وفي هجرة عن التوسل بالاسباب الى مسبباتها في كسب الفضائل والكمالات ؟

يجب على الباحث في الاسلام ان يطلبه في كتابه كما يجب عليه أن يطلب آثاره والاسلام اسلام والمسلمون مسلمون . ولو استشم مسيو (كيمون) الذي استشهد هانوتو بكلامه ربح العلم لما استفرغ ذلك القدر من فيه ولا حاجة الي الكلام فيه فسخافة رأيه وقلة أدبه تكفيه

من أين أتى المسلمون وكيف دخل عليهم في عقائدهم بالتشبيه وفي عوائدهم بالتمويه؟ ومن تعلموا الاقتراس وعمن أخذوا الضراء بالشهوات؟ أنا أعلم ذلك واهل العلم يعلمون والله من ورائهم محيط .

اتبع المسلمون سنن من قبلهم شبرا بشبرا وذراعا بذراع حتى سقطوا في مساقطهم وطارحوهم الاوهام حتى انجروا الي مطازحهم وبأوا بما كان لهم وما عليهم .

حدثت في الدين بدع أكلت الفضائل وحصدت العقائل وترامت بالناس الي حيث يصب عليهم ما استفرغه « كيمون » :

أما الورجع المسلمون الي كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم لسلمت نفوسهم من العيب وطلبوا من أسباب السعادة ما هداهم الله اليه في تنزيله وعلى لسان نبيه ومهده لهم سلفهم وخطه لهم اهل الصلاح منهم واستجمعت لهم القوة ودبت فيهم روح الفتوة وكان ما يلقاه هانوتو وكيمون من دين صحيح شرا عليهما مما يخشونه من دين شوهته البدع .

يرى كيمون أن يخلى وجه الارض من الاسلام والمسلمين ويستحسن رأيه هانوتو لولا ما يقف في طريق ذلك من كثرة عدد المسلمين: وبئسما اختارا لسياسة بلدهما ان يظهر اضعفهما ويملنا خطل رأيهما وضعف حلمهما . أما فليعلمنا وليعلم كل من يخدع نفسه بمثل حلمهما ان الاسلام ازطالت به غيبة فله أوبة ، وان صدعته النوائب فله نوبة : وقد يقول فيه المصنفون اليوم من الانسكابز مثل (اسحق طيار) وهو قس شهير ورئيس في كنيسة

« انه يمتد في افريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار . فالكرم والعفاف
والنجدة من آثاره والشجاعة والاقدام من انصاره . »

ويأسف أشد الاسف من ان السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان
باتشار دعوة المبشرين بينهم وقال انه « يختار اسلاما لا سكر فيه على
مسيحية فيها سكر . »

ثم هو لا يزال ينتشر في الصين وغيره من اطراف آسيا وسترشده الحوادث
الى طريق الرجوع الى طهارته وتنشئ به الملمات الى ما كان عليه لاول نشأته
وتدرك عند ذلك الامم منه خير ما ترجو ان شاء الله .

لواسلت الامة الفرنسية باسرها وفي مقدمتها مسيو هانوتو وكانت
معاملتها لغير الفرنسيين على ما نعده في الجزائر ومداغسكار — هل ترجو
من سكان مستعمراتها ان يميلوا اليها وان لا ينهزوا والفرص للثورة عليها ؟ كلا .
فما ظنك بالمسلمين وهم يسمعون قصف هذا الرعد ولا يرون من المتغلبين
عليهم الا الجذ في اهلاكهم والدأب في افنائهم ؟

ان المدل ورعاية الحقوق واحترام المعتقدات بعد معرفة اصولها هي
التي تخفف على المنلوب سلطة الغالب وتدوبه منه وتمون عليه الرضاء عنه .
ولكن هانوتو واضرا به من ساسة الفرنسيين لا يعرفون شيئا من هذه
الاركان الثلاثة ولا يزالون يهرقون بما لا يعرفون حتي يصلوا الى ما كانوا
يحسبون : فلينتظروا انا معهم من المنتظرين .

حديث

لسعادة صاحب الازهرام مع جناب المسيو هانوتو

١

رأيت وأنا في باريس ان اقابل المسيو هانوتو واقف منه على حقيقة الاحوال بوجه عام وعلى الغاية التي قصدها ويقصدها من كتاباته الاخيرة عن الشرقيين والمسلمين بوجه خاص . ولما كان هذا الموضوع من اهم المباحث لدينا مع رجل مثل هانوتو الكاتب البعيد الصيت والسياسي الواقف على احوال اوربا والشرق وكفانعتقد كما قالت الازهرام مراراً وتكراراً ان تقدم الشرق يكون بتقدم الامة الاسلامية ، توخيت ان انشر اقواله وآراءه فاستأذنته بذلك فاذن لي . ومن هذه الاقوال يعرف القراء الكرام ان الرجل اذا كان قد قصد في مقاله خدمة امته فهو قد انذر الشرق واستلقت رجاله الي اصلاح شؤنه لان البقاء على حالة واحدة مع تقدم اوربا المستمر هو عين التأخر . على ان ذلك لا يدوم اليوم واوروبا على ما هي عليه من الاتفاق السياسي والاندفاع الاقتصادي . فعلي الشرق ان يعلم من كل كلمة وان يدرك خيره من مغزي كل لفظة ونحن قد نقلنا اليه الآراء والمقاصد الاوربية لنفي فرضاً تقضى به الخدمة والذمة . قال :

انتم تعرفون من تاريخ اوروبا ان اسمها ماتقدمت علماً ومدنية

واختراعا الى يوم تقيدت السلطة المدنية وعرف الشعب والحكام فروضهم
المتبادلة وانالم كتب الا الى ابناء وطنى القرنسويين ولم استشهد (بكيون) وهو
يونانى الجنس الا لافند اقواله التى لم ينفرد بها . فان كثيرين من الكتاب
الالمانيين والفرنسويين والانكليز وغيرهم حدوا حدوه وقالوا قوله . و خلاصة
كتاباتهم ان تقدم مسلمين مستحيل ونجاحهم بعيد لان الاسلام معتقدتهم بحول
دون ذلك وحجة هؤلاء واحدة وهى انه كلما تقدمت أوروبا تأخر الشرق :
لان الواقف يتأخر بقدر ما يسير الماشي وان كل حكومة انفصلت عن الشرق
تارت على منهاج اوروبا علما ومدنية فنجحت : مع ان العثمانية وافغانستان
ومراكش والمعجم لاتزال على ما كانت عليه فى السنين الغابرة . وانا ذكرت من
هؤلاء الكتاب كيمون وحده ليعرف المسلمون ما يقال عنهم ولا فند مزاعم
هذا الرجل وغيره من الكتاب الذين على رأيه لا اعتقاد ان الاسلام لا يحول دون
الاصلاح والمدنية واستشهد على صحة معتقدي هذا بتونس فذكرتها مثالا او يد به
اقوالى وسياسى . هذه روح كتابى السابقه وانها ستكون روح اللاحقة .
والذى دعانى الى ذلك ما كان من هؤلاء الكتاب الذين لا يخرج مغزى
كتاباتهم عن اعادة السكرات الصليبية كما كان فى العصر الخالية ، وما
دفعهم فى الايام الاخيرة الى ذلك الا الحوادث الارمنية وغيرها . ولما كنت
قد وقفت نفسى لدرس حياة « ريشليه » السياسى الشهير وسرت فى اكثر
أعمالي وكتاباتي على منهاجه وعرفت ان هذا الرجل مع انه كاثوليكي
كردينال من اعمدة الكنيسة الرومانية رفض على عهد وزاراته تلك السياسة

العوجاء سياسة الصليبيين وحال دونها بدهائه المعروف مع انه كان القابض على سياسة فرنسا واوروبا معا. فاذا كان هذا السياسي الكاثوليكي قد امتنع عن تأييد سياسة اقرب المقربين اليه في تلك الاعصر أى السياسة الصليبية، فهل مثل هذه السياسة يجوز اليوم اتقادها، لالعمرى. فلماذا عرضت بالامس ولهذا أعارض اليوم. ولحسن الحظ ان الرأى العام اذا قال بوجوب مساعدة الضعيف ضد الظالم فهو لا يريد حربا تشب نارها اعتداء ولا سيما الحرب الدينية فهي عدوة المدنية بل أقطع الاعمال.

على ان معارضتى لامثال هؤلاء الكتاب اى نقضى لا قوالهم لا يمتنعنى عن ان اقول لكم الحقيقة لانه يستحيل على ان اقول ان شرقكم سائر على منهاج حكومات اوروبا في العدل والحرية والمدنية. كما انه يستحيل على ان اقول ان في حالتكم الحاضرة ضمانا لمستقبلكم السياسى. فاعلم ان اوروبا حارت السلطة الدينية مدة ثلاثة قرون، لاعتقاد بل لتفضلها عن السلطة المدنية. فان المتحاربين كانوا من معتقد واحد ولكن اراد افراد امها اولا ولقيف شعوبها ثانيا ان تكون الكلمة الاولى للسلطة المدنية في احوال الحكومات وشؤون الشعب وان يكون للمعتقد حق الادبيات الدينية بان يعطى ما يقصر لقيصر ومالله لله.

واعلم ان الذي ايد هذه السياسة أيضا في بلادنا فرنسا هو أعظم تلامذة رومه واحدا قطاب الكنيسة الكاثوليكية اى الكردينال (ريشليه) فهو الذى قال بفصل السبطين ولم تنسه واجباته الكنيسية الدينية معرفة الحقيقة. وهو بهذه السياسة خدم السلطتين أشرف خدمة اذا ايد السلام

بينهما فتأيدت سطوة الحكومات المدنية، وتقدمت شعوب أوروبا تقدماً
عجيباً، واعتزت السلطة الدينية أيضاً، وعاشت السلطان بوفاق وسلام.
وهذا ما يريد تأييده نحن الفرنسيين في مستعمراتنا بأن يكون الأمر
المطلق للسلطة الحاكمة مع احترام عقائد الشعوب الذين تحت حكمنا وسلطاننا
وهو ما سرنا عليه في الجزائر وتونس وغيرها من المستعمرات الفرنسية.
وانى لا اكلمك كمسيحي بل كمؤرخ أو كاتب حر الضمير لاشأن
غيره في معتقده الخاص. ولكنى احترم ادبيات كل دين ومعتقد واقدر تلك
الادبيات قدرها. ولكن الماديات غير الادبيات والاولي (الماديات) من
شؤون عالمنا هذا الذي نعيش فيه ونحى به. وكل امة لم تتقدم في مادياتها
لا بد ان تموت اذ لا حياة بلا مادة. واللهم اتم الشريين اله اوروپا واله
اميرىكا. اذن اله الجميع واحد ولا يمكن ان يكون اكثر انعطافا على الاوروبى
منه على الاميرىكى فالشرقى، بل ان الشرقيين عموماً اكثر تمسكاً بعقائدهم
من الغربيين. وقد علمنا ان اوروپا فاقت شرقكم بمراحل ونرى اليوم اميرىكا
تراحم اوروپا وكثيراً ما فاقتها في اختراعاتها وفنونها. ولم يكن ذلك لان
الله سبحانه وتعالى اميل الى الاميرىكى منه الى الاوروبى أو الشرقى، ولكن
لان الاخير مستميت والاول حي: هذا يشتغل مجتهداً وكلما زادت ارباحه
زاد نشاطاً واقداماً، وذلك يقضى حياته بين القنوط والياس مستسماً.
ولهذا تقدم الاوروبى وتاخر الشرقى. وضيق اوروپا باهلها دفعها الى
الاستعمار فى كل صوب فصادف ابناءؤها ارضاً واسعة وشغوباً لا حراك

بها فقبضوا على الاعمال السياسية والاقتصادية فيها .

وهنا استمعت حضرة المسيو هانوتو وقلت له اذا كنت تحب مصلحة المسلمين وتمتد انهم راضون في تونس ، فهل تمتد ذلك في اهل الجزائر ؟ ولماذا لا تسأل الحكومة الفرنسية ان ترى في احوال هؤلاء ؟ قال : اما التونسيون فلا خلاف في انهم مسرورون بحالتهم ونحن قد دخلنا بلادهم وهي قاع صفصف مزق شملها افراد حكموها . واما نحن فقد تركنا للسكان حقوقهم المذهبية فاحترمنا جوامعهم وعقائدهم واحوالهم الشخصية ولم نسألهم الامرا واحدا ، أى احترام سلطتنا السياسية . فاذر كوا هذه الحقيقة وعملوا بها ولهذا كان النجاح عظيما في مدة قريبة . وانت تعلم ان مذهبي في الاستعمار وضع الحماية كما هو في تونس لاضم المستعمرة الي فرنسا كما فعلنا في مدغسكر بالرغم عن معارضتي ذلك وقد رضيت به منقادا لاوامرا كثيرة دار الندوة . ولا انكر انه يجب تعديل بعض قوانين الجزائر . وقد شرعنا في ذلك وساكب كثيرا في هذا الموضوع لاني ذهبت بنفسى الي تلك البلاد ودرست احوالها واملى ان لا يمضى طويل زمن حتى ترى ذلك الاصلاح الذي طلبه غيرى قبلى وشرعت حكومتنا في انفاذه .

قلت : انى اعرف ما سردته لي عن تاريخ السلطين الدينية والسياسية في اورويا وعن احوال شعوب البلادين ، ولكن ذلك مستحيل في الشرق ولا سيما في الحكومات الاسلامية . والذين يقولون به من الاجانب ليسوا الا خصوما للمسلمين لاعتماد هؤلاء ان في فصل السلطين ضعفا

ترومه أوروبا لتنال بفيتها منهم .

قال هانوتو . أنا لأسأل الشرق ذلك فهو حر يفعل ما يشاء ولكن
اعتقد ان أوروبا لم تتقدم الا بعد تعيين حقوق السلطين وجعل الكلمة
الاولي للسلطة الحاكمة كما اني أعتقد ان جمع السلطين في شخص واحد لم
تتمح أن تخسر وافي الحروب الماضية . وأعتقد أيضا ان صاحب السلطين
ولاسيما في بلاد كالشرق تستطيع أن يجرى اصلاحات لا يقدر غيره عليها
ويعلم المسلمون ان جمع السلطين في شخص واحد لم يمنع فرنسا من
الاستيلاء على الجزائر وتونس وانكلترا من التهام الهند وروسيا من أخذ
خيوي وغيرها الى حدود افغانستان ، كما انه لم يمنع استقلال مراكش وبلاد
فارس والبلدان اسلاميان . فاذا كان يستحيل توحيد حكومة اسلامية
توحيدا سياسيا يستحيل أيضا توحيد سلطتها الدينية . وابن مراكش لا
يعرف غير سلطانها خليفة لها واذا كان الاسلام كما قلتم ويقول كتابكم
(وأود ان أعتقد أنا مثلكم أيضا) لا يحول دون التقدم المصري فما
بالكم متأخرون ونحن متقدمون ؟ وبماذا تردون على أولئك الكتاب الذين
لا يمتقدون اعتقادي واعتقادكم ؟ فاذا قلتم كما يقول اخوانكم ان أوروبا يحول
دون تلك الاصلاحات ، أجابوكم ان أكثر الدول كانت دائما معكم الي سنة
السبعين وبعدها . فلم تأخرتم واليابان لم تشتغل الاربع قرن حتى وصلت
الي ما أصبحت اليه اليوم فاصبحت أوروبا تقدرها قدرها في جميع مسائل
الشرق الاقصي ؟

واذا قال لكم أولئك الكتاب اننا مقتنعون بان أوروبا وشعوب تركيا

حالت دون اصلاح الولايات الواقعة في أوروبا والقريبة من أوروبا كسوريا
مثلا، سالتكم هل مسلموا بغداد وما بين النهرين و حلب راضون عن أحوالهم،
أيظن رجالكم وكتابكم أننا نحن وكتابنا جاهلون أحوالهم هنالك حيث
لا أوروبي ولا غيره يحولون دون تميم العدالة و حفظ حقوق المتقاضين ؟

وأنا أعرف ان مثال هذه الحقائق يجرحكم ذكرها، ولكن قد حان
لكم أن لا يعميكم غرضكم عن الحقيقة ولو أنها خارجة من فم أجنبي ما دام
كتابكم ليس فقط لا يقولونها بل يكذبونها . كافي بهم يساعدون الظالمين
من حكامكم على ما بانونه من المنارم والمظالم فكان ذنبهم نحو وطنهم
أعظم من ذنب الحكام الظالمين . وأني أقول لك هذا بعد الذي قرأته في
جرائدكم ردا على ما كتبتة ، فقد عدوني خصما لهم ونسوا خدماتي لهم وأنا
في مهنة الوزارة الخارجية في أيام المسئلة الارمنية فاذا كان هذا رأيهم
في صديق خدبهم فساذا يكون حكمهم على خصم جبر بعداتهم ؟ ولكن
فليعلم هؤلاء أنه اذا حدثت امثال تلك الحوادث في المستقبل فيستحيل على
وزير أوروبي أن يرتأى مثل تلك السياسة . ولا أقول هذا من باب
العداء ، بل لما نراه من تعديل أوروبا على وجه عام مبادئ سياستها الخارجية
مع الشعوب المشرقيه . فان الدول ستكون واحدة في المستقبل كما نرى الآن
في مسالة الصين

فقلت للمسيوهانوتو وما شأنكم والشرق وأممه ؟ فكلاهما راض عن حاله
ومفضل اياها على كل سلطة أجنبية أو اوروية والذي ينفر الشرقي هو
ظلم أوروبا في سياستها هذه وغتبناعلى فرنسا اكثر من غيرها لانها عودتنا

حماية الضعيف من القوى . فقال الوزير بمبارة صريحة : ان هذه الاقوال
خيالية لا تنطبق على حالة اوروبا في هذا الزمان . فهي بعد ان كانت لا تهتم
بتغير قارتها قد اندفعت الى الاستعمار ولا تقف عند دعوى العدالة وغيرها .
واعلم ان فرنسا مضطرة مادامت لا تقدر على منع الدول الثانية عن توسيع
نطاقها الاستعماري والتجاري الي الاقتداء بالدول المذكوره . واني ارى
كتابكم وافراد امتكم يجرون في غالب الاحيان بافكار صيدانية فيستعبدون
للالماني لتكايه الانكايزي وينتصرون للفرنساوي على الالماني . ولكن أما
حان لهم أن يعلموا ان الاوربيين مبهما اختلفت اجناسهم ومذاهبهم سهل اتفاهم
على الشرقيين ؟ لان هؤلاء لا يملون عمل العامل البصير باستخدام مصلحه
هذه الدولة أو اعراض تلك الامة لاصلاح شؤونهم ، بل لمعارضة دولة
ثانية : وهي سياسة قديمة العهد لا تمتد بها اوروبا اليوم . وانت تعلم ان المانيا -
اكثر الدول في اوروبا استقرارا وابعدها استمارا - هي التي اقترحت تحديد
مناق النفوذ في الصين وهي التي سالت امتياز انشاء سكة حديد بغداد .
وهذا ما يدل على ان اوروبا لا تسعى الا الى مصاحتها السياسية وما
سوى ذلك فضلا عندها أو صعب على طبعها .

ثم قال لي انت تقول لي ان الساسة المسلمين لا يعتقدون باخلاص سياسة
اوروبا كلها أو بعضها ولهذا يخافون من مصافاة هذه الدولة خوفهم من
معاداة تلك ولا سيما وان اكثر الدول طامعة في املاكهم وحضرتك اكدت
ذلك في كلامك الا ان عن سياسة اوروبا .

والمسلمون يعتقدون أيضا ان مصلحة اوروبا المسيحية تخالف مصالحهم
الاسلامية ولذلك لا يأمنون على انفسهم من سياسة الدول المسيحية . وقد
ادى بهم فقدان هذه الثقة الي ان لا يأتعنوا مسيحيا عثمانيا ولو اخلص لهم
الخدمة وصدق معهم . وهم يؤيدون سياستهم هذه لما راؤه من تداخل
اوروبا في اعمالهم ومن افعال الموظفين غير المسلمين في المناصب السياسية
العثمانية سواء في بلاد الدولة أو في سفاراتها . وانت تقول لي ان في ذلك
بعض المغالاة ولكنهم يفترون .

فهذا الذي تقوله لي اليوم قد سمعته منك من قبل وقاله لي بعض العثمانيين
في الاستانة وباريس ، ولكن تنفيذ امر سهل واليك البرهان : لا يسمعك
والساسة المسلمين ان تنكروا ان بعض دول اوروبا قد اتفقت مع الدولة
العثمانية على دول ثنائية مسيحية في اوروبا فان هذا حصل قولا وفعل
في حرب القريم : فنحن وان كنا لم نبخل بالمال والرجال لمساعدته

دولتكم العثمانية ، ونحن وروسيا والمانيا منعنا بعض دول اورويا عند نيل
 اغراضها في المسألة اليونانية ، وهذه الدول الثلاث خدمت سلطنتكم اجل
 خدمة في المسألة الارمنية بالرغم عن هياج الرأي العام الاوربي وتهميح
 بعض الدول بعمارضتكم ، وتلك امور حديثة العهد يرفعها رجالكم كما نعرفها نحن .
 واذا راجعنا حوادث التاريخ القديمة تبين لنا أيضا ان فرنسا وپولونيا
 وغيرها حالت العثمانية ضد دول ثانية مسيحية مما يدل على انضالة اورويا
 ومصالحها الاقتصادية فالسياسية ولا دخل للاعتقاد البتة في أعمالها . ولعمرك
 هل منع المانيا كونها مسيحية ان تحارب اوستريا وفرنسا المسيحيتين ؟
 وألم تحارب ايطاليا اوستريا ؟ وهل منع فرنسا مذهبها الكاثوليكي من ان
 تحالف روسيا ومذهبها ارتوذ كسي ؟ وهكذا قل عن التحالف الثلاثي بين
 البروتستنتي الالماني والكاثوليكي النمساوي والايطالي . وهذه الترسفال
 ديتها كدين انكارا واهلها من اقرب العناصر الي الجنس السكسوني وقد
 حاربها الانكليز وغرضهم سلب استقلالها . كل هذه شواهد قديمة العهد
 وحديثة تفند زعم حضرتك ومزاعم ساسة الشرق . واذا وجب ان يلوم
 المسلمون سياسيا مسيحيا بخدمهم فكم يجب ان يلوموا ساستهم العديدين ؟
 أفي مراکش مسيحي موظف ؟ وهل غير المسلمين قابضون على
 سياسة العجم ؟ ومتي كانت سياسة الدولة العلية الخارجية في غير أيدي
 المسلمين ؟ فاذا كان ذلك السفير غير اهل لمنصبه أو ان رأيه مضر ببلادهم ،
 فلماذا أبقى عليه وزبر خارجيتكم والصدر الاعظم ؟ وهل قام ولا تكلم وجميعهم
 مسلمون بما تتطلبه حقوق الامة ومصالحه الوطن ؟ نعم لا انكر ان تداخل اورويا

أوبعضها نفركم ، ولكن بعض الحوادث التي حدثت في جهات عديدة من الشرق هي التي كانت سبب ذلك التداخل .

وانى اتساهل معك واقول ان بعض دول اوروبا يريد لكم سوء وان هذا ولد فيكم عدم الثقة بنا نحن الاوروبيين ، ولكن اذا كان قد استحال على دول الشرق وهي في اوج مجدها وشامخ عزها ان تتحد وتوحد كلمتها ، فهل يسهل ذلك عليها اليوم ، واذا كان المسلمون يعدون سياسة اوروبا عداء المصلحة الاسلام لان اوروبا مسيحية - وهو زعم باطل - فهل كان ما ينادون به من وجوب الاتحاد الاسلامي وجمع كلمة المسلمين مما يخيف اوروندا ويمنعها عن انفاذ ما يتبها به المسلمون ، وكيف يمكن ذلك الاتحاد المزعوم ؟ اترضى به اوستريا ولها البوسنة والمهرسك وهي طامعة في غيرها ؟ ام تقبل به فرنسا مع املاكها الافريقية الواسعة ، ام تؤيده انكثرا و عدد رعاياها المسلمين عظيم ؟ ام تمضده روسيا ؟ اليس ذلك خرقا في الراى من الذين ينادون بهذه السياسة كأنى بهم هم الذين يريدون لانفاذ ما يطلبه (كيمون) وغيره من كتبة اوروبا . وقد كان اولي مثل او ائلك الكتاب ان يكتبوا كتابات ادبية بلغة الكتبة الاوروبيين لتفنيد اقوالهم ولا استعمال الراى العام الاوروبى اليهم .

اما كان يجب عمله على رجالكم سوء الذين عركتهم حوادث السنين الغابرة أو الذين درسوا في اوروبا وتعلموا بعض علومها ووقفوا على قليل من مبادئها وسياستها فهو ان يهتموا بنشر العلوم المصرية في بلادهم وان يعملوا في الخارج على ازالة سوء التفاهم الواقع بين الشرق والغرب

بان يتخذوا أقدام أوروبا واجتهاد أبنائها مثالا يسرون عليه وانموذجا يعملون
 بموجبه: أي كما فعل اليابانيون في السنين الاخيرة . وأنت تعلم ان الذي
 نبه اليابان هو خوفها من أوروبا وهي لم تعز عن ضعفها باحتقار الاوروبي
 وذمه المباهاة بمجد الآباء . ولم يقل ياباني بتحقير الاجنبي لانه عنصر
 غريب أو لانه مسيحي ودينه بعيد بمراحل عن دين أهل اليابان ، بل قال
 رجال هذه المملكة بوجوب محاربة أوروبا ولكن بسلاح أوروبا. أي بان
 تنسبه في العلم والمدينة والاقدام ولهذا فازت في مطالبها وحالت دون
 فتوحات الاوروبي الاقتصادية أولا فالسياسة ثانيا . ولو أتى رجال الشرق
 القريب هذا المأتي منذ حرب القريم لما شكوا مسلم من أوروبا ولما شكوا كاتب
 أوروبي من حال الشرق وأهله . بل لو فعلوا وحدث انقلاب عظيم في السياسة
 الاوروبية سواء في أوروبا أو في الشرقين الاقصى والاقرب لكان دون
 شك حظ دولتكم العثمانية أضما في حفظ أعظم دولة أوروبية .

وأراني في هذا الشرح قد بلغت ما قصدته في تنفيذ ما يزعمه رجالكم
 الذين اذا رجعوا الى نفوسهم عرفوا هذه الحقائق كما نعرفها نحن . وقد كان
 يجب عليهم أن يجهروا بها خدمة لامتهم واطنهم ، لا أن يتجاهلوا
 ويكذبوها .

وتقول لي ان النهضة العلمية بدأت في مصر وان بعض الافراد
 أنشأوا المدارس وان الجناب السلطاني قد اهتم كثيرا بتوسيع نطاق
 المعارف في البلاد العثمانية ، وان أصحاب النشأة الجديدة أدركوا قصور
 الحكام وتأخر البلاد فقاموا بجهورن بوجوب الاصلاح وتعميم العدالة

والامل وطيد بالنجاح ولكن الظفرة محال . وهذا أمر يسرفني ويشرح
 صدرى لاني أرغب رغبة خالصة في نجاح شرقيكم . ولكن يجب أن تعلم
 ان العبرة ليست فقط في قامة المدرسة بل في وضع البروجرومات المدرسية .
 كما ان العلم وحده لا يكفي وقد يضر اذا لم يمزج بالتهذيب . ولكننا فاني لا اجعل
 ان كثيرين من ابناء الشرق درسوا في اوروبا وقد يربو عددهم على عدد
 اليابانيين الذين درسوا في اوروبا ايضا ولكننا رأينا في اليابان نتيجة لم
 نرها حتى الآن عندكم ولعلنا نراها يوما لاني اعتقد ان رجال الذمأة
 الجديدة ينجحون نجاحا كاملا اذا كان غرضهم خدمة الوطن منزهة عن
 كل غاية شخصية او مذهبية لان الوطن الواحد قد يجمع اكثر من
 عنصر معتقد ، ولكن الاعتقاد وحده لا يجمع الاعنصر ا واحد وانت تعلم ان
 الفرنسي يشمل الكاثوليكي والبروتستنتي والمسلم واليهودي والوثني وغيرهم
 عن سائر عايفر نساء ، ولكن الكاثوليكي الفرنسي والفرنسوي الكاثوليكي
 او الكاثوليكي المسيحي لا يشمل كل فرنسوي

لهذا كانت الرابطة الوطنية اعلم واشد من الرابطة الدينية وهي التي كانت
 قاعدة اوروبا الاولى في سياستها وها تقدمت وتمكنت ونجحت والى هنا قد اجبتك
 على جميع ما اردت ان تعرفه مني عن رأيي في الشرق

اما الصين فاطن ان مسالته انتهت باحتلال بيكين عاصمة الصين
 لان حكام هذه المملكة لا بد ان يكونوا مع اوروبا ضد البوكسرس
 والدول لاتانف من استخدام هذه السلطة الشرعية للاتهام من الثائرين
 واعادة الامن الي ان تتخذ في تلك الارحاء وسائط فعالة يتلافى بها حدوث

فتنة في المستقبل ، واذا حدثت كان لاوروبا اكثر من ١٠٠ الف عسكري في مناطق نفوذها الحالية مستعدين في كل ساعة لدرم كل ملنة واقمع كل ثورة . وهنا استأذنت محذني بالانصراف شاكرامالقيته من لطف حضرته وهو ماعودنيه على الدوام سواء عندما كان وزيرا قابضاً على زمام خارجية فرنسا أو كاتباً يستخدم قلبه في خدمة بلاده وينشروا اقواله في الجرائد السيارة . فبالامس كان وزيراً خطيراً يعرف اسرار دولته واليوم هو كاتب سياسي ورفيقه قلبه وقرطاسه ، شأن اكثر ساسة اورويا . وبذلك لا يحرم وطن هؤلاء الجماعه من فوائدهم سواء كانوا عاملين او مستقبليين . فكيف لا تقدم اورويا ولا يفلح رجالها ولا تتدع املاكها وهذا شأن رجالها ونوابها !

هذه هي رسالتي الثالثة والاخيرة عن اقوال المسيو هانوتو السياسي الشهير والكاتب المجيد وقد ضمنتها بعض ما فاتني ابراده من حديثه في الرسالتين السالفتين وما ابديته لحضرته من الآراء والافكار . وفي نشرها اتمام للفائدة التي توخيتها من محادثة هذا الرجل العاقل المحرب
قال المسيو هانوتو في خلال اقواله : ان غير دولة اوروية تروم

مخالفة الدولة العلية لامصافاتها فقط ولا تعلق معها على بعض الامور والشؤون،
ولكن على شرط ان تكون قاعدة هذا التحالف سياسة محضة لا تشوبها
اغراض ثانية وما رب اخري . لان الدولة الاوروبية مهما تخالفت مصالحها
السياسية تجمها جامعة واحدة فيما يتماق بدولتكم فلا يتم ذلك التحالف المطلوب
وبعبارة اصرح ان كل دولة لها غرض ما في بلاد مشرقية قد استخدمت على زعمها
تعصب رجال الشرق في تأييد سياستها وتقوية نفوذها . فهل من مصلحة
الشرقي بعد ذلك ان يسمى الي تعميم هذه القاعدة الوخيمة العواقب ان يخدم بها
خصومه وأعداءه ويبعد عنه احبائه ؟ . وقال المسيو هانوتوني في موضع آخر من
حديثه ان الوزير في اوروبا كيفما كان دينه لا ينظر في سياسته الا الى مصلحة بلاده
المالية وفائدتها السياسية . وكم من وزير فرنسوى تولى وزارة الخارجية
ومذهبه بروتستنتى أو انه لا يمتد بدين من الاديان . ولكنك تراه يساعد
جماعة المبشرين في بلاد الصين وافريقيا وغيرها . وانا تقسى عندما كنت وزيرا
في بلاد هي مسيحية بل هي عامية الدين الكاثوليكى في الدنيا رأيت من
باب السياسية ان احافظ على مصلحة الدولة العثمانية واسعى الى ضمان
سلامتها في ايام الحوادث الارمنية مع ان أهل اوروبا كلهم كانوا يطلبون مجافاة
دولتكم والحاق الضرر بها . وعلم الله ان هذه السياسة التي اتبعتها قد جلبت
على ضررا شخصيا وحماتى متاعب كثيرة ، ولكننى نظرت فيها الى مصلحة
الامة العامة .

وقال عن تحالف روسيا وفرنسا انه يزداد تأيدا ووثوقا كل يوم

وان الحكومة الفرنسية متفقة اتفاقا تاما مع روسيا في جميع المسائل الخارجية
وان المسيو دلكاسه وزير الخارجية الحالي قائم خير قيام باعباء منصبه وجاعل
نصب عينيه خير فرنسا وحفظ السلام التام .

هذا اجل ما فاتني اثباته من حديث المسيو هانوتو في المقاتلين السابقتين .
وهنا ذكر ما قلته له وملاحظه ان الشرق اليوم في بداية نشأته ونهضته وقد
ادرك انه مفتقر الى المدارس فسعى الى انشائها والاكثر منها في كل ناحية
وقام من المصريين افراد عرفوا فروضهم الوطنية فبدلوا من اموالهم لانشاء
المدارس وحق للامة المصرية ان تقاخر بهؤلاء الافراد الاسخياء الفيورين
(وقد سردت له اسماءهم) ولكن لسوء البخت ان تهجم دول اوروبا كلها او
بعضها في هذه السنوات الاخيرة على الشرق وطموحها الى الاستعمار
بمناقضه قد اضرا به وربما حالا دون نجاحه وارتقائه . ونحن معاشر الشرقيين
نعتقد ان خصوصنا لما رأو تلك النهضة السياسية والبعثة العلمية بمد طول
البحول جنحوا الى عصرنا والضغط على رقابنا . والا فلماذا لايهتم رجال
الانكليز في مصر بمدارسها ومعارفها ؟ ولماذا نري الدول تعاكس جلاله
السلطان وتناهض حكومتها كلما قال بمشروع مفيد وعمل حليل يفيد امته
وبلاده وتبذل جهودها في غل يديه عن انقاذ نياته الجميلة ومقاصده النبيلة ؟
ولنا في المسألة المصرية دليل قاطع على صدق هذا القول . فان جلالته كان
كلما اراد ان يتدخل في شؤون مصر اما منفردا واما متفقا مع بعض دول
اوروبا اشارت عليه المانيا بالسكوت فسكت . على اني اوافق حضر تكلم
على أستحسان ما نشرته جريدة الديبا منذ ايام وهو ان استخدام السلطة

الدينية في مصر يؤيد انكثرا ويوطد قدم احتلالها لانه يستحيل على أية دولة كانت حتى فرنسا ان تمضد هذه السياسة الجديدة. لان كل دولة عندها رعايا مسلمون عديدون ولان حكومات اوروبا مسيرة في الامر غير مخيرة اذ الامر والنهي فيها للرأي العام مهما استبد حكمها وجاروا في حكومتهم .

وقد رأينا جريدة التيمس تندد في عددها الاخير بسياسة جلالة السلطان لانه عين انيس باشا واليا لبلد و قالت ان جلالاته لم يمين هذا الرجل لتلك الولاية الا لانه حسب اوروبا مشغولة بثورة الصين فانهمز القرصة وعين انيس باشا واليا لبلد . مع ان دول اوروبا طلبت عزله من ولاية ديار بكر في زمن الحوادث الارمنية مما يدل على اننا غير احرار في بلادنا وشؤونها واننا اذا اتينا امر او جب ان نوافق عليه الدول كلها والا فلا يتفقد . ويستحيل ان يكون ذلك ملائما لمصلحتنا لان اجماع الدول على الرضي والمواقفة لا يتم الا باسئتنا الى بلادنا واتسنا لانه يستحيل علينا ارضاء البعض واحتاط البعض الآخر . ولو حالقنا التحالف الثلاثي أو الثنائي أو لو رضينا بالاتفاق مع انكثرا لكنا على يقين باننا خاسرون لاننا نصبح مضطرين الى ارضاء التحالف الذي تختاره بكل ما عزوهان . وقد يضحينا هذا التحالف فدى لاغراضه وحفظا لمصلحته مع التحالف الثاني : وهذا هو الامر الذي ولد فينا عدم الثقة وحدابنا على البقاء منفردين دون ولى ولا نصير .

فقاطعتي المسيو هانوتو وقال : انه ما من دولة تتممكم عن اصلاح

داخليتكم وان مصلحة أكثر دول أوروبا ولا سيما فرنسا ان تكون
 دولتكم قوية في البر والبحر لان مصالحها تقتضى وجود هذه القوة عندكم
 ولولم تكن دولتكم موجودة لئمت الدول وجودها . ولو لم يكن هذا الامر
 أى حفظ كيان الدولة العثمانية وتمنى بقائها قوية مدار سياسة بعض الدول
 الأوروبية لما استعمل اتفاق أوروبا عليكم كما اتفقت على أفريقيا وكما انها
 ستفق على الصين وانى لعلى يقين بانه لو عرف رجالكم كيف يستخدمون
 سياسة بعض الدول في سبيل مصلحة بلادهم لجازوا برغائبهم وتمكنوا من
 تعميم الاصلاح وتعزيز المملكة أيضا حتى اذا خالفت دولة أو دولاً شاطرتها
 فوائد التحالف كما هي الحال في الحائتين الثلاثية والثلاثية

والذي سرني من أقوال المسيوهانوتوان في أوروبا ساسة كثيرين
 يرون رأيه ويقولون اننا اذا اتهمنا اخطه الثبات والحزم ونبذنا اليأس مهما
 عارضنا خصومنا وعملنا الانشاء المدارس وسمينا الي نشر العلوم وادرك
 رجالنا فروضهم على حسب ما تقتضيه المصالح السياسية والمالية — قدرنا
 على تحقيق أماننا الوطنية وانهمضنا شرقنا من كبوتة وحفظنا أملاكنا وكان
 لنا في السياسة شأن ومكانة وتقاتلنا مع الدول كلها أو بعضها فوائد السياسة
 السلمية

رد

على هذا الحديث الاخير*

١

حضرة الفاضل صاحب جريدة المؤيد الغراء

أقلت الي الصدفة نسختين من احدي الجرائد المشهورة في القطر
المصرى جاء فيهما حديث بين صاحب الجريدة ومسيو هانوتو صاحب
الفصول المعروفة في الاسلام .

ولم أشك في ان كثيرا مما جاء في هذا الحديث صادر عن رأي مسيو
هانوتو لانه لا يصدر الا عن عارف مثله بأحوال أوروبا وكثير من أحوال
المشرق . ولهذا رأيت ان حرمانه من حظ النظر فيه وتركه يمر بلا مناقشة
معه في بعض ما تضمنه يعد ظلما له وجورا عليه خصوصا ونسبة القول اليه
مما يدع في أذهان الناس أثرا لا يحسن السكوت عنه

وقد جاء في كلامه ما يدل على انه قد أصيب بشيء من سوء الفهم في
أحوال المسلمين وما انبعثت اليه نفوسهم اليوم . وسوء الفهم منشأ الشقاق

(*) مؤيد يوم الاربعاء ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣١٨ (٢٥ يوليو سنة ١٩٠٠)

والخصام بين اهل المقصد الواحد كما ذكره حضرته في مقال له سابق .
فلا يليق بذئ غيرة على الحق ان لا يوفيه عن الاعتبار ما يستحق . وارجوا
ان يترجم ما كتبه في جريدة المؤيد الفرنسيات وان يرسل الى مسيو هانوتو
ليقف على ما غاب عنه من مقاصدنا وافكارنا .

ان كان المسلمون اليوم ينتفعون بشيء ويمتبرون بمقال لم يكن اتفق
لهم من الاعتبار بما جاء في كلام مسيو هانوتو . فقد ارشدتم الى عيوب
فيهم لا يسعهم انكارها . وهداهم الى مقاصد لطلاب الاستعمار في ديارهم قد
شهوا بالعيان آثارها . وصرح لهم بان الاعتماد على العدالة في معاملة الدول
ضرب من الخيال . وعقد الآمال بانصاف الأمم تلس للمحال . وما على
المهتم بحماية ذماره وطالب الطهر من عاره الا ان يدرك مدرتهم ويعمل
عملهم ليلبغ من الحول حولهم فيفوقهم في القوة او يكون مثلهم فيتعارض
في المنافع معهم معاوضة المالك مع المالك لان يتسلى بالاغليل ويلهو
بالاضاليل ويقنع بالاماني ويكتفي من العمل بالصوت الجمهوري واللفظ
الطلي وهو من روح قاتلة خلى ، حتى اذا دهموه وهو في غفلته واخذوه
في نومه او يقظته بسط يده يلمس الرحمة منهم ويرقب ان يفيض عليه سيد
العدل عنهم : فهذا عمل الجاهل الاحق وهو بالذلة والاستعباد احق .

وهي نصيحة يجب على المسلم قبولها من اجنبي منه وكان يجب عليه
من قبل ان يقبلها من ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقد قال لخالد بن
الوليد حين ارسله ل حرب اليمامة : « حاربهم بمثل ما يحاربونك به السيف
بالسيف والرمح بالرمح » .

ولا يخفي ان كل نزاع فهو حرب وكل منافسة فيما هو عماد الحياة
 فهي جلاذ وكل عمل يأتيه احد المتنافسين للظفر بمنافسه فهو جهاد وكل
 وسيلة تظهره بطلته فهي سلاح وكل تجاذب أو تدافع بينهما فهو كفاح
 وكل منعمة حفظها أو استخلصها منه فهي غنيمة وكل الخذلان عن حق أو
 تقويت لمصلحة فهو هزيمة .

فالظافر في ميدان المنافسة من كان رأيه أسد وقوته أشد وسلاحه
 احد . فاذا قربت القوتان من التكافؤ امكن لمصالح المتنافسين ان تفق وسهل
 على كل منهما ان يرتفق والا استحال الاتفاق واستبد القوي بالارتفاق
 بل صعب على الضعيف ان ينال حق البقاء . سنة الله في عالم الاحياء :
 وقد فصل مسيو هانوتو ما اجمله بمض اساتذتنا في قوله . « العدل
 تكافؤ القوى »

صرح مسيو هانوتو بأن أوروبا بعد ان كانت لا تشتغل الا بما يجري
 فيها اندفعت الى الاستعمار ولا يرد لها عنه الا قوة الامم التي تريد الاستعمار
 فيها وضرب المثل باليابان فانها بما ارتقت في المدنية وما اصلحت من شؤونها
 الداخلية وما اعدت لوقاية ممالكها وحماية مسالكها قد آذنت أوروبا بقوتها
 وحملتها على الاقرار بمسكاتها خمت بلادها ومصالحها من صولتها وامكنها
 برهان القوة ان تؤلف بين منافعها ومنافع الاوروبيين . وهو قول حق وكان
 على المسلم ان يعرفه من قرون وله في كتابه المنزل خير هاد وارشد
 مرشد وكان يسقيه منه آية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فقد دعت
 الآية الكريمة الى الاعداد وطالبته ان يبلغ منه حد المستطاع . ولا حد لما

تستطيعه امة اذا صرفت قواها العقلية والجسدية فيما هيئت له واطلقت له القوة وهي كل ما يقوى به خصم على خصم ويقدر به على حماية نفسه وحوزته من اعتداء معتد أو يستطيع به استخلاص حق من يدمغته . وخير القوى ما حفظ به الحق وعظمت به المنفعة ووقف لهيبته كل من المتنافسين عنده حتى يستقر السلام بينهم وتشمل الطمانينة شؤونهم .

وقد تألفت قوى الامم الاوربية من عناصر هي العلم والادب والتجارة والصناعة والعدل والدين والسلاح . وذكرت الدين في جملة عناصر القوة لان مسيو هانوتو لا ينكر ان اوربا تعتمد على الدين في سياسة الاستعمار وان المرسلين والجمعيات الدينية من اهم الوسائل لديها في اعداد الشعوب الى قبول سلطانها عند سنوح الفرص لسوقه اليها وتهيئة نفوس الامم لاحتمال ما يقضى به ذلك السلطان متى اظلم وفي فتح المغالق التي لا يستطيع السلاح وحده ان يفتحها وتمهيد السبل التي لا يمكن لساعد الجندي وحده ان يمهدها . وهو من الامور المسلمة التي لا يجادل فيها عارف مثل هانوتو فلا حاجة للاطالة في بيانه . غير اني اذكر قصة كنت شاهديتها لاسباس بذكرها في هذا المقام : تعلم أحد ابناء جبل لبنان من بلاد سوريا في بعض مدارس الجمعيات الدينية الفرنسية في تلك البلاد واخذ عن استاذته كثيرا من آدابهم وطالع عددا من مؤلفات كتابهم وامتلا قلبه بحب فرنسا واستقر في ذهنه انها منبع نور العلم والحريية وانها محررة العالم اجمع من رق الاستبداد . ثم استغل بكتب الفلاسفة الفرنسيين ومؤلفات بعض السياسيين فعظم عنده

الاعتقاد بان هذه الامة الجليله انما يهيمها من سياستها ان تنشر المعارف في العالم لتهديب العقول وتكميل النفوس لتربيتها على اصول العقل وحرية الفكرة وراي ان من الزلني عند الحكومة الفرنسية ان يذهب الي باريس ويسالها المعونة على انشاء مدارس في جبل لبنان يبنى التعليم فيها على تلك الاصول السابقة فذهب الي باريس سنة ١٨٨٤ واتصل باحد اذكيا السوربيير الذين طاب لهم المقام في البلاد الفرنسية وطلب منه ان يكون وسيلته في نيل مايرغبه من معونة الحكومة فسمي الذي سميه ثم عاد الي صاحبه وقال له ان ما تخيسته ضرب من الوسواس وان الحكومة الفرنسية وان كانت تطرد الجزويت من بلادها وتنازع الكنيسة في سلطتها لكن سياستها في الخارج دينية محضة . ويمكن ان تعرف ذلك من حمايتها للجزويت واعانتها لهم بالمال والقوة في بلادك . فان كنت تريد انشاء مدارس دينية في بلاد لبنان كان امك في المساعدة قريبا ، والا فارجم واشتغل بما يصلح شأنك الخاص بك فرجع الشاب بالخييه بعد ما اقام مدة صرف فيها ما كان عنده من النقود ولم يجد من يساعده على الرجوع الي بلده الامن رحمه من اصدقائنا اذ ذلك وكان لي حظ في مساعدته كما كنت شاهدا الحديث الذي رويته .

فان لم يسع المسلم بعزم ثابت في تحصيل هذه العناصر التي سبق ذكرها او تقوية ماضف عنده منها وهو مسلم كان مخالفا لكتابه ولقول الصديق رضى الله عنه ومستحقا للوم مسيو هانوتو ولم تتفق له مصلحة مع مصالح الاوربيين الى يوم القيامة . بقي على الكلام مع هذا الوزير في امرين : الاول فيما فهمه من شأن المسلمين في هذه الايام وما يسمونه دعوة الي توحيد

كلمة المسلمين قاطبة وجمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد الامر
الثاني سوء ظن المسلمين بالسياسة الاوروبية بل بالمسيحيين اجمع حتى وصل
فقد الثقة بهم الى ان لا يأمنوا مسيحيا عثمانيا في عمل من اعماله وان اخلص
لهم الخدمة كما سمعه من صاحب هذه الجريدة الناشرة الحديث وغيره :

٢

(إشارة المسلمين اليوم وظهور دعوة فيهم الى توحيد كلمة المسلمين وجمع السلطة
الدينية والسياسية في شخص واحد في جميع البلاد الاسلامية) (*)

أو كد لمسيو هانوتو ان هذه الدعوة لم يوجد لها اثر الى اليوم في
بلد من بلاد المسلمين . ولو خطأ خطوة الى معرفة أحوالهم على ما هي عليه
لما خطر بباله ان يشير الى هذه الدعوة فضلا عن ان يبني عليها حكما . وان
ماعاتق بالاوهام منها فانما منشؤه سوء فهم بعض مسيحي الشرق ثم انعكاس
ذلك في اذهان سياسيي الغرب . وقد يكون لسوء نية بعضهم مدخل في
تعظيم ما نؤمن فيها .

واني اعرض الحقيقة كما هي لا يفساها ستار من تمويه ولا غطاء من
تليدس وارجو ان يكون في هذا البيان ما يقنع مسيو هانوتو بحسن
مقاصد المسلمين اليوم في كلامهم مع الدين وما يرد مثال صاحب الجريدة

(*) مؤيد في يوم الخميس ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣١٨ (٢٦ يوليو سنة ١٩٠٠)

التي نشرت حديثه الي رشدكم حتى يتقوا الله في انفسهم وأهل بلادكم ولا
يتخذ بعضهم من السلم حربا ولا من السكون شغبا .

لانكر ان طائفا من الدين طاف في هذه السنين الاخيرة بمقول
بعض المسلمين في اقطار مختلفة من الارض وان اسمة من نفس الرحمن
مرت بانفس قليل من اهل الفضل فيهم فحركت ساكنهم وأثارت همهم الي
النظر فيما كان عليه اهل هذا الدين وفيما صاروا اليه . وان منهم من يتكلم
بما يرى اذا وجد سبيلا الى الكلام . ومنهم من ينشر رأيه في كتاب أو جريدة
اذا تهيات له الوسائل لذلك : ثم يوجد مقلدون لهؤلاء يقولون ما لا يعلمون
ويهرفون بما لا يعرفون . ولا كلام لنا في هنر المقلدين وانما كلامنا فيما يري
اليه غرض أولئك الناظرين .

ظهر الاسلام لاروحيا مجردا ولا جسديا جامدا بل انسانيا وسطا بين
ذلك . أخذ من كل القبيلين بنصيب فتوفر له من ملامحة الفطرة البشرية
ما لم يتوفر لغيره . ولذلك سمي نفسه دين الفطرة وعرف له ذلك خصومه
اليوم وعدوه المدرسة الاولى التي برقي فيها البرارة على سلم المدينة . ثم لم
يكن من أصوله « ان يدع مال قيصر لقيصر بل كان من شأنه ان يحاسب
قيصر على ماله وياخذ على يده في عمله :

جاء هذا الدين على الوجه الذي ذكرنا فهدي ضالا وألان قاسيا وهذب
خشنا وعلم جاهلا ونبه خاملا وأثار الي العمل كسلا واقدر عليه وكلا واصلاح
من الخلق فاسدا وروج من الفضيلة كاسدا : ثم جمع متفرقا ورأب متصدعا
وأصلح مختلا ومحظما وأقام عدلا وجدد شرعا ومكن للامم التي

دخلت فيه نظاما امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه . فكان الدين بذلك عند أهله كجلا للشخص وألفة في البيت ونظاما للملك وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شؤونهم ولم يفت العلم حظها من عنايته بل كان قائده في جميع وجوه سيره .

فإن شاء قائل أن يقول أن الدين لم يعلمهم التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة في البيت لم يسعه أن ينكر أنه أوجب عليهم السعي إلى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية وأوجب عليهم أن يحسنوا فيه وأباح لهم الملك وفرض عليهم أن يحسنوا الملكة .

وما ظنك بدين يقول خليفته الثاني وهو في مدينة يترب من بلاد العرب . « لو أن سخلة بوادي الفرات أخذها الذئب لسئل عنها عمر » - ويقول خليفته الرابع . « أأنفع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو كون لهم أسوة في جشوبة العيش ؟ - أي خشوته - » يريد بذلك أن يساوي المساكين في العيش ليكون قدوة الاغنياء في الاحسان وأسوة الفقراء في حسن الصبر .

هكذا كان الاسلام مهمازا للمسلمين يحثهم إلى جلائل الاعمال ومصباحا لبصائرهم يسترشدون به في استعراف الاحوال وتقويم الافكار وعاطفيا يعطف قلوبهم على الائم بالعمو والرحمة وحسن المعاملة حتى رضيتهم الارض سادة لها وقادة لسكانها وكان من أمرهم وأمره ما هو معلوم .

أفبعد هذا يعجب عاقل اذ رأى المسلم يرضى ما رضىه هذا المرشد الحكيم ويمقت ما مقته ؟ أبدعته أن يري المسلم يهزأ بكل ما لم يفتقده

سائغا في دينه وان كان فيه ملك الارض أو ملكوت السموات بعد أن شهد
من أثر نعمة الله عليه في هذا الدين ما شهد؟ لا عجب في ذلك فإنه نتيجة
ضرورية ينساق اليها الامر بنفسه بحكم سنة الله في خلقه .

وأسفة لم يبق للمسلم من الدين الا هذه الثقة فيه . اما الدين نفسه
فقد انقلب في عقل المسلم وضعه وتغير في مداركه طبعه وتبدلت في فهمه
« حقيقته وانظمت في نظره طريقته وحق فيه قول على كرم الله وجهه
« ان هؤلاء القوم قد لبسوا الدين كما يلبس القرو مقلوبا » —

لأبحث الآن في الاسباب التي وصلت بالدين في نفس المسلم الى ما
ذكرت ، ولكني أقول ولا أخشى منكر الما أقول . قد دخل على المسلم
في دينه ما ليس منه وأسرب في عقائده من حيث لا يشعر مالا يتصل باصلها
بل ما يهدم قواعدها ويأني على أساسها .

عرضت البدع في العقائد والاعمال وحات محل الاعتقاد الصحيح وأخذت
مكان الشرع القويم وظهرت آثارها في أعماله وعم شؤونها جميع أحواله .

ان صح لفظ الحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه »
ولم يصح فالقرآن يؤيد معناه وعمل الأولين من المسلمين يحقق صحة ما حواه :
فالرجل والمرأة سواء في الخطاب التكليفي ، وكانا سواء في علم ما يجب عليهما
من فرائض الاسلام وخصال الايمان وفي طلب العلم بما يلزم لصالح
معادهما ومعاشهما وبما تحسن به المعاملة مع من يتصل بهما قرب أو بعد على
تفصيل معروف في كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصالحين من بعده ، حتى لم
يبق باب من أبواب العلم الا دخل منه بقدر الاستطاعة وما يسمح به الزمان .

ضل المسلم بعد ذلك في طلب العلم فظن الرجل ان غاية ما يفرضه الدين منه معرفة فرائض الوضوء والصلاة والصوم في صورة ادائها. اما ما يتعلق بسر الاخلاص فيها ووسيلة قبولها عند الله فذلك مما لا يختر له بيال الا القليل النادر. وأما آداب الدين وتمهيد الروح واستكمال الخصال الجلية مما جعله الاسلام غاية العبادات وثمره الاعمال الصالحات فهو مع انه أهم علوم الدين مما لا تتوجه اليه عزيمة ولا تنصرف نحوه ارادة: اللهم الا من أشخاص قلائل منشورين في أطراف الارض لا نرقى بهم أمة ولا تسموا بهم كلمة.

اما من ينقطعون لطلب العلوم ليحصلوا جملة منها فقد انقسموا الي قريتين: الاول من يظن انه وارث علوم الدين ولقائم بحفظها وقد قل أفراده في معظم البلاد الاسلامية ولم يبق منه الا رسوم لا يكاد يدركها نظر الناظر. والمشتغلون منهم في بعض البلاد كصر والاستانة فانما حفظ الذكي منهم ان ينظر في كتب مخصوصة عينها له الزمان وضعف العرفان ويفهمها بمعنى أن يثق بان هذا اللفظ دال على ذلك المعنى. ومتى تم له ذلك فقد استكمل العلم سواء سلم عقله ودينه وأدبه بعد ذلك أم لم يسلم.

فكان مثله مثل من ورث سلاحا فكان همه ان ينظر اليه ويملا عينيه منه ولا يمد يده اليه ليستعمله او يزيل الصدأ عنه فلا يلبث ان يأكله الصدأ ويفسده الخبث. ويزعمون ان الدين يصد عما وراء ما عرفوا من العلوم النافعة. ومن رأى هؤلاء ان لاشأن لهم مع العامة ولا يجب عليهم أن يأمروا بمعروف ولا ان ينهوا عن منكر. وقد ارتبكوا بذلك خطافي فهم

دينهم لا يساويه في سوء عاقبته خطأ. وللكثير منهم بل للاغلب من سوء
القهرم في الدين مالا حاجة الى عده.

ولا يخفى ان ما يحصله هذا الفريق من العلم لا يظهر له أدنى أثر في
صلاح الامة كما هو مشهود.

والفريق الثاني من بهيته أولياؤه لنيل منصب من مناصب الحكومة
عال أو سافل. وأفراد هذا الفريق ان كثروا أو قلوا يحصلون مبادئ العلوم
المعروفة بالعلوم العصرية ثم يحصل كل واحد منهم ما به ينال المنصب الذي
اعده له والده: على ان ما يحصل اما لفظ. يحفظ أو خيال يخزن والمدار على
الوصول الى ورة الشهادة:

ومن هؤلاء من يذهبون الى اوروبا لاستكمال التربية فيها ولا غاية
لهم سوى هذه الغاية: فمن اصاب منهم بعد ذلك وظيفة فنع بها وقصر
همه على العمل فيها: ومن لم يجد وقف على الابواب ينتظرها فاذا مل الانتظار
او انقضى زمن العمل وجسده في قهوة او ملهى يسرف في اوقاته ويفسد
في ادواته: والصالحون منهم— وقليل ما هم— لا يهتمهم شان العامة شقيت
او سمعت هلكت او قامت. فاي ثر لما تعلمه هؤلاء يظهر في الامة
استثنى منهم شواذا في كل بلد على ضعفهم يرجى ان ينموا عددهم وتجنى الامم
تحمار اعمالهم. هذا شان الرجال مع العلم:

اما النساء فقد ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن او
دنياهن بستار لا يدري متى يرفع: ولا يخاطر بالبال ان يعلمن عقيدة او
يؤدين فريضة سوي الصوم. وما يحافظن عليه من العفة فانما هو بحكم

العادة وحارس الحياء أو قليل جدا من موروث الاعتقاد بالحلال والحرام .
وحشوا أذهانهم الخرافات وملاك أحاديثهن الترهات . اللهم الا قليلا منهم
لا يستفرق الدقيقة عدهن :

وكل من الرجال والنساء يعد نفسه مسلما بعد ما بالجنة و يمنى بالسعادة !
أخطأ المسلم في فهم معنى التوكل والتقدم الى الكسل وقصد عن العمل
و وكل الامر الى الحوادث تصرفه حيثما تهب ريحها و يظن أنه بذلك يرضى
ر به ويوافق رغائب دينه .

أخطأ المسلم في فهم ما ورد في دينه من ان المسلمين خير الامم وأن العزة
والقوة مقرونتان بدينهم أبدالدهر . فظن ان الخير ملازم لعنوان المسلم وان
رفعة الشأن تابعة للفظه وان لم يتحقق شيء من معناه ، وان الله كفيل بنصره
بدون عمل للعبد في الدفاع عنه . فان اصابته مصيبة أو حلت به رزية تسلى
بالقضاء وانتظر ما يأتي به الغيب بدون أن يتخذ وسيلة لدفع الطارئ او ينهض
الى عمل لتلافي ما عرض من خلل أو مدافعة الحادث الجلل مخالفا في ذلك
كتاب الله وسنة نبيه .

أخطأ المسلم في فهم معنى الطاعة لاولي الامر والانقياد لاوامرهم
فالتي مقاليدهم الى الحاكم و وكل اليه التصرف في شؤونهم ثم أدبر عنه حتى
ظن ان الحكومة يمكنها القيام بشؤونهم جميعها من ادارة وسياسة بدون
ان يكون لها منه عون سوى الضريبة التي تفرضها عليه . ومن رأى حزن
الآباء اذا طلب أبناءهم لاداء الخدمة العسكرية . وما يبذلونه من السعي
في تخليصهم منها حكم بان ما يعقله أكثر المسلمين من معنى الحكومة لا

يكن انطباقه على شيء من اوليات العقل وعرف ان ثقتهم بالحكام قد بلغت حد التاليه من حيث ظنوه قادراً على كل شيء بدون عون من أحد ، وانقلبت تلك الثقة الى الادبار والتخلي عنهم من حيث انهم تركوه وشانه لا يساعدونه في حادث ولا يمينونه في أمر مهم ، اللهم الا اذا ارغموا على ذلك . ومن ذا الذي يحسن عملاً اذا الجيء اليه بالرغم عنه ؟ ومن هذا انصرف المسلم عن النظر في الامور العامة جملة وضعف شعوره بحسنها وقيبحها : اللهم الا ما عس شخصه منها :

أما الحكماء — وقد كانوا أقدر الناس على انتشار الامة مما سقطت فيه — فاصابهم من الجهل بما فرض عليهم في أداء وظائفهم ما أصاب الجمهور الاعظم من العامة . ولم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الابدان لاهوائهم ، واذلال النفوس لخشونة سلطانهم وابتزاز الاموال لانفاقها في ارضاء شهواتهم ، لا يراعون في ذلك عدلاً ولا يستشيرون كتاباً ولا يتبعون سنة حتى أفسدوا أخلاق الكفاة بما حملوها على النفاق والكذب والفش والافتداء بهم في الظلم وما يتبع ذلك من الخصال التي ماقت في أمة الا حل بها العذاب .

هذا كله الى ما حدث من بدع أخري في مذاهب شتى في العقائد وطرق متخالفة في السلوك وآراء متناقضة في الشرائع وتقليد أعمى في جميع ذلك ، فتفرقت المشارب وتوزعت المنازع وعظم سلطان الهوى على أرباب النزعات المختلفة . كل يجذب الي نفسه لا ينظر الي حق ولا يفزع من باطل ، وانما همه ان يظهر بخصمه وذلك الخصم هو ما يدعوه أخاله

في الاسلام في معرض التشديق بالكلام :

وزد على ذلك وهذا اكبر بدعة عرضت على نفوس المسلمين في
اعتقادهم وهي بدعة الياس من انفسهم ودينهم وظنهم ان فساد العامة لا دواء
له وان ما نزل بهم من الضر لا كاشف له وانه لا يمر عليهم يوم الا والثاني شر
منه . مرض سري في نفوسهم وعلة تمكنت من قلوبهم لتركهم المقطوع به
من كتاب ربهم وسنة نبيهم وتعلقهم بما لم يصح من الاخبار أو خطيئهم في
فهم ما صح منها وتلك علة من أشد العائل فتكا بالارواح والعقول وكفى في
شناعتها قوله جل شاناه . « انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون . »
تبع هذه البدع جميعها وأخرى يطول ذكرها هزال في الهمم وضعفة
في العزائم وتناقض في الآراء واضطراب في العقول وفساد في الاعمال
يبتدىء من انبيت وينتهي الي الامة ويمر في كل طبقة ويجول في كل دائرة
خصوصا من دوائر الحكومات . وما يرمي به المسلمون من التعصب الديني
الاعمى فانما عرض على أقوام في بعض البلاد الاسلامية تبعاً لهذه البدع
الضالة علي اني لأسلم انهم بلغوا فيه ادنى درجاته في الامم المسيحية شرفيه
كانت أو غريبة والتاريخ شاهد لا يكذب .

هذا ما أصاب المسلمين في عقولهم وعزائمهم وأعمالهم بسبب ابتداعهم
في دينهم وخطيئهم في فهم اصوله وجهلهم بادني أبوابه وفصوله . لهذا سلب
الله عليهم من يسلبهم نعمة لم يقوموا بشكرها وينزل بهم من عقوبة الكفر ان
مالا قبل لهم بدفعه الا اذا تداركهم بلطفه . وقد ابتلاهم بمن يلصق بدينهم

كل عيب ويقرنه اذا ذكره بما يتبرأ منه ويعدده حجبا بين الامم والمدنية بل
يعدده مبنع شقاتهم وسبب فنائهم .

تنبه لذلك أفراد من عقلاء المسلمين في اواسط القرن الماضي من سنى
الهجرة في اقطار مختلفة من بلاد فارس والهند وبلاد العرب ثم في مصر ،
وكل منهم بحث في الداء وقدّر له الدواء بحسب فهمه على تقارب بينهم ولعلمهم
يلتقون يوما من الايام عند الغاية ان شاء الله .

مقصد الجميع ينحصر في استعمال ثقة المسلم بدينه في توثيم شؤونه .
ويمكن ان يقال ان الغرض الذي يرمى اليه جميعهم انما هو تصحيح الاعتقاد
وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين ، حتى اذا سلمت العقائد
من البدع تبعها سلامة الاعمال من الخلل والاضطراب واستقامت احوال
الافراد واستنارت بصائرهم بالعلوم الحقيقية دينية ودينية وتهذيب اخلاقهم
بالملكات السليمة وسرى الصلاح منهم الى الامة .

فاذا سمعت داعيا يدعو الى العلم بالدين فهذا مقصده ، أو ناديا يحث
على التربية الدينية فهذا غرضه ، أو صائحا ينكر ما عليه المسلمون من المفساد
فتلك غايته .

وهذه سبيل لمريد الاصلاح في المسلمين لامندوحة عنها . فان لايتأمنهم
من طرق الادب والحكمة العاربية عن صبغة الدين بموجه الى انشاء بناء جديد
ليس عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا .

وإذا كان الدين كافلا بتهديب الاخلاق وصلاح الاعمال وجمل

النفوس على طلب السعادة من أبوابها ولا هله من الثقة به ما بيناه وهو حاضر لديهم
والعناء في ارجاعهم اليه أخف من احداث مالا المالم لهم به ، فلم العدول
عنه الى غيره ؟

لم يخطر ببال أحد ممن يدعو الى الرجعة الى الدين سواء في مصر أو غيرها
أن يشير فتنه على الاوروبيين أو غيرهم من الامم المجاورة للمسلمين . غير ان بعض
المسيحيين اذ سمع قولاً في الدين أعرض عن فهمه وانشأ لنفسه غولاً من خياله
وأخذ يخاف منه ويخشى غائلته ثم يسميه باسم الدين . و بعضهم يظن انه لو اتقته
المسلمون الي شؤونهم ورجعوا الى الاخذ بالصحيح من دينهم لاعتصموا
بجامعتهم واستعانوا على تقويم أمورهم بأنفسهم واستغنوا عن أدخلوه في أعمالهم
من غيرهم فيحرم الكثير من المسيحيين تلك المنافع التي نالوها بفطنتهم . وهو
سوء ظن من الزاعم بنفسه فانه يظنه هذا يعتقد انه غاش مغرر وسالب متلصص ،
وسوء ظن بالمسلمين أيضاً فان أهل الوطن الواحد لا يستغنى بعضهم عن
بعض مهما ارتقت معارفهم وعظم اقتدارهم على الاعمال . وعاية الامرات
ما كان ينال اليوم بدون حق يصبح وهو لا ينال الا بحق ، والا جنبي الذي كان ينفق
الواحد ويربح المائة يرجع الى الاعتدال في الكسب ويحتاج الى شيء من
التعب في استدرار الربح .

وقد كان المسيحيون عاملين في الدول الاسلامية وهي في عنفوان قوتها
والاجانب يطلبون الكسب في ارجائها وهي في أرفع مقام من عزتها .

نعم يعرض في طريق الدعوة الى الدين هذا الوجه أن يلتبس مسلم
بمصر معونة من مسلم بسوريا أو بالهند أو بالعجم أو بأفغانستان أو بغير

هذه الاقطار لان مرض الجميع واحد وهو البدعة في الدين . فاذا نجح الدواء في موضع كان السليم اسوة للمريض في موضع آخر . أما السعي في توحيد كلمة المسلمين وهم كما هم فلم يمر بعقل أحد منهم ، ولو دعا اليه داع لكان أجدر به أن يرسل الى مستشفى المجانين .

يكثر بعض أرباب الاقلام من المسلمين في حكمة الحجج ويقول انه صلة بين المسلمين في جميع أقطار الارض ومن أفضل الوسائل للتعارف بينهم فعليهم أن يستفيدوا منه . وهو كلام حق ، لكن لا ينبغي أن يفهم على غير وجهه . فان الفرض منه أن يذكر المسلمون ما بينهم من جامعة الدين حتى يستعين بعضهم ببعض على اصلاح ما فسد من عقائدهم أو اختل من أعمالهم وفي مدافعة ما ينزل بهم من قحط أو ظلم أو بلاء : وهذا أمر مهود عند جميع الامم التي تدين بدين واحد خصوصاً عند الاوروبيين .

يكثر المسلمون اليوم من ذكر الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد ويعلقون آمالهم به ، وكثير منهم يدعو الي عقد الولاة له . وهذا أمر لا ينبغي ان يدهش أحداً فان هذه الدولة هي أكبر دول الاسلام اليوم وسلطانها أفخم سلاطينهم ومنه يرتجي انقاذ ما بين يديه من المسلمين مما حل بهم ، وهو أقدر الناس على اصلاح شؤونهم وعلى مساعدة الداعين الي تمحيص العقائد وتهذيب الاخلاق بالرجوع الى أصول الدين الطاهرة النقية :

فأى شيء في هذا يزعج أوروبا حتى تتحد على هضم حقوق المسلمين اذا حدثت حوادث مثل الحوادث الماضية كما يقوله مسيو هانوتو ؟
بقي الكلام في جمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد .

يقول فيه مسيو هانوتو ان اورويا لم تقدم الا بعد ان فصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية . وهو كلام صحيح ، ولكن لم يدر ما معني جمع السلطين في شخص عند المسلمين .

لم يعرف المسلمون في عصر من الاعصر تلك السلطة الدينية التي كانت للبابا على الامم المسيحية عندما كان يعزل الملوك ويحرم الامراء ويقرر الضرائب على الممالك ويضع لها القوانين الالهية :

وقد قررت الشريعة الاسلامية حقوقا للحاكم الاعلى وهو الخليفة أو السلطان ليست للقاضي صاحب السلطة الدينية . وانما السلطان مدير البلاد بالسياسة الداخلية والمدافع عنها بالحرب أو السياسة الخارجية : وأهل الدين قائمون بوظائفهم وليس له عليهم الا التولية والعزل ولا لهم عليه الا تنفيذ الاحكام بعد الحكم ورفع المظالم ان امكن :

وهذه الدولة العثمانية قد وضعت في بلادها قوانين مدنية وشرعت نظاما لطريقة الحكم وعدد الحكام وملهم وسبحت باز يكون في محاكمها اعضاء من المسيحيين وغيرهم من الملل التي تحت رعايتها .

وكذلك حكومه مصر أنشئت فيها محاكم مختلطة ومحكم اهليه بامر الحاكم السياسي وشأن هذه المحاكم وقوانينها معلوم ولا دخل لشيء من ذلك في الدين : فالسلطة المدنية هي صاحبة السكامة الاولي كما يطالب مسيو هانوتو ، ولكن مع ذلك لم يظهر تفهما في صلاح حال المسلمين بل كان الامر معكوسا . فان امراءنا السابقين لو اعتبروا أنفسهم أمراء الدين لما استطاعوا المجاهرة بمخالفته في ارتكاب المظالم والمغالاة في وضع المفارم

والمبالغة في التبذير الذي جر الويل على بلاد المسلمين وأعدمها أعز شيء كان لديها
وهو الاستقلال .

ان فرنسا تسمي نفسها حامية الكاثوليك في المشرق ، وملكة انكلترا
تلقب نفسها بملكة البروتستانت ، وقيصر الروسيا ملك ورئيس كنيسة معاً :
فلم لا يسمح للسلطان عبد الحميد أن يلقب بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين !

لا أظن ان مسيو هانوتو يسى الظن بدعوة دينيه على الوجه الذي
يبناه ، وأظنه يكون عوناً للمسلمين على تمضيدها في البلاد الاسلامية
الفرنساوية اذا وجد فيها من يقوم بها . وأنا أضمن له بعد ذلك أن تتفق مصالح
المسلمين مع مصالح الفرنسيين . فان المسلمين اذا تهذبت أخلاقهم بالدين
سابقوا الاوربيين في اكتساب العلوم وتحصيل المعارف ولحقوا بهم في
التمدن وعند ذلك يسهل الاتحاق معهم ان شاء الله .

٣

سوء ظن المسلمين بسياسة أوروبا كلها. وعدم ثقة سياسيينهم بدولة من الدول واعتقاد المسلمين بأن مصالحة أوروبا بالمسيحية تخالف مصالحهم الإسلامية وعدم اطمئنانهم إلى سياسة الدول المسيحية حتى أدى بهم فقدان الثقة بالمسيحيين إلى أن لا يأمنوا مسيحيًا عثمانيا ولو اخلص لهم الخدمة وصدق معهم (*).

سمع بذلك كله إلى مسيو هانوتو من صاحب الجريدة المعروفة ومن بعض الثمانيين في الإستانة وباريس ثم أخذ يبرهن على أن سياسة أوروبا اقتصادية ملكية لا دينية لاهوتية.

لا أدري من هم المسلمون الذين وصفهم مسيو هانوتو ومن أبلغه أخبارهم. أهم الهنود — وهم في حكم دولة أجنبية ولا تزال نزي في خطبهم وجرائدهم ما يدل على طاعتهم لحكامهم وتعليقهم الآمال بعدلهم والتمس الحق من طرفه: هل هم مسلمو روسيا — وثقتهم بحكومتهم وثقة حكومتهم بهم لا تخفى على أحد حتى أن دولة روسيا تفضلهم على المسيحيين من غير المذهب الأرثوذكسي.

(* مؤيد في يوم السبت غرة ربيع الثاني سنة ١٣١٨ (٢٨ يوليو سنة ١٩٠٠)

هل هم الافغانيون — واخلاص أميرهم في مصافاة الانكليز اشهر من ان نذكر ولا ينفي اخلاصه حرصه على بلاده ومحافظة على مصلحتها .
 هل هم الفرس — واستنابتهم الي السياسة الروسية لا يجملها أحد .
 هل هم المراكشيون — وهم بمنزل عن كل ما يسمي سياسة بل هم في غفلة عن الدين والدنيا جميعا . شغل بعضهم ببعض فلا ينفكون يتقاتلون ويتسالبون حتى يقضى الله فيهم بقضائه .

هل هم التونسيون — وقد أثنى عليهم مسيو هانوتو بما هم أهله وثبت له ارتياحهم الي السلاطة الفرنسية بمجرد ما اطلقت لهم الحرية الدينية .
 لعله لم يقصد الا العثمانيين كما يدل عليه بقية كلامه وكما يفيد قوله « ان لا يأتمنو مسيحيًا عثمانيا » والعمانيون منهم المصريون ومنهم غيرهم .

فاما المصريون فلا شيء عندهم يدل على عدم الثقة بالاوروبيين وبالمسيحيين العثمانيين فانهم يشاركون في العمل مواطنيهم من الاقباط في جميع مصالح الحكومة ماعدا المحاكم الشرعية الخاصة بالمسلمين وهم مهم على غاية الوفاق خصوصاً أهل الاخلاص وسلامة النية منهم . ولكل من الفريقين اصدقاء واحبة في الفريق الاخر . ثم شأنهم هو ذلك الشأن مع سائر الطوائف المسيحية الا من ظهر منهم بالتعصب الديني البارد وآذاهم في دينهم أو في منافعهم الخاصة بهم لاشيء سوى التعصب الاعمى :

ولا نطلب على ذلك شاهداً أقرب من صاحب الجريدة الذي يجادته مسيو هانوتو : فانه بعد ان كان على المسلمين اثناء الحرب الروسية العثمانية وبعد ان أتى ما أتى عقب الحوادث العرايية شهد المسلمون بانه صديقهم

والساعي في خيرهم كما افتخر بذلك مرارا في جريدته وان كانت له اليهم هنات لا تزال تبدو من فيه الي وقت ذلك الحديث. فأين فقد هذه الثقة بالعثمانيين المسيحيين في مصر؟ هل طرد أحد من خدمة الحكومة لانه مسيحي عثماني؟ هل حرم أحد حق المحاماة وانشاء الجرائد أو المطابع أو اقامة المصانع أو تأسيس البيوت التجارية لانه مسيحي عثماني؟ فليات صاحبنا يشاهد واحد.

أما حالهم مع الاوروبيين فانا نراهم اذا حسوا بعدل من انكليزي ذكروه او وصل اليهم معروف من أي عامل أوروبي شكروه. بل أزيدك على هذا ان المستفيث منهم بالحكومة يطلب منها أن يتولى تحقيق مظلمته انكليزي كما شوهد ذلك كثيرا في شكاياتهم. وليس بقليل من يعرف شكواه على جناب اللورد كرومر وهو ليس بما كمرسي. فاي دليل على الثقة أكثر من هذا ليس بقليل في مصر من يثق بالفرنساويين ومن له بينهم أصدقاء يركن اليهم ويعتد بولايتهم. ومسيو هانوتو وصاحب الجريدة الذي بحادثه يعرفان ذلك.

كثيرا ما أغرى الاوروبيون من فرنساويين وأمريكيين من أرباب المدارس في مصر شبانا من المسلمين بالمروق من دينهم والدخول في الديانة المسيحية وفروا ببعضهم من القطر المصري الى البلاد الاجنبية وأحرقوا بذلك كبد والديه. ومع ذلك لا تزال نزي المسلمين يرسلون أولادهم الى مدارسهم وناظر المعارف عندنا وزير مسلم وأولاده يتربون في مدارس البلوزيت. وكثير من أبناء الاعيان المسلمين في مدارس الفرير. فاي

اتجار يفوق هذا الائتمان

زادت ثقة المصريين من المسلمين بالاوروبيين خصوصاً في المعاملات حتى أساء أولئك الاوروبيون استعمالها وانتهزوا فرصتها وسلبوا كثيراً من أهل الثروة ما كان بأيديهم ومع ذلك فهم لا يزالون يامنون ويقولون في الاستقامة اليهم ويقلدونهم حتى فيما يخالف دينهم وعوائدهم . فهاذا يطلب من الثقة فوق هذا

هل يشكو عقلاء المسلمين في مصر من شيء مثل ما يشكون من الثقة العمياء بالاجنبي من غير تمييز فيما هو عليه من اخلاص أو غش ، من صدق أو كذب ، من أمانة أو خيانة ، من قناعة أو طمع حتى آل الامر بالناس الي ما آلاوا اليه من خسارة المال وسوء الحال

فهل هذا هو فقد الثقة بالاوروبيين والعثمانيين المسيحيين الذي يعينه حضرة صاحب الجريدة وجناب مسيو هانوتو

وأما العثمانيون من غير المصريين فاذا ارتقمنا الى الدولة وسلطاننا أيده الله وجدنا ان نظام الدولة قاض باستعمال المسيحيين في اداراتها ومحاكمها في كل بلد فيه مسيحيون . والمأمورون من المسيحيين ينالون من النياشين والرتب ما يناله المسلمون على نسبة عددهم أو فوق ذلك : وكثير من المسيحيين نالوا من الامتيازات والمنافع في الدولة ما لم ينله مسلم . وسفارات الدولة ومناصبها العالية لا تختار من المسيحيين .

اتبع السلطان على رؤساء الطوائف المسيحية وانعامه عليهم بوسامات الشرف واختصاصه لبعضهم بشرف المشول في حضرته والاحسان اليه

يريق اطبة لا تنقطع ذكره من الجرائد .

صاحب الجريدة التي نقلت الحديث امثل شاهد على مثل ذلك . فقد جاهر زمنا ليس بالقصير بما لا ترضى الدولة بمثله ولا بأقل منه من مسلم ثم سهل عليه وهو مسيحي أن يكون موضع ثقة للجناب السلطاني حتى ادناه منه وقبله في مجلسه وسمع منه امير المؤمنين تلك النصيحة المفيدة التي نشرها في جريدته من نحو شهرين اثر هبوبة لنصرة مسيو هانوتو ثم والي عليه احسانه بالرتب والنياشين وغيرها . فهاهي الثقة ان كان هذا فقدانها .

أما سياسية الدولة الخارجية فالفرنساويون يشكون من مضافة السلطان وثقته بدولة المانيا وهي دولة مسيحية ، ولا اظنهم يشكون من ثقة اخري بدولة اسلامية . وكانت للدولة ثقة لا تنزعع بالسياسة الانكليزية ثم حدثت حوادث أهمها نشا من ضعف سياسة مستر غلادستون فاعقبها اضطراب في تلك الثقة مدة من الزمان بحكم الضرورة ثم انا نراها اليوم تراجع . وفي رجال الدولة من لهم ثقة بصداقة روسيا ويودون لومالت اليها سياسة الدولة وهم مسلمون .

والذي أحب أن يعرفه مسيو هانوتو ان سياسة الدولة العثمانية مع الدول الاوربية ليست بسياسة دينية ولم تكن قط دينية من يوم نشأتها الى اليوم ، وانما كانت في سابق الايام دولة فتح وغلبة وفي آخرياتها دولة سياسية ومدافعة ولا دخل للدين في شيء في معاملاتها مع الامم الاوربية :

امبراطور المانيا جاء الى سوريا للاحتفال بفتح كنيسة فيالغ السلطان في الاحتفال به الى الحد الذي اشتهر وبهر .

يجيء الامراء المسيحيون من الاوروبيين الى الاستانة فيلاقون من الاحتمال مالا يلاقونه في بلاد مسيحية وينفق في تعظيم شأنهم من المال ما المسلمون في حاجة اليه . أليس ذلك لمجاملتهم واكتساب مودتهم؟ وهل بعد المودة الا الثقة بصاحب المودة؟

كان يمكن للسلطان ان يكتفى بالرسميات ولايزيد عليها . ولكن عهد في معاملته مايفوق الرسمي بدرجات . فان سلمنا أن سياسة اوروبا ليست بدينية من جميع وجوهها فسياسة الدولة العثمانية مع اوروبا هي كذلك ومسلوها تبع لها

فان قال قائل ان حوادث الارمن لم تزل في ذاكرة أهل الوقت وينسبون وقائعها الى التعصب الديني بل يقولون ان أسبابها مظالم جر اليها ذلك التعصب الديني . امكن ان يجاب بان العداوة مع طائفة مخصوصة لا تدل على فقد الثقة بكل مسيحي منها ومن غيرها . ومع ذلك فان كثير آمن الارمن في خدمة الي اليوم وهم بذلك موضع ثقته . وهذا وذاك يدل على الريب فيما يزعمون من أن منشأ تلك الوقائع التعصب الديني فان المسيحيين سوام في الممالك العثمانية أنهم حالا من المسلمين كما شاهدناه بأنفسنا .

ولو انصف الاوروبيون لا يمكنهم فهم أسباب هذا الاضطراب الذي يظهر زمننا بعد زمن في تلك الاقطار ولسهل عليهم ان يعرفوا أن منبعه في اوروبا لا في آسيا .

لايفت على أن أقول ان المسيحيين في الممالك العثمانية متمتعون بنوع

من الحرية في التعليم والتربية وسائر وجوه الخير تمنى المسلمون أن يساووهم فيه : فهل هذا عنوان سوء الظن بالمسيحيين او عدم الثقة بهم ؟

لا يليق بكاتب مثل صاحب تلك الجريدة أن يروي عن المسلمين كافه مثل مارواه : فان ذلك مما يحزن المسلمين والمسيحيين جميعا ، واني أعتقد انه عند الكلام على المسلمين لم يكن في ذهنه الا بعض أشخاص لم تعجبه آراؤهم فيه فاستحضر في صورهم جميع المسلمين وسياسيهم .

ليعلم مسيوها ناتو ان جميع ما يقال له أو يكتبه بعض العثمانيين لا حقيقة له الا في ذهن القائل . أو الكاتب فلا ينبغي ان يعول على مثله في احكامه وعليه ان يحقق الامر بنفسه ان كان يهمه ان يتكلم فيه

واما ان المسلمين أخذوا عليه فيما كتب عن الاسلام مع انه خدمهم وقوله « فكيف بحالم مع من لم يخدمهم » فتبين له الوجه فيه لينزل عنه ما سبق الى فهمه .

لو اقتصر على الكلام في السياسة وبمحت في علاقة المسلمين مع حكومته ولم يسط على الدين نفسه في أصلين من أهم أصوله لما أخذ عليه أحد الا من ينتقد رأيه من جهة ما هو صحيح أو غير صحيح . ولكنه لم يكتف بذلك وطعن في عقيدة التوحيد وبين رداءة اثرها في المسلمين واستل سلاحه على عقيدة القدر وبين سوء ما جرت اليهم فيهم ، وهو بذلك يثبت ان المسلمين لا يزالون منحطين ماداموا مسلمين وهو ما لا يرضاه أحد منهم .

لو مال على المسلمين فياهم عليه اليوم وفي انحرافهم عن اصول دينهم

واكتفي بتعريفهم على اهمالهم لشؤونهم وغفلتهم عن مصالحهم كما جاء في حديثه الذي نحن بصدده لما وجد من المسلمين الامتبرا بقوله متعظا بنصيحته والسلام . اه

دين الاسلام

اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد اقيم على أساس من الحكمة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين . ذلك ان عروج الامم على معارج الحق الاعلى وتدرج الشعوب في مدارج العلم الاجلي وصعود الاجيال على مراقى الفضائل واشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق ونيلمهم للسعادة الحقيقية في الدارين — كل ذلك مشروط بامور لا يتم الا بها .

الامور التي تتم بها سعادة الامم

الاول — صفاء القلوب من كدر الخرافات وصدل الاوهام . فان عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجابا كثيفا يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمتعه من كشف نفس الامر ، بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن

* انظر رسالة ابطال مذمت الدهرين للعلامة الطيب الذكر الاستاذ السيد جمال الدين الافغانى وتطلب من دار الترقى بسبعة قروش غير البريد

الحركة الفكرية وتدعوه بمد ذلك ان يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق وفوق ذلك ما تجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفرع مما لا يفرع ترى الواهم المسكين يقضى حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح وينزعج لقصف الرعد والتماع البرق ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له في الاخافة وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة ثم يكون العوبة في أيدي المحتملين وصيداً في حبال الماكربين والدجالين :

وأول ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد وطيرها من لوث الاوهام : فمن اهم اصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصرف الالكوان ، متوحد في خلق القواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن في انسان أو جاد علويًا كان أو سفليًا بأن له في السكون اثرًا بنفع أو ضرر أو اعطاء أو منع أو اعزاز أو اذلال . ومن المفروض خلع كل عقيدة بان الله جل شانہ ظهر أو يظهر بلباس البشر أو حيوان آخر لصالح أو فساد ، أو ان تلك الذات المقدسه نالت في بعض اطوارها شديد الآلام وأليم الاسقام لمصاحبة أحد من الخلق فضلاً عما يحجب بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية في اعماء العقول وطمس نورها .

واغلب الاديان الموجودة لا يخلو من هذه الاوهام : ان شئت فاضرب بنظرك الي ديانة « برهما » في الهند ودين « بوذه » في الصين ودين

« زرادشت » في بقايا الفارسيين وكثير من أديان آخر

الامر الثاني — ان تكون نفوس الامم مستقلة وجبهة الشرف طامحة الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه انه لائق بآية مرتبة من مراتب الكمال الانساني ما عدا رتبة النبوة فانها بمنزل عن المطمع وانما يختص الله بها من شاء من عباده . ولا يذهب وهم أحد من الامة الي انه ناقص القطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات . فاذا اخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة اعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت بهم المجازاة الى محاسن الاعمال فبلغ كل واحد ما أتى عليه من عاليات الامور وشرائف المراتب . ولو أن قوما اساءوا الظن بانفسهم واعتقدوا ان نصيبهم من القطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وان لا سبيل لهم الى الوقوف في مصاف غيرهم من طبقات الناس فلاريب يسقط من همهم على مقدار ما ظنوا في انفسهم وبذلك يتولى النقص اعمالهم ويملك الخمود عقولهم فيحرمون معظم الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جولتهم في دائرة ضنكة محيطها دون ما ظنوا بانفسهم .

ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته واثبت لكل نفس صريح الحق في أى فضيلة وانبا كل ذى نطق بوفرة استعداده لاي منزل من منازل الكرامة وبحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير : فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد لا نجد من الاديان ما

بجميع أطراف هذه القاعدة . فلدريك دين «برهما» قسم الناس الى أربعة أقسام :
 حدها (برهمن) وثانيتها (جهتري) وثالثتها (ويش) ورابعها (شودر)
 وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لا يجاوزها فاعلى منازل الكمال
 للبرهمن ، ويليهما منزلة الجهتري والصف الرابع أخسها وأدناها في جميع المزايا
 الانسانية . وكان هذا التقسيم سببا في انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور
 خطاهم عن الرقي في مدارج المدنية وانحسار أفكارهم دون الوصول الى ما
 يطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع انهم أقدم الامم
 وأسبقها نظرا في الكون وشؤونه . ومن الاذيان ما يغلب اليوم على أمة من
 البشر وفي أصوله تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كسبب اسرائيل
 مثلا وكتابه المعروف يخاطب أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال
 ويدكر غيرهم بالتحقير والاهانة . ثم جاء رؤساء ذلك الدين وانسلوا من
 هذا الحكم وأغفل فيما بينهم حتى كأنه لم يكن من دينهم الا ان ما سلبوه
 من الكرامة عن غيرهم انتحلوه لانفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين
 أهل الدين وخلفه امتياز الصنفة فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين في قلوب
 الاخذين بدينهم حتى صار من عقائدهم ان صنفا من الناس على منزلة
 القرب الى الله بحيث لا يرد الله له طلبه ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر
 الاصناف لا يتقبل الله من أحد صرفا ولا عدلا ولا يمد له يامان ولا يقفر
 له ذنبا بتوبة حتى بتوسط له اهل طبقة الرئاسة . فعندهم ان كل نفس وان
 بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها لعرض ذنوبها على أبواب
 العفو الالهى ولا ان ترفع اليه طلب المغفرة لخطيئاتها ، بل لا بد في قبول

ذلك منها ان يكون بواسطة الرئيس الديني ، ومن آمن بالله وصدق به واخذ
 باحكامه لا ينظر الله لا يمانه حتي ينظر اليه الرئيس الديني ويمتده ايمانا . واستمدوا
 في هذه العقائد على نصوص من كتابهم تفيد ان ما مخلونه في الارض يكون
 مخلولا في السماء وما يعقدونه في الارض يعقد في السماء . وقد جلبت هذه
 العقيدة على اهل هذا الدين شقاء طويلا والقت بهم في جهالة عمياء وذلة
 خرساء زماما مديدا حتي ظهر فيهم مجدد دون نقضوا ذلك العقيد وخالفوا فيه
 ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا في ذلك الدين الاسلامي وسموا مذهبهم
 مذهب الاصلاح ونشروه في ممالك متعددة فلم يلبث قومهم بعد ذلك ان
 تكشف عنهم جهالات وحلت من اعناقهم ربق ونهضوا من حضيض ذلة الي
 ذروة رفعة فنطقوا بعد ما صمتوا وعلوا بعد ما جملوا وحكموا بعد ما حكموا
 وسادرا بعد ما سيدوا .

الامر الثالث - ان تكون عقائد الامة - وهي اول رقم ينقش في الواح
 نفوسها - مبنية على البراهين القوية والادلة الصحيحة ، وان تتحامي عقولهم
 مطالعة الظنون في عقائدها وترفع عن الاكتفاء بتقليد آباء فيها . فان مقتدا
 لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقنا فلا يكون مؤمنا .
 هذا والآخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون والقانع بان
 آباءه كانوا على مثل عقيدته فأولى به أن يكون عليها يلتقي مع سابقه في
 مضارب الوهم وفجاج الظن . وأولئك المتبفون للظن القانمون بالتقليد تنفق
 بهم عقولهم عند ما يعوذت ادراكه فلا يذهبون مذاهب الفكر ولا يسلكون
 طرائق النظر واذا استمر بهم ذلك لغشتهم الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت

عليهم البلادة - حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرّة فيذكرها المعجز
 عن تمييز الغير من الشر فيحيط بهم الشقاء ويتعربهم البخت وبس المال ما لهم .
 فان كان لابد من الاستئناس لما نقول بقول أوروبي فهذا (كيزو)
 الفرنسي صاحب تاريخ (سيفليزاسيون) اي تمدن الاوروبي قال : ان
 من أشد الاسباب أثرا في سوق اوروبا الى تمدنها ظهور طائفة في تلك
 البلاد قالت ان لناحقا في البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها -
 ولو كان ديننا هو الدين المسيحي - وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها
 مادعت من الحق محتجين عليها بان بناء الدين على التقليد . فلما أخذت تلك
 الطائفة قوتها وانتشرت افكارها نصحت عقول الاوروبيين من غلة الغباوة
 والبلادة ثم تحركت في مداراتها الفكرية وترددت في المجاملات العلمية
 وكذحت لاستحصال اسباب اصحاب المدينة .

ان الدين الاسلامي يكاد يكون متفردا من بين الاديان بتقرير المعتقدين
 بالدليل ونوبيخ المتبعين للظنون وتبكيه الخطابين في عشواء العماية والقدح
 في سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين ان يأخذوا بالبرهان في أصول
 دينهم وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم الى العقل ، تنطق نصوصه بان
 السعادة من نتائج العقل والبصيرة وان الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة
 واهمال العقل وانطفاء نوز البصيرة ويرفع اركان الحجج لاصول من العقائد كل
 منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعي أتبهه ببيان القاية منه في
 الاغلب « راجع القرآن الشريف » .

وقلما يوجد من الاديان ما يساويه أو يقاربه في هذه المزية ، واطن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة . ومن الاديان الظاهرة ما بنى اعظم اركانها على أصل الكثرة في الواحد أو الواحدة في الكثير وان الواحد يكون أكثر والكثير يكون واحد مما تنبذه بداهة العقل . فلما انكر العقل أصل هذا اجمع أهل الدين على انه فوق نظر العقل فلا ينال الفكر دركه لا بالكنه ولا بالوجه ولا بهتدى لدليل عليه ولا مرشد اليه . يريدون انه لا بد من تنكب طريق العقل ونبذ احكامه حتى يمكن الايمان بهذا الاصل مع ان العقل مشرق الايمان فمن تحول عنه فقد دابر الايمان وان فرقا بين ما لا يصل العقل الي كنهه لكنه يعرفه باثره وبين ما يحكم العقل باستحالته . فالاول معروف عند العقل يقر بوجوده ويقف دون سرادقات ، عزته اما الثاني فمطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقد من عقوده ، فكيف يصدق به وهو قاطع بدمه أما أصول دين (برهما) فمن البين لكل ناظر فيها ان اغلبها مخالف لصريح العقل وذلك من جليات المسائل سواء اعترف اهل هذا الدين بثبوتها أو كابرها بانكارها .

الامر الرابع — ان يكون في كل امة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الامة لا يفتنون في تنوير عقولهم بالمعارف الحقة وتخليتها بالعلوم الصافية ولا يألون جهدا في تبیین طرق السعادة لهم والسلوك بهم في جوادها . ثم طائفة اخرى تقوم على النفوس تتولي تهذيبها وتثقيف اودها وتكشف عن الاوصاف الفاضله وحدودها وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها وتفضح مستور الرذائل وتشق الحجاب عن مضارها وسوء منقلب المتدسسين بها

وأشتد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لآلتها عنهما غفلة ولا تردها عنها صعوبة .

وذلك ان بداهة العقل حكمة بان جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة . فان لم يكن في الناس معلم قصر العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسدّ ضرورات الحياة الاولى والاستعداد لما يكون في الاخرى وساوى الانسا في معيشته سائر الحيوانات وحرمة سعادة الدارين وفارق هذه الدنيا على اتساع الاحوال . فاذن من الواجب الذي اقامة معلم : والشهوات النفيسة ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب الاتساع غاية تنقطع عندها ، فان فقد من بين الناس مقوم ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع الي الجف والاجعاف . ومن طغت بهم شهوتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا سترامتهم ثم هم لا ينفلتون من غائلة اعمالهم بل يخرقون بنيران شهواتهم فيرافقون للدنيا على عناء ويفارقونها الى شقاء ، فاذا لا بد من الامر بالمعروف الناهي عن المنكر القائم بتقويم الاخلاق وان من اهم الاركان الدينية في الديانة الاسلامية هاتين القريصتين . نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم ، واقامة المؤدب الامر بالمعروف الناهي عن المنكر (راجع القرآن الشريف) — « ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وغير هذه الآية ايات كثيرة . « فلو لا نفر من كل فرقة منكم طائفة لتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وسواها آيات . وقد برز دين الاسلام على غالب الاديان في العناية بهذين الامرين .

وحيث كانت أركان الدين الاسلامي بالغة حد الكثرة فلو أخذت في
 بيان ما يفيد كل ركن منها في تقويم المدنية وتشديد بناء النظام الانساني واقامة
 الدليل على أن كل اصل من أصول هذا الدين عنصر حياة السعادة الانسانية
 نخرجت عن القصد من هذه الرسالة .

ولهذا أخذت أن أضع رسالة تختص بذلك العرض أبين فيها أن المدنية
 الفاضلة التي بات الحكماء على حيرة من فقدتها لا تختط في العالم الانساني
 الا بالدين الاسلامي .

فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فبال المسلمين
 على ما زري من الحال السيئة والشأن المحزن ، فجوابه ان المسلمين كانوا كما كانوا
 وبلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضاهم . واكتفي الان من القول بهذا
 النص الشريف : « ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم » :

الدين الاسلامي او الاسلام

هو الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعقله من وعاه عنه من صحابته ومن عاصرهم وجرى العمل عليه حيناً من الزمن بينهم بلا خلاف ولا اعتساف في التأويل ولا ميل مع الشيع وانى مجمله في هذا الباب مقتدياً بالكتاب المجيد في التفويض لذوى البصائر ان يفصلوه ، وما سئدي فيما اقول الا الكتاب والسنة القوية وهدى الراشدين :

جاء الدين الاسلامي بتوحيد الله تعالى في ذاته وافعاله وتزويه عن مشابهة المخلوقين ، فأقام الادلة على ان للكون خالقاً واحداً متصفاً بما دلت عليه آثار صنعه من الصفات العلية كالعلم والقدرة والارادة وغيرها . وعلى انه لا يشبهه شيء من خلقه وان لا نسبة بينه وبينهم الا انه موجودهم وانهم له واليه راجعون . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » وما ورد من الفاظ الوجه واليدين والاستواء ونحوها

* راجع (رسالة التوحيد) للاستاذ العالم العامل العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . وتطلب من دار الترقى وعن النسخة خمسة قروش صاغ غير البريد

له معان عرفها العرب المخاطبون بالكتاب ولم يشتهبوا في شيء منها ، وان ذاته وصفاته يستحيل عليها ان تبرز في جسد أو روح أحد من العالمين وانما يختص سبحانه من شاء من عباده بما شاء من علم وسلطان على ما يريد ان يسلطه عليه من الاعمال على سنة له في ذلك منها في علمه الازلي الذي لا يعثر به التبديل ولا يدنو منه التغيير وحظر على كل ذي عقل ان يعترف لاحد بشيء من ذلك الا برهان ينتهي في مقدماته الى حكم الحس وما جاوره من البديهيات التي لا تنقص عنه في الوضوح بل قد تعلموه كاستحالة الجمع بين النقيضين أو ارتفاعهما معا أو وجوب ان الكل اعظم من الجزء مثلا ، وقضى على هؤلاء كثير من بانهم لا يملكون انفسهم تماما لاضرا ؛ وغاية أمرهم انهم عباد مكرمون وان ما يجريه على ايديهم فانما هو باذن خاص وتيسير خاص في موضع خاص لحكمة خاصة ، ولا يعرف شأن الله في شيء من هذا الا برهان كما تقدم .

دل هذا الدين بمثل قول الكتاب « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » والشكر عند العرب معروف انه تصريف النعمة فيما كان الانعام بها لاجله . دل بمثل هذا على ان الله وهبنا من الحواس وغرز فينا من القوى ما نصرفه في وجوهه ببعض تلك الوهبة ، فكل شخص كاسب لعمله بنفسه لها أو عليها . واماما تحجير فيه مدار كنا وتقصر دونه قوانا وتشعر فيه انفسنا بسلطان يقهرها أو ناصر يمدفيسها أدركها المعجز عنه ، على انه فوق ما نعرف من القوى المسخرة لها وكان لا بد من الخضوع له والرجوع اليه والاستعانة

به ، فذلك إنما يرد الى الله وحده فلا يجوز أن تخشع الاله ولا أن تطمئن
 الا اليه . وكذلك جعل شأنها فيما تخافه وترجوه مما تقبل عليه في الحياة
 الآخرة لا يسوغ لها أن تلجأ الى أحد غير الله في قبول أعمالها من الطيبات
 ولا في غفران أفعالها من السيئات ، فهو وحده مالك يوم الدين
 اجتثت بذلك جذور الوثنية وما وليها مما لو اختلف عنها في الصورة
 والشكل أو العبارة واللفظ لم يختلف عنها في المعنى والحقيقة . تبع هذا الطهارة
 العقول من الاوهام الفاسدة التي لا تنفك عن تلك العقيدة الباطلة ،
 ثم تنزه النفوس عن الملكات السيئة التي كانت تلازم تلك الالهام وتخلصت
 بتلك الطهارة من الاختلاف في المعبودين وعليهم ، وارتفع شأن الانسان
 وسمت قيمته بما صار اليه من الكرامة بحيث أصبح لا يخضع لاحد الا
 خالق السموات والارض وقاهر الناس أجمعين ، وأبىح لكل احد بل فرض
 عليه أن يقول كما قال ابراهيم « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
 والارض حنيفا وما أنا من المشركين » وكأمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يقول : « ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
 لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . »

تجلت بذلك للانسان نفسه حرة كريمة وأطلقت ارادته من القيود
 التي كانت تعقدها بارادة غيره سواء كانت ارادة بشرية ظن انها شعبة من
 الارادة الالهية أو انهاهي كإرادة الرؤساء والمسيطرين أو ارادة موهومة.
 اخترعها الخيال كما يظن في القبور والاحجار والاشجار والكواكب ونحوها
 وافتكت عزيمته من أسر الوسائط والشفعاء والمتكهنه والمعرفة وزعماء

السيطرة على الاسرار ومنتحلي حق الولاية على أعمال العبد فيما بينه وبين
الله الزاعمين انهم واسطة النجاة وبأيديهم الاثماء والاسعاد ، وبالجملة فقد
اعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين . صار الانسان بالتوحيد
عبد الله خاصة حرا من العبودية لكل ما سواه ، فكان له من الحق ما للحجر
على الحر لا على في الحق ولا وضع ، ولا سافل ولا رفيع ، ولا تفاوت بين
الناس الا بتفاوت أعمالهم ، ولا تفاضل الا بتفاضلهم في عقولهم ومعارفهم ،
ولا يقربهم من الله الا طهارة العقل من دنس الوهم وخلوص العمل من
العوج والرياء . ثم بهذا خلصت أموال السكاسين وتمحض الحق فيها للفقراء
والمساكين والمصالح العامة ، وكفت عنها أيدي العالة وأهل البطالة ممن كان
يزعم الحق فيها بصفته وربته لا بعمله وخدمته .

طالب الاسلام بالعمل كل قادر عليه وقر ان لكل نفس ما كسبت
وعليها ما اكتسبت . « فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره » « وان ليس للانسان الا ما سعى » وأباح لكل أحد أن يتناول من
من الطيبات ما شاء أكلا وشربا ولباسا وزينة ولم يحظر عليه الا ما كان
ضارا بنفسه أو بمن يدخل في ولايته أو ما أمدى ضرره الي غيره ، وحدد
له في ذلك الحدود العامة بما ينطبق على مصالح البشر كافة فكفل الاستقلال
لكل شخص في عمله واتسع المجال لتسابق الهمم في السعي حتى لم يعد لها عقبه
تعتز بها ، الا اللهم حقها حترما تصطدم به .

أنهى الاسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يرد لها عنه القدر فبددت
فيالقه المتقلبة على النفوس واقتلعت أصوله الراسخة في المدارك ونسفت

ما كان له من دعائم وركان في عقائد الامم . صاح بالعقل صيحة ازعجته من
سباته وهبت به من نومة طال عليه الغيب فيها . كلما نفذ اليه شعاع من نور
الحق خلصت اليه هينمة من سدنة هياكل الوهم : « نم فان الليل حالك
والطريق وعرة والغاية بعيدة والراحلة كليلة والازواد قليلة . » علا صوت الاسلام
على وساوس الطعام وجهر بان الانسان لم يخلق ليقاد بالزمان ولكنه فطر على
ان يهتدى بالمعلم والاعلام اعلام الكون ودلائل الحوادث وانما المعلمون
مجهلون ومرشدون والى طرق البحث هادون .

صرح في وصف أهل الحق بأنهم « الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »
فوصفهم بالتمييز بين ما يقال من غير فرق بين القائلين ليأخذوا بما عرفوا
احسنه ويترحوا مالم يتبينوا صحته ونفعه ، ومال على الرؤساء فانزلهم من
مستوا كانوا فيه يأمرون وينهون ووضمهم تحت انظار مرؤسيهم يخبرونهم كما
يشاؤون ويمتحنون مزاعمهم حسبما يحكمون ويقضون فيها بما يعلمون ويتيقنون
لابما يظنون ويتوهمون .

صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء وماتوارثه عنهم الابناء
وسجل الحق والسفاهة على الآخذين باقوال السابقين ونبه على ان السابق
في الزمان ليس آية من آيات العرفان ولا مسميا لعقول على عقول ولا لاذهان
على اذهان ، وانما السابق واللاحق في التمييز والفطرة سياتان ! بل لللاحق
من علم الاحوال الماضية واستمداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل اليه
من آثارها في الكون مالم يكن لمن تقدمه من اسلافه وآبائه . وقد يكون
من تلك الآثار التي ينتفع بها أهل الجيل الحاضر ظهور العواقب

السيدة لاعمال من سبقهم وطغيان الشر الذي وصل اليهم بما اقترفه سلفهم :
« قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبه المكذبين » وان ابواب فضل
الله لم تفتق دون طالب ورحمته التي وسعت كل شئ لمن تضيق عن دائب .
عاب ارباب الاديان في اقتنائهم اثر آباؤهم ووقوفهم عند ما اختطته
لهم سير اسلافهم وقولهم (بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) « انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون » فأطلق بهذا سلطان العقل من كل ما كان
قيده وخلصه من كل تقليد كان استعبده ورده الى مملكته يقضى فيها بحكمه
وحكمته مع الخضوع مع ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته ولاحد
للعمل في منطقة حدودها ولا نهاية للنظر يمتد تحت بنودها .

بهذا وما سبقه ثم للانسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما
وهما استقلال الارادة واستقلال الرأي والتفكير وبهما كملت له انسانيته واستمد
لان يبلغ من السعادة ما هياه الله له بحكم الفطرة التي فطر عليها ، وقد قال
بعض حكماء الغربيين من متاخرهم ان نشأة المدنية في اوروبا انما قامت على
هذين الاصلين . فلم تنهض النفوس للعمل ولم تتحرك العقول للبحث والنظر
الا بعد ان عرف العدد الكثير انفسهم وان لهم حقا في تصريف اختيارهم وفي
طلب الحقائق بمقولهم ولم يصل اليهم هذا النوع من العرفان الا في الجيل
السادس عشر من ميلاد المسيح . وقرر ذلك الحكيم انه شعاع سطع عليهم من
آداب الاسلام ومعارف المحققين من اهله في تلك الازمان :

رفع الاسلام بكتابه المنزل ما كان قد وضعه رؤساء الاديان من الحجر

على عقول المتدينين في فهم الكتب السماوية استئثارا من أولئك الرؤساء
 بحق الفهم لانفسهم ووضنا به على كل من يلبس لباسهم ولم يسلك مسلكهم
 لنيل تلك الرتب المقدسة ففرضوا على العامة وأباحوا لهم أن يقرؤا قطعا
 من تلك الكتب ، لكن على شريطة أن لا يفهموها ولا أن يطيلوا أنظارهم
 الى ما ترمي اليه . ثم غالوا في ذلك فحرموا انفسهم أيضا مزية الفهم الا قليلا
 ورموا عقولهم بالقصور عن ادراك ما جاء في الشرائع والتبوات ووقفوا كما
 وقفوا بالناس عند تلاوة الالفاظ اميدا بالاصوات والحروف فذهبوا بحكمة
 الارسال فجاء القرآن يلبسهم عار ما فعلوا فقال . « ومنهم أميون لا يعلمون
 الكتاب الا أماني وإن هم الا يظنون » « مثلوا الذين حملوا التوراة ثم لم
 يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
 والله لا يهدي القوم الظالمين » أما الاماني فقسرت بالقرآن والتلاوات أي
 لا يعلمون منه الا أن يتلوه واذا ظنوا أنهم على شيء مما دعا اليه فهو عن غير
 علم بما أودعه وبلا برهان على ما تخيلوه عقيدة وظنوه ديناء ، واذا عن
 لاحد من أن يبين شيئا من أحكامه ومقاصده لشهوة دفعته الى ذلك جاء فيها
 يقول بما ليس منه على بينة واعتسف في التأويل وقال هذا من عند الله
 « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
 به ثمنا قليلا » أما الذين قال انهم لم يحملوا التوراة وهي بين أيديهم بعد ما
 حملوها فهم الذين لم يعرفوا منها الا الالفاظ ولم تسم عقولهم الي درك ما
 أودعته من الشرائع والاحكام فعميت عليهم بذلك طرق الاهتمام بها
 وطمست عن أعينهم اعلام الهداية التي نصبت بانزالها فحق عليهم ذلك

المثل الذي أظهر شأنهم فيما لا يليق بنفس بشرية ان تظهر به مثل الحمار الذي يحمل الكتب ولا يستفيد من حملها الا العناء والتعب وقصم الظهر وانبهار النفس : وما أشنع شأن قوم انقلبت بهم الحال فما كان سببا في اسما دم وهو التنزيل والشريعة أصبح سببا في شقائهم بالجهل والقباوة وبهذا التقرير ونحوه وبالذعوة العامة الى الفهم وتمحيص الالباب لتنقته واليقين مما هو منتشر في القرآن العزيز .

فرض الاسلام على كل ذي دين أن يأخذ بحظه من علم ما أودع الله في كتبه وما قرر من شرعه وجعل للناس في ذلك سواء بعد استيفاء الشرط بلعداد ما لا بد منه للفهم وهو سهل المنال على الجمهور الاعظم من المتدينين لا تختص به طبقة من الطبقات ولا يحتكر مزبته وقت من الاوقات .

جاء الاسلام والناس شيع في الدين وان كانوا اقلية في جانب عن اليقين بتنابدون ويتلاعنون ويزعمون في ذلك انهم بحبل الله مستمسكون فرقة وتحالف وشغب يظنونها في سبيل الله أقوى سبب . أنكر الاسلام ذلك كله وصرح تصرحا لا يحتمل الريبة في أن دين الله في جميع الازمان وعلى السن جميع الانبياء واحد . قال الله : « ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف القدين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما وما كان من المشركين » « شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله

ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا
 أشهدوا باننا مسلمون» وكثير من ذلك يطول إرادته في هذه الوريقات .
 والآيات الكريمة التي تعيب على أهل الدين ما نزعوا اليه من الاختلاف والمشاقة
 مع ظهور الحججة واستقامه الحججة لهم في علم ما اختلفوا فيه معروفة لكل من
 قرأ القرآن وتلاه حق تلاوته . نص الكتاب على أن دين الله في جميع الأزمان
 هو لإفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالمبودية وطاعته فيما أمر به
 ونهي عنه مما هو مصلحة للبشر وعمار لسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وقد
 ضمنه كتبه التي أنزلها على المصطفين من رسله ودعا العقول الى فهمه منه
 والعزائم الى العمل به ، وان هذا المعنى من الدين هو الاصل الذي يرجع اليه
 عند هبوب ريح التخالف وهو الميزان الذي توزن به الاقوال عند التنصاف
 وان اللجاج والمراء في الجدل فراق مع الدين وبعد عن سنته ، ومتى روعيت
 حكمته ولوحظ جانب العناية الالهية في الانعام على البشر به ذهب الخلاف
 وتراجعت القلوب الى هداها وسار الكافة في مرادهم اخواناً بالحق
 مستمشكين وعلى نصرته متعاونين .

أما صور العبادات وضروب الاحتفالات مما اختلفت فيه الأديان
 الصحيحة سابقها مع لاحقها واختلاف الاحكام متقدمها مع متاخرها فمصدره
 رحمة الله ورأفته في إبتاء كل أمة وكل زمان ما علم فيه الخير للامة والملاءمة
 للزمان . وكما جرت سنته وهورب العالمين بالتدريج في تربية الاشغاص من
 خارج من بطن أمه لا يعلم شيئاً الى راشد في عقله كامل في نشاته يمزق الحجب
 بفكره وبواصل اسرار الكون بنظره ، كذلك لم تختلف سنته ولم يضطرب

هديه في تربية الامم . فلم يكن من شان الانسان في جلته ونوعه ان يكون في مرتبة واحدة من العلم وقبول الخطاب من يوم خلقه الله الى يوم يبلغ به من الكمال منتهاه ؟ بل سبق القضاء بان يكون شان جلته في النمو قائما على ماقررتة الفطرية الالهية في شان افراده . وهذا من البديهيات التي لا يصح الاختلاف فيها وان اختلف اهل النظر في بيان ما تفرع منه في علوم وضعت للبحث في الاجتماع البشري خاصة فلا نطيل الكلام فيه هنا .

جاءت اديان والناس من فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور اشبه بطور الطفولية للناشيء الحديث العهد بالوجود لا يالف منه الا ما وقع تحت حسه ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه وان يتناول بذنه من المعاني ما لا يقرب من لمسه ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقي اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يدا تصل اليه في طعام أو تسنده في قعود أو قيام : فلم يكن من حكمة تلك الاديان ان تخاطب الناس بما يطف في الوجدان أو يرقى اليه بسلم البرهان بل كان من عظيم الرحمة ان تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سناجة السن لا ياتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو يبصره ، فاخذتهم بالاوامر الصادعة والزواجر الرادعة وطالبتهم بالطاعة وحميتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ولم تصل مداركهم الى مرماه وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يلبق بحالمهم هذه .

ثم مضت على ذلك أزمان عمت فيها الاقوام وسقطت وارتفعت
وانحطت، وجربت وكسبت، وتخانفت واتفقت، وذاعت من الايام آلاما،
وتقلبت في السعادة والشقاء ألياما وأياما، ووجدت الاتس بنفث الحوادث
ولقن الكوارث شعورا أدق من الحس وادخل في الوجدان لا يرتفع في
الجملة عما تشعر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان، فجاء دين
يخاطب العواطف ويناجي المراحم ويستعطف الاهواء ويحدث خطرات
القلوب، فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يهرفهم عن الدنيا بمجملتها ويوجه
وجوههم نحو الملكوت الأعلى، ويقتضي من صاحب الحق أن لا يطلب
به ولو بحق، ويفلق أبواب السماء في وجوه الاغنياء وما ينحو نحو ذلك مما
هو معروف. وسن للناس سننا في عبادة الله تتفق مع ما كانوا عليه ومادعاهم
اليه، فلاقى من تماق النفوس بدعوته ما أصلح من فاسدها وداوى من
أمراضها. ثم لم يمض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن
احتماله، وضافت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ باقواله، ووقر
في الظنون أن اتباع وصاياه ضرب من المحال فهب القائلون عليه أنفسهم
لمنافسة الملوك في السلطان ومزاحمة أهل الترف في جمع الاموال وانحرف
الجمهور الاعظم منهم عن جادته بالتاويل، وأضافوا عليه ما شاء الهوي من
الباطيل. هذا كان شأنهم في السجايابو الاعمال، نسوا طهارته وباعوا انزاهته
أما في العقائد فتنفروا شيعاوا أحدثوا بدعا ولم يستمسكوا من اصوله الا بما ظنوه
من أشد اركانها وتوهموه من اقوى دعائمها وهو حرمان العقول من النظر
فيه بل وفي غيره من دقائق الاكوان والخطر على الاكوان ان تنفذ الي

شيء من سرائر الخلقه فصرحوا بان لا وفاق بين الدين والعقل وان الدين من
اشد اعداء العلم . ولم يكف الذاهب الى ذلك ان يأخذ به نفسه بل جسد في
حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة وافصي الغلو في ذلك
بالانفس الي نزعة كانت اسام النزعات على العالم الانساني وهي نزعة الحرب بين
اهل الدين للالزام ببعض قضايا الدين فتقوض الاصل وتخرمت العلاقات بين الاهل
وحلت القطيعة محل التراحم والتخاضم فكان التعاون والحرب محل السلام ، وكان
الناس على ذلك الى ان جاء الاسلام .

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالانسان أشده وأعدته الحوادث
الماضية الي رشده فجاء الاسلام يخاطب العقل ويستصرخ الفهم واللب
ويشركه مع العواطف والاحساس في ارشاد الانسان الي سعاده الدنيوية
والاخروية وبين الناس ما اختلفوا فيه وكشف لهم عن وجه ما اختلفوا
عليه وبرهن على ان دين الله في جميع الاجيال واحد ومشيئته في اصلاح
شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وان رمم العبادة على الاشباح انما هو لتجديد
الذكري في الارواح ، وان الله لا ينظر الي الصور ولكن ينظر الي القلوب
وطالب المكلف برعاية جسده كما طالبه باصلاح سره . ففرض نظافة الظاهر
كما أوجب طهارة الباطن وعد كلا الامرين طهرا مطلوبا . وجعل روح
العبادة الاخلاص وان ما فرض من الاعمال انما هو لما أوجب من التطيع
بصالح الملكات . « ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » ان الانسان
خلق هلوعا اذا مسه الشر حزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين » ورفع
يلغنى الشاكر الي مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه وعامل الانسان

في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرجل الرشيد فدناه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة . وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول الى خير العقبى الا بالسمي في صلاح الدنيا .

التفت الى أهل العناد فقال لهم : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وعنف النازعين الى الخلاف والشقاق على ما زعزعوا من اصول اليقين ، ونص على ان التفرق بني وخروج عن سبيل الحق المبين . ولم يقف في ذلك عنه حد الموعظة بالكلام والنصيحة بالبيان ، بل شرع شريعة الوفاق وقررها في العمل فأباح للمسلم ان يتزوج من أهل الكتاب وسوغ مؤاكلتهم واوصى ان تكون مجادلتهم بالتي هي أحسن . ومن المعلوم ان المحاسنة هي رسول المحبة وعقد الألفة والمصاهرة انما تكون بعد التعاب بين أهل الزوجين والارتباط بينهما بروابط الائتلاف . ثم اخذ العهد على المسلمين ان يدافعوا عمن يدخل في ذمتهم من غيرهم كما يدافعون عن انفسهم . ونص على ان لهم مالنا وعليهم ما علينا ولم يفرض عليهم جزاء ذلك الا زهيدا يقدمونه من مالهم ، ونهى بعد ذلك عن كل اكرام في الدين ، وطيب قلوب المؤمنين في قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » فعليهم الدعوة الى الخير بالتي هي أحسن وليس لهم ولا عليهم ان يستعملوا اي ضرب من ضروب القوة في الحمل على الاسلام فان نوره جدير ان يحترق القلوب . وليست الآية في الامر بالمعروف بين المسلمين فانه لا اهتداء الا بعد القيام به ولو أريد ذلك لكان التعبير « على كل واحد منكم بنفسه » لا « عليكم

أنفسكم ، كما هو ظاهر لكل عربي : كل ذلك ليرشد الناس الى ان الله لم
 يشرع لهم الدين ليتفرقوا فيه ولكن ليهديهم الي الخير في جميع نواحيه .
 رفع الاسلام كل امتياز بين الاجناس البشرية وقرر لكل فطرة
 شرف النسبة الي الله في الخلقة وشرف اندراجها في النوع الانساني بالجنس
 والفصل والخاصة وشرف استعدادها بذلك لبلوغ اعلى درجات الكمال
 الذي اعده الله لنوعها على خلاف مازعمه المنتحلون من الاختصاص بمزايا
 حرم منها غيرهم وتسجيل الخسة على اصناف زعموا انها لن تبلغ من الشأن
 ان تلحق ببارهم . فامتوا بذلك الارواح في معظم الامم وصبروا اكثر الشعوب
 هياكل واشباحا .

هذه عبادات الاسلام على ما في الكتاب وصحيح السنة تتفق على ما
 يليق بجلال الله وسمو وجوده عن الاشباه وتلتهم مع المعروف عند العقول
 الالهية . فالصلاة ركوع وسجود وحركة وسكون ودعاء وتصرع وتسبيح
 وتعميم وكلها تصدر عن ذلك الشعور بالسلطان الالهي الذي يغمر القوة
 البشرية ويستغرق الحول فتخشع له القلوب وتستخني له النفوس وليس
 يهاذيء يملو على تناول العقل الا نحو تحديد عدد الركعات أو رمي
 لجرات . على انه مما يسهل التسليم فيه لحكمة العليم الخبير وليس فيه من
 ظاهر العبث واستحالة المعني ما يخل بالاصول التي وضعها الله للعقل في
 الفهم والتفكير . اما الصوم حرمان معظم به امر الله في النفس وتعرف
 به مقادير النعم عند فقدها ومكانة الاحسان الالهي في التفضل بها : « كتب
 عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . اما اعمال الحج

فقد كبر للانسان باوليائ حاجاته وتمهد له بتمثيل المساواة بين افراده ولو
 في العمر مرة يرتفع فيها الامتياز بين الغني والفقير والصلوك والامير ويظهر
 الجميع في معرض واحد عمارة الابدان متجردين من آثار الصنعة ، وحدت
 بينهم العبودية لله رب العالمين ، كل ذلك مع استبقائهم في الطواف والسعي
 والمواقف . ولمس الحجر ذكري ابراهيم عليه السلام وهو ابو الدين وهو الذي
 سماه المسلمين واستقرار يقينهم على ان لا شيء من تلك البقايا الشريفة يضر أو
 ينفع ، وشعار هذا الاذعان الكريم في كل عمل « الله أكبر » أين هذا كله مما
 تجدد في عبادات أقوام آخرين يضل فيها العقل ويتعذر معها خلوص السر
 للتنزيه والتوحيد .

كشفت الاسلام عن العقل عمه من الوهم فيما يمرض من حوادث الكون
 الكبير (العالم) والكون الصغير (الانسان) فقرر ان آيات الله الكبرى في
 صنع العالم انما يجري أمرها في السنن الآلهية التي قدرها الله في علمه الازلي
 لا يتغيرها شيء من انطواري الجزئية . غير انه لا يجوز ان يتقل شان الله
 فيها بل ينبغي ان يحى ذكره عند رؤيتها فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه
 وسلم . « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد
 ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » وفيه التصريح بان جميع آيات
 الكون تجري على نظام واحد لا يقضى فيه الا العناية الازلية على السنن التي
 اقامته عليها : ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها
 الاشخاص أو الامم والمصائب التي يرزأون بها ففصل بين الامرين فصلا
 لا مجال معه للخلط بينهما . فاما التي يتمتع الله بها بعض الاشخاص في هذه

الحياة والرزايا التي يرزأ بها في نفسه فكثير منها كالثروة والجاه والقوة والبنين أو الفقر والضمّة والضعف. والفقد قد لا يكون كاسبها أو جالبها ما عليه الشخص في سيرته من استقامة وعوج أو طاعة وعصيان. وكثيرا ما مهمل الله بعض الطغاة البغاة أو الفجرة الفسقة وترك لهم متاع الحياة الدنيا انظارا لهم حتى يتلقاهم ما أعد لهم من العذاب المقيم في الحياة الاخرى. وكثيرا ما متحن الله الصالحين من عباده واتى عليهم في الاسلام لحكمه وهم الذين اذا أصابتهم مصيبة عبروا عن اخلاصهم في التسليم بقولهم « انالله وانا اليه راجعون » فلا غضب زيد ولا رضا عمرو ولا اخلاص سريرة ولا فساد عمل مما يكون له دخل في هذه الرزايا ولا في تلك النعم الخاصة لهم الا فيما ارتباطه بالعمل ارتباط المسبب بالسبب على جاري العادة كارتباط الفقر بالاسراف والذل بالجبن وضياع السلطان بالظلم وكارتباط الثروة بحسن التدبير في الاغلب والمكانة عند الناس بالسعي في مصالحهم على الاكثر وما يشبه ذلك مما هو مبين في علم آخر.

اما شان الامم فليس على ذلك. فان الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر وناديب الاهواء وتحديد مطامح الشهوات والدخول الى كل امر من بابه وطلب كل رغبة من اسبابها وحفظ الامانة واستشعار الاخوة والتعاون على البر والتناصح في الخير والشر وغير ذلك من أصول الفضائل — ذلك الروح هو مصدر حياة الامم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة: « من يرد ثواب الدنيا نؤته منها » ولن يسلب الله عنها نعمته مادام هذا الروح فيها يزيد الله النعم بقوته

وينقصها بضعفه ، حتى اذا فارقتها ذهبت السمادة على اثره ، وتبعته الراحة الى مقمره واستبدل الله عزة القوم بالذل وكثرهم بالقل ونعيمهم بالشقاء وراحتهم بالناء ، وسلط عليهم الظالمين أو العادلين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون : « واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا متر فيها ففتسوا حتى عليها القول قد مرناها ته ميرا » امرناهم بالحق فمسخوا عنه الى الباطل ثم لا ينفعهم الاين ولا يجيدهم البكاء ولا يفيدهم ماقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ولا كاشف لما نزل بهم الا أن ياجأوا الى ذلك الروح الاكرم فيستزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقاؤه : « اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يرفع الا توبة » على هذه السنن جري سلف الامة ، فبينما كان المسلم يرفع روحهم هذه العقائد السامية ، باخذ نفسه بما يتبعها من الاعمال الجليلة كان غيره يظن انه يزلزل الارض بدعائه ويشق الفلك بيكائه وهو ولع باهوائه ماض في غلوائه وما كان يفنى عنه ظنه من الحق شاماً .

حث القرآن على التعاليم وارشاد العامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقل : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ثم فرض ذلك في قوله « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم

اليينات وأوائك لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوهه ونسود وجوهه. فلما الذين
 اسودت وجوههم أكفرتهم بمد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما
 الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون: تلك آيات الله نتلوها عليك
 بالحق وما الله يريد ظلم العالمين. ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
 الامور. ثم بعد هذا الوعيد الذي بزعيح المفرطين ونحو به كلمة العذاب على
 المختلفين والمقصرين ابرز حال الامارين بالمعروف والنهي عن المنكر في أجل مظهر
 يمكن أن تظهر فيه حال امة فقال: «كنتم خيرا امة اخرجت للناس: أمرؤن بالمعروف
 وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» فقدم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 على الايمان في هذه الآية مع ان الايمان هو الاصل الذي تقوم عليه اعمال البر
 والذوحة التي تنفع عنها افنان الخير تشريفا لتلك الفريضة واعلاء لمنزلتها بين
 الفرائض بل تنبيهها على انها حفاظ الايمان وملاك أمره. ثم شد بالانكار على
 قوم اغفلوها وأهل دين اهملوا فقال: «لعن الذين كفروا من نبي اسرائيل على
 لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون: كانوا لا يتناهون عن
 منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون» فمقذف عليهم اللعنة وهي أشد ما عنون الله
 به على مقلته و غضبه.

فرض الاسلام للفقراء في اموال الاغنياء حقا معلوما يفيض به الآخرون
 على الاولين سدا لحاجة المعسوم وتقريرا لسكرة الغارم وتحرير لرقاب
 المستعبدين وتيسيرا لابناء السبيل ولم يحث على شيء حثه على الانفاق من
 الاموال في سبيل الخير وكثيرا ما جملة عنوان الايمان ودليل الاهتداء الى

الصراط المستقيم. فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحض صدورهم من الاحقاد
وعلى من فضلهم الله عليهم في الرزق. وأشعر قلوب أولئك بحبه مؤلاء
وساقى الرحمة في نفوس هؤلاء على أولئك البائسين فاستقرت بذلك الطمانينة في
نفوس الناس أجمعين : وأى دواء لامراض الاجتماع أنجح من هذا . ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

اغلق الاسلام بابي الشر وسد ينبوعى فساد العقل والمال بتحريمه الحمر
والمقامرة والربا بحر مما باتالاهوادة فيه لم يدع الاسلام بعد ما قررنا أصلا من أصول
الفضائل الا انى عليه ولا امان من امهات الصالحات الا احيائها ولا قاعدة من قواعد
النظام الا فررها فاستجمع للانسان عند بلوغ رشده كما ذكرنا حرية الفكر
والاستقلال العقل في النظر وما به صلاح السجايا واستقامة الطبع وما فيه امراض
العزائم الى العمل وسوقها في سبيل السعى . ومن يتل القرآن حق تلاوته يجد فيه من
ذلك كنز لا ينفد وذخيرة لا تنفئ هل بعد الرشد وصاية وبعد اكتمال العقل ولاية
كلا ، قد تبين الرشدهم من الغي ولم يبق الا اتباع الهدى والاتقاع بما ساقته ايدى
الرحمة لبلوغ الغاية من السعادات . لهذا ختمت النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وانتهت الرسالات برسالته كما صرح بذلك السكتاب وأيدته السنة
الصحيحة وبرهنت عليه خيبة مدعيها . من بعده واطمئنان العالم بما وصل اليه من العلم
الى ان لا سبيل بعد لقبول دعوة يزعم القائم ها انه يحدث عن الله بشرع أو يصدع
عن وحيه بامر ، هكذا يصدق نبا الغيب . ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما .

انتشار الاسلام

بسرعة لم يمهدها نظير في التاريخ

كانت حاجة الامم الى الاصلاح عامة فجعل الله رساله خاتم النبيين عامة كذلك
لكن يندهش عقل الناظر في احوال البشر عند ما يري ان هذا الدين يجمع اليه
الامة العربية من ادناها الى اقصاها في اقل من ثلاثين سنة ثم يتناول من بقية الامم
ما بين المحيط الغربي وجدار الصين في اقل من قرن واحد وهو امر لم يمهده في تاريخ
الاديان ولذلك ضل الكثير في بيان السبب واهتدى اليه المنصفون فبطل العجب .
ابتدا هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان ولقى من أعداء أنفسهم
أشد ما يلقي حق من باطل . اودى الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب
الايداء واقيم في وجهه ما كان يصعب تذليله من العقاب لولا عناية الله ،
وعذب المستجيبون له وحرمو الرزق وطرده من الدار وسفكت منهم
دماء غزيرة . غير ان تلك الدماء كانت عيون الغزائم تتفجر من صخور الصبر
يثبت الله بمشهدها المستيقنين ويقذف بها الرعب في اتس المرأتين فكانت
تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب وهي ذوب مافسد من طباعهم فتجرى

من منارهم جرى الدم الفاسد من المفصود على أيدي الأطباء الخادقين :
 « ليمز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بهضه على بعض فيركه جميعا
 فيجمله في جهنم أولئك هم الخاسرون . »

تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على
 الإسلام ليحصنوا نبتته ويخفقوا دعوته فما زال يدافع عن نفسه دفاع
 الضعيف للاقوياء والفقير للاغنياء ولا ناصر له إلا أنه الحق بين الأباطيل
 والرشد في ظلمات الأضاليل حتى ظفر بالهزة وتمزق بالمنعة . وقد وطيء
 أرض الجزيرة أقوام من أديان أخر كانت تدعو إليها وكانت لهم ملوك
 وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع من المسكاره ومع ذلك
 لم يبلغ بهم السعي نجاحا ولا أنالهم القهر فلاحا .

ضم الإسلام فكان القفار العربية الي وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم
 يمهدها نظير في ماضيهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أبلغ رسالته بأمر
 ربه الي من جاور البلاد العربية من ملوك الفرس والرومان فهزأوا وامتنعوا
 وناصبوه وقومه الشر وأخافوا السابلة وضيقوا على المتاجر فبعث اليهم
 البعوث في حياته وجرى على سنته الأئمة من صحابته طلبا للامن وإبلاعا
 للدعوة فاندفعوا في ضعفهم وفقهم يحملون الحق على أيديهم وانهاوا به على
 تلك الأمم في قوتها ومنعتها وكثرة عددها واستكمال أهبها وعددها فظفروا
 منها بما هو معلوم . وكانوا متي وضعت الحرب أوزارها واستقر السلطان
 للفتاح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين وأباحوا لهم البقاء على أديانهم
 وإقامة شعائرهم آمنين مطمئنين ، ونشروا حمايتهم عليهم بمنعوتهم مما يتمتعون

منه أهلهم وأموالهم ، وفرضوا عليهم كفاء ذلك جزاء قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة.

كان الملوك من غير المسلمين اذا فتحوا مملكة اتبعوا جيشها الظافر يجيش من الدعاة الى دينها يلجون على الناس بيوتهم ويفشون مجالسهم ليحملوهم على دين الظافر وبرهانهم الغلبة وحجتهم التسوية ولم يقع ذلك لفتاح من المسلمين ولم يمهدي تاريخ فتوح الاسلام ان كان له دعاة معروفون لهم ووظيفة ممتازة ياخذون على انفسهم العمل في نشره وبتقون مساعدهم على بث عقائد بين غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتبون بمخالطة من عداهم ومحاسنتهم في المعاملة . وشهد العالم بأسره ان الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا واحسانا عند ما كان يعدها الاوروبيون ضمة وضمفا .

رفع الاسلام ما ثقل من الانوات ورد الاموال المسلوقة الي اربابها وانتزع الحقوق من مقتصبيها ووضع المساواة في الحق عند التقاضي بين المسلم وغير المسلم . بلغ امر المسلمين فيما بعد ان لا يقبل اسلام من داخل فيه الا بين يدي قاضي شرعي باقرار من المسلم الجديد انه اسلم بلا اكراه ولا زغبة في دنيا . وصل الامر في عهد بعض الخلفاء الامويين انه كره عمالهم دخول الناس في دين الاسلام لما رأوا انه ينقص من مبالغ الجزية وكان في حال اولئك العيال صد عن سبيل الدين لا معالجة عرف عن خلفاء المسلمين وملوكهم في كل زمان ما لبعض اهل الكتاب بل وغيرهم من المهارة في كثير من الاعمال فاستخدموهم وصعدوا

بهم الي اعلي المناصب حتى كان منهم من تولى قيادة الجيش في اسبانيا. اشتهرت حرية الاديان في بلاد الاسلام حتى هجر اليهود اوروا فرارا منها بدنيهم الى بلاد الاندلس وغيرها .

هذا ما كان من أمر المسلمين في معاملتهم لما اظلوهم بسيو فهم لم يفعلوا شيئا سوى انهم حملوا الي اولئك الاقوام كتاب الله وشريعته والقوا بذلك بين ايديهم وتركوا الخيار لهم في القبول وعدمه، ولم يقوموا بينهم بدعوة ولم يستعملوا لكرههم عليه شيئا من القوة . وما كان من الجزية لم يكن مما يشغل أداؤه على من ضربت عليه . فما الذي اقبل باهل لاديان المختلفة على الاسلام واقنعهم انه الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه أفواجا وبتلوا في خدمته ما لم تبيدله العرب أنفسهم !

ظهور الاسلام على ما كان في جزيرة العرب من ضروب العبادات الوثنية وتغلبه على ما كان فيها من رذائل الاخلاق وقبائح الاعمال وسيره بسكانها على الجادة القوية حتى لقرأ الكتب الالهية السابقة ان ذلك هو وعد الله لنبيه ابراهيم واسماعيل وان هذا الدين هو ما كانت تبشر به الانبياء أقوامها من بعدهما فلم يجد أهل النصف منهم سبيلا الي البقاء على العناد في مجاحدته فنقلوه ساكرين وتركوا ما كان لهم بين قومهم صابرين .

اوقع ذلك من الريب في قلوب مقلديهم ما حركهم الي النظر فيه فوجدوا لطفا ورحمة وخيرا ونعمة : لا عقيدة ينفر منها العقل وهو رائد الايمان الصادق ، ولا عمل تضعف عن احتمال الطبيعة البشرية وهي القاضية في قبول المصالح والمرافق . رأوا أن الاسلام يرفع النفوس بشعور من

اللاهوت يكاد يعلوبها عن العالم السفلي ويلحقها بالملكوت الاعلى ويدعوها الى احياء ذلك الشعور بخمس صلوات في اليوم ، وهو مع ذلك لا يمنع من التمتع بالطيبات ، لا يفرض من الرياضات وضروب الزهادة ما يشق على الفطرة البشرية بحمته ، ويعدرض الله ونيل ثوابه حتى في توفية البدن حقه متى حسنت النية وخلصت السريرة . فاذنرت شهوة أو غلب هوى كان الغفران الالهى ينتظره متى حسنت التوبة وكملت الاوبة .

تبدت لهم سذاجة الدين عند ما قرأوا القرآن ونظروا في سيرة الطاهرين من حامله اليهيم وظهر لهم الفرق بين مالا سبيل الي فهمه وما تكفي جولة نظر في الوصول الى علمه فتراموا اليه خفافا من ثقل ما كانوا عليه .

كانت الامم اطاب عقلا في دين فوافهاها، وتنطلع الي عدل في ايمان فأتاهاها، فما الذي يحجمها عن المسارعة الى طلبتها والمبادرة الى رغبتها ؟

كانت الشعوب تثمن من ضروب الامتياز التي رفعت بعض الطبقات على بعض بغير حق وكان من حكمها ان لا يقام وزن لشؤون الادين متى عرضت دونها شهوات الاعلين فجاء دين يحدد الحقوق ويسوي بين جميع الطبقات في احترام النفس والدين والعرض والمال ويسوغ لامرأة فقيرة غير مسلمة ان تأبى بيع بيت صغير بأية قيمة لامير عظيم مطاق السلطان في قطر كبير — وما كان يريد له نفسه ولكن ليوسع به مسجدا — فلما عقد العزيمة على أخذه مع دفع أضعاف قيمته رفعت الشكوى الي الخليفة فورد أمره يرد بيتها اليها مع لوم الامير على ما كان منه . عدل بسمح ليهودي ان يخاصم

مثل علي بن ابي طالب - وهو من نعلم من هو - أمام القاضى ويستوقفه معه للتقاضى الى ان قضى الحق بينهما : هذا وما سبق بيانه مما جاء به الاسلام هو الذي حببه الي من كانوا أعداءه ورد اليه أهواءهم حتي صاروا أنصاره وأولياءه .

غلب على المسلمين في كل زمن روح الاسلام فكان من خلقهم العطف على من جاورهم من غيرهم ولم تستشعر قلوبهم عداوه لمن خالفهم الا بعد ان يجر جهنم الجار ، فهم كانوا يتعلمونها ممن سواهم ثم لا يكون الا طائفاً يحل ثم يرتحل . فاذا انقطعت أسباب الشعب تراجعت القلوب الي سابق ما التفتت من اللين واللياسة ومع ذلك بل وغفلة المسلمين عن الاسلام وخذلانهم له وسعي الكثير منهم في هدمه بعلم وبغير علم لم يقف الاسلام في انتشاره عند حد خصوصاً في الصين وفي افريقيا ولم يخل زمن من رؤية جموع كثيرة من ملل مختلفة تنزع الي الاخذ بمقائمه على بصيرة فيما تنزع اليه ، لاسيف وراءها ولا داعي أمامها وانما هو مجرد الاطلاع على ما أودعه مع قليل من حركة الفكر في العلم بما شرعه . ومن هذا تعلم ان سرعة انتشار الدين الاسلامي واقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة انما كان بسهولة تمقله ويسر أحكامه وعدالة شريعته . وبالجملة لان فطر البشر تطلب ديناً وتزداد منه ما هو امس بمصالحها وأقرب الي قلوبها ومشاعرها وأدعى الي الطمانينة في الدنيا والآخرة . ودين هذا شأنه يجد الي القلوب منفذاً والى العقول مخلصاً بدون حاجة الي دعاء ينفقون الاموال الكثيرة والاقوات الطويلة ويستكثرون من الوسائل ونصب الجبال لاسقاط النفوس فيه .

هذا كان حال الاسلام في سداجته الاولى وطهارته التي انشأه الله عليها ولا يزال على جانب عظيم منها في بعض اراف الارض الى اليوم .

قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يردان يفهمه ان الاسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف ، فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن باحدي اليدين والسيف بالآخرى ، يرضون القرآن على المغلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانك هذا بهتان عظيم .

ما قدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطتهم هو ما تواترت به الاخبار تواترا صحيحا لا يقبل الريبة في جملة وان وقع اختلاف في تفصيله وانما شمر المسلمون سيوفهم دفاعا عن انفسهم وكفالة لعدوان عنهم ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا أنهم جاؤروهم واجاروهم ، فكان الجوار طريق العلم بالاسلام وكانت الحاجة لصالح العقل والعمل داعية الانتقال اليه .

لو كان السيف ينشر ديننا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالاباة والحو من سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها . وابتداء ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة أجيال أو يزيد . فلما عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن : هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم خطوة الا والدعاة من خلقه يقولون ما يشاؤون تحت حمايته مع غيره تقيض من الافئدة وفصاحة

تدفق عن الالسة وأموال تحلب ألباب المستضعفين : ان في ذلك لايات
للمستيقنين .

جاءت حكمة الله في امر هذا الدين سلسبيل حياة تبع في القفار العربية أبعد
بلاد الله عن المدنية . فاض حتى شملها فجمع شملها فأحياها حياة شعبية مليية . علامده
حتى استغرق ممالك كانت تهاجر أهل السماء في رفقتها وتعلو أهل الارض بمدنيها .
زلزل هديره على لينة ما كان استعجز من الارواح فانشقت عن مكنون سر الحياة
فيها . قالوا كان لا يخلو من غلب (بالتحريك) قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال
بين الحق والباطل . الرشد والغي قائمة في هذا العالم الى أن يقضى الله قضاءه فيه .
اذ اساق الله ربيما الى أرض جذبة ليحيي ميتها وينقع غلتها وينعي الخصب فيها ،
أفينة ص من قدره أن أي في طريقه على عقبه فملاها أو بيت رفيع الماد فهو يبه ؟
سطع الاسلام على الديار التي بلغها أهله فلم يكن بين أهل تلك الديار
ويينه الا أن يسموا كلام الله ويفقهوه . اشتغل المسلمون بعضهم ببعض زمنا
وانحرفوا عن طريق الدين ازمانا ، فوقف وقفة القائد خذله الانصار وكاد
بترحزح الى ماوراء . لكن الله بالغ امره ، فأنحدرت الى ديار المسلمين امم
من التتار يقودها جنكيز خان وفعلوا بالمسلمين الافاعيل وكانوا ونبيين جاؤا
لحض الغاية والسلب والنهب ولم يلبث اعقابهم ان اتخذوا الاسلام دينا
وحملوه الى اقوامهم فعمهم منه ماعم غيرهم : جاؤا لشقوتهم فماجوا
بسعادتهم .

حمل الغرب على الشرق حملة واحدة لم يبق ملك من ملوكه ولا شعب

من شعوبه الا اشترك فيها واستمرت المجالات بين الغربيين والشرقيين أكثر من
 مائتي سنة جمع فيها الغربيون من الغيرة والحمية للدين ما لم يسبق لهم من قبل ،
 وجيشوا من الجند وأعدوا من القوة ما بلغت طاقتهم وزحفوا على ديار المسلمين
 وكانت فيهم بقية من روح الدين فقلب الغربيون على كثير من البلاد الاسلامية
 وانتهت تلك الحروب الجارفة باجلائهم عنها . لم جاؤا وبماذا رجعوا ؟ ظفر
 رؤساء الدين في الغرب بانارة شعوبهم ليبدووا ما يشاؤون من سكان الشرق أو
 يستولى سلطان تلك الشعوب على ما يعتقدون لا تفهم الحق في الاستيلاء عليه
 من البلاد الاسلامية . جاء من الملوك والامراء وذوى الثروة والاعلياء جم
 غفير وجاء ممن دونهم من الطبقات ما قدره بالملايين . استقر المقام بكثير من
 هؤلاء في ارض المسلمين وكانت فترات تنظفي فيها نار الغضب وتثوب
 العقول الى سكينتها تنظر في احوال المجاورين وتنتقط من افكار المخالطين وتنفعل
 بما ترى وما تسمع . فتبينت أن المبالغات التي اطاشت الاحلام وجسمت الآلام
 لم تصب مستقر الحقيقة . ثم وجدت حرية في دين وعلما وشرعا وصنعة مع كمال
 في يقين وتعلمت ان حرية الفكر وسعة العلم من وسائل الايمان لا من
 العوادي عليه ثم جمعت من الآداب ما شاء الله وانطلقت الي بلادها قريبة العين
 بما غنمت من جلادها . هذا الي ما كسبه السفار من اطراف الممالك الي بلاد
 الاندلس بمخالطة حكمائها وادبائها ثم عادوا به الي شعوبهم ليذيقوهم حلاوة
 ما كسبوا واخذت الافكار من ذلك العهد ترسل والرغبة في العلم تتزايد
 بين الغربيين ونهضت الهمم لقطع سلاسل التقليد ونزعت العزائم الي

تقييد سلطان زعماء الدين والاختذ على ايديهم فيما تجاوزوا فيه وصاياه وحرّفوا في معناه ، ولم يكن بذلك الاقليل من الزمن حتى ظهرت طائفة منهم تدعو الى الاصلاح والرجوع بالدين الي سداجته وجاءت في اصلاحها فيما لا يبعد عن الاسلام الا قليلا ، بل ذهب بعض طوائف الاصلاح في العقائد الي ما يتفق مع عقيدة الاسلام الا في التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وازمام عليه انما هو دينه لا يختلف عنه اسما ولا يختلف معنى الا في صورة العبادة لا غير .

ثم اخذت أمم أوروبا وبتفتك من أمرها وتصلح من شؤونها حتى استقامت أمور دنيها على مثل مادعا اليه الاسلام غافلة عن عقائدها لاهية عن مرشدها وتقررت أصول المدينة الحاضرة التي تفاخر بها الاجيال المتأخرة ماسبقها من أهل الازمان الغابرة . هذا ظل من وابله أصاب أرضا قابلة فاهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج جاء القوم ليبيدوا فاستفادوا وعادوا ليفيدوا. ظل الرؤساء ان في اهاجة شعوبهم شفاء ضغنهم وتقوية ركنهم فباؤوا بوضوح شأنهم وضعف سلاطنتهم : وما يديناه في شان الاسلام ويمرّفه كل من تقفه فيه قد ظفر به كثير من أهل النظر في بلاد الغرب فمرّوه له حقه واعترفوا انه كانا كبر اساتنتهم فيما هم فيه اليوم والي الله عاقبة الامور .

ايراد سهل الايراد

يقول قائلون . اذا كان الاسلام انما جاء لهداية المختلفين الى الاتفاق وقال كتابه
 « ان الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » فما بال الملة الاسلامية
 قدمز قتها المشارب و فرقت بين طوائفها المذاهب ؟

اذا كان الاسلام موحدًا ، فما بال المسلمين عددوا ؟

اذا كان ، موليا وجه العبد و جهة الذي خلق السموات و الارض ، فما
 بال جمهورهم يولون وجوههم من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يستطيع من
 دون الله خيرا ولا شرا ، و كادوا يعدون ذلك فصلا من فصول التوحيد ؟

اذا كان أول دين خاطب العقل و دماه الى النظر في الاكوان و أطلق
 له العنان يجول في ضمايرها بما يسمعه الامكان و لم يشترط عليه في ذلك سوى
 محافظة على عقد الايمان ، فما بالهم قنعوا باليسير و كثير منهم اغلق على نفسه
 باب العلم ظنا منه انه قد يرضى الله بالجهل و اغتمل النظر فيما ابدع من محكم
 الصنع ؟ ما بالهم و قد كانوا رسل المحبة اصبحو اليوم وهم يتنسمونها و لا
 يجدونها ؟ ما بالهم بعد ان كانوا قدوة في الجود و العمل اصبحو امثلا في القمود

والكسل ؟ ما هذا الذي ألحق المسلمون بدينهم وكتاب الله بينهم يقيم ميزان القسط بين ما ابتدعوه وبين ما دعاهم اليه فتركوه ؟

إذا كان الإسلام في قلبه من العقول والقلوب على ما بينت ، فما باله اليوم على رأى القوم تقصر دون الوصول اليه يد المتناول ؟

إذا كان الإسلام يدعو الى البصيرة فيه فما بال قراء القرآن لا يقرأونه الا تغنيا ورجال العلم بالدين لا يعرفه أغلبه الا تغنيا ؟

إذا كان الإسلام منح العقل والارادة شرف الاستقلال ، فما بالهم شدوها الى اغلال اى اغلال ؟

إذا كان قد أقام قواعد العدل ، فما بال أغلب حكامهم يضرب بهم المثل فى الظلم ؟

إذا كان الدين فى تشوف الى حرية الارقاء ، فما بالهم قضاوا قرونا فى استعباد الاحرار ؟

إذا كان الإسلام يعد من اركانه حفظ المهود والصدق والوفاء ، فما بالهم قد فاض بينهم العدر والكذب والزور والافتراء ؟

إذا كان الإسلام يحظر الغيلة ويحرم الخديعة ويؤعد العنق بأب الغاش ليس من أهله ، فما بالهم يحتالون حتى على الله وشرعه وأوليائه

إذا كان قد حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فما هذا الذي نراه بينهم فى السر والعلن والنفس والبدن

إذا كان قد صرح بان الدين النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين خاصتهم وعامتهم ، وان الانسان لفق خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وانهم ان لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن
 المنكر سلط عليهم شرارهم فيدبوا خيارهم فلا يستجاب لهم وشدت في ذلك
 بمالم يشدد في غيره ، فما بالهم لا يتناصحون ولا يتواصون بحق ولا
 يقتصمون بصر ولا يتناصحون في خير ولا شر ، بل ترك كل صاحبه وألقي
 حبله على غاربه فعاشوا أفذاذا وصاروا في أعمالهم أفرادا لا يحس أحدهم
 بما يكره من عمل أخيه كأنه ليس منه وكان لم تجمه معه صلة ولم تضمه اليه
 وشيخة ما بال الابناء يقتلون الآباء وما بال البنات يمققن الامهات أين
 وشائج الرحمة أين عاطفة الرحم على القريب ابن الحسق الذي فرض في
 أموال الاغنياء للفقراء وقد أصبح الاغنياء يسلبون ما بقي في ايدي اهل
 البأساء

قبس من الاسلام اضاء الغرب كما تقول وضوءه الاعظم وشمس
 الكبري في الشرق واهله في ظلمات لا يبصرون . اصح هذا في عقل او
 عهد في نقل لم ترالي الذين تذوقوا من العلم شيئا وهم من اهل هذا الدين
 اول ما يعلق بأوهام اكثرهم ان عقائده خرافات وقواعده واحكامه ترهات
 ويجدون لذتهم في التشبه بالمستهزئين ممن سمو انفسهم احرار الافكار
 وبعداء الانظار ، والي الذين قصروا همهم على تصفح اوراق من كتبه
 ووسوا انفسهم بانهم حفاظ احكامه وقوام على شرائعه كيف يجافون
 علوم النظر ويهزأون بها ويرون العمل فيها عبثا في الدين والدنيا ويفتخر
 الكثير منهم بجهلها كأنه في ذلك قد هجر منكرها وترفع عن دينه فمن وقف
 على باب العلم من المسلمين يجد دينه كالثوب الخلق يستحي ان يظهر به بين

الناس . ومن غرته نفسه بأنه علي شيء من الدين وانه متمسك بمقائده يرى العقل جنة والعلم ظنة : أليس في هذا ما يشهد الله وملائكته والناس أجمعين على أن لا وفاق بين العلم والعقل وهذا الدين ؟

الجواب

ربما لم يبالغ الواصف لما عليه المسلمون اليوم بل من عدة اجيال وربما كان ما جاء في الايراد قليلا من كثير . وقد وصف الشيخ الغزالي رحمه الله وابن الحاج وغيرهما من أهل البصر في الدين ما كان عليه مسلمو زمانهم عامتهم وخاصتهم بما حوته مجلدات . ولكن قد اتيت في خاصة الدين الاسلامي بما يكفي للاعتراف به مجرد تلاوة القرآن مع التدقيق في فهم معانيه وحملها على ما فهمه اولئك الذين انزل فيهم وعمل به بينهم . ويكفي في الاعتراف بما ذكرته من جميل اثره قراءة ورقات في التاريخ على ما كتبه محققو الاسلام ومنصفو سائر الامم . فذلك هو الاسلام .

وقد اسلفنا ان الدين هدي وعقل . من احسن في استعماله والاخذ بما ارشد اليه نال من السعادة ما وعد الله في اتباعه . وقد جرب علاج الاجتماع الانساني بهذا الدواء فظهر نجاحه ظهورا لا يستطيع معه الاعمى انكار ولا الاصم اعراضا . وغاية ما قيل في الايراد ان اعطى الطيب

الى المريض دواء فصيح المريض وانقلب الطيب بالمرض الذي كان يعمل
لمعالجته وهو يتجرع العصص من آلامه والدواء في بيته وهو لا يتناوله .
وكثير ممن يعودونه أو يتشفون منه ويشمتون لمصيبته يتناولون من ذلك
الدواء فيمافون من مثل مرضه وهو في يأس من حياته ينتظر الموت أو
تبدل سنة الله في شفاء امثاله .

كلامنا اليوم في الدين الاسلامي وحاله على مايننا . اما المسلمون وقد
اصبحوا بسيرهم حجة على دينهم فلا كلام لنا فيهم الآن وسيكون الكلام
عندهم في كتاب آخر ان شاء الله .

نظره (١)

على الاسلام والمسلمين

قد بسطنا في فصولنا المتقدمة كل أصول المدينة التي انبى عليها كل
 سائر من الترقى في العالم المتمدذ وأقننا الادلة الحسية على انها بعض قواعد
 الاسلام حتى يتخيل للرأى انها مستمدة منه وماخوذة عنه . وبرهنا ضمن
 ذلك على ان هذه الاسس الاسلامية لا يحتمل ان يعترها التبديل أو يعدو عليها
 التحويل لانها ملائمة لسنن الوجود ومطابقة لنواميس الحياة البشرية المثبتة
 بالحس مطابقة لا يمكن نكرانها بوجه من الوجوه وقلنا ان كل ترق يحصل
 في العالم وكل خطوة تخطوها العقول في سبيل الكمال ليس هو الا تقربا الى
 الاسلام وانه سيفتحي الامر يوما ما باجماع كافة عقلاء البشر على اعتبار
 الاسلام ناموسا عاما للسمادتين وضامنا لراحة الحيائين .

نعم الاسلام هو الدين العام الباقي بقاء الانام والقانون الذي تلمسه
 الفلاسفة الاعلام منذ الوف من الاعوام . اهتم عقلاء الامم من القدم بالبحث
 عن دين حق عام يقوم بحاجة الجثمان المادي والنفس المعنوية ويوفق بين
 مطالبهما على مقتضى ناموس عادل وقسطاس حكيم ويوجد النسبة الحققة
 بين اميالهما بطريقة تمنع تسلط احدهما على الاخر . اهتموا بهذا الامر

(١) من كتاب « المدينة والاسلام » لحضرة الباحث المحقق محمد افندى فريد
 وجدى — و يطلب من مكتبة الترقى بخمسة قروش صاغ واجرة البريد قرش

وتمسوه من كل مظانة لعلهم بان الانسان المركب من نفس وجسم اذا يراع
تمام الاعتدال في مطالب هذين الجوهرين وقع في الافراط في مطالب احدهما
ومتى حصل له ذلك اخل بوظيفة الحياة ودفع نفسه في تيار شديد القوي لا يسرع
به الا ليعصمه صدمة تذهله عن نفسه فيصبح جائحة على بني نوعه أو عضوا
مشلولا فيهم. رأى هؤلاء العقلاء وليس بمد الحس دليل اسطم ولا بعد حوادث
التاريخ يرها واقطع على أن كل المذاهب التي لم تزن مطالب الجسم والنفس تقسطاس
مستقيم ولم تعدد لكلا هذين الجوهرين ناموسهما القويم تقسم الامم التي تسود عليها
الى قسمين عظيمين تدوم بينهما الفتن المرهقة والقلاقل المزعجة اما ما مستطيلة
حقى يسود أحدا أو لك القسمين على الآخر ومتى امتلك حريته المطلقة ولم يجد
امامه مقاوما يخفف من سيره تطرف واستهدف لكل ما يستلزمه الافراط في
احد نوعي مطالب الانسان ولم يلبث ان تصيح به الطبيعة البشرية صيحة
ترده مدبرا على عقبه فيصبح كالأرمن بالامس ومن يتصفح تاريخ الامم
يرا بميزه هذه الحقائق ساطمة واضحة لا تموزه الى بحث طويل .

أما نحن فاول من يوافق هؤلاء الحكماء على افكارهم من ضرورة
تلمس مذهب عام يوفق بين مطالب الجسم والنفس توفيقا عادلا ويربط
صلاح احدهما بصلاح الآخر كما هو شأنها طبيعة . وقد اثبتنا في فصولنا
المتقدمة ان النفس عرضة للامراض المختلفة وللشفاء منها كما هي حالة الجسم
سواء بسواء . ولما كان الرجل لا يستطيع ان يحمي جسمه من عوارض
الطبيعة المهلكة الا بتعلمه لقانون الصحة الجسمية فكذلك يجب أن يكون

هو ذاته على علم بقانون يسمى بقانون الصحة النفسية ليستطيع أن يمنع نفسه من غوائل الامراض المنوية القتالة . ولما كان هذان الجوهران المركبان للانسان موضوعين بطريقة بها يتأثر أحدهما بمرض الآخر وجب ان يكونا ذاتك القانونان اللذان يبحثان عن صحتهما متناسيين متلاعبين لكيلا يكون في السير على أحدهما اضرار بالآخر . هذه الحقيقة أصبحت في هذا القرن خصوصا من البدائة التي لا يمتري فيها لان حالة الوجود كله شاهدة بصحتها . وهذه الحقيقة نفسها هي التي بعثت خاصة علماء أوروبا الي تأليف ديانة سموها الديانة الطبيعية أسسوا بنيانها على دعائم البدائة العلمية والحقائق الفلسفية ونحن نستحسن أن نأتي في هذه المجالة على أهم قواعد مترجمة من كتاب (الابحاث الاخلاقية على الزمان الحاضر) تأليف العلامة كارو قال : « قواعد الديانة الطبيعية هي الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات واعتنى بها وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانساني . والاعتقاد بوجود روح في جسم الانسان متصفة بالذكاء والحرية ومحبوسة في هذا الجسم المادى أمدا لتبتلى فيه . وهذه الروح يمكنها بارادتها ان تظهر هذا الجسم وتنقيه اذا عرجت به نحو السماء . كما يمكنها أن تسفله بانثناسها بالمادة الصماء . والاعتقاد المطلق برفعة التعقل على الاحساس . ووضع الحرية الاخلاقية التي هي ينبوع واصل كل الحريات الاخرى تحت سيطرة الاعتدال الكلى . واعطاء الاخلاق الفاضلة اسمها الحقيقي وهو الامتعان والابتلاء وتحديد غرضها الحقيقي وهو التخليص التدريجي للنفس من علائق الجسم . والتهيؤ لساعة الموت بالزهاده . وأخيرا الاعتراف بقانون الترفي

ولكن بدون فصل رقى النوع الانساني في مدارج السعادة المادية من
العواطف الفاضلة التي هي وحدها تبرر تلك السعادة .»

لا شك ان كل من يعمن نظره فيما قدمنا من نصوص الديانة الاسلامية
وفي قواعد هذه الديانة الطبيعية يرى بوضوح ان الاسلام هو تلك الامنية التي
تمسها الفلاسفة وتلمسوها في سائر اجلثهم العلمية من قديم الزمان الي
الآن ثم يندهش ويتمجب من الخطوات التي بخطوها النوع البشري بين
كل هذه القلائل الاجتماعية في سبيل الرقى والتدرج متقرا كل يوم من
قواعد الدين الاسلامي على غير علم من افراده ويتأكد ان الاسلام هو الغاية
القصوي التي وضعها الخالق جل شأنه أمام هذا النوع ووضع فيهم من
القبالية والاستعداد لبلوغها ما تشاهد آثاره وأفاعيله في تاريخ الانسان مما
هو مصداق لقول الله تعالى . « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق .»

من هنا أيضا يدرك المعن النظر سر ذلك التطور المدهش الذي حصل
في الامة العربية فجعلها خير أمة أخرجت للناس بعد ان كانت من الوحشية
بمكان ليس دونه مكان :

فلنبعث في حالة المسلمين الان وفيما هم واقعون فيه من العلل الاجتماعية
التي انتهكت قواعم من منذ قرون عديدة لنعلم أين الداء وما هو الدواء . نعم
بحث هذه المسألة قبلنا كتاب فطاحل ولكن في غاية الاسف رأينا اكثرهم
أغضى كل الاغضاء عن ذات العلة وأخذ يجهد نفسه في مداواة الاعراض
المرضية وهذا جهد لا يبلغ صاحبه أمينة مادام سبب المرض

لم يزل ينتج أفاعيله على حسب قانونه الخاص به ويسير سيره الطبيعي في جسم
الهيئة الاجتماعية الاسلامية . أما نحن فلا نريد أن نسلك هذا المسلك الذي لم
ينتج فائدة ما بل نريد أن نثقب أغلفة أدواء الشرق المترابكة على بعضها حتى
نصل بمون الله الى معرفة ذات العلة . ومتى عرفناها سهل علينا ولا شك
معرفة دوائها وكيفية تطبيقه فنقول :

لا يخفي على كل انسان ان مدينة المسلمين التي تكونت جرئاً وتهافتاً في
جزيرة العرب فنفرعت افنانها في مدة قصيرة الامد على اكثر بلاد المشرق
لم يكن لها من سبب أولى غير الديانة الاسلامية . ويتمكن كل انسان باستقرار
التواريخ وعلوم العمران أن يستدل على ان هذه المدينة كانت اسرع المدنيات
سيرا واكثرها بهجة وأوسعها بقاعا واعجبها منبتا واقواها امتلاكاً لازمة ذويها
وتأثيراً على أذهان متبعميها . وانها كانت جامعة لناموسى كل السعادات الاجتماعية
وهما العلم والعمل .

هذه أمور يهدها النظر المجرد في تاريخ المسلمين في مبتدا امرهم ولكننا
الآن لواجبنا نظراً جولة صغيرة على جميع الامم الاسلامية فلا يرى الا عكس
ما كان عليه آباؤنا الاول . نرى نواويس الانحطاط سائرة بنا القهقري وآخفة
في نحو أهميتها شيئاً فشيئاً مع ان كل العناصر المكونة لمجموعنا تزل تدعي
الاسلام وتحافظ عليه محافظة الانسان على فؤاده . فهل ذلك مصداق لقول
متطرفي فلاسفة هذا العصر من أن شأن الديانات عموماً تقييد الانسان عن
الرقى ومنع النفوس عن التدرج في معارج الكمال ؟ كلا . فان أقل نظرة
في حالة العرب في جهالتهم ووحشيتهم قبل الاسلام ثم في مدنيتهم

وسرعة رقيهم بعده مما لم يعد له مثيل عند سواهم تدلنا دلالة واضحة على كذب هذه المقولة . اذا هل هذا الاثر مصداق لقول معتدليهم من أن كل قاعدة مهما كانت ممدنة للامم ومرقية لشأنها في عصر من العصور لم تخل من ان تكون محتوية على جرثومة تمنع الرقي في المستقبل لمضادتها السنة الازمنة والمناسبات كلا . فانا درسنا ام نواميس الاسلام في كتابنا هذا درسا مدققا فلم نره الا مطابقا لقوانين الحياة البشرية ملائما لقواعدها ورأينا رأي العين انه لم يصنع للرقي حدا تقف النفوس عنده بل سن قواعد عامة وكسر كل قيد وضعه المتشرعون الاول جهلا منهم بسنن الحياة المستقبلية واطلق كل خصائص النفس من اغلالها الاولى وترك اليها اعتنتها ولكن بعد ان نقلها الى جادة الاعتدال والحكمة ونحن لا نتنظر ان يأتي زمان يقال فيه ان الاعتدال مذموم وان الحمود هو الافراط أو التفريط . اذن ماهو السبب في تاخر المسلمين حتي عن مساواة آباؤهم في عشر فضائلهم ؟ أما نحن فلا نجد السبب الا في هذا الامر المهم الا وهو سوء فهمنا لمعنى الدين وحمله على غير المراد منه واليك التفصيل :

انا قد برهنا في فصولنا السابقة بالاستناد على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واحوال الجمعية الاسلامية الاولى علي ان غرض الاسلام الاول هو ترقية شأن الانسان ماديا وأديبا علي حسب ناموس الرقي العام الذي استدل عليه باستقراء احوال الانسان وتطوراته ؟ وانه لم يفتخر بصغيرة ولا كبيرة مما يظهر النفوس من شوائبها ويجعلها صالحة لاداء وظيفتها الا اشار اليها ونبه بالتمويل عليها وقد تكلمنا على كل هذا بتفصيل لم يجعل

للكوك محلا في الازهان ولا للريب مجال في الوجدان. ولكن بالقاء نظرة على مجموعتنا الآن نرى سوادنا الاعظم لا يفهم من الاسلام الا أنه محض قواعد للمعبادة ومجرد دعوات يقصد بها قضاء الحاجات في الدنيا أو نوال الدرجات العلى في الآخرة ولا يملون منه الا الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج. واما ما فيه من آيات الحكمة ومعجزات الفضائل التي بعثت الامة العربية من جدت خالتها الاولى الي ذروه جلالتها التالية فقد ضربوا عنها صفحا مع انها هي لباب الدين وزبدة الاسلام والغرض الوحيد من انزاله وتشريعه .

جاء الاسلام موقفا بين مطالب النفوس من المقاوم المعنوية والمنازل الاخلاقية وبين مطالب الجمعان من الاشياء المادية ليكون متبعا انسانا كاملا عادلا بين مطالب طبيعية موقفا بين أميال جوهرية فيقول الله : « وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين . » ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « ليس خيركم من ترك ديناه لا آخرته ولا آخرته لديناه بل خيركم من أخذ من هذه وهذه . » ولكن لوى سوادنا الاعظم النكشع عن تدبر هذه الحكمة البالغة وتابعوا أهواء الامم السابقة في فهم الدين وزعموا انه محض عبادة ومتابعة عادة ولهم في ذلك افكار ما انزل الله بها من سلطان . يقول الله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا . » ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم . « ان من فقه الرجل استصلاح معيشته وليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك . » فاسدل الناس على هذه القواعد العليا استار النسيان وزعموا

من تلقاء انفسهم ان الدين هو عبارة عن التفرغ الكلى من علائق الدنيا
والانقراط المطاق من كل الاميسال البدنية . فعلوا كل هذه ولم يعلموا انه
السرطان الذي اناد الامم السابقة والطاعون الذي استأصل النحل المتقدمة .
ولكن كيف بتأني لهم أن يعلموا ذلك وهم منزوون في محالهم جاعلين سدا
منيعاً بينهم وبين هذه الآيه : « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها أراذان يسمعون بها فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب
التي في الصدور . »

هذا الفهم السيء في معنى الدين اذانا الى تغيير معنى التقوى عما
كانت عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن اصحابه الكرام .
فالنتقي على حسب فهم دهائنا الآن هو الرجل الذي خيم عليه الخمول
والكسل وترك الجد والعمل ولم يترك له في الدنيا أقل أمل ، وكان على تمام
الجهل باحوال الاواخر والاول ، والذي ان مشي كان على مهل ، وان جلس
كان في عنقه ميل ، وان دعي الي مهمة أورتها الخلل والزلل . هذه هي
صفة التقى عند أكثرنا الآن وهو كما يراه كل متأمل في أحوال سلفنا
الصالح مغاير تمام المغايرة لما كانوا عليه مناقض له على خط مستقيم . كيف
لا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم أئمة التقوي وامثلة
النكمال الدينى كانوا كما يلمه الخاص والعام وبرويه التاريخ للانام رجال
الجد والعمل وأهل الشيم والهمم وقادة العلاء والعظم لم يتركوا مظنة للفخار
لا وردوها ولا راية للمجد الا رفعوها حتى اعلوا كلمة الحق على الاباطيل
وقوضوا دعائم الجور والاضاليل مما يدل مطالع سيرتهم على همة لوصادمت

الجبال لسحقها سحقاً أو لحظت الثريا لحقتها محملاً. همة يقف أمامها غطاريف
هذا العصر حيارى ولا تعد هماتهم بجانبها إلا عجزاً واقتصاراً. همة عرجت
بنفوسهم إلى سموات الرفعة عن دنيا الأمور وسفاسف الأعمال وعلت بهم
عن التدنى للفجور وخسائس الأميال. همة كما زادتهم عن الرتوع في مموه
الشهوات بعثتهم إلى منازل الكمالات وكما ردتهم عن وهاد الزلات حثتهم
إلى تسنم نجاد المكرمات حتى صاروا ملائكة في صورة آدميين ونورا
ساطما ولو كان غلافه من طين. هذه هي التقوي التي رسمها الإسلام لمتبعيه
وخطها لذويها لا مازاه الآن من التقوي التي لو طبقت على الإسلام لرأيناها
عين الفجور ونفس المحذور.

هذا الفهم السيء في التقوي الذي أوقفنا فيه جهلنا بحقيقة الإسلام جعلنا
نقسم الناس إلى قسمين قسم سميناه أهل الدنيا وهم الذين يعملون لفلاح البلاد
وصلاح العباد سواء بصناعاتهم اليدوية أو بأبحاثهم الفكرية وقسم سميناه
هل الآخرة وهم الذين تركوا الدنيا جانبا وأوقفوا أنفسهم على
الصلاة والصيام والمشى في الطرقات خلف الطبول ونحت الأعلام. وانبني
على هذا التقسيم الوهمي الذي تأصلت جنوره في العالم الإسلامي من
منذ قرون عديدة أن وقف أهل الدنيا أنفسهم لتعلم العلوم التي عليها
مدار السعادة المادية كما قصر أهل الآخرة أنفسهم على الاشتغال بالعلوم
العبادية. فصار القسم الأول بهذا الاعتبار جاهلا للدين جهلا بوقعه في
الشكوك والشبهات وصار القسم الثاني جاهلا للدنيا وأمورها جهلا أداه
إلى العمارة من سياسة أحواله المعاشية فوقع في العوز الذي أداه إلى مديده

واراقة ماء عياه ولو كان ذلك تحت ستار رقيق وحاجز شفاف .

هذا التفريق بين الدين والدنيا مناقض تمام المناقضة لمبادئ الدين الاسلامي من كل وجه ومعارض لاوامره بل ومعتل لاكثرها تعطيلاً .

قلنا فيما سبق ان الاسلام هو الدين العام الذي يوفق بين مطالب النفس والجسم توفيقاً لا محيص منه لمن أراد ان يستقيم على العبادة الحكيمه واثبتنا ذلك بالادلة القاطعة وقلنا ان الانقطاع للعبادة ليس من مقررات الاسلام « من تبطل فليس منا » وانه جاء لصالح الدين والدنيا معا « ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة * وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم . » واكدنا بالادلة الناطقة انه يحض على الكسب والعمل ويردع عن الخمول والكسل بعبارات أشد تأثيراً على الاذهان من أقوال فلاسفة هذا الزمان وان الاعمال في نظره مرتبطة بنية الفاعل ومقصده فان ترك الانسان المحرمات كلها وكان مقصده الرياء عد منافقاً موزوراً وان نوى صالحاً فخطأ فيه كان مثاباً مأجوراً قال عليه الصلاه والسلام : « انما الاعمال بالنيات . » قال علي رضي الله عنه مامعناه : « من أخذ الدنيا بما فيها وأراد بها وجه الله فهو زاهد ومن ترك الدنيا وما فيها ولم يرد بها وجه الله فليس بزاهد »

قلنا كل هذا أو ما يقرب منه في فصولنا المتقدمة وأقمنا عليه الادلة التي لا تقبل النقص ونزيد هنا تحويل الانظار الي احوال الجمعية الاسلاميه الاولى فان أفرادها لم يكونوا منقسمين الي قسمين قسم دنيوي وآخر أخروي . بل يروى لنا التاريخ انهم كانوا كلهم يدا واحدة في العمل

للدن والدنيا معا فان أبا بكر وهو أول المسلمين كان تاجرا ولم يبطل مهنته الا حين تبوأ عرش الخلافة وروى الامام احمد بن حنبل اذا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم. ولقى أبو قلابه رضي الله عنه صديقه في المسجد فقال له: «لان أراك تطلب معاشك خير من أن أراك في زاوية المسجد». وكان عمر رضي الله عنه يقول: «ما من موضع بأبني الموت فيه أحب الي من موطن أتسوق فيه لاهلي ابيع واشترى». ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحثهم على العمل للدنيا كما يحثهم على العمل للآخرة فكان يقول: «اعمل لذنيك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا». ويقول: «أحرثوا فإن الحرث مبارك». ويقول: «اطلبوا الرزق في خبايا الارض». ويقول: «تسعة اعشار الرزق في التجارة». ويقول: «العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في طلب الحلال».

هذه هي نصوص الديانة الاسلامية واحوال جمعيتها الاولى في عدم التمريق بين الحاجيات الدينية والدينية وهذا هو عين السبب الذي حمي المسلمين في مبدأ امرهم من الانقسام الي حزب ديني وحزب دنيوي وهو الامر الذي يوجد التخالف بين نزعات الامة وينشئ التناقض في أغراضها فيتولد التضامن والتباغض بين آحادها رغما عن كل عوامل التأليف بينهم وبمرور الزمن يستحيل الامر الي حدود تلاطم بين هذين القسمين تلاطما يفرض بالجمعية الي الفوضى العسكرية. ومتى تاصلت تلك الفوضى تهككت عرى الجامعة الأساسية التي تربط اجزاء الامة بعضهم

يبعض وأخذوا يشعرون بسرمان الفساد على مجموعهم وسوء منقلبهم في مستقبلهم. فاذا انتهى حال الامة الى هذه الدرجة اخذ القسماز الديني والدينيوي يتبادلان القاء المسؤولية على بعضهما فينسب الدينيون ذلك الفساد الطارىء الى تمادي الكافة في شهواتهم البهيمية ويمزوه الدينيون الى تقصير اساتذة الدين عن الارشاد والقصور عن قمع نزغات ذوى الاهواء ويستمرون في هذه الملاجة الفارغة بينما تكون جرائم الفساد آخذة في التثشي والانتشار جارفة الامة امامها الى مهاوى الدمار والبوار.

هذه هي حالة الامة الاسلامية فانها بعد ان طرأ عليها من الحوادث ما فصح وحدثها الاولى فاقومتها فيما وقعت فيه الامم السابقة من الفصل بين الدين والديني وبين اهلها أخذ كل فريق ينابذ الآخر ويلقى التبعة على عاتقه ولعل جيلنا الحاضر هم أكثر الاجيال شعورا بضرورة فضائل الاسلام لبناء مآثرهم من مجدنا واشدها تقريبا لعلنا ثنائي تقصيرهم عن الارشاد والتعلم على حسب مقتضيات لزمان الحاضر. نعم اننا لذعمر بتهمىء النفوس الى انتشاق نسجات الكمالات لاسلامية المنمشة لتبرأ مما تراكم عليها من جراح الفساد الاخلاقي الذي قدم وطم وساق النشأة الحديثة الى نقطة فقدت فيها لاسلامنا الابالدينا والادناس. نعم اننا نرى بوادر ذلك الشعور لائحه الا اننا نستطيع من قرائنا الحربية لاجل ان نقول ان ذلك الشعور لم يستكمل شرائطه الضرورية. فكفى بالناس يريدون أن تمطر السماء عليهم هذه الفضائل الاسلامية فتعمر قاضيهم ودانيهم وهم جالسون على اسرته منصرفون عن كل ما يقرب ذلك الامل أو يجعله ممكنا. بل

كان في بهم يرون ان تلك الفضائل لا يمكن تاتيها الا بواسطة رجال يلبسون شكلا
خاصا من الالبسة أو يقرأون كتبنا مخصوصة في العلوم .

كلا . فانا ان ظننا ذلك فقد بخسنا بحقوق عقولنا وكنا كالسالى
يودون لو يرزقوا بكل حاجياتهم وهم قومود في دورهم المنزوية . كلا . ان
الفضائل الاسلامية التي كان يفهمها الاعرابي الخاوى في مدة قصيرة لا
تسر مطلقا على نشأة هذه الامة المتهدبة .

أسس الاسلام لا يحتاج لاجل أن تنفذ الي العقول الى جدال أو الى تمهيد بل هي
قواعد سهلة الماخذ واضحة المسالك تشر النفس عند علمها بما بطمانينة وراحة لا
يستطاع التعبير عنها بوجه من الوجوه . فان كان الرجل عالما بحقائق الكون وأراد
أن يفسر سر تلك الطمانينة التي سادت على نفسه فاستقرت بعد اضطرابها وهدأت
بعد ثورتها فاعليه الآن يتدبر في أسرار الخلق وفي تكاليف الحياة البشرية وفي
النواميس الناطقة السائدة على مجموع هذا الكون بأسره وفي الغرض الذي يسمى
اليه الانسان رغما عنه ليرى بعينه عيانا ان تلك الاسس الاسلامية على سهولتها
وسرعة تعقل الجاهل لها هي المحجة الوحيدة الي توصل الانسان سعادة مادته ومعناه
وراحة دنياه وأخراه . وانها هي نفس المحجة التي خلق الانسان مطبوعا على تمسها
رغما عنه والتي يراها الآت علماء العالم على بعد منهم ويسعون في تدليل
كل الصعوبات للوصول اليها .

اذا كان هذا شان اسس الاسلام من السهولة ومثانة القواعد فلماذا
يقبا كي على فقداننا تلك القواعد ونشتكي من قصور المرشدين عن ابائهم مع

انها مبسوطة باصرح عبارة وأرق اشارة في القرآن الشريف وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كتبه سلفنا الصالح ؟ هل يظن المسلمون ان الله تعالى لم ينزل القرآن الا ليفهمه رجال محصوصون أو ليقرأ سردا وبدون تعقل على رؤوس القبور وفي أوساط الطرقات أو ليتلى بالحان الغناء في ليالي الافراح بين لفظ الترجيلات ودخاز السجارات ؟ أم هل يظنون ان احاديث رسول صلى الله عليه وسلم لا يصح ان تتلى الا لقضاء الحوائج وحصول البركات في المنازل ؟ ليعلم المسلمون ان كل هذه الامور تنافي الاسلام وتساعد على استجلاب سخط رب الاسلام .

ان القرآن وهو مجتمع زبد الحكمة وأحاديث رسول الله وهي خلاصة قوانين العمران لم يامر الله بتدوينها في الطروس ونشرها بين سائر طبقات الامه الا ليتدبروا حكمها ويأتمروا بها فانها ملك السموات والارضين ومساك الحياتين وفي تاريخ المسلمين اكبر حجة على قولنا هذا . ها نحن شعرنا بالحاجة الى كلمات الاسلام فيما بالناس تعود عن أخذ حاجتنا منه كل على قدر استطاعته « ولا نكلف نفسا الا وسعها » .

السنا الآن كالكسالى يرون الغذاء أمام أعينهم وهم علي شفا الهلاك من الجوع فينتظرون انصباب الطعام الي افواههم بدون مدايدهم
أليس من العار الشائن ان نصرف كل أوقاتنا في مطالمة روايات (ايميل زولا) و (بول بورجيه) مع ضئنا بجزء من ذلك الزمن علي مطالمة ذلك الكتاب الذي جمع بين دفتيه أسرار هذا الوجود بأسره
أندى التمدن والتور ونميل للتشبه بالتمدين في الجرى وراء اكتشاف

مساير الكون ونرى القاعدين منا بالحمول والموت الفكري ونحن رؤوسنا
اعجابا بنظريات (سبينسر) في العمران و (جيتا) و (تيروس) في السياسة
و (ريبوا) في الفلسفة حالة كوننا صارفين النظر عن تدبر أسرار ذلك للكتاب
(القرآن) الذي لو أفنى علماء العالم كله أعمارهم في تدبر بدائمه وحكمه لما
وصلوا الي جزء منها .

لعلنا نخرج من الاشتغال بالامور الدينية تقليدا لغيرنا خشية من ان
نتهم بالقصور العقلي : ان كان كذلك فهو تقليد أعمى كان يغنيناعنه احالة
نظرنا قليلا في كتابنا السماوي لنرى ان الاسلام ليس بالدين الذي يامر
بالانزواء والاستكانة أو بالتعصب مع الاتقياس في المهانة أو باضناء الجسم
في العبادة مما هو مناف لمطالب المدنية الحاضرة والمستقبله بل هو الدين
الذي يامر بالكد والعمل ويحبب للانسان السؤدد وعلو الهمم ويهديه الى
الفضائل والشيم . كل ذلك يحكم لاتقارن حكم الفلاسفة بها الا كما يقارن
نور المصباح بنور الشمس في رابعة النهار . فالتسكلم في الاسلام والحالة
هذه لا يكون مردد الافكار قامت بتكذيبها الشواهد الحاضرة بل يكون
ناطقا عن لسان الحكيم العليم بحكم لاياتها الباطل من بين يديها ولا من
خلفها . بنظريات تصحيح بالدلالة عليها السنة هذا الوجود الصامت .
بقواعد لا يعتربها خلل ولا يعتورها زلل . باسسن عليها يقوم العمران ومنها
يشرف الانسان على جنان العرفان . بانوار تنفذ الي صميم الفؤاد فتشرق
فيه شمسا لا يخيبو ضياؤها ولا تنطمس لآلئها تنير على المرء حزون هذه
الحياة السكدره وتنك له عقدها العسره . تداوى جراح الافئدة بما أصابها

من سهام الحوادث وتضم دقرو حها من طعنات الكوارث وتطر دعن النفوس
شياطين أو هامها وتظهرها من غاشيات احلامها فتسكن بعد اضطرابها وتجهلها
تتجه الى سعادتها من بابها وتمزق دونها كفيف دجباها حتى تجعلها صالحا لان
تطل على الملكوت الاعلى وتزال منه زبد العلم الاجلى.

ألا تنظر الى حالة العرب من الخشونة والجهالة والهمجية قبل اشراق
الاسلام عليهم ثم الى مصيرهم بعده ؟ ان الرجل منهم في الجاهلية كان يذهب بابنته
الى القلاة وهي على ذراعه فيحفر لها حفرة وهي تنظر اليه ونحو بنواتها عليه فلا يجد
في نفسه فؤادا يمن عليها وكان يدفنها حيه بيديه ثم يذهب الى اهله فرحامسروا كانه
لم يفعل الا ما يستحق حسن السمعة وينسل عنه وضر الشنعة. تدر بعيشك الى هذه
القلوب القاسية والاحساسات العاتية ؟ ثم انظر اليهم بعد اعتناقهم للاسلام ترى
ماذا ؟ ترى رجالا نوا من المواطنين الكريمة عالم ينله رجل ربي في مهدها الحكمة
وغذي بلبان الرحمة . ترى امثلة للشهامة والفضيلة واساطين للاسجايا الجليلة
والاخلاق الجميلة قاموا يعلمون فلاسفة الاخلاق بمثلهم ومثالهم قصور
مادونوه في اسفارهم : ترى اناسا نورهم يسمى بين ايديهم وفضلهم يغمر
قاصيهم ودانيهم يفضلون الملائكة تقوي ووقارا وبنوقون الا كاسرة
همه واقتدارا . انظر الى عمر بن الخطاب وهو الذي تعلم تاريخه في زمن
الجاهلية والى ماذا آل أمره بعد ان اسلم بوضع وعشرين سنة آل أمره الى
ادراك حكمه وسياسه وثبات أعز بها الاسلام والمسلمين وحفظ بها
قرام ملكه العظيم مما يقصر عنه اكبر ملك تربى في مهاد التشريع

ويكبو دونه أعظم فيلسوف ولد في حجر الحكمة والسياسة. وبلغ من رقة الفؤاد والتقوى درجة كان يسمع الآية من كتاب فيغشي عليه منها أو يعرض لاجلها أياما عديدة. فكان المتنبّي عناه بهذا البيت :

قسا فلاسد تفزع من يديه ورق فنحن تفزع أن يدوبا

من أين حصل له هذا وبماذا ناله ؟ هل درس الاخلاق في مدارسها الكلية أو علم العمران في الجامعات العلمية أو السياسة على المنابر البرلمانية أو التشرّيع في المدارس الحقوقية؟ - كلا. لاشيء من ذلك ولكنه كان يتلو القرآن واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ويتدبر فيهما ويسأل غيره فيما كان يتعسر عليه منهما .

هذا رجل واحد قد ضربناه لك مثلا ترى بعينيك سلطة الدين الاسلامي في احالة الطباع وسرعة تأثيره في تغيير اتجاه النزعات وفي تنوير اذهان ابناءه ومتبعيه .

فما بالنا نفيد هذه الكنوز وراء ظهورنا ونظل نتساءل عن حكمة نتعلمها أو اخلاق نتصفبها ونقتنع بعدم اخفاق المسمي بان تلقى تبعه فسادنا على غيرنا ونهدر بشقاشق تسمى حالنا وتميح ما كنا تاركين حكم الله تعالى و سنن رسوله مقصورة على القبور والمدافن يتلوها رجال لاخلاق لهم من العلم ؟ هكذا نفعل كلنا الآن والله شهيد علينا حيث يقول « واتخذوا القرآن عضدين فوربك لنسألهم اجمعين . »

خلاصة القول ان دواء المسلمين الوحيد هو أن يفهموا معنى الاسلام ويدركوا ان غرضه الاول هو ترقية حالتى الانسان المادية والادبية معا

لازتاباطهما ببعضهما ارتباطا كلياً لاجل أن تستطيع النفس ان تعرج الي ما
أعد لها من مقاوم العلاء عروجاً سريعاً . وأن يفقهوا ان لفظة عبادة في
الاسلام لا تعني العبادة الجسمية من ركوع وسجود فقط بل ان كل ما يفعله
الانسان يريد به امر اي ينبنى عليه اصلاح لذاته أو لعائلته أو لجميته أو لبني
نوعه أو للكائنات كلها هو نظري في الاسلام من أحسن أنواع العبادة واشرف
أشكال الطاعة لله عز وجل : « ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى في اللقمة
يرفعها الي في امرأته » والشاة ان رحمتها يرحمك الله . « حديثان شريهان .
وان يدركوا ان الاسلام لا يعارض التقدم في الصناعات والاكتشافات بل
يحث عليها ويندب اليها ويؤخذ المتقاعسين عن مجاراة غيرهم فيها : هذه
الأسس الاسلامية تنطق بتأييدها ماثات من الآيات القرآنية والوف من
الاحاديث النبوية وأحوال الجمعية الاسلامية الاولية حتي ان المرشد المتنور
ليستطيع ان ينقشها في مخيلة تلميذه في درس واحد .

هذا هو دواء المسلمين ولكن دون وصوله للعامة المحرومين من المطالعة
والاطلاع عقبات لا يرحزحها عن مواضعها الاكروور الزمان عليها وحصول
مناسبات مساعدة لنشرها .

وانا نتمم مقالنا هذا برفع أكف الرجاء الي الله عز وجل أن يهدينا الي
صراطه المستقيم ومنهاجه القويم وأن يوفقنا للسير على هدى رسوله الكريم
وان يحسن خواتمنا اجمعين آمين . وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى
آله وصحبه ومتبعيه وسلم تسليماً كثيراً .

مؤتمر التربية الاسلامي « في كلكتا »

اشرفنا في المؤيد منذ شهر الى اخواننا في الهند عازمون على عقد مؤتمرهم الخاص
بالتربية في مدينة كلكتا عاصمة البلاد الهندية . وقد جاءتنا الجرائد الهندية امس وكلها
ملا آي عبا حث المؤتمر والخطب العديدة التي القيت فيه حتى اضطر معظم الجرائد الاسلامية
الى اصدار ملاحق خاصة بها وجر يدة (مسلم كرونكل) الشهيرة التي تصدر في الاسبوع
مرتين صارت تصدر يوميا في حجمها المعتاد

ولعمر الحق ان نطاق المؤيد ليضيق عن نشر مفصلات هذا المؤتمر وما تناول من
مباحث اخواننا المسلمين الذين تقاسم نفوسهم وتشعر عواطفهم بضرورة العمل لايجاد
نشأة اسلامية تنهض بالمسلمين من الوهدة التي سقطوا فيها بجهلهم ومخولهم . بل اننا لو حاولنا
فشر مظاهر السرور التي كانت تبدو على وجوه المسلمين في ذلك اليوم كما شرحتة الجرائد
لهندية وهر وعهم الى محل الاجتماع حتى صار عدد المجتمعين لا يقل في كل يوم عن الفين من
المسلمين كانوا على رؤوسهم الطير بكل يحمل في صدره آملا ملؤها حب التقدم والرفعة لكافة
اخوانه . او حاولنا ان نترجم اقوال الخطباء وخصوصا خطبة رئيس المؤتمر الفاضل القاضي
أمير علي (صاحب المقالة التي نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية عن حقوق النساء
في الاسلام كما يعرف ذلك كثير من القراء) فانه قد القى خطبة بليغة تستغرق الصحائف
العديدة بحث فيها عن حالة مسلمي الهند بنوع خاص واستطرد الى الوسائل التي ترقبهم والتربية
التي تفيد ابناءهم ثم التفت الى المسلمين عموما في كافة بقاع الارض وقارن بين تاريخهم

الماضي وتاريخهم الحاضر مما سيراه القراء ماخصا في هذه الرسالة أوجا ولنا ان
 ننقل أقوال الخطباء الآخرين لاستلزام ذلك لم يصدر للمؤيد في مائة صحيفته لافي
 ثمان لكن ذلك لا يمنعنا من ان نلخص اعمال المؤتمر وننقل للمصريين اسم الموضوعات
 والعبارات التي استلقت نظر القارى وتطوي في ثناياها حقائق تفيد المسلمين معرفتها
 وقيل ان نبحت في اعمال المؤتمر ننشر للقراء خلاصة ما كتبه الجرائد الهنديه
 الاسلاميه من عندها على المؤتمر وآراءها فيه . قالت جريدة مسلم كرونكل .

« سيكون يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ نقطة خضراء في صحراء ، ذاكرة
 المسلمين عمر ما وأهل كلكتا منهم خصوصا لانه يوم رأي فيه المسلمون بعضهم
 يكاتف بعضا والغرض الذي يدفعهم لذلك هو نشر التربية والتعليم بين كافة
 المسلمين لينهض الشعب الاسلامي في الهند نهضة الاسد القصور فيعود اليه
 ماضي حزمه وعزمه . كذلك لا ينسى أحد ان المؤتمر انعقد لأول مرة في كلكتا
 عاصمة البلاد الهندية وان هذا المؤتمر الذي اسس من ستين عديدة لا يزال
 قويا همة مؤسسيه الذين استفادت البلاد من اعمالهم فائدة عظيمة . ومتى
 تصور القارى ان عدد الحضور في الجلسات لم يقل عن الالفين فانه يتصور
 ضرورة النظام الواجب المقام والاستعدادات التي اهتم أعضاء المؤتمر بشأنها »
 ثم استطردت الجريدة الي وصف المحل الذي أعد للمؤتمر وهو احدي
 سرايات أكبر العائلات الاسلاميه واثرها .

وقالت جريدة (بنجاب ايسر فير) ماياتي : كان يوم ٢٥ الجارى
 (ديسمبر) يوما مشهودا في محطة « حوره » محطة السكة الحديدية كلكتا -
 كان منظرا مؤثرا في ذاته سيدبقي في ذاكرة المسلمين الي ماشاء الله . فما كاد

ينبليج نور الصباح حتى هرعت الوفود وازدحمت الاقدام وساد النظام في المحطة حتى استغرب الامر كثير ممن لم يفتقروا على سره وغاية ما توهموه ان هناك حركة جديدة دبت في نفوس مسلمي البنغال (الجزء الشرقي من الهند) ثم أقبلت القطارات تحمل المسلمين من جميع البقاع الهندية في ملابسهم الهندية بين لابس للعمامة المعروفة وبين لابس للطربوش العثماني وبعد أن التقت وجوه المستقبليين بالقادمين ذهبوا جميعا الى المحل الذي أعد لاجتماع أعضاء المؤتمر . وهذا المؤتمر قد أسس من زمن مديد تحت رعاية وبهمة فقيد الوطن المرحوم السيد احمد خان وبمساعدة المستر (تيودوريك) الصديق الحميم للمسلمين الذي توفي منذ بضعة شهور وانضم له في ذلك الوقت من كبار المسلمين ما جعل له نهضة مالية لا تزال آثارها باقية لليوم وممن حضروا في هذا اليوم الى المحطة من الاعضاء نواب محسن الملك وسردار محمد هيات خان (حامل نيشان الهند) ومولانا نادرا احمد والاستاذ شبلي والسيد شاه الدين (دكتور في علم الحقوق) المحامي وشاه زاده سلطان احمد واحمد عبد القادر وصاحب جريدة بنجاب اسر فير خان بها در بركة الله ونصر الله خاز شاه بزاده وغيرهم كثيرون .»

ولنعد الى المؤتمر . قالت جريدة مسلم كرنكل : اجتمع الاعضاء وقام الرئيس وهو العالم الفاضل (القاضي أمير علي) وألقى الخطاب الآتي .
أيها السادة: انني أعتبر الشرف مزيد: مزيد الشرف في انتخابكم اياي لرئاسة هذه الجمعية الاسلامية وأؤمل أن تحمّلني عن ثقمتكم بي على تأديته الواجب الذي يدعو كل مسلم الى القيام به وانني أهني هذه الجمعية واعضاءها على ما أظهره

من الثبات في تأديته العمل الذي كلفوا به انفسهم اما غاية المؤتمر فانها غير خافية على احد وكيف تخفي وكنا يعلم ان القصد من هذا الاجتماع هو العمل لما فيه الصالح العام لجميع مسلمي هذه الديار ولا يعني كذلك اعلان استهسانني من اختيار عقد المؤتمر هذه السنة في مدينة كاسكتالاني اري انه من الواجب على جماعه صرفوا قلوبهم لخدمه المسلمين ان لا يقصروا أعمالهم على جهة واحدة وان ولاية بنغال بما يتبها من ولايتي بيها واوريسا تستدعي اهتمام المؤتمر وعنايته

ايها الساده ان اعمال الرجال الذين سبقونا وصاروا اليوم في عالم غير هذا العالم لا تزال ناطقه بحسن مساعيهم التي انتجت تاسيس المدارس التي نراها اليوم زاهيه زاهرة تؤدي وظيفتها بكل نجاح وفلاح ثم بعد ان شرح الخطيب حالة المدارس الاسلاميه الموجوده في بلاد الهند عطف على الترييه اللازمه فقال . «وانني اعتمد تمام الاعتقاد ان الترييه التي لا تربى اخلاقا وتكون رجالا لا فائده فيها بل لا تسمى تربيه . يلزم ان تقصد التربيه لتهديب النفس وترقيه مدارك الانسان الوجوديه وبعث النظام الحيوى الاجتماعى في عقول الناشئه وهذا ما لم يتبع في مدارسنا اليوم الا بعض الاحايين الخصوصيه . أجل ان مسلمي الهند هم من سلالة عناصر متنوعه من ممالك مختلفه تجمعهم الرابطة الدينيه ويلم شعشهم الاخاء الاسلامى المين . وقد كان التعليم في الزمن السابق دينيا محضا وحبذا لو سار على محور الجمع بين الدين والدنيا فانه قد تطرف في الاول وأخل اللازم لضرورة الحياه الاجتماعيه . وهل تنتظرون من اولادكم وهم رجال المستقبل أن يعملوا

لصالح امتهم وانفسهم الا اذا كانوا في درجة من التربية الحقة تساعد على السعي في مضمار الحياة الذي حربه المنافسة والمزاومة؟ لاسيما لذلك الانحلال التقاليد القديمة والاهام التي لم تمد لها قيمة في الوجود وبأخذ العلوم الغربية والمدنية المصرية مصحوبة بأدابكم الاسلامية ومستفاداتكم الدينية .

اقول العلوم الغربية لاني اعتقد ان النور اليوم يأتي من الغرب بعد ان كان يشرق من الشرق . فقد كان مسيحيو اسبانيا منذ عشرة قرون في ظلام الجهل فلما دخل العرب بلادهم أخذوا العلوم عنهم وتمسكوا بأدابهم وتربوا على مدينتهم واليوم كذلك نجد عقلاء هذه البلاد يميلون الى الاخذ من علوم أوروبا ومدنيتها والسير مع الزمان في مضمار الحياة المصرية . ولا انكر ان بعضكم يستدرك على بالانتقاد ان ذلك يستدعي فقدان الجامعة المليية . فاقول لكم ان ذلك مبحث آخر ولا تفقد الجامعة أو تضمحل الامن التفرق والانشقاق الناشئين من الجهل لامن العلم . وان ضرورة احتكاك العناصر ببعضها تستدعي أن يندفع كل عنصر في تيار المنافسة والا فقد تفوذه وسقط في هوة التاخر والاضمحلال .

فلنطرح رداء الماضي الميت ولنعمل مع الحاضر الحي فنجمع بين النافع من المدنية الغربية وعلومها وما تستدعيه الروابط المليية القومية لا يامنا فان العالم قد تغيرت احواله تغيرا عظيما من يوم كان العرب اصحاب السيادة والمعارف يعلمون الناس الحكمة والعلوم

المعارف قوة . ومع المعارف ذهبت القوة من الشرق الى الغرب . المعارف ثروة ومع المعارف نزحت الثروة من الشرق الى الغرب . وبالمعارف تمكن

الامم التي فقدت قوتها وثرورها من ان ترد شيئا من ماضي مجدها وقوتها
نحن اليوم على عتبة باب قرن جديد وأي رجل لا يمتليء قلبه سرورا
كلما تخيل الآمال التي تفتح مجالها امام اعيننا والممكنات التي قد ندر كهافي
هذا القرن القادم علينا؟ يجب ان يامل الناشئون منا ان القرن الذي سمح
لحم الدهر بالوجود في فاتحة أيامه ستكون أيامه نقطة بيضاء لامعة في تاريخ
تقدم افكارنا وارتقاء مداركنا واعمالنا وان يعتقد كل فرد منا ان في سعيه
فائدة ملته وبلاده وانه قد يكون سبب في رفع شان اخوانه وامته. واعتقدوا
انكم في وقت اذا لم تستفيدوا منه ضاعت عليكم القرص وندمتم حيث لا ينفع
الندم. « ثم انتقل الخطيب الي وصف حالة شعوب الهند وصعوبة الحكم
فيها ورضى كل فريق الى ان قال :

« ولما كانت البلاد بهذا الخطل فلا ينتظر من الحكومة ان تجعل نظام
المدارس على ما نحب ونهوي ويكون لمصلحتنا دون سوانا. وعلى ذلك
فالنظام الموجود باجماع آراء المسلمين لا يفيدنا في تعليم ابناءنا وليس في الامكان
ادخال الاصلاح الذي نراه لازما لنا. والامر بعد التجربة أري انه يلقي
على عاتق المسلمين انفسهم لانهم أولي باصلاح حالهم. ولا خلاف في ان
المسلمين اليوم قد تنبهوا الي ما يلزمهم وعرفوا ان الجهل مضره كبرى
وما يتعلق بهم والواجب عليهم اليوم ان يملوا ويندفعوا في تيار التنافس ونبذ
الشقاق والاختلاف فقد قال الله في كتابه الكريم «ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم»

الوقف والترقية الدينية العصرية

بعد ان بين الخطيب لسامعيه أن نجاح المسلمين بتوقف على اعمالهم والاعتماد على انفسهم قال: « نعم اننا نستمد المعونة من الخالق جل وعلا ولكن العمل يجب ان تكلف به أنفسنا » وان ليس للانسان الامامي « . الا أن بعضهم يستدرك على بقوله « كل ما تقوله نحن نصدق به وأن الارادة تملأ صدورنا ولكن كيف السبيل الى ابرازها من يزرع الفكر الى حيز القوة وما هي الوسائط الفعالة لادراك غايتنا؟ » فجاوب على هذا الاعتراض باختصارا وبإيجاز لضيق المقام اذ لدينا عدة نقط مهمة نبهت فيها «

ثم تكلم الخطيب عن المدارس الاسلامية الموجودة الآر في البلاد الهندية واهمها « مدرسة عليكره » التي اسسها المرجوم السيد احمد خان وأشار الى وسائل الاصلاح في هذه المدارس وما يلزم لها من التغيير لتكون صالحة لتربية رجال يعتمد عليهم في رفعة شأن المسلمين ثم انتقل الى الكلام عن الاوقاف فقال ما ترجمته بالحرف الواحد :

« لا انكر أبها السادة اننا جئنا في وقت متأخر لرفع هذه المله من وهدة الخراب وانه ليس في امكان احد من البشر ان يعيد الى العائلات المضمحلة اليوم والتي كانت في سعادة ونعيم ثروتها وعظمتها . ولكن أقول أن في امكاننا أن لا يذهب منا ما بهي في أيدينا حتى نتصور أن يأتي يوم نعيد فيه شيئا من ماضي عزنا ومجدنا .

أيها السادة الكرام : ان من اهم المسائل الاجتماعية التي لها علاقة بديننا القويم مشكلة تقسيم الميراث بين أفراد العائلة . ولكن لما كان هذا التقسيم داعيا الي اضمحلال الثروة والقاء بعض العائلات في محالب الفقر « ليشتمل على السامعون فاني استعمل هذا التعبير في معناه البسيط » كان من قواعد هذا الدين الحنيفي التي هي من العدل والحكمة الالهية البالغة بمكان أن ينص في الشرع على وقف الثروة وربطها ببعضها بين وقف مقيد وغير مقيد . ولنضرب مثلا بمكتبة فخيمة اعتنى بجمع شوارد كتبها وجواهر كنوزها رجل من المسلمين تفرق أيدي سبابين ورثته فتفقد الامة مزبة وجود هذه المكتبة النافعة لخيري الدين والدنيا

كذلك تفقد الامة وجود ثروة مجمعة عظيمة تتلاعب بها أيدي الضياع بعد توزيعها على الورثة ولهذا شرع في ديننا القويم وقف الثروة على العائلة ومن يتناسل منها . وهذا عمل شريف وواجب ديني لان الشارع قصد بذلك أن تبقى الثروة مجموعة كاملة ينتفع منها أبناء العائلة ومن يتناسل منهم حتى اذا انقرضت العائلة يحول ريع هذا الوقف الي الفقراء أو لمقصد خيري آخر . هذا هو الوقف الذي أدى وظيفة نافعة عظيمة في جميع الاقطار الاسلامية وكان له نفع عظيم في البلاد الهندية لم ينقطع الا من زمن قريب . فيا أيها السادة يتضح لكم أن الاوقاف مصدر ثروة المسلمين وزخيرتهم الثابتة الي اليوم العبوس القمطير . وبالاوقاف وخيراتها انتشرت العلوم وتقدمت المعارف وساعدت المشتغلين بها من قديم الزمان وسالف العصور والايام . ولكن تغيرت الاحوال ونزحت أوقاف كثير من المسلمين

الى ايدي الغير وتلاعبت بها الايدي واصبح الناس في اشد الحاجات اليها .
 ولا يخفى على افكاركم السامية ان وجود المائلات المثرية حصن منيع دون
 هجمات فقر الامة بل من الامور النافعة لنفس الحكومة ولا ينتظر من
 الافراد ان ينظروا الى ثروتهم واثروة عائلتهم بالنظر الذي تنظر به هيئة
 عادلة تسمى خبير المسلمين . اذ لا يخفى عليكم ما محتاط بالافراد من العوامل
 الداعية الي الاسراف والانهماك في الملاهي والملاذ واضاعه ثروة العائلة
 ومجدها القديم . ولهذا السبب المهم انا ادعو المسلمين الى السعي في هذا
 الموضوع طالبين الحكومة ان تعتنى بمسئلة الاوقاف واجاطتها بما يحفظها .
 فهي فخر المسلمين وحصنهم الحصين تجاه الفقر والايام المسراء . ولا انكر
 انه ليس في طاقة المسلمين ان يعيدوا للمسلمين اوقاف (اطناس) و (الجاغير)
 وغيرها مما تلاعبت به الايدي وعبثت بوجوده عوارض شتى ولكن يمكنهم ان
 يحافظوا على القليل الباقي

وانرجع الي موضوع المدرسة الكلية التي تكون مركزا لدائرة التربية
 الاسلامية فأقول : اذا اتبع الرأي الذي لمحت اليه في العبارة السابقة فانه
 يمكن وجود رأس مال ومنبع ثروة لمثل هذه المدرسة التي تجمع بين العلوم
 المصرية والعلوم الاسلامية التي زهت وأزهرت في العصور السالفة
 لتكمل بذلك تربية الروح وترقية المدارك لاستعدادها للعمل في مضمار
 الحياة الاجتماعية

ولكن أوجه أنظاركم الي نقطة مهمة « وبمحت هنا بمخامفينا بمجرد
 مؤسسي المدارس الاهلية في مصر أن يتمعنوا فيه فما يقوله عن الهندي ينطبق

هنا تمام الانطباق قال : « لا يخفى عليكم ان من أول أسباب نجاح مدارسكم التي تؤسسونها هو أن تسوا بكل جهدكم لتحملوا الحكومة على اعتبارها للشهادات التي تعطونها للناجحين من تلامذتكم ليتمكن الناشئون من ولوج ميادين الوظائف التي ينظر اليها الناس من جميع الطبقات . فصيحتي لكم هي أن تنتظروا قليلا حتى تثبت أقدامكم وتأمينوا على نجاحكم وعند ذلك تطلبون من الحكومة أن تعتمد شهادتكم فيقوى بذلك شأنكم وتكونون بمثابة هيئة امتحانية تعليمية وتمكنون من تربية ناشئة عاملة تخضع لادامركم وتسير في التيار الذي توجهونها اليه وقبل أن أختم الكلام في هذا الموضوع أصرح لكم أنني أريد أن تسكون التربية ذات وجهتين وجهة عصرية علمية ووجهة دينية أشعر انكم تنتظرون مني كلاما على التربية الدينية .

أيها السادة : اني أعتقد كثيرا في التربية الدينية وأجعل لها أهمية عظيمة في تهذيب عقول الناشئين . ولكني لأعتقد فيها بالمعنى الذي تسير عليه اليوم في اعتقادي ان التعليم الديني ينقسم الى قسمين . قسم يبحث في المذاهب والتفقه في علوم الدين وأقوال رجاله الدين واختلاف آرائهم في مباحثه وقسم يتعلق بأداب الدين وهو المختص بنتائج العملية الفعالة . وفي اعتقادي أيضا أن معرفة مذاهب الدين وأقوال رجاله واختلاف مباحثهم فيه ليست بذات أهمية مالم تصحب بتقرير آدابه ونتائج مباحثه المرقية للمدارك المهدبة للروح أجل أعتقد ان تلقين أبنائنا آداب الدين الصحيحة الخالصة من شوائب الاوهام الفاسدة أنفع بكثير من تعليمهم أصولا وقواعد رسمية بأشكال مخصوصة . فالدين يسر والمسلم يفيد العقيدة الخالصة والطوية القلبية أكثر من تلقى

المذاهب واختلاف اقوال الباحثين فيها . فان كان الناشئ يريد التوسع في امثال هذه المباحث فليقتصر حياته على دراسة الشرع الشريف وقرؤه التي تكون جزءاً عظيماً من العلوم الاسلامية وهي وحدها تحتاج الى التفرغ لها سنين طويلاً مع اجتهاد كبير ونصب كثير . اما اذا كنا ننتظر من شباننا ان يتفرغوا للدراسة هذه الفروع باجمعهما مع هذا التنافس في الحياة فاننا ننتظر المستحيل في زمن توجهت فيه همم الامم الى الارتقاء وامتلات بطور ذفاتره من مباحث العلوم العصرية التي يعد الانسان بدونها جاهلاً . وانني ايها السادة انسب كثيراً من تأخر المسلمين في جميع اقطار الارض الى زيادة اهتمامهم واستغفالهم بالجزء الظاهري من الدين اكثر من الجزء الروحي النفساني . ولذلك احب ان تكون غاية المعلمين والمتعلمين من ابنائنا موجهة الى تهذيب الروح والعمل باداب الدين لا بالاخذ بالظواهر من الاشياء فمثلاً قبل ان نعلم اولادنا طريقة الصلاة نعلمهم ما معنى الصلاة فنعلمهم ان الصلاة هي عبارة عن الخشوع والخضوع لذات الله الباريء جل جلاله ويجب علينا ان نعلمهم كتاب الله سبحانه وتعالى فان هذا القرآن يهدي الى الحق ويجمع مع آداب هذا الدين الحنيف كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية ويعلم الناس من الحياة روح الوجود ومعناه .

انني ايها السادة كثير التفكير في هذا الموضوع الذي تجامرت على الكلام فيه امامكم واخاف ان لاتنصفوني وان يظن بعضكم انني تخطبت موقفى اللازم واندفعت الي الامام . ولكني اعتمد في سلامة ضميركم انكم تحملون لي شفيعاً من حسن الظن . ولو خالفتموني في آرائي فلا اقل من ان

تعقدوا ان ما أقوله هو نتيجة بحث وتجربة استغرقت بي السنين الطوال .
وما قلت لكم ما قلت الأحبا في خيركم وانتم اخواني في الدين والوطن والغاية
هي الوصول الى ساحة الفلاح والصلاح والنجاح في أى طريق سرتم فيه
فهو يوصل للغرض المقصود مادام مصحوبا بطهارة القلب وصدق العزيمة وسلامة
وسلامة النية والعمل الصالح . وانا اذ لم نضع اختلاف الافكار
وحزازات الصدور تحت أقدامنا فانا نبقي في شقاق وانقسام ونصبح مضغة
في افواه المنتقدين من أهل هذا العالم الحديث .

سادنى : ان اكبر داء اودى بالمسلمين هو الشقاق وحب الذات واختلاف
الكلمة وخصوصا في البلاد الهندية ولكم على ما افول الف شاهد والف دليل
ولا سبيل للخلاص من حب الذات والانقسام الا بالتعليم الصحيح والتربية
الحقة على المثال الاتبع والانجع وطريقة الوصول الى ذلك هو ان نربي اولادنا
على تقديم نفوسهم لآخوانهم واحترامهم لواجباتهم ومقامهم ولكي تاتي هذه
الدروس بالثمرة المقصودة منها يجب ان تلقن للاولاد وهم في حضون امهاتهم

الوقف ونتائجه

نشرنا في عدد أمس قسما كبيرا من خطبة رجل هندي يعد في الطبقة
الاولى من نابني مسلمي الهند وهو « أمير على » القاضى في محكمة الهند
العليا القاها على جمع عظيم من المسلمين في « مؤتمر التربية الاسلامية » وقد
اشار فيها الى المزايا الجليلة التي خدم بها الوقف الامة الاسلامية في عصور

كثيرة وقال ان الوقف يجب ان يسمى الذخيرة الثابتة لليوم العبوس القمطرير
لانه من جهة يطيل أجل الثروة لعائلات المجد الكبيرة التي تعتبر الحصن
المنيع دون هجمات فقر الامة واضمحلالها ومن جهة اخري يمكن من عمل
الخير الذي يعز على الدراري والافراد القيام به زمنا طويلا . ثم تخلص من
ذلك الى حث قومه على الوقف في منفعة العليم كما حثهم على تحرير العليم
بجمله مسقلا عن تعليم الحكومة حتي في الشهادات التي ينالها المتعلمون الخ
وقد استفقتنا بالامس أنظار قراء المؤيد الي ما نقلناه من اقوال هذا
الخطيب الفيور في مسألة الوقف وفي امر التعليم ورأينا الآن ان نعود الى
بسط شئ في المسئلة الاولى لنذهب من نفوس كثير من الناس غضاضة من
مشروعية الوقف . فان بعضهم يري انه قد يكون من معطلات العين التي
لولم تكن موقوفة لتنتقل الناس بها في وجود التصرفات الي ما يطاق بق المصلحة
ومقتضي الحال في كل زمان ومكان وربما استأنس على قوله هذا بما يلقي
عليه نظره يميناً وشمالاً أني ذهب في المدين الاسلامية التي لاتزال تحترم
الاوفاً وتحافظ على أعيانها فيرى من رسومها الدوارس ووسط العمران
ما يلقي به التبعة على مشروعية الوقف من حيث هي . وهو خطأ عظيم في
الرأى ومذهب باطل في الاستئناس . فان الوقف من حيث هو لم يكن
معطلا عن التصرف بعينه في كل وقت بما يطاق بمصلحة الحال والزمان
والمكان والعين معه تكون مثل العين غير الموقوفة تستنتج غلتها بالاصلح
في كل وقت متى كان المتصرف محسنا وتعطل متى كان المتصرف مسيئنا
لا فرق أن تكون وقتاً أو غير وقف . واذا شاهدنا دار موقوفة خراباً

وسط عمران فذلك ليس لانها وقف بل لان القائم على الوقف لم يحسن
ادارته وبقاؤه هكذا لانه ممنوع من التصرف في العين تصرف الاضاعة
والاذهاب . بخلاف المالك للعين فانه اذا أساء التصرف وفرغت يده
وجببه من الدراهم اسرع للعين فباعها لمن يحسن ادارتها فاذا أساء بعد ذلك
المشتري أو ورثه مسيء وعجز عن التعمير باعها أيضا لمن يعمر وهكذا حتى
قد يمكن ان تنتقل الدار المملوكة في القرن الواحد لعشرات من الملاك فيهم
ولا بد المعمرون بينما تكون عين الوقف في جانبه باقية ولو رسما وطلا باليا .
فاذا كان اصلاح الوقف موقوفا على نتاج غلاته عز تعميره حيث لا غلة له
ولاستثناس على عدم صلاح مشروعية الوقف بكثرة ما يرى خرابا من
الاعيان الموقوفة لا ينهض دليلا عليه . وفضلا عن ذلك فان مشروعية
استبدال الوقف المعطل أو قليل الايراد بخير منه ذاهبة بكل ذلك الضرر
وموجبة للتصرف في الاوقاف كل زمن بما يستلزم بقاء عمرانها واستزادته
بان الوقف في ذاته كان في كل زمان ومكان حصنا من اندثار عائلات
اسلامية كبيرة بالفقر والاضحلال زمانا ما . وبقاء هذه العائلات على حالة
الثروة والغنى حصن منيع يلو ذبه دائما ضعاف الامم وفقراؤها . ولهذا معنى
في عمران الامم وقوتها لا تعرفه حق المعرفة الا امة فقدتها ؛ ولعل الامة الاسلامية
الهنديّة التي تلاشب بيوتها الكبيرة بعدما ذهب نعيمها أعرف الامم بهذا
المعنى وأكثر شعورا بضرور شقاء العناصر التي ذهب من بينها كبراؤها
واما نفع الوقف في الوجوه الخيرية الكثيرة فلو ضح من ان يجده
جاحد وتاريخ مجد الاسلام قائم على دعامة الانتفاع بالوقف أكثر من كل

دعامة اخرى : فالتكايما والمستشفيات القديمة وملاجيء العجزة والمعوزين
والجسور والقناطر والمرابطات لحفظ الثغور وبث الارصاد والعيون على
الاعداء واقامة الحصون والمعامل الكبيرة وحفر الآبار والعيون في الصحاري
والسبل وبناء المساجد والمعابد والمدارس في البلاد كل ذلك قام على دعائم
الوقف في العصر الخالية اضعاف ما قام على الصرف من بيت المال . والذي
يقرأ خطط مصر للمرحوم علي باشا مبارك يرى في تاريخ مدينتي القسطاس
العمرية أو القاهرة المعزية مثال الاعمال النافعة في كل حجر من أحجارها
أو أثر من آثارها للوقف الاسلامي . واذا كان يوجد بين ربوعها اليوم شيء
من الدور أو المساجد خرابا بعله الوقف كما يقولون فعمران المدينتين كله قد
تناوب حفظه في ازمته كثيرة من أثر بركة الوقف ، وما صارت مصر كعبة
الاسلام العلمية الدينية الا من أثر الوقف ، وما قام الجامع الازهر أكبر مدرسة
علمية دينية في العالم سبعة قروا وأكثر الا من أثر الوقف ، وما القصور التي
يلاحظه بعضهم عليه في هذا الزمان الا من أثر فقر العقول الذي يسيء صاحبه
التصرف به في أعز شيء لديه ولا تبعه في ذلك على الوقف .

فالوقف اذن نعمة كبرى على المسلمين هما كل زمان ومكان واكن يجب
أن لا يخطيء الواقفون قبل كل شيء في تحديد وجوه استقلاله والتصرف
بمزاياه الى ما يخرج عن الغرض المقصود الي ما يشبه السفه المنهي عنه شرعا .
ثم يجب أن يتصرف فيه الناظرون التصرف الحسن لتكون عين الوقف
دائما عذبة المورد فائضة بالخيرات التي وقفت لاجلها . والا لن نمن معاشر
المسلمين احوج الى الوقف منا في كل زمان . ثم اننا معاشر مسلمي مصر

والهندوتونس وكل بلد اسلامية احتلها الاجنبي غير المسلم وضرب على يد حكومتها أن تتصرف بحريتها أو امتلاكها امتلاكاً واستعمرها استعباداً لاهلها اخرج الى الوقف من المسلمين سوانا. لان امورا كلية كثيرة كانت تقوم بها الحكومات الاسلامية قبل الضغط عليها أو قبل ذهابها هي لازمة وضرورية لبقاء الهيئة الاجتماعية الاسلامية أو لوقايتها من المصائب والمواقف قد قل عملها أو ذهب الغرض منها أو بطلت بالكلية ولا يمكن الحفاظ عليها الا بالوقف. ومن أم هذه الاعمال الكلية في هذا الزمان تعليم الناشئين من اولاد المسلمين على المبادئ التي تؤلف بين قلوبهم وتحفظ جامعتهم أو كما قال القاضي « أمير علي » الهندي في خطبته « ان نربي اولادنا على أن يهدوا قلوبهم لآخوانهم وأن يحترموا واجباتهم وكرامة أنفسهم . »

وإذا كان المسلمون في مصر مجتمعين اليوم على أن اسلوب التعليم الرسمي الذي يتولاه جماعة من الانكليز - وفيهم من اصله قسيس بين قومه - غير نافع لابناء المسلمين فيما يتعلق بجامعتهم الدينية ومحبة وطنهم فلا سبيل الى بحصول هذا الغرض الا بالوقف . فالوقف هو الذي يسهل الطريق لمقلد المصريين أن ينشئوا ادارة معارف أهلية توحد طرق التعليم الاهلي بين كل الذين يتعلمون في غير المدارس الرسمية وتجعله محترماً في مبدئه وغايته

وإذا وجدت ادارة معارف أهلية بين ظهر ايننا امكنها في وقت من الاوقات ان توجد لها الثقة التامة التي تمكنها من منح شهادات محترمة

معتبرة عند الحكومة كما سأل القاضي « أمير علي » الهندي قومه ان يسمووا
لهذه الغاية التي هي نتيجة سامية من نتائج التعليم وضامنة نجاحا كبيرا للناشئة
الاسلامية . فعلى سراتنا الاغنياء التدبر فيما قدمنا والعمل لما ينفع النشأة
الاسلامية اليوم وغدا والله الموفق
المؤيد

تربية البنين والبنات

تممة خطبة القاضي امير علي

ايها السادة . قلت لكم ان التربية لا تثمر ولا تنمي بالقائمة المقصودة
منها ما لم تلقن مبادئها للاطفال في أحضان امهاتهم . فنعن نتساءل اليوم هل
نساؤنا في درجة تمكنهم من تعليم ابنائنا ما نريد ؟
لقد اتى على المسلمين حين من الدهر طويل كان النساء يلقين فيه
« بامهات الرجال » فهل يمكننا ان نعتين اليوم بهذه الصفة ؟ كلا وليس ذلك
ذنبهن ايها السادة فان المرأة كانت ولا تزال آلة في أيدي الرجال بوجوهها
حيثما أرادوا وكيفما شاؤوا . فلذلك اعتقد اعتقادا لاشك فيه اننا اذا كنا نريد
ان نرفع انفسنا فوق سلم المدنية والارتقاء واذا كنا نحب ان يحترمنا الناس
ويجلنا ابناء هذا الزمان فلا بد لنا من تربية بناتنا حتى يصلن الي الدرجة التي
وصلنها في أيام أسلافنا الكرام . واعلموا انه توجد الان بيلاذ الدولة العلية
ومصر مدارس زاهرة لتعليم الناشئات من فتيات المسلمين وان النساء
في هاتيك الديار قد اخذن يعملن في دائرة الحياة الاجتماعية كما كان لمن

في ايام عظمة الاسلام ومجده الفخيم

أجل ايها الساده انى اعتقد ان تربية البنات يجب ان تسير يدا بيد مع تربية الاولاد اذا كنا نود ان يأتى التعليم بالفائدة المطلوبة. ويجب ان نعلم اننا لا ننتظر اخيرا ما لم تكن نسبة التربية بين الابناء والبنات متساوية لاننا اذا اهملنا نصفنا من الهيئة المكونة لحياتنا الاجتماعية واعتدنا بالنصف الآخر فان النتيجة تكون سيئة فاسدة اذ من الامور المقررة انه اذا تركزت افكار نصف الامة وبقى النصف الآخر ملقى في ظلمات الجهل وانحطاط الفكر فان الجزء المتعلم ينفر من الجزء الجاهل ويبعد عن مصاحبه ومعاشرته ما استطاع الى ذلك سبيلا ويحاول اما ان يسير في تيار لا يرضى الشرف والصالح واما ان يخفض نفسه وينحط بفكره ليعاشر ذلك الشريك المنحط في حياته

ولذلك ارى من اللازم الضروري ان يسمى مسدو الهند في تعليم بناتهم من هذا الوقت وان يضعوا امام اعينهم النموذج الذى يسرون عليه للامام . سادتى ان كلمة « الاصلاح » ترن في آذانكم بنغم غريب وربما لا يستحسنها بعض الذين تعودوا على سماع أقوال رسخ معناها في الازمان من قديم الزمان ولهذا السبب ارانى مضطرا لان اردف كلمة « اصلاح » ببيان معناها فاننا لا اريد بهذه الكلمة اصلاحا في الدين بل اقصد بها اصلاحا في طريق التربية وفي نظام المجتمع الادبى والاعتىادى وخلع اردية المعتقدات والاوهام الفاسدة مما ليس من الدين فى شيء والتعلى بالآداب الصادقة الصحيحة المعقولة : وانى اعتمد فى هذا الاصلاح على الشبان الناشئين من

ابنائنا الذين يرون انفسهم على باب معترك الحياة ومزدهم الوجود. اذليس
 في امكاننا نحن أكثر من أن نضع لهؤلاء الناس الذين الحجر الاساسى لهذا العمل
 وعليهم هم أن يرفعوا البناء ويشيدوه بأنفسهم . أولئك الذين انجاسر أن القى
 اليهم بعض النصائح التي يجب أن يتخذوها رائدكم في هذا السبيل وعليكم
 أن تكونوا خير الواسطة في تبليغ هذه الاقوال الى مسامع بل قلوب ابنائكم
 وناشئكم

ان من الضروري للنجاح سواء في ترقية المدارك وارتقاء سنم العالمة
 أن نضع أمام أعيننا مبادئ مخصوصة نضرب اليها بسهامنا ونرمى اليها امالنا
 ومن لا مبدأ له فذلك الذي يسير على غير هدى ، ذلك الذي يعيش في الظلام ،
 ذلك الذي يطرح بنفسه في تيار التعاسة والشقاء . اذا فاول واجباتنا أن نضع
 هذه المبادئ نصب أعيننا ظاهرة واضحة في أيام شبابتنا وكهولتنا حتى نعيش
 بها شرفاء متحدى الغايات والقلوب كي نختم أيامنا بالسعادة الابدية

فاول مبدأ لنا يجب أن يكون الصدق والاخلاص ولم يخلق الله تعالى
 انسانا في الوجود حث على مبدأ الصدق واخلاص الضمير أكثر من نبينا
 محمد صلى الله عليه وسلم . واذكر لكم معنى الصدق في الوجود في كلمات لكاتب
 من كتاب هذا الزمان قال : « هو أن تجاهد بعزيمة لا يشوبها ضعف في
 سبيل الحق حتى ولو كان الحق سلاحا يلصق بك الباطل فانك لا بد أن تفوز في
 النهاية واعلم أن رجوعك عنه ليس الاحتقار لمبدأ الصدق الذي يحكم قلوبنا »
 وليكن نصب عيني كل واحد منا الاعتقاد التام بأننا نعمل اعمالنا
 تحت نذرو رعاية الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم كما يجب علينا أن نساله

الهداية والرشاد ونستمد منه المعونة في جهادنا واعمالنا لان العمل على هذا الاعتقاد القلبي يرفع المرء من الحضيض الادنى الى السماء الاعلى ويحمل حياتنا نحو ذواصلها لاعتقادنا

ولا بد لنا في هذه الحرب القادمين عليها أن نوطد العزيمة على الثبات كما يلزمنا قبل كل شيء أن نرقي عاداتنا الاجتماعية والعائلية فان الناشئين بنوع خاص يؤثر على عقولهم كل ما يحوط بهم فاسداً كان أو كان صالحاً . كذلك يلزمنا لبسوغ الغاية التي ننشد ضالتها أن نعلم نساءنا الاخلاص والبروة والشهامة والاحترام وكل الاخلاق الفاضلة التي كانت لنساء المسلمين في الايام الماضية فاننا اذا لم نرب الناشئات على الطهارة وشرف النفس والحياة ومعرفة واجباتهن التي كلفهن بها الخالق سبحانه وتعالى لا يلبق بنا أن نتنظر من الناشئين حياة شريفة ومدارك عالية سامية

ومن المبادئ التي يلزم أن تكون نصب عيني كل ناشيء مبدأ الامل في النجاح :

كل فرد في الوجود خلق وفي نفسه بذور الترقى التي لا يستتبتها الا التعليم والتربية والتجربة . العلم يخرج الناس من الظلمات الى النور ولكن التعليم يكون عمديم الجدوى ما لم نعرف انه كما ان العلم بحر واسع لا ساحل له كذلك النجاح محيط زاخر لا حده و نعرف أيضا أن الوقوف في نقطة واحدة معناه التأخر والاضمحلال . نحن نرى أمامنا وحولنا بعض شبان يبدأون العمل في الحياة بنشاط فتبرق لهم أسرة الآمال ويخطون في سبيل التقدم والنجاح بضع خطوات ثم يدركهم الملل فيقفون

في مراكرهم ثم يسقطون ويضعولون . فلا تدعوا أولادكم يرتكبون هذا الخطأ بل لاندعوهم يفكرون انه متى انم الواحد منهم دراسته وحاز شهادته فقد جاء على المعلوم بما فيها ، او انه يقدر في المعارف بمن تخرج من كليات أوروبا

سادتي : لا بد للوصول الى ساحة النجاح مادامنا نعمل بأيدينا لا تقسنا ومتى كان امامنا غرض نصر ب اليه فان الرجل بغير قصد كالسفينة بلا دفة فان لم توطدوا عزائمكم على الثبات وعدم التحول عن الغرض فاني اؤكد لكم الفشل والخذلان فان القائد الذي ينتصر على عدوه في معترك الحياة هو الذي يتقدم بارادة تملأ جوانحه ثباتا وصبرا الى ميدان الحرب وهكذا حتى يصل الى غايته المقصودة . وهذا التاريخ يقول لكم انه لم ينجح في الوجود من كبار الرجال الا الذين رسموا لاقسمهم خطة العمل مع قصر الزمن . اجل أيها السادة اذا كنتم تريدون النجاح فاعملوا بارادة صادقة وعزيمة ثابتة . كنت اطالع كتابا رأيت فيه نبذة تنطبق على احوال شباننا اكررها لكم . قال مؤلف الكتاب : « انني لا اعتقد في شاب يكثر التذمر والشكوى من حالته ويملاء الدنيا كلاما وادعاء بانه قادر على أن يعمل اعمالا عظيمة يشهد بها التاريخ لو اتاح له الحظ وسطا غير الوسط الذي هو فيه »

فهذا امثال الاطفال الذين لم توضع تربيتهم على أساس صالح فانبذوهم ولا تقر بوهم فان الحظ في أغلب الاحوال لا دخل له في النجاح بل العزيمة والاقدام ورسوخ النية وجلدها على مقابلة المصاعب والمتاعب أمام نداء الواجب والتعود على الشغل والنصب الذي لا يتم الا بمزاولة العمل حينان

الزمن : فكل هذه الصفات هي التي ترفع المرء الى حيث شاء و اراد
وعلى هذا فاول واجب هو أن يتعلم الاولاد ما ينبغي ان يضعوا ذروة الارتقاء دائها
نصب أعينهم ليجتهدوا في الوصول اليها . نعم اننا نرجو ان نصل الى كل ما نتمنى
ولكننا نتقدم في سبيل التقدم خطوة كبرى مادامت غاياتنا كذلك .

مؤتمر التربيته الاسلامي (*) (في رامبور)

اجتمع مؤتمر التربية الاسلامي الهندي هذا العام في مدينة رامبور
ووفد اليه خلق كثير من جميع الجهات الهندية وكان رئيس هذه الجلسة
حضرة العالم الفاضل (نواب عماد الملك سيد حسين لغرامى الحيدر آبادى)
وبعد افتتاح المؤتمر قام حضرة الرئيس فالتى خطبة بليغة طويلة باللغة
الاوردية رأينا أن نلخص أهم نقاطها للقراء فان المقام يضيق دون ترجمتها
برمتها قال :

أيها السادة : تعلمون حفظكم الله ان الغرض من جلسات المؤتمر
الاسلامي للتربية يرمي الى ثلاثة مقاصد : « الاول » بث روح التعاون
والائتلاف بين جميع كبار المسلمين من الجهات المختلفة وجمعهم في صعيد
واحد وبغير ذلك قد يكون من النادر اجتماعهم . « الثاني » أن يمهدهم

سبيل البحث والمناقشة فيما يروونه صالحا للتربية ومنفعة اخوانهم المسلمين :
 (والثالث) الاتفاق وربط القلوب على القيام بعمل نافع يفيد أبناء ملتنا
 ويسمونها في سبيل الفلاح والنجاح . ولا يكون ذلك الا بمقد الخناصر على
 نشر العلوم والعارف المصرية ومساعدة مدرسة عليكدة الاسلامية . وهي
 المدرسة الوحيدة التي اسسها المسلمون بأيديهم ولا يليق بهم أن يهملوها
 حتي تضع هباء منثورا : اما هذا المؤتمر فقد اسسه المرحوم السيد احمد
 خان من خمس عشرة سنة مضت وحضر بنفسه خمس جلسات له قبل أن
 يتوفاه الله . ثم صار المؤتمر ينعقد بعد ذلك في المدن الهندية حتي اجتمع في
 العالم الماضي في مدينة كلكتا وكان له الشأن العظيم الذي عرفتموه . فهذا
 المؤتمر بعدد أكبر خطوة في سبيل التقدم لانه يدل على ان المسلمين
 متحدون عارفون بتأخرهم وانحطاطهم وانهم يجتمعون من كل صقع وناد
 للمداولة والاتفاق على الوسائل التي تنهض بهم . ولا نبيء في العالم يرقى
 الامم ويعز بها في طريق النجاح والفلاح سوي العلم والتعليم والتربية
 والعمل والتجربة

نحن نكتفي بان نقول أن كل مسلم الآن كيفما كانت درجته من الجهل
 يرى من الواجب عليه أن يربي ولده ويعلمه . ولكن الجزء الاعظم منا يري
 أنه من الواجب بكونه سلم ولده الي فقيه أو الي مكتب أو الي اقرب
 مدرسة اليه ويظنون أن ذلك هو الغاية والنهاية التي ليس بعدها غاية ولا
 نهاية ، فرتاح ضمائرهم وتفرح نفوسهم وربما يقبضون على أولادهم بانهم
 ارسلواهم الي المدارس وصرقوا عليهم ما صرفوا من النقود هذا هو منتهي

اهتمامنا بتربيته ابنائنا وتكون النتيجة ان ينشا الاولاد في حياص الجهل وينساقوا في طريق الفساد والضلال وترجع تبعه ذلك على آباءهم لانهم لم يعيروا تربية ابنائهم الاهتمام الواجب فلم يختاروا لهم التربية المناسبة للزمان والمكان ولم يبحثوا عن الوسائل الموصلة الى ادراكها. وحجة الجهل ليست مقبولة في محكمة الوجود كما انها لا تقبل في محكمة القانون. فهؤلاء الآباء يعاقبون على جهلهم في اشخاص فلذات اكبادهم واحب الناس اليهم

تغير الزمان فتغيرت معه التربية وتغيرت معه المعارف والعلوم : كان الناس يكتبون في الازمان الاولى بان يعرف الواحد منهم الكتابة والقراءة وشيئا من علوم الادب كنظم الشعر وتقفيته ويمد نفسه بذلك شاعرا اديبا وكان الذين يريدون ان يكونوا علماء يذهبون الى المدارس العربية ويصرفون السنين الطوال في دراسة التوحيد والنحو والمنطق والفقه

اما الآن فقد تغيرت وتبدلت كل هذه الاحوال وأخذ العالم شكلا جديدا والبدت العلوم ثوبا قشيبا فلم يعد لذلك الاديب الذي اكتفى بنظم القوافي مكان يمرح فيه . كذلك أصبحت طبيعيات ارسطو وابن سينا قديمة عتيقة نخر سوس الزمان عظامها . واصبح جبر الخيام وكيمياء جابر وسوس واوهاما . كذلك لم يعد لنظريات ابن رشد ولا لفلسفة افلاطون ولا الفارابي ذلك المقام الاعلى اعني انها أصبحت لا يدرسها أحد واذا اعارها طالب نظره فانما يفعل ذلك بقصد الافادة والوقوف على التغييرات والاختلافات التي طرأت على عقل الانسان

والحقيقة أيها السادة اتنا وقعنا في سبات عميق عدة قرون من الزمان

بينما كانت الامم الاخرى تسير في طريق التقدم يوماً بعد يوم . فكنا بعبارة
 اخري واقفين والارض متحركة تحت اقدامنا وكانما غرسنا لانفسنا بذور
 الانحلال والاضمحلال في ساعة وقفت فيها اقدامنا فنمنا على صماخ آذاننا
 لا نسمع دوي البروق ولا قصف العود مطمئين مقتنعين بما علمناه في
 الازمان الماضية ولم نتحرك للسعي وراء اسلافنا فنزيد العلم علماً ونكمل النقص
 ونصلح المختل . وماذا جري بعد ذلك ؟ أقول لكم بالصرامة والايجاز
 اتنا قد فقدنا كل شيء حتى ماتت فينا صفات الشجاعة والشهامة والاقدام
 والمطامع التي كانت من مزايا هذه الامة وذهبت ادراج الرياح . ومن
 الغلط أن نتصور أن المسلمين فقدوا هذه المزايا بعد ان فقدوا سلطانهم
 ونفوذهم . فان التاريخ ينطق بلسان فصيح ان الامر لم يكن كذلك ولكن
 الحقيقة اننا فقدنا سلطاننا لاننا ضعنا صفاتنا واهملنا تقوسنا

ويظهر ان المسلمين الآن تهبوا لحالتهم الاجتماعية وتاخرهم في كل
 شيء وهذا المجتمع اليوم مثال ناطق على هذه اليقظة والنهضة الجديدة . ابتداءً
 المسلمون يعرفون انه من الصالح أن ينتهبوا من غفلتهم وان ليس عليهم فقط
 أن يحبوا ما يدرسون من آثار اسلافهم بل أن يأخذوا من العلوم العصرية والتقدم
 العقلي الذي وصل اليه الانسان في الازمان التي كنا فيها غافلين نائمين
 واتي اعرف انه يوجد بيننا فريق من الناس يظن أن علوم المتقدمين
 كانت كافية كافلة وانها منتهى ما يمكن أن يصل اليه عقل الانسان وأن
 المتأخرين كانوا في منتهى درجات الكمال . وانني اشعر بالراحة والسرور

كلما عرفت ان هذا الفكر السخيف ليس عموميا بين أفراد هذه الامة فان
حوادث هذا الزمان الحادة والحقائق الساطعة طردت من أذهان الناس
ذلك الاعتقاد وعرفتهم ان لانجاح ولا فلاح بغير العلوم العصرية وان
اصحابها فاقوا العالم وقبروا سواهم بعلومهم وفنونهم والمافل الممثل من
يسمي بالاستفادة منهم بقدر ما يمكن الوصول اليه ليقف معهم على سلم واحد
من درجات الحياة»

(المؤيد) ثم انتقل الخطيب من ذلك الى علاقة الهند بالحكومة
وان من حسن حظ الهند ان احتلت انكارا بلادهم بدل دولة اخرى
أجنبية وحمل الحكومة ثناء لانطق النفوس حمله . وهو شيء يعرفه علماء
الهند فأذنته لمصلحتهم وخصوصا المسلمين منهم واستطرد من هذا البحث
الثاني الى اهمية العلوم العصرية والمدنية الغربية ثانيا وكيفيات علم المصنوع
السابقة ليست بكافية في هذا الزمان وانها متأخرة عن سواها عند لزوم
حتى قل :

« اذا كان في هذا المجتمع واحد لا يقبل هذا الرأي وتجانبه بالقول على
أن علومنا القديمة كافية لنا فلينظر الي ممالك الاسلام في العالم كله فليتنظر الي
بلاد الجزائر ومرا كش التي عبر من شاطئها طارق وموسى بن نصير ليتعلبا
علي بلاد الاندلس . لينظر الي تونس تلك البلاد التي كانت حولة بحرية عظيمة
ذات شهرة دائمة في العالم اجمع : فالجزائر مستعمرة فرنسا وبه وتونس مثلها
أو تكاد أن تكون مثلها ومرا كش منحلة معتلة تريد اسبانيا التي أعاد عليها
أبناء العرب سابقا ان تغير عليها وتضمها اليها : وهذه فارس في حاله ضعف

شديد اقل التعصب والجهل والجمافة ابواب التقدم في سبيلها فهي اقل من
الولايات الهندية المستقلة

فانا اسألکم ان تهضوا بانفسکم وتساو اعمالا يليق بکم ما ذامت ابواب
التقدم مفتوحة امامنا وكل ما نريد ان نسعى اليه هو العلم والتربية

ام شيء نحتاج اليه كما ذكرت لکم هي التربية والتعليم ولدينا الآن
طريقان للوصول الى الغاية المطلوبة : (الاول) هو اصلاح مدرسة عليكمه
وترقيتها حتى نصل الى درجة تساعد على تهذيب وترقية النشأة الحديثة في
الاقطار الهندية بل قد تصل الى درجة تكون فيها منبع العلوم ومحط رحال
الطلبة من جميع الاقطار الاسلامية . وليس من البعيد عند ذلك ان ينفع فيها
امثال ابن سينا وابن رشد وغيرهما من العلماء السابقين ينشأون في مهد العلوم
الحديثة ويبحثون فيها وينهضون بها . فان هؤلاء الناشئين بمساعدة المباحث
والتجارب الكيميائية والطبيعية والفنون المصرية والقواعد الطبية يمسدون
لنا سالف مجدنا القديم فيكون فيهم ابن موسى جديد مخترع آلات جديدة
وطوسي آخر يكتشف كواكب ويحدد دوائرها ويضع كتباً في علم الهيئة
الحديثة وهلم جرا

وهل يخطر ببالکم ايها السادة ان هذه اضغاث أحلام واماني لا تحققها
الايام ؟ اذا كنتم تظنون ذلك فانا اوجه انظاركم الى دولة اليابان فقد رأيتم
باعينكم ما وصلت اليه الجزائر وتونس ومراكش وفارس من الانحطاط
لانها لم تقبل السير مع التقدم المصري . انظروا الى اليابان وما عملته لنفسها
باتباعها طريقا يخاف الذي ابعته الممالك التي اشرت اليها آتقا . فقد بقيت

اليابان متأخرة غير مذكورة مدة طويلة لم تلتفت فيها الى المدنية المصرية ولكنها تنبعت قبل فوات الفرصة واغتنت الظروف ووصلت الى درجة من النجاح والتقدم في اقل من عشرين عاما جعلتها في صف الدول المهمة التي يعتد بها بين الدول الاوروبية حيث ختت خطوات واسعة في العلوم والفنون ونشرت ألية المعارف والآداب في اطراف بلادها . وانتم تعلمون انه ظهر بين رجالها من اكتشف اكتشافات حديثة في عدة علوم اعترف الاوروبيون بفضلم فيها وهي اليوم (اليابان) تعد نفسها في صف الدول المتعدنة وانها هي النور الذي يسطع من الشرق على القارة الاسيوية »

(المؤيد) ثم استطرد الخطيب من ذلك الى الاستشهاد بالنهضة العلمية التي بعثتها مدرسة عليكده في نفوس المسلمين في الهند على حدائنه عهد تلك المدرسة وشرح لسامعيه نتائج تلك النهضة وعدد الكتب التي فيها المتخرجون من المدرسة المذكورة وما سببته من الحركة الفكرية والحياة العلمية بينهم دلالة على ازالسير في طريق التربية ونشر انوار العرفان وتشبيد المدارس يؤدي حتما الى النتيجة التي وصلت اليها . ثم قال : « والذي نريده الآن هو ان ينشأ اولادنا في المستقبل في عالم من الحرية بعيد عن المضار والاهام الفاسدة والعادات السخيفة التي تحيط بهم من كل جانب . فقل ان يوجد بيت في الهند لا تنشأ فيه الاولاد بين الخدم والرعاغ الذين يعرفون الفاسد وسوء الاخلاق والخرافات في نفوس الاطفال ولا يلقى بنا ان نهملم الي هذا الحد فان المرء يفسده القرن السوء

نعم ان الآباء مكلفون بواجب الشرع والقانون ان يربوا ابناءهم ويهذبوا اخلاق اولادهم : ولكن اين هم الآباء الذين يعرفون ماهي التربية وماهي الطرق والوسائل النافعة الناجحة في اصلاح شؤون عائلاتهم واذ اردتم الحقيقة أقول لكم بالصرحة ان عائلاتنا ومانازلنا انصلح لتربية ابناءنا بل هي تلحق بهم ضررا بليغا وأنجح وسيلة هي ان نرسلهم الى مدرسة كمدرسة علي كدة ليقيموا فيها بين اساتذتهم ومعلميهم ولا يخافوا من كثرة المصاريف فانها ترد لكم اضعاف ما تصرفونه على ابناءكم

ولتسبحوا الي ان أقول للاغنياء والقادرين اذا اردتم خيرا لامتكم فساعدوا ابناء الفقراء بالمال ليتمكنوا من البقاء في هذه المدرسة

أيها السادة : لا يوجد فريق من الناس يستحق الاحترام كثيرا مثل السادة العلماء « يعنى علماء الدين لان كلمة عالم في الهند لا تطلق الا على من كان فقيها في الدين » فانهم يساعدون على بث مبادئ الدين الاسلامي ويوقدون جذوة في نفوس الامة . ولكن ايها السادة لم يخلق الناس كلهم ليكونوا علماء أو فقهاء فان الدين يضمحل ويتلاشي أو يسقط اعتباره ما لم يساعد المال على نشره وتقويته . واننا نعرف أن من الواجب على كل مسلم ان يعرف اصول دينه ولكن التوسع فيه والانقطاع له يترك الي فريق من العلماء يبقون في الامة كالنارات التي بهتدي بها في ظلمات البر والبحر . ونحن الذين نريد ان نلقى بانفسنا في معمعان الحياة وجهادها لا يمكننا أن نقوم بالوظيفتين ونعمل في الطريقتين .

اعتقدوا سادتي ان الاسلام معزز مؤبد ان شاء الله لا تضعيم قوته

ولا تنزل مكانته فان العلماء محافظون على رفعتهم ومكانته . واذا كان الاسلام
 يخشي شيئا في الوجود فانما يخشى قصورنا واهمالنا وبقاءنا في آخر صف من
 صفوف الامم متعاسين عن السير مع الزمان والاخذ بعلومه وفنونه الحديثة
 ولا تنسوا ابدا ان العالم جهاد وكل فرد فيه محارب مقاتل رضى هو أو لم يرض
 فاننا لو أردنا ان نترك الدنيا فانها لا تتركنا ولا تتخلى عنا في أى زمان أو مكان
 ومن الجهل والجنون ان نتكاسل ونتعافل ونحن مطلقوا الايدي قادرين
 على الاستعداد واخذ الالهبة للحرب والقتال

أى فائدة تأتي من وراء الاعجاب والفخر بمجدنا السالف بما لم يكن
 الغرض من ذلك بث روح الحياة واقتفاء آثار الماضين والتشبه بهم في حبهم
 للعمل والعمل . أقول ذلك لاننى أرى كثيرا من الناس يتفخرون بمدنية الاسلام
 السابقة . وانهم من سلالة تلك الامة العربية العظيمة وان اهل تلك العصور
 التي يتباهون في حبها كانوا في منتهى درجات الكمال الشخي ، وان لامدنية
 ولا علوم ولا آداب بمد الذي مضى وانقضى أى جهل بعد هذا وأى ضرر
 أعظم من هذا . وأى داء أشد فتكا من هذا ؟

اذا اعتقدنا ان صحيفة الكتاب طوبت وان طرق النجاح سدت في
 وجوهنا وانه من المستحيل ان تطهر نفوسنا فاي وسيلة تنهض بنا . نعم
 لانكرات الانسان يفترجا بآبائه واجداده ولكن يلزمه ان يجعل عند ذكرهم
 ووصف درجاتهم مع مقارنتها بدرجة : ثم ان اهل تلك العصور يصلوا الي
 درجة الكمال الشخصي حتى نقول ان العالم في تقهقر بل ان عيوبنا الشخصية
 التي نشكو منها تدرجت منهم اليها . هذه هي الحقيقة ولا يصح أن نجعلها

اذ متى عرف الانسان نفسه أمكنه أن يصلحها . أما اذا وضعناها في غير
مكانها وأخطانا في التاريخ هذا الخطا فاننا لا نقدر أن نعرف مبدأ سعينا
ومنتهى آمالنا

أيها السادة : ان كل مندوب منكم مكلف أن يؤدي لهذه الامة
الاسلامية واجبا عظيما . يلزم أن يكون كل واحد منكم مرشدا واعظا بين
قومه وعشيرته . عاملا على رفعتهم . حائثا لهم على الاتحاد والائتلاف ونشر أنوار
العلوم . فلا تدعوا هذه الفرصة تمر عليكم دون أن تؤدوا فيها لهذا المؤتمر
الوظيفة التي يكلفكم بها . ونحب أن نذتهز هذه الفرصة فنقرر شيئا نستفيد
منه لان انعقاد المؤتمر لا يشمر ولا يجدي الا اذا جاءت من ورائه فائدة
نافعة ... الخ

(المؤيد) وهنا بحث الخطيب في طرق جمع الاموال من الجهات الهندية
لمساعدة المدارس الاسلامية وماشابه ذلك مما لا محل له هنا . وقد اقتطفنا
هذه الرسالة وما قبلها من خطبته مع المحافظة التامة على أفكاره وآرائه
واقصرنا على النقط التي تتعلق بالمسلمين كافة فلا تختص بالهنود دون
المصريين أو غيرهم . ولا شك أن في خطبته عبارات جديدة بالامعان تستدعي
التفات المسلمين واهتمامهم : نساله سبحانه وتعالى أن يوفق المسلمين في كل
قطر ومملكة الى ما فيه صالحهم حتى لا يذهبوا فريسة الطوائف الاخرى وطعمة
لغيرهم من المجاهدين في ميدان هذه الحياة

خطبة

النواب المعظم (مهدي علي خان محسن الملك بهادر)

نشرنا في عدد مضي خلاصة خطبة جناب الفاضل رئيس مؤتمر التريية
الاسلامية مما اعجب بها القراء كل الاعجاب
وقد وقفنا الآن على قطعة كبيرة من خطبة النواب المعظم مهدي علي خان
محسن الملك بهادر رئيس لجنة ادارة (كلية عليكدة) وخلف المرحوم السيد
احمد خان مؤسس النهضة العلمية الاسلامية في البلاد الهندية منشورة في جريدة
(وطن) التي تصدر بلغة اوردو في مدينة (لاهور) فرأينا أن نقطف منها ما يفيد
القراء وهو

العلم العلم عليكم بالتعلم والعلم . فاذا شئتم أن تتعلموا وتستفيدوا فانسأخوا
من كثير من عاداتكم القديمة واخلاقكم الوخيمة واهتدوا بنور العلم في طريق
حياتكم التي تسرون فيها . استلوا سخائم النفوس من صدوركم . وكونوا يدا
واحدة في كل أموركم . لا تكونوا عائلة على الحكومة ولا على زيد وعمرو
والمخووا واطمئنا على مشكلات الامور السياسية التي تجري بين ظهرانيكم
فان وجدتم فيها ما يخالف مصالحكم فأحضوا النصيحة للحكومة . ابدلوا
الجهل في أن تعرف منكم سلامة النية فيما تقولون لتشتروا منها التفاتها
والاستضاءة بثاقب آرائكم لانها متى رأتم أهلا للثقة كانت في حاجة

شديدة الي الاسترشاد بكم . وبعبارة أخرى يجب علينا أن نحافظ على ناموس
 كرامتنا لنقوم لنا بهذه المحافظة مصالحنا وما بقى لنا من المناصب في الحكومة .
 واعلموا أن كل حكومة لا تخلو من خطأ أو شطط أو عيب في أحكامها وقوانينها
 لان الانسان مهما بلغت منزلته من العلم والعقل والتجربي في الحكم فلا يخلو من
 خطأ اذ العقل محدود . ولكن حكومتنا التي يدير رحي شؤونها جم غفير
 وعدد كثير من فطاحل الساسة ودهاة الامة أقل الحكومات خطأ لكثرة
 ما يتبادل رجالها الاراء والبحث والتنقيب . فالتهور في تسفيه أعمالها قبل النقد
 ودقة الامعان قد يسمي تعصبا وجهلا

هذا وان كثيرين من الذين استعبدتهم التقليد القديم وخيمت عليهم
 عنكب الجهل والضلال ولم يبارح أحدهم قرار داره أو ظل جداره
 يفوقون سهام التنديد والاعتراض على من يريد اقتطاف ثمار التمدن الجديد
 واكتساب العلوم العصرية . فهؤلاء معطلون لا تفهم ولن يصنعى لقلوبهم
 وان كانوا باعتبار الحكم الغالب لا يؤثرون بشيء الا كما يؤثر الضرب
 في الحديد البارد

واني لائق من حضرات الافاضل الذين جمعهم هذا المجلس الحافل
 انهم لا يشكون في أن ما ألقىه علي مسامعهم لا يخرج عن دائرة الاصول
 المرعية والقواعد المتبعة بمقتضى الدين المحمدي الحنفي . وهو أنا اذا رمنا
 اصلاح قومنا وحالنا وما آلتنا ، اذا رمنا ترقية شؤوننا وتخليد آثار تدل علينا
 وتشهد لنا ، اذا رمنا نحو حروف قهقهة الغريبين علينا من صفحات تاريخنا
 كما تمحي الحروف التي يهزوها قلم الكاتب البليغ — فاعلموا انه يتعين على

نشارك الامم الغربية في معارفهم وأن نزاحمهم في مساعيهم بالنناكب والاقدم
 في كل خطوة يخطونها لكسب علم أو اختراع عمل ولا منقذ لنا من براثن الفقر
 ومخالب الجهل الا اقتطاف جنى علومهم وادخال مدنيتهم بين ظهر ايننا ليكون
 هناك شيء من التكافؤ بيننا وبينهم حيث لا حافظ لنا من الهلاك في هذا المزدحم
 الشديد الا التكافؤ : أصبح من المقرر المعلوم انه لا تكاد توجد صناعة أو تجارة أو
 أي حرفة كانت من حرفة هذه الحياة الا وهي متوقفة على معرفة اللغات والعلوم
 العصرية الغربية توقف اللزوم على الملزوم والموصول على الصلة حتى اذ خدمة
 العسكرية التي هي عمل القتل وسفك دماء البشر صارت متوقفة أشد التوقف
 على لغات الغربيين وعلومهم ، فنحن حتى لو أردنا قتالهم فلا محيص لنا عن تعلم
 فنون قتالهم منهم وهم لا يخاون علينا أن يعلموا ناذلك

هذه العلوم من أهم وسائلها لدينا تعلم اللغة الانكليزية فيلز مناقب كل شيء
 تمصيلها واتقانها

رجعنا الي مبحث التعلم والتعليم ولعل جميع الحاضرين ظنوا اني ساتكلم عن
 مسألة المكاتب والمدارس الاميرية الموجودة الآن في بلادنا وهل هي كافية
 بحاجة أو ان طريقتهما في التعليم ناقصة غير مفيدة

على اننا قد بينا في مواقف كثيرة ان الفريق المخالف لنا الذي يرجح اختيار
 طريقة التعليم الموجودة في تلك المدارس والمكاتب يعترف معنا بانها ناقصة تحتاج
 الى تقويم بل الي ترميم وتغيير كثير

وبالجملة فانه يحق لنا ان نقول اننا لم نر احدا من المسلمين الهنديين

نبغ في تلك الطريقة المسلوكة الآن فصار حكيما فيلسوفا أو مدبرا يقتدى
 بسياسة وينزع في المهمات اليه وينتفع الوطن بعلومه . ولعل بعض الناس يحتاج
 على عدم صحة مدعانا بمثل المرحوم السيد احمد خان حكيم المند المؤسس
 لهضتنا أو بالمرحوم (النواب تراب علي خان مختار الملك) وزير الدكن
 الشهير فاقول ان المذكورين لم يكونا كما يزعم الناس فيهما من نتائج تلك
 الطريقة وحدها بل هما أبناء جدهما وكدهما ومشاربتهما الطويلة على الاطلاع
 على كثير من العلوم والفنون دون الوقوف عند حد منها

ان مدار التعليم في المدارس والمكاتب الموجودة على الامتحان المقرر
 وهوليس اختياريا بل اجباري يسد على الطالب مسام استنشاق أرواح
 العلم فيما ينفعه

وان للطريقة الجارية عيوب باجمة لا يرضي بها من له مسكة ودين ومن
 أكبر عيوبها انها خالية من الكتب الدينية الاسلامية والاسفار التاريخية
 المتعلقة بالاسلام والمسدين ولذلك نرى الطالب يقضى نضرة شبابه في تلك
 المدارس ثم يخرج منها لا يعرف من أمور دينه شيئا ثم هو لا يعرف شيئا من
 تواريخ الاسلام ومغازي حضرة سيد الانام عليه الصلاة والسلام علي انه
 لا دير ولا رهبانية في الاسلام .

ومعلوم ان قوى النفس الانسانية مفتقرة الي تمهدها بالتربية والنشيف
 فالارض مثلا لا تعطي ما في ارحامها الا بالفلاحة وهي لا تكون الا بادوات
 خاصة بها وأسباب تمهدها : والكتابة لا تكون الا بالقلم وتوابعه .

وهذه الادوات في التربية هي عبارة عن العلم الصحيح والمعلم الكامل

والاخلاق المهذبة وحسن القدوة من الاهل والاقران وأحكام المراقبة التي
 يكون بها اجتناب كل ما يخل بالشرف والآداب المصطلح عليها مع تعهد مستمر
 في تقويم الطباع المتأصلة والعقائد الموروثة الى الصحيح السليم منها - والتربية
 بهذا المعنى تشمل الوقوف عند الاوامر والمناهي الشرعية بعد معرفة الحلال
 والحرام ومقاومة شهوات النفس وصرف قواها الى صوالح الاعمال والكمالات
 الكافلة لسعادة الحياة وبعد الممات . وقوام التربية الاول رفض الافكار الخبيثة
 والاوهام الفاسدة المعطلة وتطهير الجوارح الظاهرة والباطنة من ادائها الملوثة :
 واني لا عجب ممن يسلم زمام ولده الى الشيخ أو البابو (البابو في اللغة
 الهندية المعلم الوثني) ليعلمه ثم هو ينفض يده من كل شيء يتعلق به مقابل
 ان يدفع للمعلم عشر روبيات في الشهر مثلا . فهل العشر روبيات المذكورة
 توجد في المعلم تلك الصفات التي تؤهله لتربية وتقوم اخلاق التلميذ الذي
 بين يديه على تلك القواعد التي شرحتها - كلا ثم كلا . انا اذا نسلم اولادنا
 في أنصر أيام حياتهم وأحسن أوقات قابلياتهم ليقبوا على الحالة التي يرثي
 لها من الجهل وشكاسة الاخلاق . والعشر روبيات في الشهر وحدها
 لا يمكن ان توجد لنا اولادا مهذبين

اني لا أخطوا بعيدا عن مقام التربية ولكن أريد أن أجيب نداء ذلك
 الرجل الذي خاطبنا من أخريات الناس : خطابا مقتضيا قائلا : ان السكسب
 على الطريقة المشروعة أصبح أمرا غير ممكن ولذلك قمنا عن السكسب
 تورعا وبعدها عن ارتكاب الشبهات فمر أرباب اتروة واليسار أن يدفعوا

لنا زكاة أموالهم - تي نعيش :

أيها الرافع عقيرته بهذا القول وما حملك عليه الاخلع جلاباب الحياء
وتلبية نعيم سلطان الخمول والكسل لتقرع الابواب بعصا الفقر : اذا
كنت تحب لنا ماتج لنفسك - ولا نخالك الا كذلك - فمن أين
نكسب وكيف نعيش وكيف يكون للاغنياء مال يدفعون منه زكاته
للفقراء ؟ اذا كنت صادقاً فيما تقول ، فعلى م تطالب الاغنياء بفضلة ما لهم
المشوب بالحرام ؟

اذا تركنا الكسب من وجوهه الممكنة فكيف يجيا امثالك وكيف
يبقي لنا شرف وجامعة وهمية عصبية؟ يا سبحان الله ! ما كنت أظن أن أحدا
لا يزدعه حاكم العقل والحياء عن أن يتفوه بمثل هذه الكلمات في محفل عام كهذا.
اننا وان كنا نخالف في الرأي بعض ما نهجته لجنة ندوة العلماء فاننا مترفون
بانخدم العجيلة التي قامت بها وشاكرون لحسن مسعاها في الاصلاح وترقية
شؤون القوم. اذا كانت الغاية حميدة وكلنا يرمي الى غرض حسن فبماذا
ناضل منا ومنضول . استحسننت هي طريقا لخير الامة فنهجته ونحن استحسننا
طريقا فسلكناه والله سبحانه يوفق السلك الى ماله قصد

ولا بأس بان اقص عليكم بعض ما قد شاهدته في (لكتهمو) فقد

سافنتي البواعث الى زيارتها منذ ايام وجمعتني الصدق بصديقي الحميم القديم
(مستر سايكس برنسيل لاناارة تيزكالج) فاخذ بيدي الى تلك المدرسة الشهيرة
فشاهدت فيها ما بهرتني وسر ناظري من ربح الموضع واتقان العمارة
واحكام البناء وتنسيق الغرف وترتيب محال جلوس الطلبة ونومهم وأكلهم

ورياضتهم و دسن ادارة المعلمين والمستخدمين وما اشتملت عليه من مناظر
الزهوة والبرك الفوارة والحمامات ومحل العبادة

وبالجملة فانه لم يقع نظري على شيء استحسنته الا انتقل بي الي احسن
منه حتى كاني في جنة فيحاء فسيحة الارحاء ممتدة الفضاء كما هي ممدودة الظلال
يتخللها نهر جار على ضفتيه اشجار مصقوفة على ابداع مثال فاذا سبح الطلاب
خرجوا الي ملعب الرياضة والكرة

والخلاصة أن مدرسة كهذه مشتملة على ما ذكرنا من المرافق والمنافع
وأنواع الرياضة والتعليم والتهديب هي أحسن معهد الطالبين . تنفعهم في كل
شيء ويعلق منها بعدها بهم كل شيء . وعلى هذا الوضع مدرسة كالسكوتيا
ومدرسة في بلاد فرنسا : اسس المدارس الثلاث كما تعلمون رجل واحد
هو ذلك الخادم للانسانية (الجنرال كلاد مارتن) ولم يقتصر هذا الرجل
العظيم على تأسيسها ونشيد مبانيها بل انه وقف لها من الاموال والواردات
ما يقوم بمصارفها ابد الاباد

والغرض من ذكر مدرسة «الكنهوء» ان لاشق عليكم بذكر ما شط
وبعد عنكم . فاذا كانت هذه المدرسة على مرمى النظر منكم فتأملوا
اصلحكم الله وأرجعوا الطرف الي هذه المدارس الثلاث وما ينفق عليها من
الاموال الطائلة في كل عام بل في كل شهر بل في كل يوم وتنهض بأعبائها
همة رجل واحد .

ان للوسط الذي يمدش فيه الانسان أكبر تأثير عليه وخصوصا في
ايم صباه فالطالب الذي يتعلم في وسط يروقه من كبل وجه ينطبع في نفسه

لرغم عنه مثال ذلك الوسط واستبويها محاسنه أو عكسها . والمدرسة التي
 شرحت لكم مثالها هي خير وسط يشب فيه الناشئ ويؤثر مجلاء على نفسه
 فابذلوا كل جهدكم في ان يتعلم أبناءكم قبل كل شيء في مدارس منظمة
 منسقة كهذه كل شيء بها حسن في عين من يراه فذلكم خير من أن ينشأ
 بين يدي ذلك الشيخ او البابو بالشر روبيات في مسكان قذر مظلم ليس فيه
 ما يروق العين ويستهموي النفس فضلائن حسن التعليم في تلك وسوئه في هذا
 أسس بطليموس أحد خلفاء الاسكندر المقدوني مدرسة في الاسكندرية
 كانت جامعة بين فنون التعليم والتربية وأنشأ بجانبها مكتبة احتوت على أفيد
 الكتب العلوم والفنون . بتلك المدرسة وهذه المكتبة لاغيرها أصبحت
 لاسكندرية مدينة العلم وكمية طلابه من كل فج قريب وواد سحبق
 وصبحت المدينة بعد ذلك غاية مرمي كل قاصد في علوم الفلسفة والطب
 والهيئة والرياضات كلها والموسيقى والشعر . فجمعت بين العلوم والآداب
 وكانت أجل معاهد العلم في أوقات عديدة حتى ان جالينوس معلمها الشهير
 ألف أشهر كتبه وبطليموس ألف مجسطيه فيها . منها أشرقت أنوار فلسفة
 الاشرافيين حتى كان الفلاسفة كلها اسكندرية المهيد . حيث الاسكندرية
 بمدرستها وأحييت بعلمها مدناشئ في قرون عديدة ولا تزال تذكر
 بتاريخها . العلمي المجيد من فضل مدرسة واحدة ومكتبة واحدة . فانظروا
 كيف تفعل المدرسة الواحدة في العالم الكبير وفي الزمن الطويل انشيدت
 على أساس متين واسلوب نافع .

مؤتمر التربية الإسلامية

(في مدارس)

(خطبة الرئيس)

يتذكر القراء ما نشرناه في مثل هذا الوقت من العام الماضي عن مؤتمر التربية الإسلامية الذي انعقد في رامبو تحت رئاسة العالم العامل (نواب عماد الملك سيد حسين بلگرامي الحيدر آبادي) ويتذكر القراء تلك الخطبة البليغة التي ألقاها حضرته في افتتاح المؤتمر المشار إليه . وقد كان يوم السبت ٢٨ ديسمبر مشهودا يومًا في مدينة مدارس حيث انعقد فيها المؤتمر الإسلامي للمرة الخامسة عشر من يوم تأسيسه . والذي يطالع الجرائد الهندية الإسلامية في الأسبوعين الماضيين يجدها مشحونة بما ألقى في المؤتمر من الخطب المهمة والمباحث الإسلامية والاقتراحات المختصة بكل ما يرتبط بتربية المسلمين وترقية شؤونهم . ولكن انعقاد المؤتمر هذه المرة في مدينة مدارس يمتاز عن غيره بنقطة واحدة كانت موضع الإخذ والرد بين كثير من نبيهة المسلمين هناك الا وهي كون الرئيس في هذه المرة ليس مسلمًا ولكن انكليزيًا . والسبب في ذلك أن حضرة (القاضي بودام) الذي ترأس المؤتمر هذه المرة كان من قبل رئيسًا لقرع مدينة مدارس . فلماذا السبب ولعدم وجود من يليق بين المسلمين في إيالة مدارس لتولي رئاسة

المؤتمر ترأس القاضى المشار اليه والقي خطبة افتتاحية لا تقل فى الاهمية عن خطبة العالم «نواب عماد الملك سيد حسين بلگرامي الحيدر آبادي» وقد استحسنتها كل المسلمين هناك وشهدوا له بالفضل واعترفوا له بمجزيل الخدمة. ومما يمتاز به انعقاد المؤتمر هذه المرة أيضا حضور كثيرين من كبار الانجليز ومن ضمنهم الحاكم العام لولاية مدراس فانه حضر جلسات المؤتمر والقي خطبة قصيرة قال فيها انه مشارك للمؤتمر فى مساعيه راض عن خدماته واعترف أن الحكومة تستقبل أعماله بكل سرور وانسراح

ولما كانت خطبة حضرة القاضى بودام مهمة فى حصد ذاتها لتعلقها بكثير من المسائل الاسلامية من جهة ولكونها ايضا لرأى باحث أجنبي عن المسلمين هناك يري الامور بغير العين التي يراها بها المسلمون ويعتبر حكمه حكم المشاهد الخالى من الاغراض من جهة أخرى رأينا أن نبداً بترجمة خطبته المذكورة قال :

انى اعتبر نفسى سعيدا ولى الشرف الاكبر بانتخابكم إياى لرئاسة مؤتمر التربية الاسلامي للمرة الخامسة عشرة من انعقاده . لكننى مع ذلك لأجد مندوحة عن الاسف من أجلسكم لاسباب كثيرة : منها انه لو كان رئيس المؤتمر من بينكم لكان أحسن وأنفع لانه بصفته واحدا منكم يحس بما تحسون ويالم بما تلمون وينظر كما تنظرون ويقدر الغاية المطلوبة من المؤتمر كما تطالبون ويرجو النتيجة كما ترجون فانه يقدر على مشاركتكم ويقوم بخدمتكم ، وكان يمكنه أن يخطب بينكم بلغتكم ويفهم الخطب التي تلقى بلسانكم ويلاحظ الاقتراحات التي تقدم منكم أو كنتم تضعون

فيه ثقتكم وتنظرون الي آرائه بغير العين التي تنظرون بها الي آرائى وافكارى؟
وتعتبرونه غير الاعتبار الذي أخاف أن تنسبوه الي لكونى غير مسلم مثلكم.
ولكن من الاتسف أن المسلمين فى هذه الولاية لارئيس لهم يلجأون اليه
فى مثل هذه الظروف لانهم مختلفون مذشقون كل يشايح حزبا ويعضد
فريقا. فلذلك كان من الصعب جدا أن يتم الوفاق على رئيس المؤتمر وعسى
أن انعقاد مؤتمر التربية فى عاصمة هذه الولاية يكون سببا فى جمع كلمتهم
وارتباط جامعتهم ووسيلة لاث روح الوطنية فى افئدتهم ان لم يكن من
كل الوجوه فعلى الاقل فيما يؤدى الى رفع شانهم واعلاء مقامهم وطرح اسباب
الشقاق والشحناء من بينهم ليقوموا بما يعود بالخير عليهم وعلى ابناءهم واخوانهم
فى الدين والجنس

لهذه الاسباب قبلت رئاسة المؤتمر مضطرا بالرغم عنى بعد التردد
الكثير. قبلت الرئاسة املا فى ان اكون سببا فى افادة الامة الاسلامية
فى هذه البلاد عسى بذلك ان اؤدى خدمة تقوم مقام ترأسى على مؤتمرهم
مؤملا منكم ان تسبلوا ذيل العفوع عن هفوانى ولا تقارنوا اقوالى الركيكة
بما القى على مسامع اعضاء هذا المؤتمر فى جلساته السابقة من خطب البلقاء
وملح الحكماء والنصحاء

منذ عقد المؤتمر فى العام الماضى لم يقع فى العالم الاحداثان مهتان بالنسبة
لنا ولكم: احدهما وفاة جلالة الملكة فيكتوريا اول امبراطورة لهذه الامة
والتي كانت اخلاقها الشخصية مثال آداب المدنية الحقة والتي كانت مشهورة
بمحبها لرعاياها الهنود وخصوصا المسلمين. وثانيهما وفاة الامير عبيد الرحمن

خان جاركم وصديقكم الذي اشتهر بالسياسة والحكمة . فأرى من الواجب عند اجتماع هذا المؤتمر ان يعلن أسفه على وفاة هذين الملكين الجليلين واكتفى بان اشير الي ان في كلا الخطيين مصابا لنا جميعا

كلكم تعلمون علم اليقين ان مؤسس هذا المؤتمر هو المرحوم (السيد احمد خان بهادر) الذي أسس أيضا «مدرسة عليكدة الاسلامية» . وأقول انه لا توجد ذكرى ناطقة ولا تمثال حتى ثابت اعلى وارفع من هذا التذكار الذي شيده بيده . ففي كل عام يجتمع قادة الافكار من المسلمين في مدينة من مدن الهند ما بين لندائه للبحث في كل ما يتعلق بالتربية للناشئة وما يخص المسلمين من المسائل المهمة الاجتماعية وغيرها . هذا والمدرسة تربي كل يوم افرادا من الناشئة الاسلامية يكونون رجال المستقبل النافعين الناجحين . كذلك أقول ان بقاء هذا المؤتمر حيا ناميا يرجع الى مساعي الذين لبوا دعوته في هذا العام واتوا اليه من كل فج عميق للقيام بما فرضه عليهم جامعتهم ودينهم

ان الغرض الذي يرمي اليه هذا المؤتمر الاسلامي هو نشر التربية العصرية اللازمة لهذا الزمن بين افراد الامة الاسلامية في الهند مع ما يصلح وينفع من علوم الشرق وآدابه المشهورة . ولهذه الاسباب يلزم ان يشارك هذا المؤتمر في مقاصده كل من يريد الخير والاصلاح للامة الاسلامية ومن اكبر الدلائل على نهضة المسلمين انهم بعد ان اهتموا وسائل التعليم التي وضعتها امامهم الحكومة قاموا اليوم يسمعون للبحث عن اتق الوسائل لتربية ناشئتهم الاسلامية كما يبغون لعلمهم ان نظمات المدارس التابعة للحكومة لاتصلح لهم تماما لاسباب تعرفونها . وقد كان المرحوم السيد

احمد خان اول من تنبه الى ذلك وعرف ان المسلمين نافرون من العلوم
العصرية فاراد ان يجذبهم اليها ويعرفهم ضرورتها لهذا الزمن . فكان اول عمله
السعي في تأسيس (مدرسة عليكده) التي بدأت تعلم المسلمين قيمة الاعتماد على
انفسهم والسعي لنجاحهم بانفسهم وصارت تخرج شبانا عارفين بمقدار الواجب
عليهم . كذلك كان المؤتمر الاسلامي في كل جلساته الماضية واسطة كبرى
بث هذه الروح التي يؤمل كلنا ان تقوي وتشد في نفوسكم وتاتي بالفائدة
المطلوبة

اجل اذا كان المسلمون يريدون ان يعودوا الى سالف مجدهم وسابق
عزيم فليضعوا نصب اعينهم صفتي الاعتماد على النفس والسعي بالنفس . وحيث
ان هذا المؤتمر مؤسس على هذا المبدأ ناشيء على هذا المنهاج فهو جدير
باعجاب كل العقلاء ومساعدة كل انسان يجب ان يجعل السعي والعمل
والاجتهاد والتميز مكان الكسل والخمول والنوم مما اشتهر المسلمون به في
العصور الاخيرة . وانتم تعلمون انه في مزدهم هذه الحياة يتخلى الضعيف
للقوى ويقضى المتيقظ على النائم وكل ما يقال عن الافراد يقال عن الامم
سواء بسواء

ولا اظن انه يوجد من يشك ولو لحظة في ان هذا المؤتمر يوئدي
للمسلمين خدمة كبرى . اذ قد نام المسلمون بينما ارتقت الامم الاخرى
وساروا سيرا بطيئا بينما كانت غيرهم يعدوا عدوا . وقد كان للمسلمين من
زمن قديم مركز عال في هذا الوجود وكانوا امة راقية سامية . فاي داع
يمنعهم من ان يصلوا يوما من الايام الى درجتهم الاولى ؟ انما يتعلق هذا الامل

بهم أنفسهم فلن يخدم أحد أحدنا

كان المسلمون أولا ذوى نفوذ و سطوة . ومع انهم كانوا أمة حربية رجال سيف فقد كانوا أيضا رجال قلم وأرباب علوم . طالمنا اشتروا فى الفلسفة والآداب والعلوم الرياضية والطبيعية وكانت لهم المدارس الشهيرة فى القاهرة وبغداد وسمرقند حيث كان الطلبة يزدحمون على ورود مناهل العلوم . وهذه بلاد الاندلس كانت أرقى بلاد العالم فى المدنية والعلوم . ومن العدل أن تتذكروا هذا المجد القديم وتنشده . لا تقتخروا به كما يقتخر بالمعظم الزميم ولكن ليبحث فيكم روح العمل والتشبه والهمة العالية حقيقة ان كنتم تتذكرون الماضى العظيم وتكتفون بلذة الذكرى وتنامون بعدها على أصمخة آذانكم فالاولى بكم أن تنسو الماضى وان تعرفوا ان ما نقل اليكم عن مجد آبائكم محض أقاويل ملفقة . وأما ان كنتم تتخذون الماضى عبرة وتتشبهون بالآباء والاجداد وتسعون لنيل ما أدركوه من قديم الازمان والآباد فافتخروا بماضيكم فهو جدير بالافتخار .

وعلى كل حال فالماضى ماض والحاضر حاضر وقدمرت عليكم السنوات الطوال وانتم لاهون غافلون حتى اذا تيقظتم من ثباتكم العميق وجدتم الامم الاخرى التى هي دونكم قد أخذت بالقسط الاوفر من التقدم وسبقتكم بشوط بعيد فى الثروة والقوة والعلم . ويمجبنى قول (النواب عماد الملك السيد على بلغرامى) فى الخطبة التى ألقاها فى العام الماضى على هذا المؤتمر حيث قال : « غرست بذور التأخر والاضمحلال فى اليوم الذى غفلت فيه عيوننا ونامت عقولنا واكتفينا بمجد آبائنا وأسلافنا . عند ذلك فقدنا الشهرة

في ادراك العلوم وعند ذلك ضاع كل شيء وتراخت أعصاب الامة وقواها الحيوية وبقدنا الشجاعة والنشاط والمطامع ومما فقدت الثروة والقوة والحياة. ومن الغلط أن يتصور بعضهم ان المسلمين فقدوا كل ما بقي لديهم بعد أن فقدوا قوتهم والتاريخ شاهد عدل على اننا بدأنا بفقد كل شيء حينما أهملنا كل الوسائل التي تحفظ قوام القوم .

وفي هذه الايام أصبحت العلوم قوة ولا يتأخر في ميدان الحياة الا الجاهل الاغبياء أما الذين يسرون مع تيار الزمن ويحصلون على كل ما فيه من العلوم والمعارف والمطالب فهؤلاء هم الذين يصلون الى أغراضهم ويدركون أمانيهم ويحصلون على الثروة والجاه والشرف . وان أمثال هذه المؤتمرات هي التي تنهض بكم وتعلمي شأنكم وتعيد لكم سابق مجدكم وعزكم . وان المحور الذي دار عليه المؤتمر منذ أنشئ هو ان المسلمين في الهند ليسوا في درجة تماثل اخوانهم من بقية رعايا جلالة الملك وانه اذالم يجتهد المسلمون في رفع شأنهم حتى يساواو غيرهم من الانكليز وسواهم فلا يطعمون في المساواة بغيرهم . مما يعلى قدر المسلمين في أعين العالم انهم فقروا هذه الحقيقة من أنفسهم بعد اعتمادهم على الحكومة الانكليزية وثقتهم التي علمهم ايها المرحوم السيد احمد خان الذي أدرك قبل غيره انه في الوقت الذي يصبح فيه المسلمون في درجة مساوية لخواصهم الانكليز والهندوس في العلوم والمعارف والاستعداد فانهم يفتقون مع الجميع في صف واحد والآن نسأل كيف يكون الوصول الى هذه الغاية المتمننة ؟ أقول ان أمثال هذه المؤتمرات الاسلامية هي من أكبر الوسائل لنيل هذا الغرض لانه

بواسطتها يجتمع المسلمون في صعيد واحد ويتبادل قادة افكارهم اطراف
البحث في كل ما يتعلق بالتربية ومستقبل امتهم : هنا حيث يجتمع مسلمو
الشمال بمسلمي الجنوب والشرق والغرب تأتي الفائدة وتثمر المساعي لانهم
متى رأوا انفسهم مشتركين في عمل واحد يعرفون قيمة الاتحاد ويدركون
ان على عاتقهم واجبا يجب أن يقوموا به جميعا وان كل فرد منهم مكلف
عاز يجهد نفسه آناء الليل واطراف النهار ليرفع شأن امته . ومتى اتحدت
كلمتهم نشأ من ارتباطهم كل صالح ونافع لكم .

ومن الآراء الاساسية عند قادة المصلحين من زعماء المسلمين ان
نظام التربية الذي تسير عليه مدارس الحكومة في الهند غير صالح لهم ولا
يؤدي الي الغاية التي رسموها لمستقبلهم ، وانه يجب أن يجهدوا انفسهم
بكل الوسائل لجعل التربية والتعليم صالحين لحاجاتهم . ويجب أن تنشر هذه
الفكرة بينكم وهي أن مدارس الحكومة كما قلت لا تكفيكم حتى يمكن
لامثال هذه المؤتمرات أن ترسم الخطة اللازم اتباعها . نعم وان كانت
الحكومة منذ تولى شؤونها أول حاكم أتى الي هذه الديار الى الآن ميالة الي
نشر التربية والتعليم بين رعاياها ، الا ان ذلك لا ينعكم من الاعتماد على
انفسكم لايجاد الاصلاحات في التربية اللازمة لكم . واسمحوا لي ان اقتطف
من خطبة (القاضي امير على) التي القاها في العام الماضي على هذا المؤتمر الجملة
الآتية لان عبارته فيها تكون اوقع في نفوسكم من غيرها قال :

« نحن اليوم على عتبة باب قرن جديد وكل انسان لا يسمه الا ان
يستقبله بقلب ملؤه الفرح والسرور بما يتخيله من الآمال التي يمكن

تحقيقها والغايات التي يؤمل الوصول اليها عند نهاية هذا القرن الجديد -
يجب أن يكون اعتقاد الناشئة التي حضرت افتتاح هذا القرن انه عصر لا يفوذ فيه
الاكل معتد على نفسه وانه يترتب على ما عي كل فرد منهم وقيامه بواجب مستقبل
الامة التي هو فرد من افرادها . ويجب كذلك أن تضع الناشئة نصب عينها أن
هذا القرن سيكون قرن تقدم وارتقاء في العلوم والمعارف بين أبناء هذه الامة
وانتم اليوم في ايدي حكومة عادلة تحب الخير والنجاح لكم . ولتكونوا على
يقين أنها من أفضل الحكومات وأميلها الي نشر راية العدل والتوفيق بين
رعاياها . وانما اقول هذا توطئة لما أريد أن لقيه عليكم اذا انتم تعلمون أن
الهنود ليسوا أمة واحدة وانهم يتالفون من عناصر مختلفة في الاديان والعمادات
وكل عنصر من العناصر منقسم الى شيع ومذاهب دينية واجتماعية وان لكل عنصر
آمالا ومقاصد خاصة به . لهذا أصبح الواجب الملتي على عاتق الحكومة ثقيل
ولا يوجد رجل ذو ذمة صادقة ينكر على ان الحكومة مع ذلك تعمل كل ما في
وسمها لاتباع خطة عادلة حرة لا تميل الي فريق دون فريق . لكنكم تعلمون
من ذلك ان الحكومة لا تقدر أن تمضد فريقا دون آخر وانه من الواجب على
كل عنصر أن يسعى بنفسه لاصلاح حاله وترقية شؤونه . ولا أنكر عليكم انه
ربما ظهر في بعض الاحايين أن الحكومة عضدت عنصرا أو رفعت شأن
فريق لكن متي اعتقدنا ان ذلك قد وقع بلا غرض أو بدون ظلم يتضح لنا
أن الحكومة كما اعتقد وكما اعرفه بالتجربة لا تشايح حزبا ولا تميل الي عنصر
مخصوص دون سواه : متي عرفتم ذلك فلا تنتظروا من الحكومة أن تغير

نظام التربية والتعليم في مدارسها لاجل مصاحبتنا وحدنا»
هكذا قال «القاضي امير على» وهكذا اقول لكم . وانه ان كان التعليم
في مدارس الحكومة الهندية صالحا لعامة رعاياها فليس من جهة أخرى
بصالح لكم تماما . ولذا بقي عليكم ان تسدوا الخلل بايديكم . واعتقد ان الحكومة
لو امكنتها ان تساعدكم دون ان تظلم بقية رعاياها من الطوائف الاخرى لفعلت
ذلك من تلقاء نفسها مع السرور والرضى
صرح اللورد كورزون « في الخطبة التي القاها على طلبة مدرسة
عليكيد و ترجمناها عندئذ في المؤيد» * انه لا تكون التربية كاملة ما لم تؤسس
على مبادئ الدين . تلك حقيقة لا يمارض فيها أحد لانه لا تكون التربية
كاملة او مفيدة ما لم ترم الي تقويم الاخلاق والنفوس . والتربية الخالية من
المبادئ الدينية انما يقصد بها تربيته الملتكات العقلية والجهانية لتؤدي الوظيفة
المطلوبة منها والغاية التي تسير في طريقها . لكن التربية بمعناها الحقيقي لها
مقصد أوسع من ذلك وغايه ارفع وأعلى . فان الرجل قد يكون عالما نبيا
لكنه في حاجة الي من يدبر قواه العقلية ويقودها في طريق يؤدي الى مصالحة
العنصر الذي هو منه فضلا عن مصاحته الشخصية . وانه غير التربية الكاملة
قد يكون سببا في جلب الضرر بدلا من الخير الي أمتة ونفسه وكثيرا
ما تكون تربية الشخص وتعليمه سببا في زيادة جلب الضرر وجر البلاء والمصائب
على قومه ونفسه . واذكر لكم حادثة وقعت تحت نظري من هذا القبيل
في انكلترا .

(*) راجع هذه الخطبة بتمامها في هذه المجموعة

منذ بضع سنوات اتهمت احدي شركات السكك الحديدية أحد عمالها بأنه زور تذاكر عديدة وقد كان هذا المتهم احد موظفي قلم الهندسة . وكان من ابرع العمال وانبههم ولكنه كان مضطرا الى الانتقال بعد تأدية وظيفته الي جهة بعيدة عن محل شغله : ولما كان راتبه قليلا لا يكفي لحاجاته وتفتات الانتقال زور تذاكر لسفره ولكنه اتقن التقليد وصارت التذاكر المزورة اشبه بالحقيقية في حروفها ورسمها وشكلها حتى ان الشركة مع علمها ان هناك غشا لم تقدر ان تعرف كيف دخل عليها هذا الفس ولا أى التذاكر مزورة وحتى انه لما جاء وقت المحاكمة ووكلمت التذاكر المكذوبة بجانب الحقيقية لم يقدر القاضي ان يميز بينهما . ثم حكم على الرجل بمدة سجن طويلة وتلم شرفه ولم يعد له ادنى أمل في نيل وظيفة مثل وظيفته السابقة التي هو جدير بالحصول على مثلها واعلى منها . وهذا الرجل تربي تربية طيبة معنى مخصوص ولكن ليست التربية التي تجعله عضوا نافعا في الهيئة الاجتماعية . بل بالعكس جعلته ضرا عليها وداء في وسطها . ولو انه تربي التربية الكاملة بالمبادئ الدينية لكان مع اليقين اصلح وأتمع ولوجد في ذمته ما يردعه عن الفس والتزوير .

ولا تكون التربية كاملة نافعة مؤدية للفرض الحقيقي ما لم يكن من نتائجها تهذيب النفوس وتقويم الاخلاق وارشاد الاميال الانسانية وترقية العقول البشرية : وانني اعرف ان المسلمون يهتمون بالمقائد الدينية ، الا ان المقصود يجب ان يكون عند الذين يطمحون الى ايجاد الرجال ذوي النفوس الكبيرة التربية الدينية لتقويم الاخلاق بها المقائد وحدها

من الراسخ في الاذهان بل من القضايا المسلمة بالبداهة ان كل مسلم عارف بمنافع التربية راغب فيها له ولا بنائه . ولكن هل هذا ينطبق على الواقع ؟ الا ترى كثيرين من اولاد المسلمين الراقين نوعا يلمبون في الطرق والحارات وهم صغار ويقضون العمر في سفاسف الامور وهم كبار ؟ وان لم يكن كذلك أفلا نجد ان اغلب المسلمين يكتفى بإرسال ابنه الى اقرب مكتب ويقتنع بانه سلم ولده وفلذة كبده الى فقيه او معلم قريب منه ؟ اهـذا كل الواجب وبمباراة اخرى اليس الواقع كذلك ؟ بل اليس الكثيرون من المسلمين يهملون اولادهم بعد المدارس ولا يميرونهم ادنى التفات لتقويم اخلاقهم او مراقبتهم ؟ او لا يكتفى المسلم بان يرى ابنه قد تعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم السطحية ويظن بعد ذلك ان ابنه قد حصل على التربية اللازمة بل الكاملة ؟ مثل هؤلاء الاولاد في الحقيقة يشبون جهلاء يقودون انفسهم الى مهاوى الضلال والفساد . والذنب ذنب الآباء حقيقة لانهم لم يكلفوا انفسهم مشقة البحث عن انفع السبل لتربية اولادهم أو ماهي الوسائط اللازمة لحمايتهم وتربيتهم التربية الحقة

ولا اشك في انكم تفهمون أن الغرض من التربية الدينية في أول تعليم الاطفال هو لكي تنطبع في عقولهم المرنة مبادئ الفضيلة والتقوى التي تؤسس عليها دعائم التربية الحقة النافعة في مستقبل الايام . وأؤ كذلككم ان هذه هي الطريقة المثلي ؛ ولكن يجب أن لا تقف التربية الدينية عند هذا الحد اي حد الطقولية بل يجب الاستمرار على تلقينها حتى اذا ارتقى عقل الناشئة تنمو الفضيلة فيه كما ينمو جسمه ويشب بعد ذلك على المبادئ العالية

والمقاصد السامية مع شرف الغاية وطهارة الذمة . وفي بلادنا نحن الانكليز يتلقن الطفل وهو في حجر أمه كل ما يهذب نفسه ويقوم اخلاقه ويؤسس في قلبه مبدأ الشرف ودعامة الادب . وحيثما يأتي الزمن الذي يذهب فيه للمدرسة يرسل عادة الي مدرسة داخلية حيث تكمل تربيته الدينية ويلتفت المعلمون الي ترقية آدابه النفسانية حتى تنفوس فيه وهو في المدرسة مبادئ النظام وآثار الاجتماع وغير ذلك من الصفات التي تنشأ من وجوده في وسط شريف مع اساتذته ومعلميه والطلبة امثاله مما يكون سياجاً له من الوقوع في الشرور والمفاسد بعد المدرسة .

ولا انكر أن كثيراً من الناشئين بعد أن يخرجوا من المدارس ينسون ما تأسس في نفوسهم من الفضائل وينساقون في طرق المفاسد عند احتكاكهم بالعالم وما فيه من المقدمات التي تؤثر على عقول الشبان بنوع خاص ، ولكن هذا أيضاً لا يكون الا لنقص سابق في ناموس تربيتهم . وانني أقول لكم صريحاً أن افضل مدرسة لتعليم الطفل هي حجر أمه حيث يذشأ فيه على الفضائل وتنفس في نفسه المبادئ الشريفة . وان الامة التي لاتعظم مقام المرأة وتعلي شأها لا يمكن أن تكون أمة اراقية . وكل امة لا يشترك فيها النساء مع الرجال في الاميال والمقاصد ويلتفتن الى تربية الابناء فلا بد لها من السقوط والاضمحلال مها كانت راقية عالية . فلذلك اري من اكبر الواجبات على المؤتمر ان ينظر في شان تربية البنات بل اري ان يجعل ذلك من أول واجباته : واقول ايضاً اننا كبر حامل في ترقية الامم يرتبط بالنساء وتربيتهن . وسواء كانت نساؤكم على درجة طيبة من التربية والتعليم

أولا فذلك مما أتركه لكم للبحث فيه واكتفى بان استلفت اذشاركم الى هذا الامر المهم

يقولون ان الطفل هو والد الرجل . وفي هذه البلاد ينشأ الطفل وأمامه عقبات شتى اكثر منها في جهة أخرى . والسبب في ذلك ان الطفل محتاج الى تعلم اللغة الهندوستانية لضرورتها له في مستقبل الايام ومحتاج أيضا الى تعلم اللغة الانكليزية وهذا بلاشك من العقبات الكبرى . ولا أرى لهذا المشكل سوى زيادة العمل والاجتهاد . والعقبة الثانية تتعلق بالثريية الدينية لان المدارس التي يمكن أن ترسلوا أولادكم اليها خالية من الثرية المذكورة لكونها مدارس عامة لجميع الطوائف . والمدرسة النافعة لمستقبل الناشئ من المسلمين هي المدرسة التي تكون الثرية الدينية الاسلامية فرعا من فروع التعليم فيها .

ثم بحث الخطيب في مسائل كثيرة تتعلق بالمدارس المخصوصة في ولاية مدراس مما لا يهم القراء في مصر فنكتفي بالاشارة اليها الى أن قال « يقولون لي ان الامة الاسلامية في هذه الديار في فقر مدقع . وأقول

ان السبب في ذلك ان المسلمين فاتتهم فرص كثيرة لم ينتهزوها وانكم اذا لم توادوا العزائم على النهوض من وهدة الفقر التي سقطتم فيها فلا أمل لكم في نجاح . والسبيل الممكن لذلك هو أنكم تعملون كل ما في امكانكم لتخليص أبناءكم من قيود الجهل ليقوموا بما لم تقدرؤا ان تقوموا به ولا نفوتهم الفرص التي فاتتكم . والدى يراقب عاداتكم يرى أنكم تنفقون الاموال الطائفة في الاحتفالات والمظاهر الفارغة مما لا يفيدكم ولا يفيد أبناءكم فهل

يزيدكم شرفا ورفعة أن تنفقوا الاموال في العادات حتى يقول الناس ان هذا الرجل غني وعظيم؟ - لا أقول لكم اتركوا عاداتكم واحتفالاتكم اللازمة ولكن أنصحكم أن تقتصروا منها على ما يفيد ويؤدي الى انفاق المال في السفاف. وليكن ما تقتصدون من ذلك مقصورا على تربية أبنائكم وتعليمهم. اتحدوا فيما بينكم وليكن أغنياؤكم وكبراؤكم نموذجاً لآخوانهم في الاقتصاد. وليعضد أغنياؤكم الفقراء منكم في طلب العلوم والمعارف. وهذا الوقت صالح لكم فلا تضيعوا الفرص التي أمامكم ولا تتأخروا الى الوراء أبداً فان الحيوان اذا جفل سبقه سواء وحاز قصب السبق. أسسوا لكم مدارس كالتي أسسها لكم المرحوم أحمد خان

أيها السادة : انكم قدمتم من كل بقعة من بقاع الاقطار الهندية لحضور هذا المؤتمر فاسمحو الى أن أشكركم بالنيابة عن اخوانكم المسلمين في هذه الولاية فانهم في أشد الاحتياج الى نصائحكم وتجاربكم المفيدة يتضح لكم مما قلته ان أفضل مدرسة لتعليم أبناء المسلمين هي المدرسة التي تجمع في نظام تعليمها بين التربية الدينية والعلوم العصرية لانهم في مثل هذه المدرسة يتدعون في تلقي مبادئ الفضيلة وتقوم أخلاقهم في صغرهم بينما يتعلمون العلوم النافعة لهم في مستقبل الحياة. هذا هو رأيي وأظنكم توافقوني عليه. ثم أزيد عليه ان الطريقة التي تسيرون عليها في التربية الدينية غير كافية بالعرض لانها مقصورة على تلقين معلومات دينية وعقائد تعلق بالاذهان ولكن لا تهذب النفوس كما هو المقصود. واذا جعلتم تهذيب النفوس وتقويم الاخلاق مندمجا في تعليم دروس العلوم العصرية فانكم

تحصلون على مرادكم وتقتصدون في الزمن اذ بدلا من ان تبدتوا بالتعليم الديني وحده وتمضون فيه الازمان الطويلة ثم تكفوا بعد ذلك - أي بمدان يشب الناسون - على تعليم العلوم المصرية تضيعون الزمن في وقت يكون أبناء الطوائف الاخرى قد حازوا الشهادات العالية وانخرطوا في سلك العاملين في الحياة بل ربما يكونون قد وصلوا الى درجات عالية فيها وتكونون بهذه المثابة أشبه بمن يسابقه غير في ميدان واسع . فهذا يسير في ارض سهلة وطريق ممهدة وانتم تسيرون في سبيل كاه عقبات وعوائق . واذا انتم اتبعتم الخطة التي رسمتها لكم فانكم تمهدون الطريق لانتفاسكم وتساوون بغيركم ولهذا السبب ارى ان مدرسة عليكرة التي يسير على هذا النظام من اتقع المدارس للمسلمين وحبذا لو كان لكم في كل ولاية مدرسة مثلها .

والسبب في كونها كذلك انها مدرسة اهلية اسسها المسلمون بانفسهم ولهم فائت على ذلك تحتاجون الى مدارس تكون ملكا لكم تسير على النظام الذي ترونه نافعا ناجحا . ويكون في كل مدرسة اما كن لسكنى الطلبة تحت رعاية الاساتذة الفضلاء الذين يكونون حراسا رقباء على التلامذة ويكونون نموذجا للصفات الفاضلة وقودة في مكارم الاخلاق

ولا تظنوا ان طائفة من الطوائف أو الحكومة أيضا تعاكسكم في مساعيكم . بل بالعكس متي وجدوكم تعملون كل مافي امكانكم وتجهدون انفسكم لا يستريح لكم بال ولا يستقر لكم خاطر فانهم يكونون معجبين بكم ان لم يكونوا من انصاركم . فالهندوس والطوائف الاخرى لا يبغضون ان يروا اخوانهم ناجحين مجتهدين ليتسكون منكم ومنهم عمال ذوو

كفاءة ينهضون بالامة الهندية كلها الى ذري السعادة والتقدم
ويجب عليكم ان لا تستبعدوا الغاية وتخليوا الوصول الى المقاصد امرا
مستحيلا فمن جد وجد ومن سار على الدرب وصل . ولا تمتذروا بقولكم
(اننا فقراء) وتطلبون من الحكومة ان تكون وصية عليكم سائرة بكم ان
ذلك امر مستحيل . لكن تيقنوا ان الحكومة لا تتأخر عن مساعدتكم متى
رأتكم تعملون لانفسكم

وحيث كان الشرق في الازمان الماضية منبع العلوم ومشرق شمس
العرفان فقد أصبح الغرب هو محل مقتبس المعارف في هذا الزمان ؛ فيجب
ان توجه عنايتكم الي الاخذ من علوم الغرب ومعارفه . هذا فضلا عن ان
الحكومة التي تدبر شؤونكم غربية انكايزية وكل هذا دليل على انه يلزمكم
ان تأخذوا بالعلوم التي تهيدكم لدى هذه الحكومة لغة ومعارف
وانني اعرف انه يوجد بينكم من ينظر الي علوم الغرب بعين السخط
ويخاف منها ويقول أيضا ان كل ما يلزم للدين والدنيا موجود في علوم
الغرب وعسي ان هذه الفكرة تكون آخذة في السقوط والاضمحلال وان
التمسكين بها قلال العدد . وان كان هذا الفريق يخاف من علوم الغرب
المصرية ظنا منه انها تؤثر على الدين الاسلامي وتضر به فانا أقول له اطمن
على دينك فالاسلام باق لا يتأثر بشيء من هذا والاسلام دين ليس فيه ما
يعارض العلوم ابدا لانه دين عظيم متين يحث على ترقى العقل في المنطوق
والمفهوم وسيبقى بينكم من علماء الدين من يحافظ على الدين دواما بل أقول
ان زيادة ترقى العقل في العلوم المصرية والمعارف الجديدة مما يساعد على

تقوية الدين في النفوس وازالة المنزلة التي يستحقها. اذا تقرر هذا لديكم وان
لا خوف على الدين أصبح من الواجب عليكم أن تأخذوا من العلوم العصرية
وصنائعها بالقسط الاوفر وتفوزوا بمعارفكم بين الامم كلها

وفي الختام أقول لكم أيها السادة أن وجودكم في هذا المؤتمر يدل عليكم
على فائدة اتحاد المسلمين. ولذا أشير عليكم أن تزيدوا في اهتمامكم بالمؤتمر فتؤسسوا
له فروعا ثابتة في كل مدينة تجمع بين أعضائها أهم رجال الاسلام حتى تصبحوا جميعا
مرتبطينا بروابط لا تنفك أبدا، أو بمباراة يصبح المسلمون كلهم في كل بقعة من
بقاع الهند ضمن دائرة واحدة يشعر كل فرد منهم بما يشعر به الآخر. وفضلا
عن ذلك فاني اقترح عليكم أن يكون لكم اكتاب اسلامي عام تقدم اليه
تبرعات أعضاء المؤتمرات الفرعية، وأن يبقى باب هذا الاكتاب مفتوحا
على الدوام لمساعدة مدرسة عليكده وتأسيس المدارس اللازمة لكم في كل
الولايات. ومن لا يقدر على دفع الاموال يجود بنفسه لخدمة امته وتقديم
النصائح مع السعي المتواصل

أيها السادة: اسمعوا لي أن اشكركم مرة ثانية على تكرمكم بالاصغاء
لما القيته عليكم. وقد اطلت الكلام كثيرا عما يختص بهذه الولاية
ومدارسها، ولكن المأكن محقا في ذلك؟ - واعرف اني قلت لبعض
الشيء الذي لا يسركم، ولكن اليس من وظيفة الصديق أن يحذر وينبه
بدلا من أن يتملق ويفرح بالفاظ لطيفة لا تهيد البتة؟ اني صرحت لكم
عما أحسن به من صديق فؤادي وما أشعر به نحوكم وقلت لكم الحقيقة في ثوبها
العاري عن التجميل والتزييق لكي تسموا بانفسكم الي مصلحتكم فانكم ان لم

تخدموا انفسكم لا يخدمكم أحد. وقات واقول لكم ان الحكومة لا
تساعدكم فقد عملت الواجب عليها، وانكم اذا لم تنفضوا غبار الكسل عنكم،
واذا لم تنفقوا اموالكم وتقدموا كل ما يجب عليكم، واذا لم ترتبطوا
ببعضكم، واذا لم تؤسسوا مدارسكم فان الحكومة تبقى بعيدة عنكم :
فلهذا انصحكم أن لا نضيعوا أوقاتكم في المناقشات والجدال وان تنفقوا
على عمل فذلك انفع لكم من طويل الكلام لكي تشهد الحكومة وتشهد
الطوائف الاخرى ويعترف العالم اجمع ان مسلمي الهند ليسوا أمة
خاملة جاهلة . »

خطبة

(حضرة العالم الفاضل خوجة غلام الصقلي)

(المؤيد) نشرنا ترجمة خطبة رئيس المؤتمر التي كان لها حسن الوقع
عند جمهور القراء ووعدنا بترجمة كل ما نراه مفيدا من الخطب والمناقشات
التي تلقي أو تدور في المؤتمر المذكور . ولا يخفى ان كثيرا من اعمال المؤتمر
ومذاكراته تتعلق بمسائل هندية بحتة لاتهم المصريين كثيرا . ولكن يوجد
بعض امور عمومية مثل المبحث الذي ترجمه للقراء اليوم بهم أهل الهند
وغيرهم :

ففي الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر اقترح حضرة الفاضل (خوجه

غلام الصقلي) عمل شي يؤدي الى الاصلاح الاجتماعى بين المسلمين. والمراد هنا
 بالاصلاح الاجتماعى هو تحسين العادات وترقية شؤون العائلات والمجتمعات
 وكل ما يرتبط بالحياة الحقيقية للامة. وقد عضده في هذا الاقتراح حضرة الفاضل
 (السيد عبد الحق) ناظر المدرسة الحربية بمحيدرآباد. وقبل اخذ رأي
 الاعضاء في هذا الموضوع القى حضرة مقترحه الخطبة الآتية التى كان لها الرفع
 الحسن فى نفوس الحاضرين قال :

« أيها السادة :

ان ما اقترحته عليكم من أهم الامور واتقها . ولاشك فى أن بعض
 الافراد الذين يميلون الى المحافظة على كل قديم والتمسك بكل ما لوف
 معتاد يفرون من كلمة اصلاح ويقابلون اقتراحى بأذان صماء . واعترف
 لكم صريحا بانى وقفت بين الاقدام والاحجام عندما أردت ان ابدي
 لكم هذا الاقتراح لعلمي انه ربما ادى الى انشقاق واتقسام بينكم ويكون
 موقفى بينكم اشبه بالقابض على الديناميت الذى يرتجف من هول وقعه
 القلوب . ولكننى اكتفى بان اعيد عليكم ما قاله قبلى رجل غير محبوب من
 قومه لغرابة افكاره حيث قال لسامعيه واخوانه فى مبدأ كلامه : « أيها
 السادة : استمعوا الى أولا وان شئتم بعد ذلك فاقتلوني . » ان العمل فى
 طريق الاصلاح الاجتماعى معناه التربية العامة للامة الجاهلة . وانا موافق
 مع اخوانى المسلمين على ان التربية ضرورية للناشئة الاسلامية وانه يجب
 السعى المتواصل فى نشرها . ولكننى على يقين ايها السادة من انكم لا تختلفون
 معي . ومن ذا الذى ينكر فى هذا الزمن الراقي فى المدينة ان التربية ليست

مقصورة على الكتب والدفاتر؟ والا لا اعتبرنا امة سقراط وافلاطون
 وارسطو أمة جاهلة لانها لم تتعلم من الكتب. ولديكم مثال كبير في قوله
 تعالي في القرآن الشريف « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا
 ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » فاذا كان
 المراد أن تعليم الكتاب والحكمة والتزكية من الكتب والدفاتر فالنبي صلى
 الله عليه وسلم لم يعلم شيئا لاننا نعلم انه كان رسولا اميا

وانتم تعرفون أيها السادة ان احدى وسائل نشر التربية والتعليم تكون
 بالمباحثات والمناقشات والخطب والوعظ والارشاد والجرائد والسعي المتواصل
 في التهذيب العام. ولا نطلب منكم الا ان تاخذوا على عاتقكم تهذيب الذين
 لا يقدرون على الذهاب الى المدارس وتكونوا لهم نموذجا في الاعمال والاخلاق.
 وعلى فرض التمكن من التعليم في المدارس فانها لا تكفي لنشر الآداب العامة
 واقتلاع جذور العادات القايمة السخيفة

واذا انتم لم تنهضوا نهضة في طريق الاصلاح الاجتماعي فربما ياتي
 وقت لا يمكن فيه التخلص من الادواء التي تمكنت من جسم الامة.
 ولعمري أن المراد بمؤتمر التربية انما هو ترقية الامة بكل الوسائل لا
 الاقتصار على التربية المخصوصة في المدارس. ولا يخفي اننا أعضاء هذا
 المؤتمر لسنا من علماء التربية النابغين فيها ولسنا من المعلمين ولا من المفتشين
 في ديوان المعارف

ومن الغريب اننا مع اهتمامنا وسعينا في كل طريق يؤدي بنا الى الرقي
 والنجاح لم نعمل شيئا في سبيل الاصلاح الاجتماعي، مع ان الطوائف

الآخري من الهندوس والبرهمن قدسارت في هذا الطريق خطوات .
 ولكن السبب في اهمال المسلمين هذه الوجة من التربية العامة
 تذكرون ان المرحوم السيد احمد خان اصدر مجلة دورية سماها
 (تهذيب الاخلاق) ولم يكن مقصده بذلك الا الاصلاح العام في البيئة
 الاجتماعية الاسلامية لتسير التربية المدرسية مع التربية الاجتماعية يد بيد .
 ولكن المرحوم السيد احمد خان اشتغل عن تهذيب الاخلاق بكتاب تفسير
 القرآن الذي لم يصادف من المسلمين قبولا وهو تفسير كما تعلمون عظيم .
 ثم انتهى الامر به الى تاسيس هذا المؤتمر ومدرسة عليكدة وكلاهما محبوب
 عند الامة الاسلامية . ومن ذلك يتضح لكم ان المرحوم السيد احمد خان
 كان يسعى في سبيل ترقية اخلاق الامة واصلاح عاداتها بقدر ما يستطيع .
 ويظهر لكم أيضا انه لم يجد في ذلك الوقت من العضدين والانصار كما نجد
 نحن اليوم . ومع كل هذا فقد ترك لنا مدرسة عظيمة اخرجت رجالا ذوى
 استعداد وكفاءة لتولى قيادة الامة . وحيث مضى الوقت الذى كانت المعارضات
 فيه قوية من المتمسكين بكل قديم فقد اصبح من الواجب ان نضيف على
 أعمال المؤتمر القيام باعباء الاصلاح الاجتماعي . وأقول ان هذه الخطوة تبث
 فيه روحا جديدة وتنفخ في صدور اعضائه حياة قوية

فانتم ترون ان التربية في المدرسة والتربية في الحياة يجب ان يتفقا وبسطحبا
 واللازم الضروري هو ان نسمى في ترقية الامة : ومن المسلم ان
 التربية المدرسية تؤدي الى صلاح اجتماعي : ولكن ما لم يقف الجمهور على
 معائنه ليجتنبها ومحاسنه ليمسك بها فيكون تأثير التربية في المدارس ضعيفا

ويكون سيرنا في سبيل الترقى بطيئا . ويمكن ان يقال ربما لا يجين الزمن الذي تكون فيه الامة كلها متعلمة حتى لا يبقى في ايدينا شيء ونكون قد اضعنا ممتلكاتنا وفقدنا تقوذا . ويقول بعض الناس ان الزمن في حد ذاته مصلح كبير ولكنني اؤكد لكم انها السادة ان هذا الرأي سخيف ساقط فما الزمن وماروح الوقت الامنى لانحدادكم وسعيكم وما معنى اعتمادكم على الزمن واهمالكم الاموت الزوام الذي حل بغيركم من الامم الشرقية . وزيادة علي ذلك فاقول لكم ان الحكومة تكون اول معضد لكم في الاصلاح الاجتماعي ويمكن لكل موظف ان ينضم معكم علنا وينصركم رسميا واذكر لكم على سبيل المثال بعض الادواء الاجتماعية المحتاجة الى الدواء العاجل .

(أولا) التبذير والاسراف في الافراح والاعياد والمآتم . وهي لا تنتهي ولا تنقطع ولذلك لا يجوز ابدا ان تنفق عليها الاموال الطائلة لانها تكفي وحدها لائقائنا في وهدة الفقر المدقع . ولا اقول لكم لا تحتفلوا بافراحكم واعيادكم أو مآتمكم ، ولكن أقول خففوا من نفقاتها بقدر ما يستطيع وغيروا في نظامها على قدر ما هو لائق ولازم

(ثانيا) يوجد بيننا جم غفير من الرجال الاصحاء والنساء القويات اتخذوا التسول حرفة واعتمدوا على مكارم اخوانهم المسلمين فقراهم في كل مدينة كالذباب يقتاتون من كسب غيرهم . ويوجد كذلك عدد عديد ممن لا حرفة لهم في منازل اقاربهم بمائلاتهم واولادهم . فهؤلاء وامثالهم عالة على المسلمين وعقبة في طريق تقدمهم المالي والادبي . افلا يوجد بيننا من يعلم

هؤلاء الكسالى قيمة العمل ويسير بهم في طرق اشرف وارفع وانفع ١
 « ثالثا » نرى عددا كبيرا ممن يدعون الولاية والتقوى من المشايخ
 والفقهاء يعيشون في الحقيقة حالة على غيرهم اذ تراهم يطوفون البلاد وينزلون
 ضيوفا على الناس وتقدم لهم الهدايا وتذبح لهم الذبائح وتقام لهم الولائم وتعطي
 لهم النقود وهم لا يؤدون وعظا ولا يحبون سنة بل هم في الحقيقة يعملون الناس
 البدع والخرافات . فالى متى نلقى في مهامة الجهل والغرور ونعمته في أمثال
 هؤلاء القوم انهم واسطة بيننا وبين الله وهم عمال الضرر وآلات الفساد ؟
 ولعمري ان الرجل الذي يستولي ويعيش حالة على غيره لا يعلم سواء قيمة
 الحياة ولا معنى العمل وقال تعالى (وان ليس نللسا الا ما سئى)

(رابعا) من العادات السخيفة التي يجب أن تذهب مع الزمن الماضي
 تمسك بعض العائلات التي تنسب لنفسها شرفا قديما متسلسلا بمبدأ عدم
 الاختلاط بالعائلات الاخرى فتراهم لا يقبلون بتزويج بناتهم وأولادهم
 من العائلات الاخرى وليس ذلك من الدين الاسلامى في شيء . نعم ان من
 الحكمة أن تكون درجة الزوج والزوجة متساوية من جهة الثروة والمركز
 الاجتماعى ولكن من الجهل أن يمتنع الفقير عن تزويج ابنته برجل غنى لان
 الاولى شريف النسب والثانى ليس كذلك . ومن الجهل أيضا أن تكون
 قيمة الرجال بالعظام الرميمة لا بما كزهم العالمة ومعارفهم السامية . واضرب
 الكم مثلا بمدينة في شمال الهند ليست أحسن من غيرها ولا أدنى من
 سواها . وتتألف هذه المدينة من أربع عائلات هذه تنسب لنفسها اشرف
 الاتساب الى المدينة المنورة وهذه الى غيرها وتراهم منقسمين على بعضهم

لا يختلطون ولا يتصاهرون . وفي ذلك مضار طبيعية كثيرة أقلها اتلاف النسل وضعفه فضلا عن الانشقاق والانقسام . وقد جاء في الآية (انما المؤمنون اخوة) ولا فرق بين من تناسل من عربي مدني أو عربي يمني أو هندي مسلم . وزد على ذلك ان السنين منا والشيعه لا يمتزجون ولا يتصاهرون مما يجر الي البلاء ويؤدي الى دوام التفرق والدمار

« خامسا » أوجه أنظاركم الى تهافت الطبقة العالية منا وخصوصا في حيدر آباد على الخمر الاوروية . وترى الاقيون والشاندى والماداك والسندي « أسماء مفييات » وغيرها من المواد المخدرة والمسكرة منتشرة بين المسلمين في كل الاقطار الهندية . أفلا يوجد بيننا من العلماء والنبهاء من يحذر الناس من عواقب هذه الشرور ويبين لهم المضار الناتجة من الانهماك في شرب الخمر ليقلع الناس عنها ؟ هل هذه الحالة ترضيكم وتشرفكم بين الطوائف الاخرى ؟ — وأنا أقترح بعد أن ذكرت هذه الادواء بعض وسائل لتخفيف البلوى فاجه أنظاركم اليها :

« فمنها » يلزم أن يوجد في كل مدينة وكل قرية ناد لالقاء الخطب والمواعظ في اوقات معينة ليحضرها الناس . وان أمكن فتؤسس جمعيات محلية لكل بلدة

« ومنها البحث في الطرق اللازمة لنشر التربية والتعليم بين النساء والبنات حتى لا تكون الجهالة والافكار القديمة عقبة في طريق الناشئين » ومنها اتخاذ الوسائل لمنع زواج الاطفال الذين لم يبلغوا سن الرجولية فان هذا داء عضال منتشر بين المسلمين دون سواهم

(ومنها) انه يجب أن تكون عندنا نزلة للفضيلة والآداب بان نحقر مكانة كل رجل يشتهر بسوء الادب والذائل ولا نسمح له بالوجود في مجالسنا ومجتمعاتنا

هذه أيها السادة خلاصة سطحية قدمتها لكم لا لتكون هي انموذج العمل ولكن لتكون داعية الي حكمكم لسير في هذا الطريق. ولا انكر عليكم ان الاصلاح الاجتماعي أصعب منالا من سواه. والسبب في ذلك ان الاصلاح الاجتماعي عندنا يرمي الي اقتلاع جذور عادات تأصلت في النفوس ورسخت في العقول مع جهل يحافظ الناس عليه وخرافات وأوهام ينسب بعضها الي الدين كذبا وبهتاناً. فالذين يريدون أن يخطوا بالامة الاسلامية خطوة في هذا الطريق يجب عليهم أن يمدوا أنفسهم لمقاومة عقبات راسخة كافية أن تصدمهم عن سبيلهم لاول وهلة. لهذا أري أن أول ما نحتاج اليه لكل اصلاح هم رجال ذوو ثبات وعزيمة وقوة راسخة في نفوسهم يضحون لاجل اصلاح بلادهم كل مرتخص وغال ولا يباليون بأراء الجهلاء وتسفيه الاغبياء. واتم تعلمون أن كل من يطعن على عادات قوم ويحاول اصلاح بعض امورهم يرمي بالكفر والمروق عن الدين ويقابل بالرفض والسخط: وهكذا قوبل الانبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام

كفانا أيها السادة نوما ونمولا وكفانا جهلا وغرورا وتمسكا بالخزعبلات والاهام وكفانا انشقاقا على انفسنا وضعفا في قلوبنا. اننا لسنا والحمد لله في حالة جهل تقضي علينا بالموت ولسنا في حالة ضعف تسوقنا الي الهلاك... بل لايزال فينا رمق من الحياة فاذا نحن تمكنا من وضع قدمنا

في أول طريق الإصلاح واندفعنا الى الامام بقوة المزيمة خطونا الخطوة الاولى . ومن ذلك الوقت يمكننا أن نستريح قليلا ونترك الدفعة الاولى تسير بنا الى الغاية المقصودة : واريذ بذلك ان صعوبة العمل لا تكون الا في الاول فاذا اجتزنا العقبة الاولى فاستبشروا بحسن الخاتمة

خطبه

(اللورد امبثل حاكم ولاية مدراس)

« أيها الرئيس وأيها السادة :

اني لسوء حظي لم اتمكن من فهم الخطبة البليغة التي القاها الآن حضرة (النواب محسن الملك) واني اشكر حضرة « الشيخ عبد القادر » على ترجمته لي اياها وخصوصا لانه اجاد في ترجمتها اذ ليس من السهل ان يتناول السامع خطبة ويسرد ترجمتها بمثل ما فعل حضرة الشيخ عبد القادر . واني أيها السادة أعجب كثيرا بمساعيكم واستقبل ماقاله النواب محسن الملك بصدر رحيب فانه شرح لي حقيقة المبدأ الذي يدور على محوره هذا المؤتمر لاني هذه الجلسة وحدها واسكن في كل جلساته السابقة . وانا بكل سرور أؤكد لكم ان الحكومة تنظر الي خطواتكم هذه بعين الرضى والانسراح وأقول أيضا انه لا توجد حكومة عادلة في العالم لايسرها ان ترى فريقا من رعاياها يخطو بنفسه الى ورود حياض العلوم والمعارف التي هي اس العمران ودعامة الرقي والفلاح

وانى على تمام الاعتقاد بانه قد قيل انى لا أنوى أن ألقى خطبة كبيرة على مسامعكم ولا زلت كذلك لا أريد أن أخوض في غمرات مباحثكم ولكنكم على كل حال تسمعونى أن أوضح لكم السبب فى امتناعى وأرجوكم رجاء خالصا قبل كل شيء أن تتيقنوا ان تأخرى عن الكلام ليس منشأه عدم الاهتمام أو المشاركة معكم فى مساعيتكم أو من عدم الشعور بمحالتكم ومقاصدكم التى اجتمعت لاجلها فى هذا المكان . أجل ان السبب لبعيد جدا اذ ان تأخرى عن الخطابة يرجع الى شعورى بعدم كفايتى لابداء آراء فى مسائل لست واقفا على الحقيقة فيها . والواجب على من يريد أن يلقى نصيحة على أحد ان يكون عارفا تمام المعرفة بمركزه الحقيقى وما يحتاجه وما هى الوسائل المؤدية اليه وما يتبع ذلك من النصائح الصادرة عن علم وروية . وقد وصلتني دعوتكم منذ بضعة أيام كنت قبلها قد ارتبطت بمواعيد كثيرة ولو لا ان لجتكم افهمتني ان وجودى بينكم يعد دليلا على مشاركتي اياكم فى مساعيتكم ومقاصدكم لتعذر على المحي . ولذا اعلنتهم برغبتى فى الحضور ولكن لا ينتظرون منى خطبة فى موضوعهم الذى لم اتمكن من دراسته وبمحة . فارجوكم ان تعتبروا وجودى بينكم دليلا على مشاركتي لكم بكل جوارحى واحساساتى فى كل ما يتعلق بمساعيتكم ومقاصدكم

ولقد اطلمت على تاريخ حركتكم هذه واطلمت كذلك على الخطبة البليغة المفيدة التى القاها رئيسكم فى هذا العام . والآن قد اتاح لى الحظ ان احضر اجتماعكم وان اسمع باذني خطبتكم ومباحثكم واقتراحاتكم وانى مما رأيت من اصاغتكم سمعا لا قوال الخطباء والتقاطكم لكل كلمة تخرج

من افواهمم احكم بقوة الشعور المتمكنة من صدوركم واشهد ان هذا المؤتمر سيكون له نفع عظيم . وسأقرأ كل اعمالكم القادمة في هذا المؤتمر بالاهتمام اللائق وقد عرفت مما القاهر ثيسكم انكم قد اتخذتم الوسائل للحصول على محل لمدرسة (مدرسى اعظم) واني مع سرور يخالج صدرى اؤكد لكم ان هذا الامر وصل الي الدرجة المرضية وان الحكومة قد ابتاعت اوراندى بنج « محل اوسراى » لتكون محلا للمدرسة المذكورة : والحكومة تتخذ كل الوسائل ليكون هذا المحل مؤديا للغرض كافلا لكل الحاجات المطلوبة . واحب ان تتخذوا هذا العمل دليلا عن مشاركة الحكومة لكم في كل عمل اسلامي يقصده نشر التربية والتعليم بينكم . فضلا عن ذلك فان الحكومة تساعدكم بمنحككم القوى اللازمة لزيادة النجاح والفلاح

ويظهر لي انه من المقرر في الاذهان ان هذه الحركة في حاجة الي شيتين الاتحاد والقيادة وخصوصا في ولاية مدراس . واني لهذا سررت جدا بانعقاد المؤتمر في هذه المرة بمدراس وعسى أن تكون النتيجة مؤدية الى جمع قلوبكم واعتماد من يليق لزعامتكم وقيادتكم . ولا شك انه باتحادكم وحماسكم الناشئين من اليقين بصحة مبادئكم وصدق مقاصدكم تتوصلون حتما الى حل عويص المشاكل المرتبطة بالتعليم اللازم لكم من العلوم المصرية والتربية الدينية . وهى النقطة الوحيدة من حل كل مشكلة اجتماعية كيفما كان القوم وكيفما كانت حالتهم

أيها السادة : لا أحب أن أزيد على هذا كلمة واحدة واكتفي بالثناء عليكم واعترافى لكم بالخلاصى وحسن طوبتى : «

جمعية الآداب الإسلامية (*)

« في مدراس »

(المؤيد) نشرنا منذ بضعة أيام ترجمة الخطبة البليغة التي القاها العالم الفاضل عنایت حسین الهندي في (جمعية الآداب الإسلامية) الهندية ووعدنا القراء أن نوافيهم بخلاصة أعمال هذه الجمعية والغرض الذي انشئت له لما في ذلك من فائدة الاقتداء من جهة والسرور بنشاط اخواننا المسلمين في البلاد الهندية من جهة أخرى . وقبل الشروع في الموضوع نشكر أعضاء هذه الجمعية على اهدائهم للمؤيد نسخة من تقريرهم وخلاصة الموضوعات التي القيت في جمعيتهم . والحق يقال اننا منذ ثلاث سنوات توسمنا في مبدأ هذه الجمعية خيرا ولذلك والينا رسال المؤيد الي مدراس باسمها مجانا حتى ورد ذكره بالثناء في تقريرهم .

قلنا ان هذه الجمعية تأسست منذ ثلاث سنوات تحت رئاسة صاحب المكانة السامية حضرة والجي صاحب خان بهادر ووكالة السيد الجليل محمد سيف دار صاحب بهادر (صاحب بهادر وصاحب خان بهادر) من اسمي الرتب الهندية التي تداولت من أيام دولة الموغول الإسلامية ولا زالت الحكومة الانجليزية في الهند تسير على اعطاء هذه الالقاب في جملة ماتمطيہ للكبراء من الهنديين .

« غرض الجمعية » - افتتح السكرتير العام تقريره بالفرض الذي انشئت له الجمعية فقال مانصه: « ترى الجمعية أن تملن على رؤوس الاشهاد الفرض الذي من اجله أسست ليقف اخواننا المسلمون في جميع الاصقاع والامصار على مقاصدنا ولنين لهم الاعمال التي قمنا بها بالرغم عن اهمال المسلمين واحتقارهم للجمعية في بادىء الامر . ويمكننا أن نحضر الفرض في العبارات الآتية :

(١) المحافظة على التمسك باهداب الدين المحمدي الشريف (٢)
ونشر تعليم اللغة العربية واللغة الفارسية مع تربية انكليزية عالية حرة (٣)
وتفسير صريح عادل لخطة الحكومة تجاه المسلمين (٤) وتوليدي روح الالفة والاتفاق (٥) وأخيرا غرض حاجات المسلمين ومطالبهم على مسامع الحكومة الانجليزية متى وجدنا لذلك سبيلا وسببا

نعم لاننكر أن الجمعية لهذا اليوم لم تعمل اعمالا عظيمة تذكر في سبيل من السبل التي ذكرناها . ولكن ليتذكر اخواننا ان هذا الواجب ليس بالامر الهين اللين واننا ابتدأنا ولا نزال نعمل في ظروف صعبة وامامنا عقبات شتى . الا اننا بحمد الله سائررون في طريق الاعمال نفتنى آثار (جمعية كلكتا الاسلامية) التي سبقت في هذا السبيل وارشدتنا الى هذا العمل الجليل . فهمى اليوم تعمل لولاية كلكتا ومن فيها من المسلمين ونحن اخذنا على عاتقنا ما يخص ولاية مدراس . ومما يذكر في هذا المقام ان جمعية كلكتا نجحت نجاحا باهرا وحركت العواطف واستفزت الشعور السكمن حتى ظهرت نشأة من ابناء المسلمين عاملة حية عارفة بما يقف

أمامها من العتبات والصعوبات . ولعمر الحق أن تأخر المسلمين وفقيرهم المدقع وتقهقرهم دون مواطنيهم في سبيل الوظائف وقلة المتعلمين منهم لمسائل تحتاج الى العمل والنشاط لاصلاح هذا الحال والا فتكون العاقبة وبالاً والعياذ بالله من ذلك .

(اعمال الجمعية) - الاجتماعات العلنية بلغت في السنة الاولى ٢٧ وفي السنة الثانية ٢٨ وفي الثالثة ٢٤ حضرها عدد عديد من المسلمين والقيت الخطب والمقالات الموضحة عنواناتها بعدد المناظرات والمباحثات المذكوره .

(المؤيد) نذكر هنا على سبيل الامثال أهم المقالات والمباحثات التي القيت من الجمعية . فمنها بحث في الاعتماد على النفس - اختيار الوظائف والاعمال - قانون الصحة في الدين الاسلامي - الطلاق في الاسلام - فقر مسلمي الهند - الواجب على المتعلمين من المسلمين - بحث فلسفي في تاريخ الخلفاء النخ

وأهم المناظرات . هل الرجل أرقى عقلاء من المرأة ؟ ما علاقة الاسلام بالرق ؟ هل الفلسفة تزيد أو تقلل الاعتقاد في الدين ؟ أيهما أفضل : معيشة المتزوج أو الاعزب من الوجهة الادبية ؟ هل لتربية المسلمين علاقة بالسياسة ؟ هل الاسلام يتفق مع الاكتشافات والعلوم المصرية ؟ هل من العدل أن يتعامل الكتاب الاوربيون على الدين الاسلامي وصاحبه ؟ الزكاة في الدين الاسلامي . أي الحالين يدل على اخلاق الرجل : النعيم أم الشقاء ؟ أيهما اسعد حالاً : الرجل المتدن العالم أم المتوحش الجاهل ؟ أيهما

انفع للبلاد الهندية . الصحافة الاهلية أم الصحافة الانكليزية الهندية ؟ هل
فقر المسلمين في الهند منشؤه منهم أو من أسباب اخرى ؟ هل تنهذب
الروح بغير الدين ؟ هل من العدل أن يحرم الواحد من وظيفة مالائه يدين
بالدين الفلاني مثلا ؟ الخ

هذا من جهة الاجتماعات وما التقي فيها من المباحث التي كانت تفسر
بعض الاحايين في الجرائد أو تطبع وتوزع . ولا يخفى ان في طيات هذه
المباحث ونشرها فائدة كبرى من عدة وجوه وخصوصا فيما يتعلق
بالمقالات التي تبحث في امور المسلمين وما يترتب على ذلك من نشر آراء
الجمعية عند الحكومة ليكون المسلمين بذلك رأيا عاما تحترمه الحكومة
قبل كل شيء .

ونذكر في هذا المقام قول أسد فلاسفة الانكليز حيث قال « الامة
كالهواء لا يشعر بوجوده الا متى تحرك ودوى في الآذان »
« المكتبة » - اسست الجمعية مكتبة في سنة ١٨٩٨ تبرع لها
افاضل المسلمين بمدة كتب نفيسة مذكورة اسمائها واسباب المتبرعين بها
في الملحق التابع لهذا التقرير وجزي الله المحسنين خيرا
وفي هذا المقام نشكر حكومة مدراس فانها اهدت الجمعية بمدة
كتب رسمية واحصائيات عمومية اعترافا بمقام الجمعية

« قاعة المطالعة » - ويجاور المكتبة قاعة للمطالعة لكافة المريدين
من المسلمين وفيها الكتب المذكورة غير الجرائد التي تبرع بها معانا اخواننا
المسلمون اهمها جريدة (محمدان) و « ويمس مدراس » و « مدراس ميل »

(ومخبر دكن) و(النير الاصفى) وجريدة (المؤيد) العربية المصرية .
 وزيادة عن ذلك فالجمعية تصرف من مالها على بعض اولاد المسلمين
 الذين اصيدوا بنكبات عائلية كادت لولا مساعدة الجمعية لهم تمنعهم عن اتمام
 علومهم كما هو موضح في ذيل التقرير عند جدول الايراد والمنصرف . ويعقب
 ذلك جدول شامل يشرح مقدار ما اعطى للجمعية من أموال المتبرعين ومقدار
 اشتراكات الاعضاء وجدول آخر عن المنصرف بمخذا فيره

«المؤيد» غرضنا من نشر هذه الخلاصة عدة امور اهمها شرح الخطة التي
 تسير عليها هذه الجمعية وخصوصا فيما يتعلق بموضوعها وغايتها . فالباحث
 المدقق يرى من خلالها ان غرض الجمعية هو ان تكون بمثابة نقيض يوصل
 صوت المسلمين الي مسامع الحكومة . وهذا غرض جليل فلا يستصغرنه
 القراء اذ هي بذلك تحنو حنو الجمعيات في اوروبا التي تمثل فريقا من الناس
 ذوى آراء مخصوصة . ومتي قويت شوكتهم أي ان صار لاجتماعهم مكانة في
 النفوس اضطرت الحكومة ان تحترم رأى الجمعية صوت لانه صوت الرأي
 العام بشكل مقبول معقول . وفي ذلك فائدة هي من اعظم الفوائد السياسية
 والاجتماعية

وغرضنا ايضا من هذا التلخيص ان نبين طريقة العمل خطوة بخطوة
 وكيف ان حضرة رئيس هذه الجمعية يسير بها الغرض المقصود سلما فسلما
 ونقطة فنقطة فان الغاية تضيق بين الحدة والتهور والسرعة والطيش . وزد
 على ذلك فائدة نشر هذه التقارير مبينة اسماء الاعضاء وحساب الجمعية بقليله
 وكثيره واسماء الكتب الموجودة في مكتبتها والجرائد اليومية والعلمية

ليقف الناس على الاعمال والحسابات . وفي مصر بعض من الجمعيات لا يعرف
 الاعضاء ولا الناس لها حسا باولا يرى الغائبون عنها اعمالها مدونة في تقاريرها
 مما يضيف الثقة ويسير بالجمعية الي الانحطاط كما هو الحاصل في بلادنا .
 فمسي ان يكون في نشرها لهذه الخلاصة الفائدة التي تمنانها . وليس ابث
 على العمل من النظر الي المثال الواضح والله بهدي من يشاء الي صراط مستقيم

جمعية حماية الاسلام

« في لاهور »

جاء في جريدة « وكيل » الهندية الغراء للصادرة بتاريخ ٢٧ شوال
 في السكلام على « جمعية حماية الاسلام » ما يأتي :
 « اسست هذه الجمعية في « لاهور » سنة ١٨٨٤ ميلادية وموضوع
 اعمالها كما يأتي .

« أولا » دفع شبه المخالفين للاسلام وردّها بالاجوبة المقتنعة مع مراعاة
 الادب والاحترام عملا بآية « وجادلهم بالتي هي احسن »
 (ثانيا) - تعليم اطفال المسلمين ذكورا واناثا وتربيتهم تربية صالحة
 لمعاشهم ومعادهم

(ثالثا) - اصلاح اخلاق المسلمين وآدابهم وحضهم على تقويم امور

دينهم وديارهم

وقد خصصت هذه الجمعية رجلا من افاض علماء المسلمين للتطواف في البلدان والوعظ والحض على الانتصام بمجمل الاسلام وسنة خير الانام . وانشأت في لاهور خمس مدارس لتعليم البنات وكانت وارداتها في السنة الاولى من تاسيسها ثمانمائة روبية ومصاريفها اربعمائة . وفي السنة الثانية اتسع نطلق الجمعية وكثرت الطالبات في المدارس فانشأت خمس مدارس اخرى في لاهور أيضا . وفي السنة الثالثة زيدت على ذلك مدرستان أيضا فجملة مدارس هذه الجمعية للبنات اثنتا عشر مدرسة . وعلى هذه النسبة اتسمت مواردها ومصارفها ،

ومما انشأته هذه الجمعية أيضا دار للايتام لانظير لها في البلاد الاسلامية وهذه الدار يعلم فيها ايتام المسلمين ويقام فيها بشؤون تربيتهم وتهذيبهم الى بلوغ سن لرشد فيزوجن اركن بنات ويكدهون في طلب المعيشة ان كانوا بنين . وقد لاحظ الحكام الاوروبيون في لاهور تحسيننا كبيرا في احوال الناشئين من أثر تربية هذه الدار فاثبتوا اعلى همم رجال الجمعية وجهروا بتعظيم فيها

وفي السنة الرابعة من تاسيس تلك المدارس اضافت الجمعية اليها مدرسة اخرى وأخذوا بعد ذلك يبذلون الهمة في تصنيف الكتب النافعة للاسلام والمسلمين وترجمتها من العربية الى الاوردو ؛ وانشأت ايضا مجلة باسم «نصاب الصبيان» وهي رسالة دورية تحتوي على مالا بد منه للصغير من معرفة الصلاة والطهارة وبقية المبادات والعقائد وبالجملة ما يجب عليه

المسلم معرفته وحفظه ليكون مسلما . وهي بالعربية والاوردية تدرس في تلك المدارس وتعلم للمبتدئين وقد اتضح انها أنفع من الكتب الابتدائية وأشدها حاجة لآبناء المسلمين .

وهكذا أخذت الجمعية ترقى نظام مدارسها الى السنة السادسة فأنشأت فيهما قسما داخليا وجدفية الطلبة من الراحة والرفاهية مما لا يجدونه عند أهلهم وفي السنة السابعة اشترت الجمعية القصر الذي هو محل ادارتها الآن ثلاث عشر ألف روية وصدر قرار من الحكومة عندئذ الى جميع المحاكم والمستشفيات والبيمارستانات في تلك الديار بتسليم أيتام المسلمين الى « دار اليتامى » الخاصة بجمعية حماية الاسلام وفوق ذلك ساعدتها الحكومة بكل ما تنفع به المساعدة

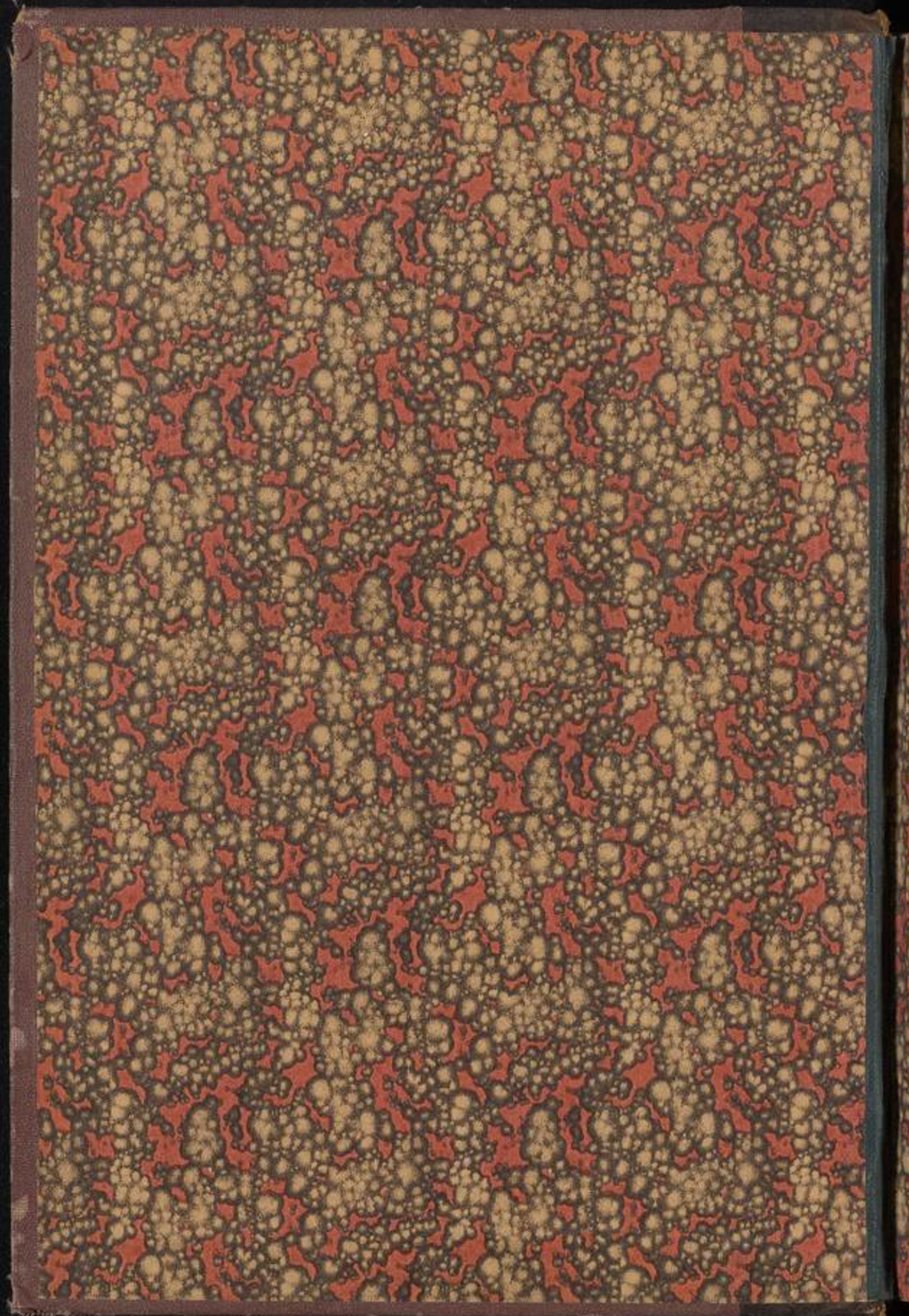
ثم أسست الجمعية « الكالج » أي الكلية الوجودية في لاهور الآن وأنشئ التعليم العالي فيها بكل فروعها وسارت على خطة الثبات والنمو حتى أصبحت موضع ثقة المسلمين في لاهور وما حوالها :

فبارك الله في همم اعضاء هذه الجمعية وجزاهم عن الاسلام خير

الجزاء آمين

25





COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59575158

ME06453

Sifr al-saadah /

RECAP